تنشِئة الطّفلِ

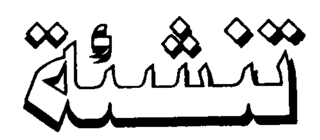
وسبل الوالدين فى معاملته ومواجهة مشكلاته

دكتور
زكريّا الشربينى

دكتورة
يسرّية صادق

علاء الحصرى







وسبل الوالدين فى معاملته ومواجهة مشكلاته

دكتور

زكريا الشربينى

أستاذ بجامعة الملك سعود

جامعة عين شمس (سابقا)

دكتورة

يسرية صادق

أستاذ مشارك بجامعة الملك سعود

جامعة عين شمس (سابقا)

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٣٧٠،١٩٣٤ زكريا الشربينى.
زك ت ن تنشئة الطفل وسبل الوالدين فى معاملته ومواجهة مشكلاته / زكريا الشربينى، يسرية صادق . ـ القاهرة : دار الفكر العربى، ٢٠٠١.

٣٦٢ ص : جـ د؛ ٢٤ سم.

ببليوجرافية: ص ٣٥١ ـ ٣٦٢.

تدمك : ٧ ـ ٠٧٨٠ ـ ١٠ ـ ٩٧٧.

١ ـ الآباء والأبناء. ٢ ـ الأطفال ـ تربية. ٣ ـ الأطفال ـ رعاية . أ ـ يسرية صادق، مؤلف مشارك. ب ـ العنوان.

أميرة للطباعة

٥ شارع محمود الخضرى - عابدين

ت : ٣٩١٥٨١٧ محمول : ٠١٠١٤٥٦٠٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

عن رسول الله ﷺ : «إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظه أم ضيّعه». وقال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليمات: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه».

صدق رسول الله ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾

يعد موضوع تنشئة الطفل من الموضوعات ذات الأهمية فى حاضر عالمنا، الذى تعاقبت عليه العديد من الأزمات، تتراكم وتتكدس انعكاساتها الإيجابية والسلبية حقبة بعد أخرى، وتنتج تباينا فى أساليب العيش مع التحولات الناجمة، وضياعا لبعض القيم، وصراعا بين الأجيال داخل البناء الاجتماعى الواحد.

إن البناء الاجتماعى يهدف إلى تحقيق التوازن بين التأثيرات الثقافية وأساليب الضغط الاجتماعى لدى الأفراد أعضاء هذا البناء، وإلى إيجاد نوع من التوافق بين حاجات الأفراد ومطالب المجتمع، وإلى إيجاد سلوكيات تحقق رغبات الفرد ويرضى عنها الآخرون.

وتعد تجارب السنوات الأولى من حياة الطفل، التى تهيئ للمراحل الأخرى من نضجه العقلى والنفسى والاجتماعى، مرتبطة وثيق الارتباط بتصورات الآخرين الذين يشكلون المجموعة التى ينتمى إليها، بقيمها وعاداتها، وعلى وجه الخصوص بسلطة الأسرة بداية، التى يتأثر بها تأثرا عميقا.

وقد تظهر الصورة شاحبة هزيلة فى بؤسها، ولكنها حقيقة حياة ملايين من الأسر التى ينمو أطفالها وغالبا ما تكون لديهم اتجاهات وعادات وقيم هى غير المطلوبة لمجتمع عليه أن يسابق الزمن متخطيا سنى التخلف إلى بدايات ضعيفة للتقدم.

إن إعداد أطفال يتمكنون من العيش سعداء فى أوطانهم، وفى عالمهم، لمن أعسر المهام، وأبعثها على النخوة. والأمر لا يتطلب تعليمهم لعدد من القيم الاجتماعية التى تمثل جوهر المجتمع فحسب، بل نساعدهم على اكتساب المرونة لتتلاءم مع المتغيرات الجديدة وليدة التحولات الاجتماعية السريعة. وبذلك يتكون

داخل أبناء المجتمع معنى الانتماء ومفهوم الولاء، أى ينتمى كل فرد لمجتمعه، ويستشعر الولاء له.

إن أداء الواجب ينبع من انتماء الفرد لجماعة صغيرة، ثم انتمائه لجماعة أكبر فأكبر حتى يشمل الوطن كله. بهذا تتقدم الشعوب والدول والأمم. والتنشئة هى المسئولة عن تعليم الطفل وتدريبه على أداء الواجبات، والانتماء شديد الصلة بالولاء، وكلاهما مشبع بالحب، وما أجمل أن يحب الطفل أسرته ومدرسته ومدينته ووطنه . . . والبشرية كلها.

ويتم إدماج الأطفال فى المجتمع وفق عملية التنشئة الاجتماعية، التى إطارها الأول الوالدان داخل الأسرة، ويأتى بعد ذلك دور العديد من وكالات التنشئة التى تساهم أيضا مع الأسرة فى إكساب الأطفال نسق المعايير الأخلاقية التى تنظم العلاقات بين الفرد وأفراد المجتمع؛ وبذلك يصبح لدى الطفل أدوات فعالة أولية تساعد على الاندماج فى الجماعات المتعددة عبر مراحل نموه.

والطفل العربى يقاسم كل أطفال العالم صعوبة التلاؤم أثناء نموه مع عالم اليوم السريع المتطور، إلا أن طابع إعداده يجب أن يجعله أهلا لفهم مدلول القيم التى أورثتها إياه الأجيال السابقة، وصيانة ودعم التقاليد، بحيث يصبح بإمكانه فى الغد أن يواصل تبليغ ما ورث إلى الأجيال التالية. ورغم كل ذلك تبقى هذه الأجيال مستعدة للعيش وسط سلاسل من التغيرات الاجتماعية والثقافية.

إن اقتناع جيل ما بأنه مسئول عن الجيل الذى يليه، يعنى أن جيلا يزرع أشجارا ستكبر بعد سنوات وتؤتى أكلها بعد حين ليستفيد بها جيل لاحق، وهذا الجيل اللاحق لن يكتفى بجنى الثمرات ولكن عليه أن يزرع أشجارا. ومن هنا يكون الجيل المربى حقيقيا هو الذى يبنى مستقبل مجتمعه، ويكمل مسيرة جيل سابق له، وفى هذا أخذ وعطاء، والتنشئة تؤكد على الاثنين.

وقديما قال الفيلسوف الإغريقى المعروف «أفلاطون» ما معناه : «هل نسمح للأطفال دون عناية لأن يستمعوا لأى شخص ولأى قصة؟ إنهم سيتلقون أخبارا وأحاديث لها معان هى أبعد ما تكون عما نريد لأطفالنا أن ينشأوا عليه، وكالسموم الخطرة على الجسم، فكذلك هذه المعانى خطرة على عقول الأطفال . . . وهذا ضد ما نود أن ينشأ عليه الأطفال وهم فى طريقهم إلى أن يصبحوا كبارا».

وأخرج ابن ماجة عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال :«الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم». فالتنشئة إذا كان محورها الأدب فهى خير ميراث، وحسن الخلق هو خير قرين . .

والكتاب الذى بين أيدينا يعالج موضوع تنشئة الطفل، ودور الوالدين فى رعايته، وأساليب معاملته وتمكينه من التغلب على بعض المشكلات التى تعترض مسار تلك التنشئة.

ويشتمل الكتاب على ثمانية فصول، جاء الفصل الأول حول مفهوم التنشئة الاجتماعية وتاريخها ونظرياتها ومراحلها وحدودها وأهدافها وشروطها . . واشتمل الفصل الثانى على دور الثقافة فى تنشئة الأطفال ونظم تشكيل الأطفال تبعا للثقافة. أما الفصل الثالث فقد استعرض أهم وكالات التنشئة الاجتماعية، واشتمل الفصل الرابع على نماذج لتنشئة الطفل من بيئات مختلفة فى العالم. وفي الفصل الخامس أُقترح نموذج للوالدية في ضوء أفكار Belsky وبعض الدراسات السابقة العربية والأجنبية. ودارت الفصول الثلاثة الأخيرة حول تفاعل الوالدين والأبناء، ودور الوالدين في تنشئة الأطفال علي المبادئ ومواجهة مشكلات أطفالهم، وهي ترجمة بتصرف للفصول الثاني والثالث والسابع من مؤلف Rincover . وتعد كتابات Denham و Elkin و Maccoby و Shaffer وغيرهم من الباحثين العرب والأجانب من أهم ما اعتمد عليه الكتاب الحالى.

ونأمل أن يجد القارئ الكريم فيما نكتب أفكارا مستساغة ميسرة، ونسأل الله أن يوفقنا إلى تقديم المزيد حول الأطفال وسيكلوجيتهم.

ونتمنى أن يخرج هذا العمل العلمى مواكبا المعرفة العلمية المعاصرة فى مجال التنشئة، ونشارك به مع من يسعون إلى تقوية حركة دراسات الطفولة؛ مما يحقق مزيدا من النهضة والتجديد فى تربية النشء العربى فى عالمنا المعاصر.

والله نسأل حسن القصد

القاهرة ـ مصر الجديدة

السبت ٢٦ أغسطس ١٩٩٥

المؤلفان

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

محتويات الكتاب

الفصل الثانى

دور الثقافة فى تنشئة الطفل

الفصل الخامس

نحو نموذج للوالدية فى التنشئة

الفصل السادس

الوالدان كجزء من مشاكل تنشئة الأطفال وأجزاء من الحلول

الفصل السابع

دور الوالدين فى تنشئة الأبناء على المبادئ

الفصل الثامن

دور الوالدين فى مواجهة مشكلات أطفالهم أثناء التنشئة





تنشئة الأطفال اجتماعيا



أولا : مفهوم التنشئة الاجتماعية :

لقد اختفى إلى غير ظهور الوقت الذى كان فيه علماء النفس يشبهون الطفل بكتلة لينة يمكن للوالدين والمربين تشكيلها على النحو الذى يختارونه، وإن كان ينبغى على كل مجتمع أن يصل إلى ثلاثة حلول لقضايا هامة تواجهه بخصوص الأطفال، هى: طرق رعايتهم، وترسيخ القواعد التى تتحكم فى كيفية تفاعلهم مع الآخرين، ونقل المهارات والقيم من الكبار إليهم.

وإزاء المطلب الأخير واجهت المجتمعات مصاعب متباينة، معتمدة فى ذلك على عملية تعليم وتعلم تقوم على التفاعل الاجتماعى، وتهدف إلى إكساب الأطفال سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكنهم من مسايرة الجماعة والتوافق الاجتماعى، أى تكسبهم الطابع الاجتماعى وتيسر لهم الاندماج فى الحياة الاجتماعية. إن الأمر هنا ينطوى على ما يعرف بعملية «التنشئة الاجتماعية The Socialization Process» أو ما تسمى أحيانا بعملية التطبيع الاجتماعى، تلك العملية التى يتعلم من خلالها الفرد كيف يصبح فردا فى أسرته وعضوا فى مجتمعه، إنها عملية تعلم القصد منها أن يُنمَّى لدى الطفل الذى يولد ولديه إمكانيات هائلة ومتنوعة سلوك فعلى مقبول، ومعتاد وفق معايير الجماعة التى ينتمى إليها.

ويستعرض أبو القاسم الأصفهانى معنى التنشئة لغويا .. نشأ النشء، والنشأة إحداث الشىء وتربيته، وقوله تعالى : ﴿**ولقد علمتم النشأة الأولى**﴾ (الواقعة : ٦٢). ويقال : نشأ فلان، والناشىء يراد به الشاب، والإنشاء هو إيجاد الشىء وترتيبه.

وفى سورة الملك : ﴿**قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار**﴾ (الملك : ٢٣).

وفى سورة المؤمنون : ﴿**ثم أنشأناه خلقا آخر**﴾ (المؤمنون : ١٤).

وفى سورة العنكبوت : ﴿**ينشىء النشأة الآخرة**﴾ (العنكبوت : ٢٠).

وعموما أى يربى كتربية النشأة، وينشأ أى يتربى.

ويرى Reber أنها العملية التى يصبح بها الفرد واعيا بالقيم والمهارات الاجتماعية، ومكتسبا لحساسية اجتماعية تؤهله إلى كيفية التفاعل مع الجماعة فى

مجتمعه. بينما يعرفها Kagan بأنها العملية التى تغـرس فى الطفل قيما وأنواعا من السلوك المناسب أو الملائم لمجتـمه. ويتناولهـا Erikson على أنهـا عمليـة تحويل الكائن البشـرى من حالة الطفولة أو الرضـاعة، ومن حالة الضـعف والأنانية إلى حالة الراشد المثالى الذى يدين بالامتثال المعقول Sensidle Conformity مع وجود سمات الاستقلال والإبداع.

ويرى حامد زهران أن التنشئـة الاجتماعية عمليـة تعلم وتعليم، وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعى وتهدف إلى اكتساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية تمكنه من مسايرة جماعتـه والتوافق الاجتماعى معها، وهى عملية التشكيل الاجتماعى لخاصة الشخصية.

ويرى كل من Hetherington and Parke أن التنشئة الاجتماعية عملية يُعلّم فيها أفـراد جدد فى المجتمع قواعد وقوانين اللعب الاجتـماعى من خلال وكالات للتنشئـة تساعد هؤلاء الجدد أن يتـبنوا قوانين وقواعد تسـاعدهم على اللعب بنفس الطريقة المرتضاة فى ذلك المجتمع.

والتنشئة الاجتماعية عملية تعلم اجتماعى Social learning يتعلم فيها الفرد عموما ـ طفلا أو راشدا ـ عن طريق التفاعل الاجتماعى أدواره الاجتماعية Social Roles، ويتمثل ويكتسب المعايير الاجتماعية Social Norms والاتجاهات Attitudes النفسـية، ويتعلم كيف يـتصرف ويسلك بأسلوب اجتـماعى توافق عليه وترتضـيه الجماعة والمجتمع.

إن التنشـئة الاجتـماعـبة عمليـة يتم فيـها تشكيل السلوك الإنسـانى بتكوين المعـاييـر والقـيم والمهـارات والاتجـاهات للأفـراد كى تتـطابق وتتـسق مع دورهم الاجـتمـاعى حتى يسـلك كل فرد حـسب جنسـه (ذكر ـ أنثى) ودوره المتـوقع فى المجتمع الذى يعيش فيه حاضرا ومستقبلا.

والتنشئة الاجتماعية ليست فقط عملية تعلم اجتماعى بل هى أيضا عملية نمو يتحـول خلالها الأفـراد من أطفال اعـتماديين مـتمركـزين حول ذواتهم إلى كـبار ناضجين يدركون إيثار الذات ومعنى المسئولية الاجتماعية Social responsbility أو التبعية الاجتماعية، يضبطون انفـعالاتهم ويتحكمون فى إلحاح الحاجات ويشبعونها بما يتفق وقيم المجـتمع. وهذا ما يجعل عادل عـز الدين يعرف التنشئة الاجتمـاعية

بأنها العملية التى يكتسب الأطفال من خلالها الحكم الخلقى والضبط الذاتى اللازم حتى يصبحوا أعضاء راشدين مسئولين فى مجتمعهم.

وللتنشئة الاجتماعية خاصية الاستمرارية، فهى لا تقتصر على مرحلة الطفولة فقط بل تستمر فى المراحل الأخرى كالمراهقة حتى الشيخوخة؛ لأن الفرد فى كلٍّ من هذه المراحل ينتمى إلى جماعات من نوع جديد يبدو فيها بدور جديد ويعدل من سلوكياته ويكتسب أنماطا مستحدثة من السلوك، وهذا ما يدفع Parsons لتقديم معنى التنشئة الاجتماعية على أنها عملية تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية لدى الطفل والراشد، هادفة إلى إدماج عناصر الثقافة فى نسق الشخصية، وتبدأ من الميلاد داخل الأسرة وتستمر باتساع أنساق التفاعل كلما كبر المرء. وتتأثر بجماعات الرفاق ونوع المهنة والتخصص . . . وتعبر عن نشاط البناء الاجتماعى بأنساقه (الأسرة - الدين - السياسة - التعليم - المهنة - الاقتصاد) الذى يضغط على الفرد لكى يتوافق مع غيره، ويتعلم كل يوم شيئا جديدا.

وهذا ما يضفى على عملية التنشئة مفهوم الدينامية؛ لأن الفرد فى تفاعله مع غيره من أفراد الجماعة يأخذ ويعطى فى ضوء المعايير والأدوار الاجتماعية، ويؤثر ذلك مع عوامل أخرى على نمو الشخصية لكل فرد، ومن هذه العوامل - كما هو معروف -: الوراثة والغدد والغذاء والنضج والتعلم، بالإضافة إلى متغيرات أخرى مثل: أعمار الوالدين وحجم الأسرة والترتيب الميلادى . . إلخ.

ولعملية التنشئة وظيفة ظاهرة Manifest Function تنحصر فى تدريب الطفل على أداء أنماط معينة من السلوك يرضى عنها المجتمع، ويتخذها الشخص دعامة لسلوكه أثناء حياته، كما أن لها وظيفة مستترة أو كامنة Latent Function تهدف إلى توحد الطفل مع مجموعة الأنماط الثقافية للمجتمع تعرف باسم القيم الاجتماعية Social Values التى تتكون منها بنية الشخصية Structure of Personality.

ويختلف الأشخاص فى مبلغ قابليتهم للاندماج فى حياة الجماعة باختلاف التنشئة التى يتعرضون لها، والتى تحيط بهم أثناء بداياتهم الأولى، مما قد يفسر لنا كيف يبدو بعض الأطفال منشئين اجتماعيين، وبعضهم مقاوم للاجتماعية Anti Social.



وتقل عـجلة التنشئـة الاجتـماعـية Acceleration of Socialization (معدل سرعة عملية التنشئـة الاجتماعية) كلما نما الطفل ونضج، وأصبح لديه رصـيد كاف من الخـبـرات والمهـارات؛ لأنه يكون ذا نشاط فـعال ومـؤثر فى شبكة العـلاقات الاجـتـماعـيـة التى تميـز جـماعـتـه عن الجماعات الأخرى.

إن عـلاقة الطفل بـعالمه الخـارجى تأخـذ شـكل أفـعـال وردود أفـعـال أو استجابـات اجتماعية واضحـة وخالية من التناقضـات. فالتصرف الذى كـوفئ عليه الطفـل فى الأمس لا يجب أن يـعـاقب عليه اليوم، لأن إغفـال هذه القاعدة يزرع عنده فقـدان الثقـة فى تصرفـاته وسلوكه، ولتـجنب ذلك لابد للمحـيطين به من مراعاة التفاعل الثابت المتسق عند التعامل معه.

ثانيا : لمحة تاريخية عن التنشئة ومعاملة الأطفال :

وربما كان من المفيد استعراض لمحة تاريخية حول التنشئة ومعاملة الأطفال :

كانت التنشئـة قبل الإسلام تتبع أسـاليب الشدة والقسوة فى تـربية الأطفال ومعاملتهم، فقد كان الجلد منتشرا والعقاب القاسى شائعا.

فقد وجدت قبل ظهور الإسلام ثلاثة أنماط من التنشئة تتنازع على السيادة فى الشرق خاصة، هى : التنشئـة الفارسية، والتنشئة الإغريقية، والتنشئـة المسيحية. وكان لكل نمط طابع خاص يميزه.

وقد اتسع الإسـلام لأدب الفرس، وفلسفة اليـونان، وأنظمة الروم، ورهبنة المسيـحية، حـتى إنه ليصح القول بأن الـتنشئة الإسـلامية برزت على مـا عداها، وأصبحت ذات خصائص واضحة المعالم بارزة القسمات.

وأساس التنشئة الإسلامية هو القرآن الكريم، الذى يحفظه الصغار فيهذب أخلاقهم، ويصفى نفوسهم، ويتعودون من خلاله على مكارم الأخلاق. وتبدأ التنشئة الإسلامية عن طريق المحاكاة والتلقين، ذلك أن الطفل ينشأ فيرى أبويه يقرءان القرآن بالإضافة للشعائر الأخرى؛ فتنطبع فى ذهنه هذه الصورة، ويترسم خطاها بالتقليد أو بالتوجيه والدفع.

ولقد ضرب النبى ﷺ المثل الأعلى فى توضيح أساليب التنشئة الوالدية، فهو مثلا يطالب بالرفق بالأطفال، وعلاج أخطائهم بروح الشفقة والرأفة والعطف والرحمة، ومعرفة البواعث التى أدت إلى هفواتهم والعمل على تداركها وإفهام الأطفال نتيجتها.

ولم يقر ﷺ الشدة والعنف فى معاملة الأطفال، واعتبر الغلظة والجفاء فى معاملة الأولاد نوعا من فقد الرحمة من القلب، وهدد المتصف بها بأنه عرضة لعدم حصوله على رحمة الله حيث قال عليه السلام للأقرع بن حابس حينما أخبر أنه لا يقبل أولاده : «من لا يرحم لا يُرحم».

ولقد دعا نبى الرحمة ﷺ إلى تأديب الأطفال، وغرس الأخلاق الكريمة فى نفوسهم وتعويدهم حسن السمات والتحلى بالصدق والأمانة واحترام الكبير. فقال ﷺ : «ليس من أمتى من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه».

وأخرج ابن ماجة عن ابن عباس عن النبى ﷺ : «الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم».

وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : «ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن». فلا ينبغى الإكثار من لوم الطفل لتأديبه أو تأنيبه وتوبيخه لزلاته، لأن الإكثار من التأنيب يميت قلب الطفل، ولهذا فالحكمة أفضل عند تأديب الطفل.

وقبل ٥٠٥ هـ نادى الغزالى بتكوين العادات الحسنة فى الأطفال منذ الصغر، بتعويدهم التبكير فى النوم والتبكير فى الاستيقاظ والتشجيع على المشى والحركة وعدم البصق فى المجالس أو التثاؤب بحضرة الغير، وتجنب الحلف بالله صادقا أو كاذبا، وأن يطيعوا الأبوين والمعلمين.

قال الإمام الغـزالى : «اعلم أن الطريق فى رياضة الصبـيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبى أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قـابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمـال به إليه، فإن عود الخير وعلمـه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخـرة وشاركه فى ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمـال البهائم شقى وهلك، وكان الوزر فى رقبة القيِّم عليه والوالى له».

وقرابة عام ٧٥٥ هـ قدمت وجـهة نظر ابن خلدون فى أن القرآن الكريم هو أصل التعليم وأساس التنشئـة. ويقول ابن خلدون : «إن الغاية من ذلك الوصول بالوليد إلى رسوخ العقائد الإيمانية فى نفسه، وغرس أصول الأخلاق الكريمة عن طريق الدين، الذى جاء مهذبا للنفوس ومقوِّما للأخلاق باعثا على الخير».

ويقـول ابن خلدون : «اعلم أن تعليـم الوِلدان للقـرآن شعـار من شـعـائر الدين، أخذ به أهل الملة ،ودرجوا عليه فى جـميع أمصـارهم، لما يسبق فـيه إلى القلوب من رسـوخ الإيمان وعـقائده من آيات القـرآن وبعض متـون الأحاديث، وصار القـرآن أصل التعليم الذى يبنى عليه غـيره من العلوم . ولكل مصر وجـهة فى تعليمه للولدان، فأهل المغرب يقتصرون على تعليم القرآن فقط، ويأخذون فى أثناء المدارسـة بالرسم ومسـائله، واختـلاف حملة القـرآن فيـه، لا يخلطون ذلك بسواه، لا بـحديث، ولا فقـه، ولا شعـر . . . وأهل الأندلس جعلـوه أصلا فى التعـليم فلا يقـتصرون لذلك عـليه فقـط بل يخلطون فى تعليمـهم للولدان رواية الشـعر فى الغـالب والتـرسل وأخـذهم بقوانين الـعربيـة وحفـظها وتجـويد الخط والكتاب، ولا تختص عنـايتهم فى التعليم بالقرآن دون هذه بل عنايتـهم فيه بالخط أكثر من جـميعها إلى أن يخرج الولد من عـمر البلوغ إلى عمر الشبـيبة . . . . أما أهل إفريقيا فيخلطون فى تعليمـهم للولدان القرآن بالحديث فى الغالب، ومدارسة قوانين العلـوم وتلقين بعض مسـائلها، إلا أن عنايتـهم بالقرآن واستـظهار الولدان إياه، ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه».

ويؤكد ابن خلدون على الرحـمة بالأطفال، والرأفة بهم والإشـفاق عليهم، والعمل على تهذيبهم باللين واللطف، لا بالشدة والعنف، لأن مجاوزة الحد مضرة

ومفسدة للأخلاق. فإذا أخذ الطفل بالقسوة والشدة ضاعت نفسه وذهبت ريحه، ويحمله هذا على الكذب والخبث والنفاق.

لقد ذاع صيت الفكر الإسلامى فى تنشئة الأطفال، واهتم الآباء والمربون بأساليب إسلامية فى التنشئة. إلا أن هناك أفكارا جاء بها رواد من الغرب آخرون نبعت أفكارهم وآراؤهم من تجارب على عينات Samples مهما كانت محدودة، ولم تأت أساليب المعاملة التى ينشدونها من جذور للدين كما لاحظنا فى التراث الإسلامى.

ففى الفترة ما بين ١٩١٠ - ١٩٣٠م نظر السلوكيون Behaviorism وفى مقدمتهم Watson إلى أن الطفل كشىء قابل للتشكيل عن طريق الإشراط والاقتران، ولم يعيروا الاهتمام لحاجات الطفل وشعوره إلا القليل، أو حتى للفروق الجينية والاستعدادات والخصائص المزاجية. وركز السلوكيون فى هذه الفترة على العوامل البيئية ودورها فى إكساب الأطفال ما نريد، وأن نكبح من السلوك ما نريد - أى نوقف غير المرغوب من السلوك - وذلك عن طريق التعزيز والإثابة أو العقاب على السلوك اللا اجتماعى. ومن هنا نكسب الأطفال العادات الحسنة ونبطل العادات السيئة.

ومهمة الوالدين فى نظر Watson البعد عن تدليل الأطفال بأسلوب صارخ أو حتى واضح، وعليهم معاملة الأطفال على أنهم بالغون نسبيا، مع اتباع أسلوب موضوعى لا تتجاوز فيه العاطفة حدودها كالإسراف فى تقبيله أو حضنه، ويوصى الوالدين بالبعد عن استخدام الحنان الظاهر لأنه أسلوب لا جدوى منه. ويشير إلى أن حب الأم عائق شديد وآلة حادة يمكن أن تجرح جروحا عميقة لا تلتئم، ويجعل مرحلة الطفولة غير سعيدة والمراهقة مثل الكابوس، كما أن الحب الشديد من جانب الأم يدمر حياة الطفل الزوجية السعيدة فيما بعد بل وتنعكس آثاره السلبية على حياته المهنية مستقبلا. ووصل تأثير Watson إلى الكتب الحكومية فى الولايات المتحدة، حتى إن كتب العناية بالطفل صارت إلى أنه لا يسمح للطفل بمص أصابعه، وإذا حدث ذلك فالأمر يستوجب ربط ذراع الطفل بالسرير أو إلباسه قفازا أو دهان أصابعه بسائل كريه، بالإضافة إلى عقاب الأطفال إذا تسببوا فى اتساخ أنفسهم، كما نصح الآباء بترك أطفالهم يبكون خوفا من تعزيز سلوكيات غير مقبولة عن طريق تهدئتهم.

وفيما بين عام ١٩٣٠ ـ ١٩٦٠م أخذت التنشئة اتجاها آخر مبنيا على التسامح، مع نصح الوالدين بمراعاة مشاعر الأطفال وتعرف قدراتهم وإمكاناتهم، ويرجع ذلك التحول إلى آراء مدرسة التحليل النفسى وعلى رأسها Freued، الذى ركز على دور العاطفة وأثر الحرمان العاطفى المبكر على بذور المشكلات النفسية. وقد تأثر بهذا الاتجاه أيضا Gesel ذلك العالم الذى اهتم أيضا بالنضج ودوره مع الاستعداد فى عملية التنشئة، ويرى أنه حينما يصل الأطفال إلى سن معينة ويبدون استعدادهم وتقبلهم حينئذ يكون التدريب ممكنا، مثال ذلك التدريب على عملية الإخراج التى تتطلب من الأطفال التحكم والضبط اللذين يساعدانهم على أدائها دون ممارسة ضغوط أو قلق من قبل الآباء.

ومع اقتراب الأربعينيات ١٩٤٠م ظهر الاتجاه الأكثر تسامحا ومرونة على يد أصحاب النزعة الإنسانية Humanistic أمثال Rogers و Maslow وغيرهما مثل Dewey ذلك الرجل التربوى المتألق. لقد بدا المبدأ الآن قائما على فكرة أن الأطفال يولدون ومعهم دافع فطرى للتعلم والسعى من أجل تحقيق ذواتهم، وكى يحققوا ذلك لابد من وجود بيئة مناسبة يشعرون فيها بالحرية ويكون التعامل معهم مبنيا على التفاهم.

وفى الستينيات من هذا القرن ظهرت أفكار Spock التى لم تشجع على التسامح والتدليل الكامل فى تربية الأطفال، وتركز على الدفء والحنان فى علاقة الوالدين بالطفل متبنيا فكرة أن الطفل يستجيب لتوجيهات الآباء المحبين الودودين على نحو أسرع وأيسر من الآباء الذين يغلب على أسلوبهم القسوة، فنحن فى حاجة إلى آباء مصدر سلطة أكثر من كونهم متسلطين، ومنذ ذلك الوقت استمر التأكيد على دور الدفء فى معاملة الأطفال أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، والبعد عن التسامح والتهاون أو التشدد كل التشدد. إن الواجب على الآباء فى ضوء تلك الأفكار أن يسمعوا وجهة نظر الطفل إذا كان بمقدوره التعبير عنها، وأن يوضحوا قيودهم ونظامهم وألا يستخدموا قوتهم فى ضبط الأطفال من خلال العقاب والعنف.

والبحوث الحديثة حول تفاعلات الأطفال الصغار ترتبط بأعمال Bowlby وSpitz التى أثنى عليها Anna Freud و Melanie Klein ويعتمد هذا التيار

الفكرى على الرأى القائل بضرورة وجود ارتباط وثيق وحميم دائم بين الأم والطفل، وإن كل شكل من أشكال الانفصال أو الفقدان مضر بالطفل.

وهناك تصور أحدث للارتباط العاطفى على طرف نقيض من وجهة Bowlby إذ هو يوجه التحليل نحو تأثيرات هذا الارتباط بين الأم والطفل، ليس على الطفل فقط بل على ماله من انعكاسات على الأم. إن الطفل ومن يعتنى به مرتبطان بنظام تفاعلات ثرى ومعقد، يشترك فيه الطرفان اجتماعيا منذ لحظة الولادة.

ففى السبعينيات استطاع Klaus و Stern وغيرهم أن يفصلوا النصيب العائد إلى الرضيع فى إقامة هذا الارتباط أو هذه العلاقة والمحافظة عليها وأن يتأملوا الطريقة التى يسلط بها على من يعامله أو من يعتنى به بطرق متفاوتة.

ولذا . . . فإننا نهتم أكثر بما يجعل الطفل عامل تكوين وتعديل أو على أقصى حد عامل تعكير لسلوك الشخص الذى يعنى به. وهناك ميل إلى أن نرى سلوك الرضيع باعثا لسلوك الأم وإلى اعتبار أشكال التفاعل منظمة مسبقا بينهما، وأن بالإمكان اكتسابها.

ويُنظر إلى بعض العناصر كما لو كان لها تأثير على تحريك عناية الكبير بالطفل أو استدرارها مثل جنس الطفل وقوامه وحيويته.

ومن أدق التحاليل وأشملها عن تفاعل الأم والرضيع ما أشار إليه Brazelton عن أن التفاعل خلال الأشهر الأولى يكون فى هيئة دورات اتصال أو فترات اتصال يثور أثناءها انتباه الطفل، ويبلغ ذروته، ثم يتناقص إلى أن يدخل فى مرحلة أهدأ. وينطبق على تفاعل الأم نفس هذا الشكل الذى تتزامن معه إذا كانت الأجواء تجرى على خير ما يرام. ويعتبر هذا النسق الذى لا دخل للأم والرضيع فيه أساس الرابطة العاطفية. ومحور التفاعل أساسه المحافظة على ضبط بيولوجى للطفل لا يكون فيه هذا الطفل محل حماية زائدة ولا إهمال تام.

وقد لوحظ من جانب الأم ضروب مختلفة من السلوك السلبى، مثل تعمدها المبالغة فى تحفيز الطفل فى مرحلة انخفاض التفاعل.

وعندما يكون انتباه الطفل فى مرحلة الذروة، فيمكن للأم استثارة المرحلة أو المحافظة عليها بواسطة الصوت واللمس، وإن كان للنظر هنا مرتبة الصدارة.

إن Stern يرى أن النظر أكثر أنشطة الأم متابعة قبل الرضيع لارتباطه بنظر الولد الذى هو دون ذلك من حيث الاستقرار. وفى اللحظات التى تتأمل فيها العيون بعضها بعضا يحدث التثبيت أو المحافظة على الرابطة العاطفية بين الاثنين. وهى عملية ذات تأثير مزدوج متبادل، يتحتم مع تكرارها على الطرفين أن يتلازما ويرتبطا اجتماعيا ووجدانيا.

إن عجز الرضع العميان عن إصدار بعض علامات تظهر لدى الرضع المبصرين، يمثل عائقا يحول دون إقامة ترابط وجدانى بين الأم والطفل.

والأدوات التى تستخدمها الأم مع وليدها للحفاظ على التأثير المتبادل هى : النظر والاتصال البدنى والصوت وملاطفات الأم. وغالبا ما تجيب على ما يبديه الطفل من استعداد للتفاعل بواسطة الصوت. وهذه التفاعلات خلال العام الأول للميلاد ليست مهمة لإقامة الرابطة العاطفية وتثبيتها، وإنما هى مهمة فى نمو الطفل اللغوى والإدراكى المعرفى والاجتماعى، وكل ذلك هام للغاية أثناء عملية التنشئة.

وإذا كانت التنشئة الاجتماعية تشير إلى العملية التى يكتسب الأفراد بواسطتها المعرفة والمهارات والإمكانات التى تجعلهم أعضاءً فعالين فى مجتمعهم، فمن الواضح أن خبرة التطبيع الاجتماعى للفرد فى الطفولة لا تعده لكل الأدوار التى يتوقع منه أن يمارسها فى حياته المستقبلة فى المجتمع.

إن الأمر هنا يتطلب منا أن نوضح علاقة الشخصية بالمجتمع التى تبدو فى اتجاهين أساسيين :

الاتجاه الأول : يهتم بكيفية تكيف الشخص للمجتمع، وكيف يتمكن من أن يبدع، وكيف يغير فى النظام الاجتماعى الذى ولد فيه بالتدريج، وذلك مع غيره من الأشخاص الذين يحولون على نفس النحو.

الاتجاه الثاني : يهتم بكيفية بناء المجتمع للشخص بعدما يولد فيه، وكيف يحوله من كائن بيولوجى إلى إنسان له فعاليات اجتماعية مناسبة.

إن التنشئة الاجتماعية تنطوى تحت الاتجاه الثانى، أى إنها تدور حول كيفية تغيير المجتمع للإنسان المولود وليس كيفية تغيير الإنسان لمجتمعه.

والفرد عموما يعد وبدرجات متفاوتة من النجاح، ليلبى سلوكه مطالب بيئته وأعضاء مجتمعه فى مجالات ومناسبات مختلفة، وهذه المطالب دائما ما تكون مرتبطة بواحد من المراكز الاجتماعية أو الأدوار الاجتماعية كالابن والتلميذ والزوج والموظف و . . . إلخ. إن السلوكيات المطلوبة من الفرد الذى فى مركز أو دور معين تسمى مواصفات الدور Prescribed Role . ومواصفات الدور هى فى الأساس جهود من قبل أفراد المجتمع أو مؤسساته لينظموا سلوك الأفراد الآخرين حتى تتحقق صور متوقعة أو منتظرة.

وعلى أى حال يكتسب الفرد حضارة جماعته خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتى يمكن تقسيمها إلى قسمين :

١ - **فهم المراكز أو الأدوار الاجتماعية** : يكتسب الفرد فهما للمراكز أو الأدوار المعترف بها تقليديا فى مجتمعه وأسمائها.

٢ - **تعلم مواصفات وفعاليات الدور** : يتعلم الفرد مواصفات الدور وسلوك الدور وما يصاحب كل دور من شعور وأحاسيس.

ومن خلال القسمين السابقين تصبح وظيفة التنشئة هى تحويل الفرد الخام (الإنسان الخام) فى المجتمع إلى عضو عامل فعال وجيد، ومحتوى عملية التنشئة هى فهم كيان الأدوار ومواصفات كل دور وسلوكياته المصاحبة.

وما يجب ألا يخفى على الأذهان أن النظرة التى تعتبر التنشئة الاجتماعية عملية يأتى بواسطتها للمجتمع أفراد مناسبون لا تنكر أن مطالب المجتمع، أحيانا تبدو غير واقعية أو هى بالفعل غير منطقية أو غير ممكنة وربما تحد إذا لم تجعل مستحيلا، تحقيق الرغبات الشخصية لكثير من أعضاء المجتمع. وربما تسببت واحدة من متطلبات المجتمع فى انحلال أو تطرف. وكما أن فكرة كون الطفل صفحة بيضاء يجب إعادة النظر فى قبولها، فليس هناك ما يبرر بوضوح أن تجارب الطفولة تنعكس بشكل آلى فى مظاهر إيجابية أو مظاهر سلبية عند مرحلة الرشد والشيخوخة.

ولقد ظهر الاهتمام بفكرة اكتساب الأدوار من قبل الأطفال فى بحوث Maccoby وSewell وMichalson وغيرها.

وفى ندوة الطفل والتنشئة تحت رعاية الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية جاءت أهمية التنشئة الاجتماعية فى مرحلة الطفولة لأسباب منها :

١ ـ التنشئة الاجتماعية تعكس القابلية إلى تعديل السلوك وتشكيله.

٢ ـ أن التنشئة الاجتماعية تنطوى على العمليات الأساسية اللازمة لاستمرارية الحضارة وتراكم حصيلة المعرفة الاجتماعية من جيل إلى آخر.

٣ ـ أن التنشئة الاجتماعية تبنى للمهارات والخبرات اللازمة للعيش فى جماعة حضارية بحيث يكون هناك فرصة للنجاح وسط تلك الجماعة.

٤ ـ أن التنشئة الاجتماعية يجمع على أهميتها فى الطفولة الآباء والمربون ورجال الدين والمشرعون وعلماء النفس والاجتماع.

ثالثا : نظريات فى التنشئة الاجتماعية :

يرى Field وجود نموذجين يمكن استخلاصهما من التنظيرات المتعددة فى مجال التنشئة الاجتماعية.

النموذج الأول : وفيه يتم تصوير عملية التنشئة الاجتماعية على أنها جهاز استدخال Internalization لمعايير وقيم المجتمع أو الحضارة، بحيث تتحول هذه القيم والتقاليد والمعايير إلى جزء من البناء النفسى للفرد، وهكذا يذوب الفرد فى البناء الاجتماعى، ويبدو مذعنا أو مستسلما Passive فهو عبارة عن إناء خال يتم تعبئته بما تستدخله عليه حضارته التى يعيش فيها، وهنا يبدو الفرد غير قادر على إدراك أو تفسير الفوضى Disorder أو التفاوت الموجود فى المجتمع ولا ينقاد إلى التوقعات المعيارية بسبب رغبته الكامنة فى الحصول على رضى وحب الآخرين من المحيطين.

النموذج الثاني : وفيه يتم تصوير عملية التنشئة الاجتماعية ليس كجهاز قهرى بل طوعى الانقياد Conformity ، ويبدو الفرد هنا فعالا مشغولا ببناء الواقع المحيط فى ضوء نموه بدءا باكتساب اللغة والانتماء الطوعى للمفاهيم المشتركة. وهنا أيضا يبدو الفرد غير قادر على إدراك أو تفسير التفاوت فى البيئة المحيطة وإن كان ينقاد من أجل الحصول على الشعور بالانتماء والرغبة فى الحصول على حب المحيطين ورضاهم.



ويبدو من النموذجين السابقين عدم القدرة على تفسير احتمالية تخلى أو جنوح الفرد عن الطريق الذى تحدده المعايير الاجتماعية. إن قضية تفسير التفاوت بين الحفاظ على تقاليد وقيم ومعايير المجتمع دون دمار وبين الخطر المهدد بالعودة إلى شريعة الغاب لم ينجح أى من النموذجين السابقين فى حلها. ولا يعنى ذلك أننا سوف نصل إلى حل لهذا الصراع، ولا يعنى أننا نتصور حضارة مجتمعية يصبح فيها الأفراد نسخا مكررة. وربما كان من المفيد استعراض النظريات التى تفسر عملية التنشئة الاجتماعية.

١ ـ نظرية التحليل النفسي :

يستعرض Watson و Lindgren نظرية التحليل النفسى والفرويديون الجدد The Neo-Freudians لتفسير التنشئة، وتفترض نظرية التحليل النفسى جهازا داخل الفرد يتكون من ثلاث منظمات عرفت بالهو Id والأنا Ego والأنا الأعلى Supper Ego. ويمثل الهو مصدر الغرائز ومحتواه اللاشعورى ويسعى دائما لتحقيق مبدأ اللذة. وحينما يتصل الهو بالمجتمع المحيط أو البيئة المحيطة تبدأ عملية تكوين الأنا

وتظهر فعالية الأنا عندما يتعلم الفرد كيف يتمكن من تحقيق رغبات الهو فى نطاق الظروف التى يفرضها المجتمع والبيئة بعاداته وتقاليده. إلا أن الأنا لا يستطيع كبح كل الحفزات الغريزية الخطرة التى تتنافى مع هذه القيم وتلك التقاليد، وبالتالى تأتى أوامر الوالدين والكبار ورقابتهم على تصرفات الطفل وسلوكياته، ويصبح للأب مثلا أوامر ونواه كما له تشجيع ورضى، ومن ثم تشتق الأنا الأعلى، ومع مرور الوقت مع تعليمات وتوجيهات هؤلاء الكبار تصبح الأنا الأعلى بمثابة المراقب للسلوك الذى يوجه للأنا الأوامر ويهددها كما كان يفعل الكبار، ومن هنا تتكون معايير السلوك التى يتمثلها الطفل وتصبح جزءا من بنائه النفسى ويطلق على الأنا الأعلى مصطلح «الضمير».

وترى نظرية التحليل النفسى أن التنشئة عملية قائمة على التفاعل، يكتسب فيها الطفل معايير السلوك.

وتضفى مدرسة التحليل النفسى على الأم أهمية فى ذلك الأمر خلال تفاعلها مع طفلها فى مواقف التغذية والتدريب على الإخراج. وإن كانت الصيغة الفرويدية Freudians تركز على دور الأم والأب وتعلن عن توحد Identification الطفل خلال مراحل نفسجنسية Psychosexual مع أحد الوالدين، ومن ثم يستدمج Involvement خصائص الوالد المتوحد معه، وهنا تكتمل تنشئته بنمو الأنا الأعلى.

ويلاحظ عدم إمكانية التحقق من افتراضات فرويد فى نظريته للتحليل النفسى، وإن كان من إيجابياته التأكيد على علاقة الطفل بوالديه ودورهما فى عملية التنشئة.

٢ـ نظريات التعلم الاجتماعى المبنى على فكرة التدعيم:

وتنطوى هذه النظريات على ثلاثة توجهات:

التوجه الأول: ويظهر من خلال ما قدمه Miller and Dollard وكذا Sears and Mecoby ويتبنى هؤلاء فكرة [المثير (المنبه) - الاستجابة] عند تفسير عملية التنشئة الاجتماعية، ويهتمون بالدوافع والجزاءات كشروط لحدوث التعلم، فالطفل يحصل على انتباه والديه أو اهتمامهما عندما يقوم بأفعال أو تصرفات أو

أعمال يفضلها الوالدان أو أحدهما أو ربما يقومان بها. ومع تكرار إتيان الطفل هذه التصرفات تصبح جزءا منه فيما بعد.

التوجه الثاني : ويظهر من خلال رأى Skinner الذى يفسر السلوك الاجتماعى فى ضوء قوانين التدعيم، وأسلوب الثواب وأسلوب العقاب. فالطفل ينمى شخصية محددة نتيجة أنماط مستقلة للثواب والعقاب يطبقها أو يتبعها الوالدان معه، بحيث يميل الطفل إلى تكرار السلوك الذى حصل على الإثابة Rewarded ولا يكرر السلوك غير المثاب Nonrewarded وبالتالى يتعلم الطفل الاستجابات المرتبطة بإثابات، أو تنشط الرابطة بين منبه محدد ومدعم محدد أو تضعف أو تنطفئ الرابطة بين منبه محدد ومدعم محدد.

التوجه الثالث : ويظهر من خلال ما قدمه و Park و Walter و Ban-dura ويتبنى هؤلاء فكرة تقليد النموذج Model باعتباره نمط استجابة متعلّما للسلوك الاجتماعى، ومن ثم التنشئة الاجتماعية، فالأطفال يقلدون ويحاكون الأب والأم أوالوالد من نفس الجنس وذلك عندما يجدون دعما ذاتيا كلما اقتربوا من النموذج. وربما كان النموذج من بين ما تقدمه وسيلة الإعلام عموما وبخاصة المرئى.

وعلى الرغم من أن التنشئة الاجتماعية هى عملية تعديل وتغيير فى سلوك الفرد وبالتالى فهى عملية تعلم، إلا أن هذا التعلم قد يكون مباشرا من خلال التدريب عليه أو غير مباشر من خلال تقليد المحيطين. وقد يتعلم الطفل أنماطا سلوكية لم يعلمها له الراشدون وربما نهوه عنها، لأن الطفل يعمل ما يشاهده ويراه من تصرفات وسلوك وأغلب ما يحاط بالأطفال يمكن اعتباره نماذج.

ويبدو على ما تبناه علماء نظريات التعلم السابق ذكرهم تحيزهم لدور البيئة المحيطة.

٣ ـ نظرية الدور الاجتماعى :

وتتخذ هذه النظرية مفهومى المكانة الاجتماعية Social Status والدور الاجتماعى Social Role، فالفرد يجب أن يعرف الأدوار الاجتماعية للآخرين ولنفسه، حتى يعرف كيف يسلك وماذا يتوقع من غيره وما مشاعر هذا الغير. إن

المقصود بالمكانة الاجتماعية وضع الفرد فى بناء اجتماعى يتحدد اجتماعيا وترتبط به التزامات وواجبات تقابلها حقوق وامتيازات، مع ارتباط كل مكانة بنمط من السلوك المتوقع وهو الدور الاجتماعى الذى يتضمن إلى جانب السلوك المتوقع ومعرفته، مشاعر وقيما تحددها الثقافة.

ويكتسب الطفل أدوارا اجتماعية عن طريق التفاعل الاجتماعى مع الآباء والراشدين الذين لهم مكانة فى نفسه فلابد من قدر من الارتباط العاطفى أو رابطة التعلق Attachment . وتعتبر الذات المفهوم الثالث فى نظرية الدور. ذلك لأنه إذا كان للطفل أن يتفاعل بنجاح مع غيره فى مجتمعه فعليه أن يعرف ما هو السلوك المتوقع منه والمصاحب للمكانات الاجتماعية المختلفة [المدرس . . . الخادم. . .] وهنا لابد أن يعرف الطفل ويتعلم كيف يسلك وفقا للتوقعات. وأن يكون قادرا على أن يحدد لنفسه ويعرف عن طريق اللغة ومراجعة النفس، ما إذا كان سلوكه سليما أم لا، ولا يتحقق ذلك كله إلا عندما يرى الطفل نفسه على أنه موضوع ذلك لأن نظرته إلى ذاته على اعتبارها موضوعا يمكنه من مراجعة سلوكه وتوجيهه كلما أمكن إلى الأفضل (من وجهة نظره بالطبع) وأيضا الحكم على هذا السلوك.

ويتم اكتساب الدور عن طريق واحد أو أكثر مما يأتى :

أ ـ **التعليم المباشر** : فيقوم الوالدان أو أحدهما بتعليم طفلهما ضرورة مناسبة سلوكه لسنه أو عمره أو جنسه ذكرا أم أنثى، فيعلم الطفل الولد أن يكون متسما بالحزم والقوة ويرتدى الملابس التى لا تشبهه بالإناث، وكذلك يتم تعليم البنت، وأيضا تحدد الأسرة للطفل فى سن محددة أدوارا معينة مثل الحفاظ على أخته أو عدم الدخول قبل الاستئذان أو . . .

ب ـ **النماذج** : يتخذ الطفل من المحيطين به نماذج تحتذى وقدوة، بالإضافة إلى فهمه لأدوارهم وكيفية تفاعلهم مع بعضهم البعض: الطبيب والمريض، المدرس والتلميذ، الأب والابن، وكذا ما تعكسه هذه النماذج من اتجاهات نحو أصحاب المكانات المختلفة.

ونعود من جديد الآن لنكرر بعد عرض هذه النظريات، أن كلا منها ليس كافيا لتفسير عملية التنشئة الاجتماعية، وأن التكامل بين هذه النظريات فى تفسير تلك العملية، أهم وأجدى، مع عدم إهمال دور العوامل الثقافية والاجتماعية فى تفسير تلك العملية وبخاصة أننا نعلم أن التنشئة ميكانيزم لنقل دعائم الثقافة. وهذا ما دعا «سويف» إلى أن يرى كل طفل إنسانى يدخل مجتمعه وهو موضع اهتمام سابق على قدومه إلى الحياة. فإن هذا الاهتمام السابق على وجود الطفل له دوره فى تحديد إجراءات التنشئة التى سوف يتلقاها مع مراعاة أن المتلقى كائن بشرى يحمل فى طياته عددا من المحددات الجبلية الولادية التى تضع قيودا على حرية فعل البيئة الاجتماعية، وأنه يحمل فى أعماقه تاريخ خبراته الذاتية التى تشكل إرجاع استجاباته لأنماط التربية والمتغيرات والظروف الثقافية الاجتماعية المحيطة به. وهذا ما يجعلنا أمام شخصيات تختلف فيما بينها رغم اتفاق مطالب البيئة الثقافية والاجتماعية.

رابعا : عمليات تحدث أثناء تنشئة الطفل :

مما سبق يتضح أن التنشئة الاجتماعية تشير إلى العملية التى ينمو من خلالها الفرد ليكون كائنا اجتماعيا أو يكتسب الحساسية للمنبهات الاجتماعية ويتعلم السير فى إطارها، ويسلك مثل الآخرين فى جماعته أو ثقافته. إنها عملية كينونة اجتماعية.

إن تفسير ذلك الأمر يعتمد على عدد شبه محدود من العمليات الأساسية التى يمكن بلورتها على النحو التالى :

الاستدخال Internalization - الاستخراج Externalization

الاتكالية Dependence - التعلق (بوسيط) Attachment

التقليد Imitation - التوحد (مع مثال) Identification

لعب الأدوار Role playing - تكوين مفهوم الذات Self concept

وكل عملية من العمليات السابقة تنطوى على شكل من أشكال التعلم الاجتماعى، ومن هذه الأشكال التعلم بالاقتران Associative Learning الذى

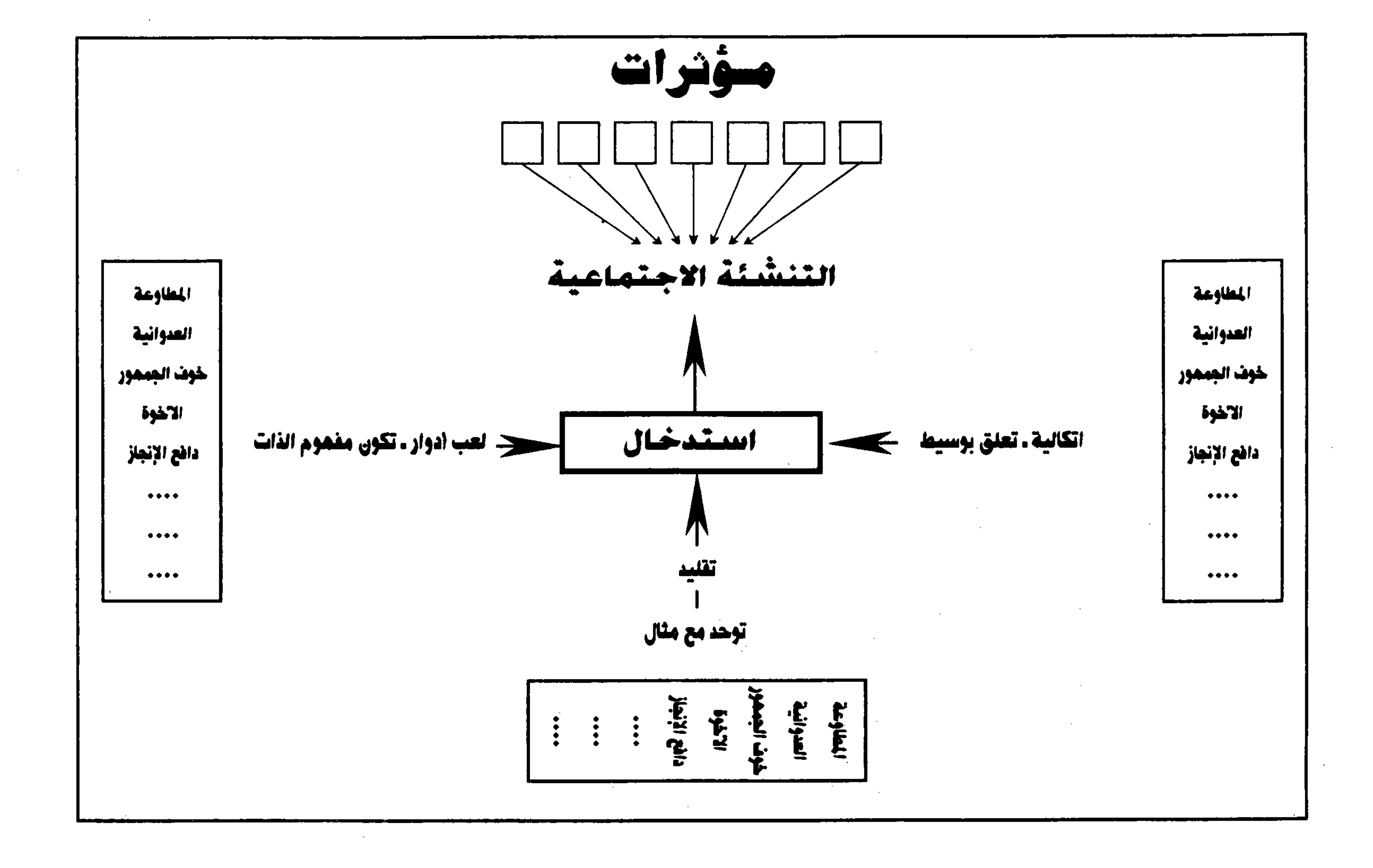
يتحول فيه إرضاء الوسيط (مثل الأم أو الأب أو الأخ الأكبر أو المدرسة . . .) من دافع محدد إلى دافع أولى. مثال ذلك حينما يتعلم الطفل السلوك الحسن إرضاءً لوالديه، لأن إرضاء الوالدين ارتبط فى السابق بإشباع حاجات أولية عنده.

وفى الاتكالية - التعلق بوسيط، فإن التعلم يتصل بالسيطرة على مجالات متعددة من الاستجابات للطفل مثلا عن طريق مثيرات يوفرها أشخاص (اعتماد على الغير أو اتكالية) أو عن طريق شخص معين (وسيط مثل الأم)

وفى عملية التقليد - التوحد مع مثال ينطوى الأمر على تعلم لدى الطفل مثلا عند مطابقة استجاباته مع الإرشادات أو التعليمات التى تُظهر استجابات شخص آخر (النموذج أو المثال). أما التوحد مع مثال فيكون التعلم فيه عندما تتولد فى الطفل الرغبة فى اكتساب الخصائص السلوكية بحيث يظهر فى النهاية تشابه بين سلوك الطفل وسلوك المثال.

أما فى لعب الأدوار - تكوين مفهوم الذات، فإن مجالات التعلم الاجتماعى متسعة إلا أن الأدوار الاجتماعية بمثابة قوالب سلوكية جاهزة مكونة من اتجاهات وقيم وبناءات معرفية تتصل بالوظيفة موضوع الدور. والقمة التى تتوج تمثيل كل دور من الأدوار التى مارسها الفرد ورأى فيها نفسه تعطى له مفهومه عن ذاته. ومن هذا المنظور فإن أخذ الأدوار Role Taking متصل بشدة بتكوين مفهوم الذات. ويعتقد البعض أن عمليتى التقليد - التوحد مع مثال والاتكالية - التعلق بوسيط، هما عمليتان متتابعتان، كما أن هناك اعتقادا فى أن لعب الأدوار هو فى حقيقة الأمر مطابق للتوحد مع مثال [مثلما نرى فى لعب دور الأب وهو فى الحقيقة توحد مع الأب] وسوف نعرض لمراحل عملية التنشئة فيما بعد.

وتبقى عملية الاستدخال كعملية أساسية فى التنشئة حيث تنعكس ترجمة التعلم إلى مقدرة على التحكم فى السلوك ذاتيا. وهنا يبدو المراقب الداخلى الذاتى المتمثل فى الضمير مغنيا عن وجود رقباء أو شرطة للأخلاق إذا جاز التعبير. وهذا ما يجعل عملية الاستدخال عند انتظامها داخل الفرد مؤشرا حقيقيا لانتظام عملية التنشئة التى لا يجب أن نغفل دور عدد من المؤثرات المتنوعة عليها.


مؤثرات
التنشئة الاجتماعية
استدخال
اتكالية ـ تعلق بوسيط
لعب ادوار ـ تكون مفهوم الذات
تقليد
توحد مع مثال
المطاوعة
العدوانية
خوف الجمهور
الاخوة
دافع الإنجاز
المطاوعة
العدوانية
خوف الجمهور
الاخوة
دافع الإنجاز
المطاوعة
العدوانية
خوف الجمهور
الاخوة
دافع الإنجاز

خامسا : متغيرات خلف العمليات التي تحدث أثناء التنشئة:

هناك متغيرات تكمن خلف العمليات التى تحدث أثناء التنشئة منها :

١ ــ المطاوعة Complince :

إن هناك ظروفا يطيع فيها الأطفال غيرهم بخصوص اقتراحاتهم أو أوامرهم، والميل للمطاوعة يبدأ بصورة مشتتة إلى حد ما ولكنه يثبت مع نضج الطفل، فمن غير الممكن التنبؤ بما إذا كان طفل الرابعة أو الخامسة من العمر سيطيع أو لا يطيع فى مدرسته من خلال معرفتنا بأسلوب والديه بشأن طرق إثابته أو عقابه. ولكن يمكن التنبؤ على أساس هذه المعلومات بخصوص أطفال أكبر عمرا. ومع التقدم فى العمر لدى الأطفال يتزايد ثبات سلوك الطاعة، فأطفال دار الحضانة يبدون متسقين إلى حد ما فى طاعة الكبار فى المنزل أو الروضة أو الحضانة، وإن كانوا ليسوا كذلك مع الأنداد، حتى يصل الأطفال إلى سبع أو ثمانى سنوات فيبرز الاتساق فى المطاوعة مع الأنداد والكبار.

وطفل الروضة المطاوع مع أنداده ينحو أيضا بصفة عامة إلى أن يعتمد عليهم للمعونة الجسمية والدعم العاطفى، وبالرغم من ذلك يكون عدوانيا أو غير ودى معهم، والطفل المطاوع مع البالغين لا يبدو عدوانيا بنفس القدر.

وعموما فإن الأطفال الصغار ترتبط مطاوعتهم باعتماديتهم أو عدم تمكنهم من الاستقلالية عن الأنداد، بينما لا نجد هذه العلاقة أو الارتباط بين المطاوعة والاستقلالية عن الكبار.

وتعتبر المكافآت أكثر فعالية من العقوبات فى إظهار المطاوعة. ويبدو أن المطاوعة الاجتماعية Social Compliance كأحد خيوط عملية التنشئة الاجتماعية تستلزم تعلما طويل المدى. فالأطفال يميلون إلى المطاوعة نتيجة لأنواع المكافآت وأنواع العقوبات التى يستخدمها معهم الآباء. وربما لنماذج السلوك التى يقدمها هؤلاء الآباء أو أى أشخاص آخرين مهمين بالنسبة للطفل.

وإن كانت هناك إمكانية لعدم استبعاد فكرة رجوع الميل إلى المطاوعة إلى جذور وراثية، فإن التفسير فى ضوء منطلقات فرويديه قد تعتبر مقبولة. إن نمو الميل إلى المطاوعة المتسق من الروضة إلى المدرسة يحدث عندما يستدمج الطفل قيم

واحد من الوالدين فى طريقه للتوحد مع الوالد الآخر من الجنس المضاد (بما يؤدى إلى حل عقدة أوديب أو إلكترا). وربما يرى آخـرون إلى القدر الأكبر من الاتساق فى ضغوط الوالدين على الأطفال الأكبر سنا، مدّعين أن سلوكهم الأكثر اتساقا إنما يعكس فقط هذا الضغط المكثف بالمنزل، بالإضـافة إلى الضغط المتزايد فى المواقف العامة للأطفال الأكـبر باتجاه قيامهم بأدوار تتطلب السيطرة المتسـقة حينما يكون فى وضع قيادى أو المطاوعة المتسقة عندما يكون فى وضع التابع.

٢ ـ العدوانية Aggression :

من المعـروف أن شكلا مـا من أشكال الإحبـاط Frustration يسبـق صدور العدوان أو صـدور السلوك العدوانى، وإن كـانت الإحباطـات لا تؤدى دائما إلى العدوان، لأن سلوكا آخر مثل المطاوعة قد يتصارع معها أو يتعارض مع التعبير عن العـدوانية. لقـد سبق أن ذكـرنا أن الصغـار الأكثـر مطاوعـة يكونون نسـبيـا أقل عدوانية.

ويستعرض Lambert أن الفـرض القـائل أن الإحبـاط يؤدى إلى عـدوان لا يعالج عددا من الصور العدوانية. فمثلا عندما يشعر بعض الأطفال بالإحباط فإنهم قد يعبرون عن العدوان بصورة أسرع مما يفعل البعض الآخر : فهل يعود هذا فقط إلى الإحباطـات التى سبق تعرضهم لهـا أم إلى التعزيزات التى كانت بمثـابة مكافأة وحبذت على العدوان؟. كما أن بعض الأطفال عدائيون بدون إثارة لهم.

وللعدوان متنفسات مـتعددة، وغالبا ما يتعرض للإزاحـة، كما يحدث عندما يركل الولد الحائط أو اللعبـة أو القطة لأنه لا يستطيع أن يركل والديه. وقد تخف درجة العدوان، مثلما يحدث عندمـا نرد على الهجوم بالسخرية أو بكظم الغيظ أو إضمار الرغبـة فى العدوان. وقد يسقط العدوان، كمـا يحدث عندما يرى الإنسان العدوانى الآخرين فقط كمعتدين، ولا يرى نفسه كذلك، أو عندما يصف الآخرين بالعدوانية كى يبرر عملا عدوانيا ارتكبه.

ولقد انتهت الـدراسات التى أجراها Sears وزملاؤه إلى أن الأطـفال ذوى العدوانيـة الواضحـة يكونون غالبـا من أسر يغلب عليـها التسـامح بشأن القـواعد الحاكـمة للعدوانيـة والشدة فى العقـوبات. والأطفال الأقل عدوانيـة هم من أسر

يغلب عليها الصرامة بشأن القواعد الحاكمة مع التهاون فى العقوبات. ويبدو أن القواعد المتسامحة تسهم فى رفع معدل العدوانية لدى الأطفال أكثر مما تسهم به العقوبات الصارمة أو الشديدة.

وحينما نتتبع نفس الأطفال حتى مرحلة الطفولة المتأخرة، فإن التسامح الزائد من قبل الآباء لا يزال يؤدى إلى عدوانية شديدة مضادة للمجتمع، والأطفال المعرضون لعقاب شديد واقعيا ينحون الآن إلى أن يكونوا من بين الأقل عدوانية تجاه المجتمع.

إن المشكلة التى يواجهها الأطفال حينما تكون لديهم نزعات عدوانية بينما يخشون فى الوقت نفسه مغبة القيام بها ينتج عنها حالة تسمى دافع الصراع. وحينما يصل أطفال السادسة إلى عمر الثانية عشرة وكانوا قد تعرضوا لعقاب شديد، فإنه يفترض أن استمرار العقاب قد خفض الصراع، مما أدى بالأطفال إلى التخلى عن العدوان نتيجة الكشف الشديد للغاية الذى أصبح مرتبطا به.

وأوضح Sears وزملاؤه أن الأطفال الإناث عموما أقل عدوانية من الأطفال الذكور، كما أن الإناث يعانين من قلق أكثر من جراء سلوكهن العدوانى. كما أن الأطفال الأكبر سنا يقللون من عدوانيتهم فى حضور البالغين، كما يتعلمون التخفيف من الشجارات عند الاقتراب من منازلهم، وتنفيس الغيظ فى غير أفراد الأسرة بدلا من تنفيسه فى أشقائهم.

وعموما فإن أغلب الدراسات تجمع على أن الميل إلى العدوان يرتبط ارتباطا موجبا ببعض عوامل التطبيع مثل : نبذ الوالدين أو اتجاه إثارة الألم النفسى Atti-tude of Rising Psychological Pain وشدة حمايتهما Parental Overprotection.

وكذلك هناك ارتباط بين العدوانية وقوة الأمهات فى تعويد أطفالهن عادات التخلص من الفضلات.

وعلى أى حال فإن نتائج البحوث غير متسقة بشأن صلة الإحباط أثناء عملية التطبيع وقوة الميل إلى العدوان لدى الأطفال، وربما عاد ذلك إلى أن أصحاب هذه البحوث لم يحددوا الفترة العمرية أو مرحلة النمو التى يصبح فيها الإحباط مولدا للعدوان، وإن كان من المهم الإشارة إلى أن الإحباط لا يؤدى إلى العدوان في

كثير من الحالات إلا إذا كان العدوان قد وجد تدعيما من قبل الوالدين أو غيرهم. كما أن الاهتمام بدراسة هذه العلاقة من خلال جهود الوالدين فقط فيه من التحيز لأن من المعلوم عدم انفرادهم بعملية التنشئة.

٣ ـ التقليد والتعلم البديل :

تعتبر عادات التقليد لدى الأطفال بمثابة محطات على الطريق إلى الإمكانات الواسعة للتعلم البديل عن طريق الملاحظة. فحين مراقبة طفل لطفل آخر يتلقى تعليمات فإنه يتعلم بمجرد ملاحظته، وربما وصل تعلم الطفل الذى يقوم بالمراقبة إلى مستوى يعادل الطفل المراقب أو حتى يفوقه، حتى عند عدم توافر تغذية راجعة للطفل الذى يقوم بالمراقبة، ولدرجة تصل إلى أنه فى حالة غياب النموذج يكون الطفل الذى يقوم بالمراقبة قادرا على الإتيان بالأفعال التى تعلمها.

إن أغلب الأطفال يمرون بمراحل يقتبسون فيها نشاطات المحيطين بهم بطريقة استسلامية، ويبدأون فيما بعد بتقليد أفعال واتجاهات هؤلاء المحيطين، إن الأطفال يتعلمون من الملاحظة أكثر مما يتعلمون من المواقف التى رتبت خصيصا لنقل معلومات وتعليمات شفهية لهم.

وتتيح فرصة توافر بعض الشروط تعلما أفضل وربما تعديلا لسلوك سابق لدى الطفل الذى يقوم بالمراقبة. ومن هذه الظروف كون النموذج المحتذى له قيمة بالنسبة للطفل القائم بالملاحظة، وحينما يكون النموذج صديقا وأحيانا عدوا (فى حالات الغيرة) وعندما تكون إشارات واستجابات النموذج واضحة. ولقد اهتم Bandura بالظروف والشروط التى يشكل الأطفال تحتها سلوكهم طبقا لنماذج سلوك غيرهم بحيث يحل السلوك الجديد كسلوك بديل يتعلمه الطفل.

٤ ـ الحساسية من المشاهدين والمستمعين (الجمهور) :

ويطلق أحيانا على ذلك قلق التواجد أمام آخرين كمستمعين Audience Anxiety، وقد اهتم العلماء بكيفية نمو الحساسية تجاه المستمعين لدى الطفل، سواء كان يتجنبهم أو يسعى إليهم. ولوحظ أنه حينما كان الوالدان يكثران من مكافأة الطفل ويقللان من عقابه ويشجعان سلوكه الاجتماعى، لا ينشأ لدى الطفل سوى القليل من الخوف من الجمهور أو الشعور بالحرج عند التعبير عن النفس أمام

الناس، وينشأ لدى الطفل مستوى مرتفع من الخوف من الجمهور عندما تكثر تقييمات الوالدين غير الراضية وتعقيباتهم السالبة على تصرفاته، بالإضافة إلى كثرة العقاب عند عدم امتثاله لتوجيهاتهم، ولا يجب أن ننسى ظهور عدم الخوف نسبيا من الجمهور مع انفتاح والدى الطفل وانبساطيتهم.

ولقد ظهر أن الأطفال أصحاب الميل القليل لحب الظهور والشعور الزائد بالإحساس بالنفس يقل زمن حديثهم بالمقارنة بالأطفال أصحاب الميل لحب الظهور وعديمى الإحساس بالنفس. وعموما فالأطفال الذين يخشون الجمهور أو الأطفال الذى ينجذبون إليه أكثر وقوعا فى أخطاء الكلام.

٥ ـ تركيبة الأسرة Family structure :

إن لهذا الجانب العديد من الدراسات مثل دراسات Marjorbanks ودراسات «يسرية صادق» فى البيئة العربية.

وتشير نتائج البحوث إلى أن وضع الفرد الولادى يرتبط باختياره البقاء وحيدا أو فى صحبة الآخرين عندما يواجه موقفا مفزعا، وأغلب متقدمى المولد أو وحيدى الأسر يختارون البقاء مع الآخرين فى المواقف المفزعة، بينما يفضل أغلب متأخرى المولد مواجهة ما يقلقهم وهم وحدهم. والمواليد الأوائل يبدو خوفهم أكثر وكذا قلقهم ومغامرتهم مقارنة بمتأخرى المواليد. وإن كانت السيطرة تقترن بأوائل المواليد.

وتشير الدراسات إلى أنه كلما زاد فرق العمر بين الوالدين قل ذكاء الأطفال وقلت غيرتهم، وكلما زاد حجم الأسرة قل ذكاء الأطفال وارتفعت غيرتهم فى الوقت الذى يرتفع فيه الذكاء كلما زاد الفاصل الزمنى بين الإخوة.

ومع زيادة فارق العمر بين الوالدين يقل الابتكار، وكذلك مع زيادة حجم الأسرة. كما أنه بكبر عمر الوالد يقل الخوف لدى الطفل وتزيد الغيرة.

إن الاعتمادية تنشأ عند الطفل الأول إلى حد كبير من جراء عدم خبرة الوالدين وقلقهم الزائد حول أمور بسيطة أو تافهة، كما أن الطفل الأول يعطى عناية أكثر مما يتلقاه الأطفال اللاحقون، وغالبا ما يكون أكثر تلقيا للرضاعة.

إن الأطفال متقدمى المولد ينحون إلى طلب المساعدة والتقرب والتلامس الجسدى وحب اعتراف البالغين بهم أكثر من متأخرى المولد.

وهناك أمور تحتاج لمزيد من التحقق مثل ما ظهر من أن الأطفال الأكثر تأخرا فى المولد أصبحوا مدمنين للمخدرات بدرجة أكبر من أوائل المواليد. كما أن الأطفال الأوائل يحاولون الحصول على مطالبهم بطرق لا تغضب الآخرين، بينما يكون الأطفال اللاحقون أكثر عنادا بصرف النظر عن العواقب.

وحسب المعلومات المتوافرة، فإن الأولاد الذين ينشأون مع أخت أصغر ثم يتزوجون فتاة نشأت مع أخ أكبر تكون حالات الطلاق بينهم أقل مقارنة بالأولاد الذين يتزوجون فتاة كانت الأخت الكبرى بدون إخوة على الإطلاق.

٦ ـ دافع الإنجاز Achievement Motivation :

يرى كل من Watson و Lindgren أن من المهم جدا لحدوث عملية التنشئة لدى الأطفال الذين هم بمثابة متعلمين، أن تسد توجيهاتنا إليهم بعض حاجاتهم النفسية، مثل الحاجة إلى الحب والحاجة إلى التقدير والحاجة إلى الإنجاز والتى عرفت بدافع الإنجاز . . . وغيرها.

ويعد دافع الإنجاز من أهم الدوافع التى نالت اهتمام الباحثين، ومن رواده McClelland و Atkinson الذى انطوى تعريف زكريا الشربيني له على أنه حرص الطفل على تحقيق الأشياء الصعبة، والتحكم فى الأفكار وحسن تناولها وتنظيمها والقيام بعمل المطلوب منها على نحو جيد وسريع، وباستقلالية قدر الإمكان مع بلوغ معايير الامتياز والتفوق على النفس والآخرين.

ودافع الإنجاز يبدو فى فترة مبكرة من حياة الأطفال وتكون بالغة التطور بحلول الثامنة أو العاشرة.

والدافع إلى الإنجاز يظهر بصورة أكثر تكرارا وقوة فى الأسر التى تشجع الأطفال على الاستقلال فى سن مبكرة. فنجد من مثل هؤلاء الأطفال ترتيبا لأسرّتهم فى عمر مبكر، وربطا لأحذيتهم فى عمر مبكر، ومحاولات لإصلاح ألعابهم وتجهيز وجباتهم أو المشاركة فى هذا التجهيز قبل غيرهم من الأطفال الذين نشأوا فى أسر تشجع على الاعتمادية.

إن الأطفال ذوى الدافع العالى إلى الإنجاز نجد أن آباءهم فى الغالب يحددون لهم أهدافا عالية، كما أن ردود أفعالهم تجاه الأطفال أكثر إيجابية مما يفعل آباء وأمهات الأطفال ذوى الدافع المنخفض.

وما يلفت الانتباه أن أمهات الأولاد ذوى الدافع العالى للإنجاز أكثر سيطرة من أمهات الأولاد ذوى الدافع المنخفض، بينما آباء ذوى الدافع المرتفع أقل سيطرة من آباء ذوى الدافع المنخفض.

٧ ـ بيئة الجنين والطفل Environment :

كما هو معروف فإن البيئة تعنى جميع المثيرات التى تحيط بالكائن والتى يتفاعل معها منذ بدء خلقه جنينا حتى رحيله.

ويبدأ اتصال الفرد ببيئته منذ أن يصبح جنينا فى رحم الأم، فهو يتأثر بأغلب ما تتأثر به الأم من أمور حسية وانفعالية وكيميائية وغذائية.

فالجنين يحدث ردود أفعال للأصوات العالية المفاجئة فيصبح أكثر نشاطا فى الرحم، وإذا كانت الأم أكثر تعرضا للاضطرابات الانفعالية يأتى أطفالها حديثو المولد أكثر ميلا للبكاء وللاضطرابات المعوية، بعكس الأمهات اللاتى كانت حالتهن أثناء الحمل يعم عليها الاستقرار النفسى، يأتى أطفالهن حديثو الولادة أكثر ميلا للهدوء والنمو السريع. كما أن كثرة العقاقير أثناء فترة الحمل وتدخين السجائر أو المخدرات تؤثر على صحة الجنين وربما أتت بأطفال مشوهين، ويضيف Shaffer وربما أدى الأمر إلى ولادات قبل الموعد المتوقع.

وحينما يولد الطفل بين أبوين بينهما صفة الاستقرار والتعاطف والحنان يكون أكثر اتزانا من الناحية النفسية وأكثر بعدا عن المشكلات السلوكية الحادة.

كما أن البيئة الجغرافية تلعب دورا مهما فى نواحى الشخصية التى تنعكس آثارها على تنشئة الطفل، فقد فسر ابن خلدون فى مقدمته الشهيرة أهمية البيئة الجغرافية فى تحديد الخصائص العامة للإنسان من حيث حجم الجسم واللون والطباع ونوع النشاط والأخلاق، كما أكد McClelland وزكريا الشربينى على أثر العوامل المناخية ودرجات الحرارة فى دافع الإنجاز الذى سبق التحدث عنه.

سادسا : الأخلاق وعملية التنشئة الاجتماعية :

الأخلاق Morality ليست ما يقرره المجتمع حتى ولو كان خطأ فحسب، بل إن الأخلاق ما يعتبره الفرد عدلا Justic وشفقة Kindness وإيثارا Alturism وغير ذلك، إنه مفهوم دينامى، يتغير من جيل إلى جيل ومن مجتمع إلى مجتمع، وينمو ويتطور أو يتعدل فيتحسن أو يسوء.

وللأخلاق مفهومان أحدهما يعنى الامتثال Conformity لمعايير المجتمع وعاداته وتقاليده، والآخر يعنى اتباع الغايات والأهداف الصحيحة.

والمفهوم الأول يجعل الأفراد يتمثلون السلوك الجماعى وتقاليد الجماعة، والمفهوم الثانى يجعل الأفراد يمارسون الكرم والولاء والأمانة بصرف النظر عن عادات المجتمع لأنها خيّرة فى ذاتها.

والأخلاق بمعنى الامتثال لمعايير المجتمع وأنماط سلوكه تختلف من مجتمع إلى آخر، فما هو خير فى بيئة أو مجتمع ربما يبدو شرا فى بيئة أخرى أو مجتمع آخر.

ويعنى اصطلاح الخلق، السلوك الخلقى Moral Behaviour أيضا. ويقصد بهما درجة التنظيم الخلقى الفعال لكل قوى الفرد، والاستعداد المستمر الذى يقمع البواعث تبعا لمبدأ تنظيمى محدد، أو تكامل العادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا بصورة تميل إلى الاستقرار والثبات.

والنمو الخلقى للطفل يسير من مجرد رغبة فى تحقيق اللذة والسعادة إلى التقيد بالمبادئ الخلقية والاجتماعية السائدة فى المجتمع الذى يعيش فيه الطفل.

وبتقدم عمر الطفل تتحول القوى الرادعة من كونها صادرة من خارجه عبر الآباء والأمهات والمعلمين.. إلى قوى ذاتية داخلية هى ضمير الطفل تكونت من امتصاص قيم الآباء وأصبحت هى معايير ذلك الصغير نفسه.

والسلوك الذى يقوم به الفرد خوفا من عقاب المجتمع ليس خلقيا بالمعنى النفسى، ويصبح خلقيا عندما يصدر عن شعور الفرد بالواجب أو العطف أو الشفقة أو الرحمة أو الحب أو الشرف أو البر أو الإحسان والتقوى.

وتصنف الأنماط الخلقية للأفراد إلى :

* نمط نفعى Expedient Type وذلك حينما يسلك الفرد فقط بطريقة لتحقيق أغراضه الذاتية.

* نمط امتثالى Conforming Type وذلك حينما يسلك الفرد ما يسلكه غيره، أو ما يقولون أنه ما ينبغى أن يعمل.

* نمط عقلى أو نمط الضمير الحى Rational or Conscientious Type وذلك حينما يسلك الفرد تبعا لمعاييره الخاصة التى تنقسم إلى :

- نمط إيثارى Altruistic وهو أعلى مستويات الأخلاق وصاحبه له قواعد خلقية ثابتة ومستقرة.
- نمط عقلانى واقعى Realistic يتبع صاحبه حرفية القانون الخلقى، ولا يضطر إلى التفسيرات أو التأويلات لما يفعل لأنه يحترم القاعدة الخلقية المحددة.
- نمط نسبى Relativist يأخذ فى الحسبان النوايا والدوافع والإصرار والتعمد والنتائج العملية لعمله.

ويوجه Perry الأذهان إلى أهمية الأخلاق فى التنشئة الاجتماعية للفرد، بل ويعتبرها أساسا لرقى الحضارة والإنسانية عموما، وبخاصة فى عصر تضطرب فيه الحقائق وتتناقض أحيانا مع القيم الخلقية والمثل الإنسانية. إن التطور المادى أسرع وأكثر تنوعا من النمو الفكرى والخلقى، وهناك تسارع بين العقل وماديته والعاطفة وأخلاقياتها.

إن الخلق مهم جدا للأطفال لأنه سوف يضعهم ضمن نظام الاستعدادات أو الصفات التى تمكنهم من التصرف بصورة ثابتة حيال الأعراف والمواقف الأخلاقية.

ويرتبط النمو الاجتماعى للفرد بالنمو الخلقى، كما يرتبط بالنمو الدينى فى كثير من الأمور، وهذه الارتباطات تتفاوت فى قوتها حسب مدى الاستجابات لمستويات الخير والشر المغروسة فى أعماق الأطفال والكبار وبأثر رجعى يعود لمراحل التنشئة الأولى.

ويعتمد إدراك الفرد للآخرين وتقديره لهم ومودته إياهم وأمانته ليس فقط على ما ائتمن عليه بل وولائه لمن ينتمي إليه، ومدى عطفه على جماعته ومجتمعه وإيمانه بمبادئه وفهمه لنفسه أو مفهومه لذاته.

سابعا : اللغة وعملية التنشئة الاجتماعية :

لا تستطيع عملية التنشئة الاجتماعية أن تحقق هدفها دون اللغة. فالكلمات رموز أو علامات تشير إلى أشياء فى مواقف معينة وتحمل معانى الأشياء فى تلك المواقف، وعن طريق هذه الرموز يستطيع الفرد أن يستجيب للأشياء حتى فى حالة عدم وجودها فى مجاله الحسى المباشر، وعن طريق اللغة يتمكن الفرد من تحديد سلوكه سلفا بالنسبة للمواقف المستقبلية، وهذا هو أساس عملية التفكير. فاللغة سلوك لفظى يرتبط بمواقف واقعية يواجهها الطفل فى حياته اليومية ويسلك نحوها سلوكا معينا، ويمكن باستخدام اللغة نقل ما تحمله الألفاظ من معانى من موقف إلى آخر، أى يمكن تعميمها وتعميم سلوك الطفل نحو المواقف المتشابهة.

فاكتساب الطفل لكلمة واستدعاؤها قد يقوم مقام الأم فى توجيه أو ضبط سلوكه، أى إنه باكتسابه للكلمة يسلك سلوكا يتمشى مع اتجاه الأم أو النموذج. وهذا يساعد على نمو ما يسمى بالقدرة على الضبط الذاتى Self Control.

وعندما يقوم الطفل بأدوار الآخرين ـ كما سبق أن ذكرنا ـ وبالتعبير عن اتجاهاتهم بأسلوبه يستخدم اللغة، ومن ثم تكون ذات الطفل.

والكبار يكون فى استطاعتهم باستخدام اللغة أن ينقلوا إلى الطفل معانى المواقف المختلفة التى يواجهها فى حياته وكذا عند توجيهه. ذلك لأن الكبار يستطيعون باستخدام ألفاظ لها دلالات أو معان خاصة من خبرات سابقة أن يكونوا عند الطفل اتجاهات سلوكية معينة بالنسبة للمواقف التى لم يخبرها الطفل.

وباختصار فإن اللغة تهيئ الفرد للقيام بدوره الاجتماعى خير قيام بفهمه بداية للمعايير المشتركة التى تمثل القدر المشترك الذى يبنى عليه التفاعل والتأثير والتأثر وبفهمه للأدوار الاجتماعية، فضلا عن أنها أداة الفرد للتعبير عن مشاعره

وحاجاته. وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن اللغة أداة تصبغ الفرد بالصبغة الاجتماعية القائمة على تبادل الحوار وفهمه، وإقامة علاقات اجتماعية تتسم بالعمق.

ثامنا : مراحل عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال :

لم تختلف الآراء فى وضع مراحل للتنشئة، بقدر ما اختلفت فى كون هذه المراحل تتم فى الطفولة للفرد (محدودة ولها نهاية) أو تستمر عبر عمر الإنسان (مستمرة ولا نهائية) وسوف نعرض لمراحل التنشئة فى ضوء هاتين الوجهتين.

١ ـ مراحل التنشئة كعملية محدودة لها نهاية :

تمر عملية التنشئة الاجتماعية للطفل فى ضوء هذه الوجهة بثلاث مراحل :

أ ـ المرحلة الذاتية :

ويتعلم الطفل فى هذه المرحلة أن يتكيف لمطالب جسمه وحاجاته البيولوجية والظروف البيئية المحيطة، ويقبل المعانى التى حددها الكبار للمواقف التى يمر بها، كما يظهر ذلك عند معاملتهم له، وهنا يمكننا القول بأن الطفل يكيف نفسه لسلوك الكبار.

ويستجيب الطفل للمواقف المختلفة بحواسه، وتتحدد بالتدريج بعض أنماطه السلوكية نتيجة ما يترتب على استجاباته من نتائج، فيتعلم بالتدريج أن يستبعد بعض الأنماط السلوكية التى لا تؤدى إلى إشباع حاجاته البيولوجية. وقوام هذه العملية هو تناسق حسى ـ حركى يتحدد بعلاقة الطفل بالبيئة المحيطة وسلوكه فيها، فتصبح معالم بيئته بمثابة علامات أو إشارات لسلوك معين يأتيه الطفل تحت ظروف معينة، ولكن الكبار يكونون قد حددوا سلفا أغلب المعانى بالعادة أو بالعرف أو بالتقليد. فثدى الأم مثلا يعنى للطفل الرضاعة، ومد الأم يدها إلى الطفل معناه أنه سوف يرضع أو يُحمل وهكذا.

ب ـ المرحلة المطلقة :

ويكتسب الطفل فى هذه المرحلة القدرة على الانتقال من مكان إلى آخر مستقلا نسبيا عن الكبار، ونموه الحركى يمكنه من التعامل مع الأشياء بفعالية أكبر وحرية أكثر بعيدا عن مراقبة الكبار، وإن كان كثير من عادات الطفل وأفعاله فى

هذه المرحلة تجد مقاومة من الكبار، فهم يتدخلون لمنعه من بعض التصرفات مما يترتب عليه حدوث الصراع بين الطفل والكبير، وقد يتحول هذا إلى صراع فى شخصية الطفل نتيجة للتناقض الذى يحدث فى معانى الأشياء أى حول العلامات التى كان يستجيب لها فى الماضى والمعانى الجديدة التى أصبح الكبار يفرضونها. وتتعدل بالتالى معانى الأشياء بتغير توقعاته، وتتمايز الأشياء والعلامات التى تحدد استجابات الطفل مما يؤدى إلى تعديل سلوكه بحسب قيم الكبار وعاداتهم.

ويكتسب الطفل فى هذه المرحلة ما يجب وما لا يجب، أى أنه فى طريقه لتكوين الأنا الأعلى (الرقيب أو الضمير).

وفى هذه المرحلة يقوم الطفل بممارسة الأدوار الأخرى للأفراد الآخرين فى بيئته، فالولد يلعب دور رجال البوليس ودور البائع.. والبنت تلعب دور الأم ودور المدرّسة .. وغيرها.

جـ ـ المرحلة المشتركة للتعامل بين الطفل وبين غيره من الأفراد :

وفيها يكتسب الطفل اتجاهات الكبار نحو المواقف الهامة فى حياته، وفيها ينتقل الطفل من فهمه وتوقعه الثابت لسلوك الأفراد إلى معرفة اتجاهات الأفراد السلوكية فى المواقف المختلفة، لقد أصبح الطفل الآن يذكر أسرار أسرته فى حالة عدم وجود الغرباء بينما لا يحق له ذلك إذا كان بين غرباء.

ويستدعى الطفل فى سلوكه وأثناء اللعب العلاقات أو الرموز التى تعبر عن اتجاهات الآخرين، ويستجيب لتلك العلاقات، وبهذا يتعدل سلوكه إلى شكل يساعده على التوافق فى تعاملاته مع الغير. ويترتب على ذلك :

١ ـ أن يصبح الطفل أكثر وعيا بذاته.

٢ ـ التنبه إلى اتجاهات الغير نحوه.

٣ ـ تكوين بعض الاستجابات المنظمة حينما تصدر اتجاهات من الغير نحوه.

٤ ـ يوحد الجوانب الأساسية لاتجاهات أعضاء أسرته فى كل متكامل نحو بعض الأمور ويعدل من سلوكه فى ضوء هذا الإطار العام.

٥ ـ الابتعاد نسبيا فيما يتوقعه الغير منه، إلى أن يتوقع من نفسه السلوك المناسب للموقف.

٦ ـ تحديد معنى الموقف الجديد فى ضوء الخبرة الماضية قبل إصدار سلوك بشأنه.

٢ ـ مراحل التنشئة كعملية مستمرة لا نهائية :

تمر عملية التنشئة الاجتماعية للفرد فى ضوء هذه الوجهة بأربع مراحل، وتقسم المرحلة الأولى منها إلى أربع فترات داخلية.

أ ـ المرحلة الأولى : من الميلاد حتى دخول الروضة.

وتتم داخل الأسرة ولها أربع فترات.

ـ **الفترة الأولى** : الطفل فى هذه الفترة لا تمارس عليه أية ضغوط اجتماعية، ويعيش فى هدوء وسكون. فمنذ مولد الطفل تتحمل الأم مسئولية رعايته، ويرتبط بها الطفل ويعتمد عليها.

ويمنح الطفل من الأسرة والأم كل العطف والعناية، ولا يتوقع إطلاقا منه مشاركات إيجابية. والأم رغم حبها وحنانها على الطفل وتحقيق احتياجاته، لا تهمل واجباتها الأسرية الأخرى.

ـ **الفترة الثانية** : الطفل فى هذه الفترة تبدأ الأسرة معه السيطرة والضبط، وتنوب الأم عن الأسرة لأداء هذا الدور، وتحاول إعلاء سلوكه إلى سلوك اجتماعى، نظرا لتعلمه بعض الأداءات واكتسابه بعض الكلمات التى تسهل له الاتصال وإبلاغ بعض الرغبات.

ويبدأ الطفل فى التوتر نتيجة الممارسات التى تفرضها الأم، والحرمان النسبى من تلبية كل الرغبات، وهنا يكون سلوك الأم قد بدأ يتغير، ولكن هذا التغير لا يتبعه أن يتحمل الطفل مسئولية أفعاله. وتسمح الأم للطفل بممارسة بعض السلوكيات إنها فترة سماح Permissive، لكنها ليست على نفس النحو فى الفترة الأولى، وبالرغم من ذلك فهو يحب الأم.

- **الفترة الثالثة** : تبدأ إمكانات الطفل تنضج لتعميم الحب إلى أبعد من الأم، ويبدأ الطفل إدراك نفسه كفرد بين من يكونون الأسرة، ويعرف الأب. وتبدأ مرحلة توحده مع أفراد الأسرة. وتتخلى الأم فى هذه الفترة عن مسئولياتها تجاه الطفل نسبيا إلى الأب.

ويعيش الطفل فى هذه الفترة زمنا تنكر فيه أغلب رغباته الفطرية، وتلاحقه مجموعة من الأوامر والنواهى والتعليمات التى تقيد حركاته وتضبط سلوكه، التى يعجز عن فهمها رغم إدراكه لها. ويساعد ما يحصله الطفل من خبرات ومهارات فى هذه الفترة على اكتساب مركز جديد فى الأسرة.

- **الفترة الرابعة** : يتوحد الطفل فى هذه الفترة مع الأب كموضوع جديد. ويبدأ دور الأم في التغيير ويصبح دورا والديا، ويبدأ نشوء الضمير ويصبح الأب والإخوة موضوعات عند الطفل يتبادل معهم التفاعلات. ويؤدى الأب فى هذه الفترة دورا هاما كموضوع للإشباع العاطفى للطفل، وإن كانت الأم أكثر إيجابية نحو الطفل إلا أنها أقل مساعدة له. وتؤيد الأسرة تحولها إلى ممارسة الثواب والعقاب. إنها فترة توافق مع المراكز الجديدة فى الأسرة والتى يكبت فيها رغباته السابقة.

ب ـ **المرحلة الثانية**: ويطلق عليها Parsons الطور الثانوى للتنشئة، وتكون خلال مراحل الدراسة من الابتدائية حتى نهاية التعليم أو الحصول على المؤهل.

والمدرسة أول نسق اجتماعى يدرك فيه الطفل التباين الاجتماعى ليس على أسس بيولوجية، بل على أساس التحصيل والقدرات، يقابل الطفل رفاقا جددا. ويواجه الطفل لأول مرة فترة توضع فيها قيم أسرته وأفكارها فى الميزان.

ويتخذ الطفل نماذج غير الأب والأم كموضوع، ويتحرر أكثر من الارتباط بهما مع وجود معلم أو معلمة. ويعدل المنهج الدراسى من بعض الأفكار ويتكيف التلميذ مع النظام الاجتماعى الجديد.

حتى يصل الطالب إلى الجامعة، ويبدأ الإحساس بالفروق فى التخصصات تبعا للقدرات. ويدرك الفروق فى التخصصات المهنية.



جـ ـ المرحلة الثالثة : وتبدأ من الخروج من التعليم إلى العمل. ويبدأ تكيف المرء من جديد مع الأنساق الجديدة التى يرتبط بها وازدياد عدد الأدوار وتغير توجيهات القيم، وربما أدى ذلك إلى بعض التوتر، نتيجة خبرات حياة عملية جديدة.

د ـ المرحلة الرابعة : تبدأ بتكوين الفرد أسرة جديدة. وهى فترة تتداخل مع الفترة الثالثة، وربما تسبقها فى بعض الأحيان لدى بعض الأفراد.

تاسعا : حدود التنشئة الاجتماعية :

تبدأ التنشئة منذ اللحظة الأولى فى حياة الأفراد مرورا بالعديد من الأمور حتى اختيار الوالدين للون الذى يلائم الإناث والألوان التى تناسب الذكور. فهى عملية معقدة متشابكة تتأثر بعوامل خارجية وداخلية.

والجماعات والمؤسسات الموجودة فى المجتمع تلعب الدور الأساسى فى هذه العملية مثل الوالدين والإخوة وجماعة الرفاق. وجميع هؤلاء يبذلون جهدا كبيرا ويقضون جزءا من أوقاتهم فى العمل على إيصال القيم وتشكيل وتعديل سلوك الأطفال.

وتختلف كل من القيم والمعايير والأهداف والوسائل التى تنطوى عليها عملية التنشئة الاجتماعية عبر المجتمعات، بل إنها تختلف داخل المجتمع الواحد من جماعة إلى أخرى، بل وفى المجتمع الواحد عبر الأزمنة والعصور.

وتعتبر التنشئة الاجتماعية للأفراد فى مراحل الطفولة ليست كافية تماما لمواجهة مطالب الحياة اللاحقة، فهم يتنقلون عبر سلسلة من المراكز تكون مصاحبة لمراحل الحياة. وعلى الرغم من أن بعض توقعات المجتمع شبه ثابتة، إلا أن هناك توقعات تتغير من عمر إلى آخر، فى الوقت الذى ينتظر من الفرد الاستجابة لهذه التوقعات المتغيرة بأسلوب مناسب عندما يصبح فى حياته أشخاص جدد فى العائلة أو العمل أو الدراسة.

وبطبيعة الحال فإن فعالية التنشئة الاجتماعية فى الطفولة يكون لها التأثير الأعظم فى المجتمعات عديمة التغير أو ضئيلة التغير، ولكن لا يتوقع لها الثبات. وربما يأتى الاستقرار فى مثل هذه المجتمعات الهادئة من الاستمرار مدة زمنية مع الآخرين المهمين أنفسهم، والذين ينغمر معهم الفرد، مثل الأبوين أو الأقارب الذين يعش معهم الطفل حتى منتصف العمر وأحيانا الأصدقاء الذين يستمرون خلال معظم حياة الإنسان. إلا أنه حتى فى بعض المجتمعات عديمة التغير نسبيا لا تمكن تنشئة الطفل فى الطفولة نجاحه فى التعامل مع كل الأدوار التى يتم مقابلتها فى المستقبل، كما أن الأفراد لا يمكن تنشئتهم فى الطفولة على أدوار سوف

تقابلهم فى المستقبل، ومثال ذلك دور الزوج عند الزواج والمدنى عندما يجند ويساهم كل من التنقل الجغرافى والانتقال الاجتماعى المتميز به فى مجتمع الطبقات المفتوحة فى إظهار عدم كفاية التنشئة فى مرحلة الطفولة لمواجهة المواقف التى يتعرض لها الأفراد حينما يصبحون مراهقين أو شبابا.

إن تنوع الحضارات الفرعية فى المجتمعات الحديثة المعقدة، يضاعف تأثير الانتقال عن طريق متطلبات الأدوار الجديدة وغير المنتظرة التى توضع على الفرد. كما أن التغيرات الاجتماعية السريعة التى تحدث خلال مراحل العمر تظهر عدم كفاية كثير مما وجهنا به فى مرحلة الطفولة.

وأمام هذه التحديات فإن المجتمعات تحاول وضع اللبنات الأساسية لتعلم ضرورى فى الفترة التالية من العمر عن طريق تزويد الأفراد بما يساعدهم على المبادرة والإبداع والمرونة والقدرة على مواجهة الجديد والبعد عن التلقين وغير ذلك من الصفات التى تفيد فى مواجهة متطلبات الحياة الاجتماعية المتغيرة.

ويضيف ذلك على المجتمعات الحديثة أعباء تجديد التنشئة الاجتماعية للأفراد الذين لم يتم إعدادهم لمثل هذه التحديات، وعلى المؤسسات التى تعنى بتنشئة الأجيال أن تتطور، ولابد من توفير برامج تكرس فيها جهودها لهذا الأمر وتأخذ على عاتقها تربية الآباء مع اختلاف الأجيال.

ويجب أن نعترف أولا بالصفات المستمرة للتعلم والتنشئة فى مرحلة الطفولة والصعوبة النسبية فى تغيير أغلب ما تم تعلمه، وبخاصة إذا كان هناك العديد من الآراء تحبذ الرأى الشائع بأن أغلب الجانب غير الواعى من الشخصية (اللاشعورى) يتجمع خلال التنشئة الاجتماعية المبكرة.

وإذا افترضنا وجود صفات دائمة للتعلم فى مراحل الطفولة، فإن تأثير مثل هذا التعلم على تنشئة الفرد فى المراهقة أو الرشد يكون أكثر تعقيدا مما قد يبدو. فليس التعلم المبكر وحده المتدخل والمحدد للتعلم المتأخر، وإنما هو واحد من مجموعة تأثيرات. والأصح أن علاقة التعلم المبكر أو عدمه بالنسبة للتعلم المتأخر تقرر هل ستحدد أو ستسهل التنشئة الاجتماعية للأفراد الأكبر سنا.

وإن كانت هناك فائدة من إحلال التعلم المتأخر بالتعلم المبكر بخصوص التنشئة والقديم بالجديد، إلا أن هناك حالات يمكن أن يسهل التعلم فى مرحلة

الطفولة التعلم فى الرشد، وبالتالى تكون تنشئة الكبار مرارا ناتجة من خلق توفيقات Combinations من عناصر استجابات قديمة، ويكون غياب تعلم معين فى مرحلة الطفولة هو نقطة سالبة فى تنشئة متأخرة لأن إتيان الفرد إلى دور اجتماعى فى حياته المتأخرة بدون معلومات ولو بسيطة من التنشئة الاجتماعية فى الطفولة يعرقل أو يعوق التعلم فى السنوات المتأخرة. إن هناك أشياء يجب أن تعرف فى مراحل عمرية معينة، وتعلمها فى الوقت المناسب (مرحلة حرجة) يجعل التعليم اللاحق ممكنا.

ورغم كل ذلك فإن الجدل ما زال دائرا حول تأثير التنشئة المبكرة أو غيابها على التنشئة المتأخرة، ولكن الواضح أن المحتوى الأساسى للتنشئة الاجتماعية يختلف بطرق هامة فى المراحل المختلفة لحياة الأفراد وباختلاف المؤسسات الاجتماعية الأساسية. ويتعلم الأفراد أشياء مختلفة فى أوقات مختلفة من حياتهم بل وفى أماكن مختلفة أيضا، ومع ذلك فإن معظم المجتمعات تعيد وضع قيمها الاجتماعية جيلا بعد جيل، وأسباب نجاحهم فى ذلك معقدة. فقد تعمد المجتمعات إلى إدامة هذه التشابهات عن طريق التلقين الواعى أو تدريب الصغار، أو بفرض ضغوط اجتماعية على كل أعضائها من المهد إلى اللحد، أو عن طريق عدم إتاحة بدائل تكون أكثر قبولا.

وربما أضافت الأمثلة التالية مزيدا من الإيضاح وبعضا من عدم التفاؤل :

١ ـ أطفال الكيبوتز Kibbutz:

هناك تجربة إسرائيلية فى تنشئة الأطفال، تمت على أطفال نسبتهم صغيرة يعيشون فى مجتمعات زراعية، تعطى الأطفال فوائد ومزايا العيش فى جماعة (تربية جماعية) وذلك خلال جزء من اليوم، وتترك رعاية الوالدين باقى اليوم، وأطلق على نظامهم هذا (الكيبوتز) الذى ساعد فى حل بعض صعوبات تواجهها الأمهات العاملات، وكذا عاون هذا النظام فى القضاء على بعض مشكلات المراهقين من نظير الاستقلال عن الأسرة.

إن الأطفال فى هذا النظام يعيشون فى جماعات مختلفة من حيث الحجم، وينتمون إلى مجموعات كل حسب عمره، بحيث تكون كل مجموعة تحت رعاية مربية أو مدرسة. وعلى الرغم من كون أولياء الأمور مسئولين أساسيين عن أطفال الكيبوتز إلا أن هؤلاء الأطفال يقضون وقتا كبيرا مع أقرانهم ولهم علاقات وطيدة بهم ويقضون وقتا قليلا جدا بمفردهم، ويتعود الأطفال فى هذا النظام الانفصال عن والديهم لمدة يوم أو أكثر فى سن مبكرة. مما يشجعهم ويدعم لديهم الاستقلالية من الصغر مقارنة بالأطفال فى غير هذا النظام. ولأطفال الكيبوتز شلة كبيرة من الأصدقاء مقارنة بالأطفال العاديين.

وإذا كانت المربية أو المدرسة فى نظام الكيبوتز تتولى رعاية الطفل وتعلمه الانضباط والنظام وحسن التعامل مع غيره، كما أنها فى غالبية الأحيان مصدر للحب والعطف، فإن الوالدين يصبح لديهم الوقت الكافى بمنح الدفء والحنان وتوفير المأكل لأطفالهم. على الرغم من أن الأطفال لا يعتمدون كليا واقتصاديا على والديهم كما يشير Fong and Resnick ، فكل الأطفال يحصلون على قوتهم من المجتمع الذى ينشأون فيه ويعملون فيه مما يدعم الاعتماد على النفس. ونتيجة لهذا النظام ينشأ مراهقون فى جماعات ليس لديهم نفس الخلافات أو مستواها مع الوالدين من أجل الاستقلال والشعور بالحرية، فهى تمنح وتشبع من خلال هذا النظام.

٢ ـ استحالة الجتمعة للطفل:

وهناك فكرة تقول أن أناسا معينين لا يصبحون اجتماعيين أبدا. ولنتأمل المثال التالى الذى عرضه Lambert عن Davis و Dollard :

لقد أطلق معارف التلميذة جوليا عليها اسم المشاغبة أو المشاكسة ذات المتاعب. إن لجوليا صديقة وحيدة، فهى لا تكوّن جماعة رفاق مقربة أو تشترك فيها. ويرى المدرسون والتلاميذ الذين يعرفونها أنها تحب جذب الانتباه وحب الظهور، وتفخر جوليا بأن من يعرفها داخل المدرسة يعتقد أنها مجنونة ويمكنها أن تتصرف أو تفعل أى شىء من سب وشجار للرفاق أو المدرسين، ولأنها فى بيئة

غيـر عربية فـلا تتردد فى أن تقـبل زميلا لهـا فى فناء المدرسة . . ولا يسـتثنى من شجارها حتى والدها أو والدتها، وتعلم جوليا أن أمها لا تحبها ولم تحبها ولن تحبها نهائيا، ورغم أنها رقيـقة الجسم إلا أنها فتاة مسترجلة تتـشاجر بكلتا يديها بدلا من الأدوات الحادة كالسكين، ولا تهدأ إلا بعد أن تنتقص من فتيان المدرسة وتصفعهم على وجوههم خلال الشجار العنيف.

وعندما نعلم أن جوليا كانت فتاة زنجية من أسرة تقع فى أدنى مراتب الطبقة المنخفضة لا يعود هناك شك فى نمط تكيفـها الاجتماعى، ربما أمكننا القول أن هذه الفتـاة أعدت إعدادا حسنا لنوعـية الحياة الضـحلة البائسة التى كـان من المتوقع أن تعيشها، وليس فى مدرستها أو بيئتها الحالية.

٣ ــ محـو آثار التنـشـئة :

وهناك مثل آخـر شهير اتبعـه الشيوعيـون الصينيون لنزع الطابع الاجـتماعى ومحو آثار التنشئة الاجتماعيـة السابقة من بعض الأسرى الأمريكيين خلال الحرب الكورية. لقـد أجريت مقـابلات مع العديد من الأسـرى عقب إطلاق سـراحهم، فعرف منهم أن الصـينيين لم يكتفوا بمحاولة محـو آثار التنشئة الاجتماعـية للأسير الأمريكى فحسب، بل حاولوا أيضا أن يعيدوا تشكيلهم اجتماعيا، بجعلهم يؤمنون بالمعتقدات والقـيم الشيوعية الصينية. وعلى الرغم من أن الصينيـين قد نجحوا فى أمور هامـشية قـبلت التغيـير لدى الأسيـر الأمريكى، إلا أنهم فـشلوا فى هدفهم الرئيسى، مما يوضح قوة الـتأثير للتنشئة الاجـتماعية التى مـر بها الجندى الأمريكى قبل الأسر.

ويشير Lambert and Lambert إلى أن نزع الطابع الاجتماعى عن إنسان إلى الدرجة التـى يتغيـر بها تغـييرا جـذريا يتطلب التـعامل بذكاء مع الـبنية Structure النفسـية الاجتمـاعية التى تتحكم فـى شعوره بذاته. والجيش الأمـريكى مثل باقى الجيـوش، منظم بحـيث يحول الفـرد المجند إلى رجل عسكرى باسل، وهـو أمر يتطلب عملية تنشـئة اجتماعية قـوية. ونظرا لعلم الصينيين الشيوعـيين بذلك فقد كان هدفهم الرئيـسى تدمير الثقـة بين الأسرى الأمريكيين، وتم إبعـاد الضباط عن

الجنود. وإبعاد الأصدقاء عن بعضهم البعض، ومنع أشكال التعارف لكى لا يجد الأسير الطمأنينة فى الصحبة، وأغرى الأسرى الضعفاء بالمعاملة الخاصة كى يبلغوا عن رفاقهم، وأظهرت هذه المعاملة للأسرى غير الضعفاء حتى تنخفض الروح المعنوية وتنهدم، ومع ذلك فقد بقى كل أسير فى حالة من الحيرة حول ما إذا كان هناك عملاء سريون بين الأسرى. وحينما أصبح الأسرى شبه معزولين وحيدين على هذا النحو أجبروا على الاستماع إلى أفكار دعائية مستمرة تلقن الجوانب السالبة فى حياتهم السابقة والجوانب الإيجابية فى حياتهم المستقبلة إذ اتبعوا الأوامر الصينية، وقد أرغم الأسرى على المشاركة بفعالية ونشاط فى عملية إعادة تصوراتهم عن قياداتهم الأمريكية عن طريق الاعتراف بالأخطاء التافهة التى تحدث فى جيشهم الأمريكى، هذه الاعترافات التى كانت تدعم بالمكافآت بالإضافة إلى التهديدات لغير الراغبين فى الإدلاء باعترافات.

لقد شعر الأسرى بالوحدة والخوف وعدم الثقة بين بعضهم البعض، وملأت عقولهم الدعاية، والشعور بالتقبل والمعاملة الحسنة إذا تغيرت معتقداتهم، والثقة فى ظهور الرعب إذا بدت منهم أدنى مقاومة. ورغم انهيار بعض الأسرى بسبب أوجه النقص فى تنشئتهم الاجتماعية المبكرة، وانحنى بعض الأسرى قليلا ثم استعادوا قواهم، وتمرد كثرة منهم ضد عملية غسيل المخ Brain washing المتبعة معهم، فمات بعضهم. وعموما فشل الصينيون فى مهمتهم، ورغم أنه من غير المعروف على وجه التحديد لماذا فشلوا، ولكن يأتى مع فشلهم ما ظهر من فعالية وقوة عمليات التنشئة التى جعلت هؤلاء الأسرى الأمريكيين على هذا الصمود، لدرجة أن أحد الأسرى أخذ يقرأ بصوت مرتفع فقرة من كتاب كارل ماركس بلهجة فكاهية مما أدهش الصينيين عدم الخوف والإصرار الذى يظهر على من هم مثل هذا الأسير.

عاشرا : أهداف ومحتوى التنشئة الاجتماعية للأطفال :

هناك أهداف حددها Selznick and Broom و Parsons للتنشئة الاجتماعية وقد تمثلت فى :

أ - إعلاء رابطة الحب بين الطفل والأم، وإقامة التزامات حول إمكانيات الانجذاب نحو الغير.

ب - التنشئة الاجتماعية ترتبط بما تقوم به من عمليات تعليم، وبما يحتاج أن يعرفه الشخص حتى يتوافق مع مجتمعه، وحتى يتمكن من تنمية لقدراته وإشباع لحاجاته.

جـ - تلقين الأطفال نظم المجتمع الذى يعيشون فيه، منتقلين من التدريب على العادات الخاصة بهذا المجتمع إلى الامتثال لثقافة هذا المجتمع.

ء - تلقين الأطفال مستوى الطموح اللازم للعيش وسط هذه الثقافة.

هـ - تعليم الأطفال الأدوار الاجتماعية.

و - إكساب الأطفال المهارات المطلوبة للتوافق مع أفراد المجتمع، وحصولهم على الأدوات التى تساعدهم على الاندماج مع الجماعات مثل اللغة.

ز - غرس القيم وأهداف الجماعة التى ينتمى إليها الطفل والتى تشكل ثقافة المجتمع الذى يعيش فيه، لتحقيق توقعات الأدوار التى سوف يواجهها يوما ما مثل إعداد الطفل لأداء دور الأخ والابن والزميل والأب.

ح - إكساب المرء نسقا من المعايير الأخلاقية التى تنظم العلاقات بين الفرد وأعضاء الجماعة، وتمثل هذه المعايير السلطة الخارجية على الفرد.

وعموما لا توجد أهداف دون توافر أدنى محتوى يتطلب عددا من الاحتياطات الجوهرية.

لقد وهب الله الإنسان القدرة على إدراك الزمن والمكان، وهو القادر على جعله يتمكن من استحضار الماضى ومعايشة الحاضر وتصور المستقبل، مما جعل الإنسانية تتوارث ثروة حضارية تتمثل فى القيم والعادات والتقاليد والاتجاهات التى يعبر عنها فى ضوء أنماط من السلوك. وتضيف الإنسانية لهذه الثروة يوما بعد يوم نتيجة للتغير والتطور. وتستثمر الإنسانية التراث بنقله للأجيال، بحيث يصبح للفرد فى هذه الأجيال وعى وإمكانية للاستجابة إلى المؤثرات الاجتماعية، وما تشتمل عليه هذه المؤثرات من ضغوط وما تفرضه من واجبات كى يعيش مع غيره ويسلك

مع الآخرين مسلكهم فى الحياة، ويتعلم الأنماط السلوكية التى تميز ثقافة مجتمعه عن الثقافات الأخرى. ومن هنا يحتوى ذهن الفرد على أفكار وممارسات ومعايير وقيم المجتمع الذى يعيش فى إطاره، ولا يصبح مجرد راوية أو مقلد، وهذا ما يعلنه Watson و Lindgren .

ولكن محتوى التنشئة يتطلب عددا من الاحتياطات تجعلنا نقترب بأطفالنا من السوية والتوافق الاجتماعى، وهذه الاحتياطات هى :

- البعد عن القيم والاتجاهات التى تجعل الأطفال يستسلمون للخرافات [الشيخ لحاف وأمنا الغولة. . .].
- البعد عن العادات التى تزرع فى نفوس النشء الاستسلام أو اللامبالاة أو التواكل أو الأنانية.
- البعد بالنشء عن النماذج التى تنجح دون رادع عند استخدامها لأساليب المغافلة والتضليل والخداع والغش والكذب ـ الشخصية الفهلوية ـ. . . . .
- عدم تعريض الأطفال لأنماط متناقضة من التنشئة مثل الانقياد لأوامر الوالدين بالمنزل دون مناقشة فى الوقت الذى نطلب منهم فيه إيجابية التفاعل والمبادأة وحرية الرأى أمام الزملاء والمدرسين بالمدرسة.
- عدم التناقض أثناء التنشئة للأطفال بين القول (عدم الكذب مثلا) والفعل (إنكار وجود الأم عند اتصال صديقة لها بالتليفون).
- البعد بمضمون التنشئة عن الانفتاح الثقافى المنحرف بعدم الانغمار فى نقل ثقافة بعض المجتمعات الأخرى غير المناسبة لمجتمعاتنا إلى أطفالنا [الأفلام الإباحية ـ قصص العنف ـ نماذج العدوانية].

حادى عشر : شروط تحقق التنشئة الاجتماعية الملائمة :

هناك بعض الشروط الأساسية فى ضوئها تتحقق التنشئة الاجتماعية الصحيحة، وقد عُرفت هذه الشروط لدى Elkin and Hardel . وفى مقدمتها أن الطفل حديث الولادة، يأتى إلى مجتمع موجود بالفعل Existing Society له

معاييـره وقيمه وقوانينه، واتجـاهاته، وبه بناءات اجتماعيـة منمطة ومنتظمة، ومع ذلك تتعرض للتـغير. ولا يكون للطفل المولود غيـر المهيأ اجتمـاعيا أى دراية بتلك البناءات أو التغيرات الممكنة، وتصـبح مهمة الشعور والتفكيـر والتفاعل من جانب هذا الصغـير محـددة للوسائل والطرق التى يجب أن يمـر بها كقـادم جديد New Comer إلى التنشئة فى مجتمع ما.

كما أن مـدخل التفاعل الرمزى يشيـر إلى أن طبيعة الإنسان تتـضمن المقدرة على القيام بعـمل الآخرين فى الوقت المناسب، وكذلك الشعور مـثلهم. أو بصفة عامة القدرة على التعامل برموزهم Symbols ، ولا يخفى أن هذا التعامل يختلف باختلاف الرموز الاجتماعية مثل الأصوات Sound and Voice والإيماءات Gestic and Gesticulation والإشـارات Hints and Insinuation ومـا إلى ذلك. وهذا الاختلاف يُذْكيـه وجود الطفل بين والدين ومربية وروضة أو مـدرسة ومعلمة .. إلخ، وربما كـان كل من هؤلاء على طرف، مما يوقع الطفل فى كـثيـر من اللبس، وربما التعقيد أو التناقض فى الوقت الذى تحتل هذه الجهات أهميتها لدى الأطفال. وهنا يكون الاتساق هاما جدا.

وكذلك فإن تفـسير تصرفات الطفل ومظاهر تنشـئته يجب أن تدور فى نطاق بيئته التى نشأ فيها والتى يمكن تقسيمها إلى :

أ - تنشئة اجتـماعية أولية Primary Socialization داخل الأسرة فيما قبل الست سنوات الأولى من العمر، أو يطلق عليـها مرحلة مغطاة Covert وهى أعمق أثرا فى تكوين شخصية الفرد.

ب - تنشئة اجتـماعية ثانوية Secondary Socialization يتعـرض لها الطفل خارج أسرته فى الحـضانة والروضة والمدرسة والمسـجد والنادى ووسط الرفـاق ....، ويطلق عليـهـا مرحلة مكـشوفـة Overt وتستـمر مع الإنسان أثناء حياته، وقد يتعرض خلالها لإعادة تنشئته Resocialization نظرا لتردده على مجتمع مغاير أو أكثر عن الأسرة.

جـ - تنشئة اجتماعية موازية Parallel Socialization وتعتبر موازية لأى من الصـورتين السابقـتـين وهى عبـر وسـائل الإعلام (تلفـزيون - راديو - قصص - مسرح ....).

ثانى عشر : نتائج التنشئة الاجتماعية على الأطفال :

علمنا فيما سبق أن طريقة تنشئة الأطفال فى مجتمع ما تعكس طبيعة ذلك المجتمع، بحيث نقترب بالشخصية المتشكلة من نمط أو طريقة الحياة فى هذا المجتمع.

فالمجتمعات المحبة للحروب تدرب أطفالها على السلوك العدوانى، والمجتمعات التسلطية تدرب أطفالها على احترام السلطة . . . أما الأطفال الذين لا ينشأون بهذه الأساليب فى تلك المجتمعات فإنهم يميلون فيما بعد إلى عدم التوافق وربما الانحراف. ويأتى التباين بين أنماط المجتمعات الإنسانية إلى أنماط التنشئة الاجتماعية التى اتبعت مع شعوبها والتى شجعتها تلك المجتمعات فى ذلك الوقت. . ومع كل ذلك فإن التنشئة الاجتماعية تصل بالأطفال إلى :

١ ـ التعلم الاجتماعى للطفل :

من خلال التنشئة الاجتماعية يكتسب الطفل عادات وقيم وتقاليد مجتمعه، حتى يصبح فهمه وإدراكه للعالم المحيط مصبوغا بطبيعة المجتمع، وحتى يأتى تفسيره للأمور فى نطاق ذلك الفهم. ويعد هذا الاكتساب تعلما اجتماعيا.

ويصل تأثير هذا التعلم الاجتماعى إلى أقصى درجاته فى الطفولة. ويحقق التعلم الاجتماعى عددا من الحاجات مثل : العطف والحب والاستقلال وتأكيد المكانة الاجتماعية. كما أن تقمص الطفل لدور الكبار فى سلوكهم الاجتماعى له أهميته فى هذا التعلم الاجتماعى للطفل. ويسهل التعلم الاجتماعى الذى حصل عليه الطفل لتعلم اجتماعى فى مراحل تالية من عمره.

٢ ـ تكوين الأنا والأنا الأعلى عند الطفل :

تعتبر عملية تكوين الأنا من أهم نتائج التنشئة الاجتماعية، ويشتق الطفل الأنا الأعلى سماعيا من أوامر الأب ونواهيه.

٣ ـ التحكم فى العدوان عند الطفل :

لا تعنى التنشئة الاجتماعية للأطفال القضاء على السلوك العدوانى لديهم ولكن يجب أن توجه التنشئة الاجتماعية النشء كى يثوروا للحفاظ على كرامتهم

وعلى أنفسهم وعلى ممتلكاتهم، وما هى المواقف التى يجب ألا يبدأ هو فيها بالعدوان

ولذلك فالتنشئة الصحيحة تراعى تجنيب الأطفال مواجهة المثيرات التى تؤدى إلى العدوان وتجبر المخارج لتفريغ الشحنات العدوانية أو البدائل التنفيسية.

٤ ـ تعلم الأطفال للأدوار الاجتماعية :

تنتهى التنشئة الاجتماعية للأطفال بأن تعلمهم كيف يسلكون بما يتفق مع أدوار اجتماعية معينة (دور الابن ـ دور التلميذ ـ دور الأخ . . .).

٥ ـ تعلم الطفل ضبط السلوك :

تصل التنشئة الاجتماعية بإيجاد ضوابط تأتى من داخل الطفل توجهه إلى السلوك المتقبل فى بيئته مثل :

- ضبط التبول.
- ضبط التبرز.
- ضبط البكاء والصراخ.
- اكتساب الآداب العامة ومبادئ هذه الآداب.
- . . . .

٦ ـ تعلم الطفل التعلق :

إن الفرد خلال مراحل نموه من طفولته إلى رشده، يسعى لأن يكون على مقربة من بعض الأفراد، وينفصل أيضا عن آخرين أو يبتعد عنهم، وبذلك تتخذ تنشئته وجهتها السوية.

ومن مظاهر التعلق عند الطيور سير الفراخ وراء الأم، ولدى الحيوانات التصاق صغار القردة بالأم.

ومن مظاهر التعلق عند صغار الأطفال . . كف الطفل عن الصراخ عندما تحمله أمه، والمناغاة والابتسام للأم أسرع من الآخرين عندما يداعبونه . . واستجابات الترحيب عندما يجد الأم مقبلة مثل تحريك الأرجل أو رفع الأذرع.

وكذا الزحف خلف الأم عندما تمشى أمامه والالتصاق بها عندما تحمله أو الهروب إليها طلبا للنجدة حينما توجد أشياء تخيفه.

٧ ـ التوافق الاجتماعى للطفل :

خلال عملية التنشئة يتغير سلوك الطفل ليتسق ويقترب من سياق الجماعة التى يعيش معها أو وسطها، ويخضع أكثر بمرور الوقت للالتزامات الاجتماعية، ويتم ذلك طبقا لمرحلة النمو التى يمر بها الطفل، وفى ذلك محاولات للتوافق مع الآخرين والبيئة المحيطة . . ويصل الأمر قرب الطفولة المتأخرة إلى توافق اجتماعى إذا ما كانت التنشئة قد اتخذت وجهتها الصحيحة.

٨ ـ نقل ثقافة الأجيال :

تعمل التنشئة السوية على إكساب الفرد ثقافة من سبقه. فنجده مثلا يرتدى نفس نوعية الثياب أو الزى ويفضله على غيره من أنواع الزى، ويطالب بالاحتفال بالمناسبات التى علمته إياها أسرته أو وسطه الاجتماعى.

واختفاء مثل هذه النواحى وغيرها لدى الأطفال من جيل إلى آخر يعنى فشلا فى جزء من أجزاء التنشئة، وإذا كثرت نقاط الفشل فى أجزاء وأجزاء فإن التنشئة لا تكون قد حققت وظيفتها الثقافية، وربما أدى ذلك إلى انتهاء مجتمع قائم أو تحوله إلى مجتمع آخر.

٩ ـ السمو بحاجات الطفل :

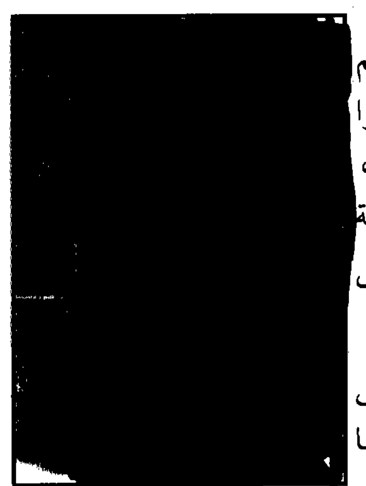
تصل التنشئة الاجتماعية بالأطفال إلى عدم غلبة بعض الحاجات البيولوجية مثل الطعام على اتباع أو الإتيان بسلوك حميد، ويشبع فقط الحاجات البيولوجية التى يرضى عنها المجتمع فى ضوء الضوابط المعمول بها مثل الحاجة إلى الجنس، ويرجئ بعض الحاجات فى الأوقات غير المناسبة.

١٠ ـ تعلم الطفل عدم الاتكالية :

إن السلوك الاتكالى يرتبط لدى الأمهات من الإفراط فى حماية أطفالهن، وهو ما لا تؤكد عليه التنشئة السوية، ويبدو هذا الإفراط فى اتباع الأنظمة الصارمة للتغذية والرضاعة والتشدد فى فطام الطفل، لأن ذلك يؤدى إلى إحباط الطفل الذى ينعكس بدوره على الميل إلى الاتكال على الغير.

ثالث عشر : الإخفاق في تنشئة الأطفال :

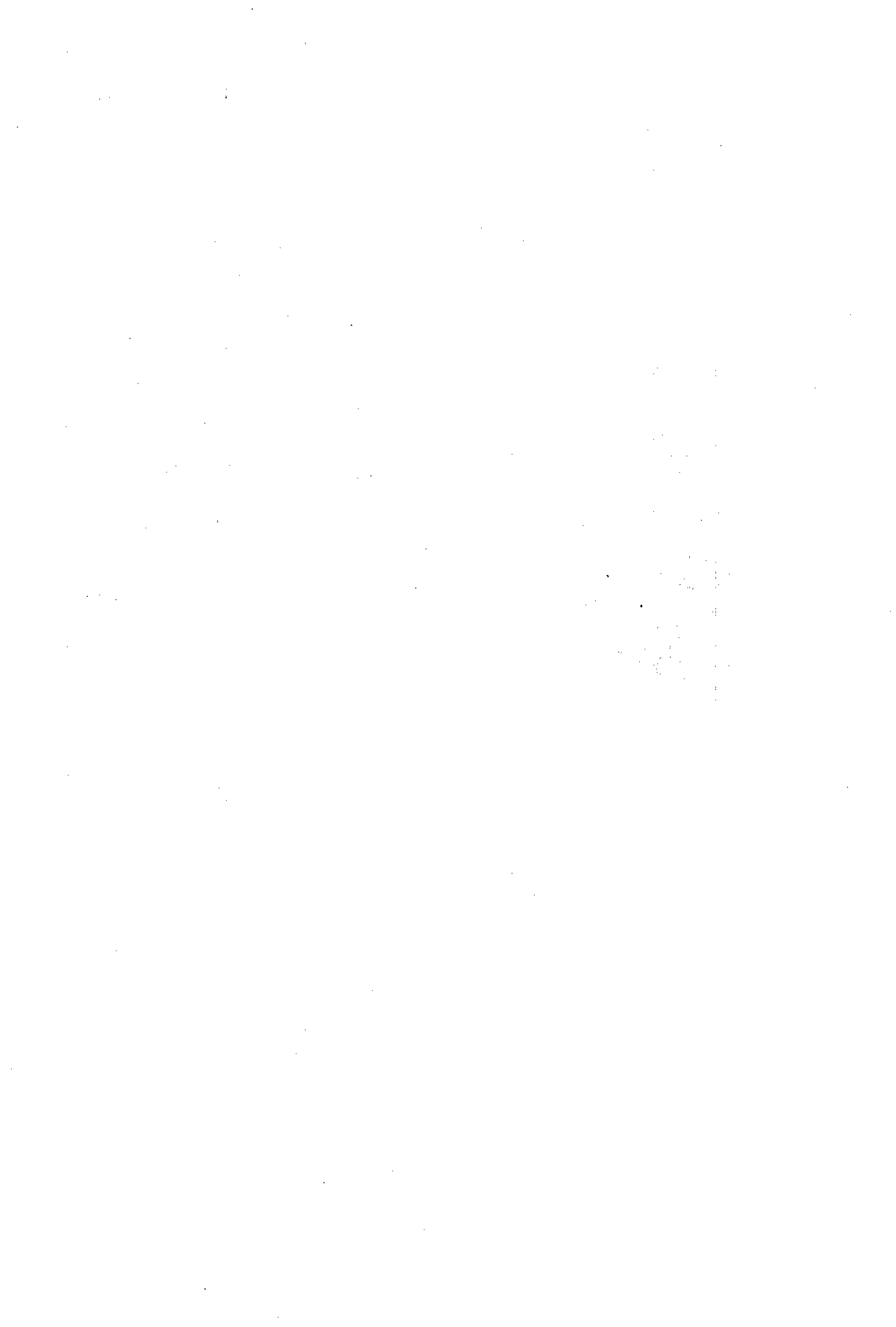
إن عملية التنشئة الاجتماعيــة هى أكبر الإنجازات، يؤدى الفشل فيها إلى أن يعيش الأفــراد حياة تعسـة فيها شـقاء مستـمر، إنهم يفتقـدون القدرة على التكيف ويعانون سوء التوافق Maladjustment ، ويضعون عراقيل فى طريق غيرهم، وربما نتج الدمار فى بعض الأحيان مثلما يحدث لبـعض المجتمعات. بل إن الحروب كما يشيـر عبـد الرحمن عيـسوى مـاهى إلا نتيجـة الفشل الذريع فى عـملية التنشـئة الاجتماعية فى المجتمعات.



وبسبب الإخفاق فى تنـشئة بعض الأفراد نجدهم أكثر عـرضة لأن يصابوا بالذهان Psychosis أو يدمنوا الكحول Alcohol Addiction أو إدمـان المخـــدرات، وربما سقطوا فى الجنوح Delinquency أو الجنسية المثلية Homosexuality أو اندرجوا تحت وطأة المـرض النفسى Neurosis .

وهناك مـجـتــمـعـات رغم تقـدمـهـا العلمى والتكنولوجى إلا أن انتـشار الأمور الـسابقة بين أبـنائها نسبته عالية، مثل المجتمع الأمريكى.

وأهم مـرحلة فى التنشئـة هى مرحلة الـطفولة، فـإذا آهمل الطفل فى بدء حياته، خرج فى الأغلب عن السائد والمعروف فى الجماعة، فاسد الأخلاق مرتكبا للأفعال الذميمة منحرفا وجانحا عن السواء.

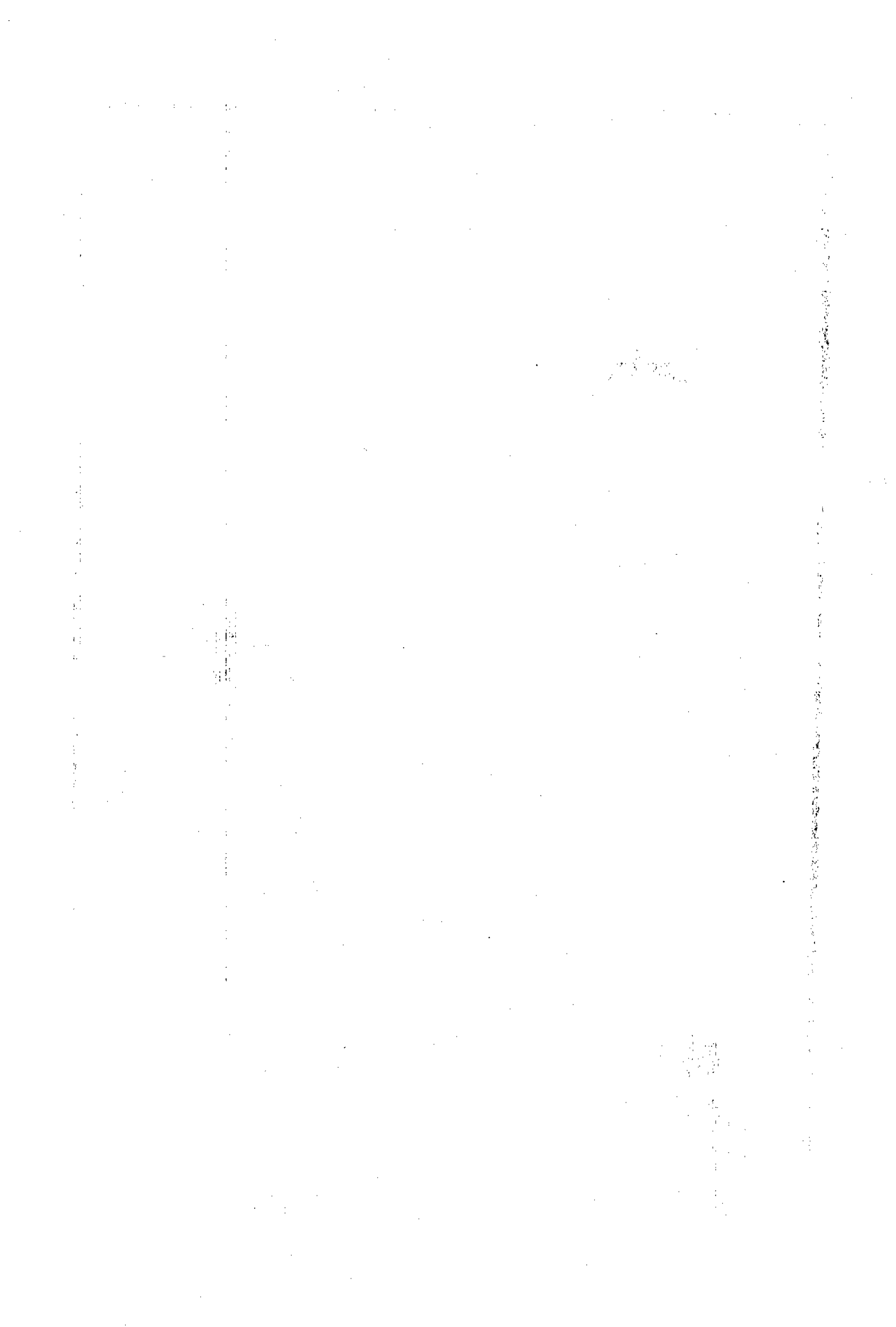


الفصل الثانى

دور الثقافة
فى تنشئة الأطفال







أولا : للثقافة معنى :

الثقافة هى مجموع ما يُتعلم وينقل من نشاط حركى وعادات وأفكار وقيم وتقاليد ومعتقدات واتجاهات وفكرة الصواب والخطأ وما ينشأ عن ذلك من سلوك ومشاعر وأنماط للعلاقات يشترك فيه أفراد المجتمع، كما أنها مجموع طرق ووسائل صنع الأشياء والتكنولوجيا المستخدمة فى ضوء القوانين والقواعد المنظمة والديانات المعتنقة.

ويتعلم الفرد عناصر الثقافة أثناء نموه الاجتماعى، أى منذ نعومة أظفاره من خلال تفاعله فى المواقف الاجتماعية. وتؤثر الثقافة فى تشكيل شخصية الصغير؛ ولذلك فهى تحدد سلوك الطفل الاجتماعى وحتى الكبير عن طريق عملية التطبيع الاجتماعى أو التنشئة الاجتماعية. فهى تبلور الأطفال وتشكلهم خلال مراحلهم المبكرة عن طريق نظم أولية Primary Institutions أو أعراف أولية مثل المتعلقة برضاعة الأطفال وفطامهم وتعليمهم ضبط عمليات الإخراج . . ونظم ثانوية Secondary Institutions.

فالثقافة نتاج إنسانى للتفاعل الاجتماعى والقبول الاجتماعى بين أفراد المجتمع الواحد، وتوافر أنماط اجتماعية عامة مرضية يستجيب الأفراد فى ضوئها لحاجاتهم البيولوجية والاجتماعية، وهى تنتقل من جيل إلى آخر، وهى ليست فطرية، وتعتمد فى وجودها واستمرارها على استمرار المجتمع، وإن كان هذا الوجود والاستمرار لا يتوقفان على وجود فرد بعينه أو جماعة بعينها على الرغم من أنها وسيلة للتماسك بين الأفراد فى مجتمع واحد.

إن الاستعدادات الممكنة التى تأتى مع الطفل لا تصبح واقعة إلا بعد تشربه الجزئى للثقافة التى ولد فيها، فهى توفر للطفل ما يؤمل أن يكون عليه. فالطفل فى بداية حياته يتقبل الثقافة التى ينشأ فيها مثل تقبله للهواء والماء.

والثقافة توفر للفرد وسائل إشبـاع حاجاته البيولوجية، فليس على الطفل أن يتـعلم فى بداية حـياته كـيف يجلب لنفـسه الدفء أو ينـقذ نفـسه من الجـوع أو العطش، أو يوفـر لنـفسـه الأمـن. إذ إن الأنماط التى توفـر هذه الأمـور الأوليـة وتوجهها توجد فى الثقافة ويتفاعل مـعها الفرد منذ طفولته. كما أنها توفر للطـفـل ـ منذ مولده حـتى يصبح كـهلا ـ المعـانى والمعايير التى تـوضح الأحداث هل هى طبيعيـة أم غير طبيعية؟ هل هى منطقيـة أم غير منطقية؟ هل هى جملية أم قـبيحة؟ هل هى هامة أم تافهة؟.

وتعتـبر الأسرة الوعاء الـثقافى الأول الذى ينشأ فـيه الأطفال، فـهى وسيط الثقافة الأولى لما يلى :

١ ـ ترعى الطفل أوليا فى الغذاء والنظافة والملبس . . . إلخ.

٢ ـ توجه الطفل للتعامل مع غيره من خلال مبادئ وأساسيات التعامل خذ ـ هات ـ أعط ـ اشكر . . . وهكذا.

٣ ـ تنقل التراث الثقـافى للطفل بتعريفه وتعليـمه وتلقينه العادات والتـقاليد التى يجب أن تراعى وأوقاتها ومناسباتها.

٤ ـ تسـاعـد الطفل فى تعلـم المبـادئ الأوليـة التى تسـاعـد على التـوافق الاجتماعى فى ضوء رغبات الآخرين وإمكاناتهم.

ولما كانت الأسرة هى الخلية الأولى فى المجـتمع، لذا فإن النمط الشائع بين أسر المجـتمع الواحـد يعكس ثقافـة ذلك المجتـمع. وتصبح الثـقافة السـائدة فى المجتمع لهـا دورها فى تشكيل شخصية الإنسان الذى نشـأ فيه، وينعكس ذلك من خلال عملية التنشـئة الاجتماعية التى ترسم الإطار العـام لسلوكيات الأفراد، وهذا ما جعل Mead تضفى أهمية دراسة المجتمعـات البدائية وغير البدائية لإعطاء صورة عن تأثيرات الثقافة السائدة على سلوك الأطفال، وهو الأمر الذى لم يغفله المؤلفان الحاليان.

ويشيـر ماهر عمـر إلى أن دور التفـاعل بين الأطفال الصغـار وبين الثقـافة المحـيطة بهم تفـسره النظـريات التطورية للمـعرفـة Cognitive - Development Theories على أنه يسهم إلـى حد كبـير فى تنشئـتهم الاجتمـاعـية المتعلقة بتحديد

أدوار الجنس Sex - Role التى يمارسونها بما يجعلها تتصف بالذكورة أو الأنوثة. ومن ثم يستنبط الطفل من هذه الثقافة نمطه السلوكى الذى يجده معمما على أفراد جنسه من الذكور إذا كان ذكرا، أو معمما على أفراد جنسه من الإناث إذا كانت أنثى.

وإذا كانت النظريات التطورية للمعرفة تركز بصورة أساسية على دور التفاعل الإيجابى بين الأطفال والثقافة السائدة فى دعم التنشئة الاجتماعية التى تحدد الأنماط السلوكية لأدوار الذكور منهم ولأدوار الإناث، فإن نظريات التقمص Identification Theories تربط التنشئة الاجتماعية لصغار الذكور بما يكتسبونه من سلوكيات نمطية لأدوار الرجال التى يقلدونها من النماذج الذكرية التى يلتقون بها أو يشاهدونها أو يقرءون عنها فى كل مرحلة من مراحلهم العمرية، ولاسيما مرحلتى الطفولة المبكرة والطفولة المتأخرة مثل الآباء والأقرباء والأصدقاء والزعماء والقادة والفرسان.. وغيرهم. كما تربط هذه النظريات (التقمص) التنشئة الاجتماعية لصغار الإناث بما يكتسبونه من سلوكيات نمطية لأدوار النساء التى يقلدنها

من النماذج الأنثوية فى مراحلهم العمرية المختلفة مثل الأمهات، والخالات والعمات والمدرسات . . وغيرهن.

أما نظريات التعلم الاجتماعى Social Learning Theories فتربط التنشئة الاجتماعية للأطفال بما يكتسبونه من سلوكيات نمطية لأدوار الرجال أو أدوار النساء، بناء على ما يتعلمونه من المحيطين بهم من وسائل الإعلام المنتشرة حولهم مستخدمين مبدأ التعزيز أو الدعم Reinforcement للسلوك النمطى الصحيح للدور الملائم لجنس الطفل ومبدأ الإطفاء للسلوك النمطى غير السليم للدور المخالف لجنس الطفل.

وسوف نعرف فيما يلى بعض النظم التى تختلف باختلاف الثقافات والمجتمعات، وربما باختلاف الطبقات داخل نفس المجتمع. وسوف نقسمها إلى نظم أولية ونظم ثانوية :

ثانيا : نظم تشكيل الأطفال تبعا للثقافة :

١ ـ النظم الأولية :

أ ـ نظام الرضاعة :

إن الأم بتنظيمها عملية الرضاعة للطفل تمهد لإعداده لنظام التغذية المتبع فى الثقافة التى تعيش فيها، إن هناك معايير اجتماعية تتصل بتغذية الطفل تختلف باختلاف الثقافات من حيث درجة تشدد الجماعة فى إلزام الطفل الناشئ بها عند التطبيع. مثلا إن الطفل يعتمد على ثدى الأم لمدة أطول من الغذاء الصناعى أو العكس، أو إن الطفل يعتمد على ثدى الأم لفترة قليلة جدا خشية التأثير على رشاقتها وجسدها.

وربما يختلف الأمر داخل الثقافة الواحدة باختلاف الطبقة الاجتماعية والحضارية، فبينما نجد الأم فى الريف المصرى تحافظ على رعاية عملية غذاء الطفل عن طريق الثدى نجد الأم فى المدينة تتعجل عادة تقديم الرضاعة الصناعية.

ولا تقتصر أهمية الرضاعة على مجرد إطعام الطفل، بل يحس الطفل أثناء الرضاعة بالحب والعطف والطمأنينة والتمتع بعملية المص فى فترة مبكرة والتى تنعكس آثارها على إقبال الأطفال على مص أصابعهم فى حالة عدم إتاحة فرص

كـافيـة لهم للامـتصـاص من ثدى الأم، وعلى أى حـال فإن الأطفـال الذين تقل فرصتهم فى الرضاعة الطبيعية أو الصناعية غالبا يزداد ميلهم فيما بعد لمص الأصابع بالإضافة إلي مشكلات أخرى.

ب ـ نظام الفطام :

تختلف الثقافات فيما بينـها فى توقيت عملية الفطام، وكذا الطريقة التى تتم بها هذه العملية، فبينما تتم بقسوة فى بعض المجـتمعات نجدها فى مجتمعات أخرى يبدو فـيهـا اللين، وإن كانت الثـقافـات كلها تمهـد للأمر بإطعـام الطفل بمواد لينة وإعطائه السوائل والعصائر.

فهناك ثقافـات تهجر فيهـا الأم طفلها بضعة أيام حتى يتـعود فراق ثدى الأم بينما نجد ثقافات تتخذ من الصبار أو المر دهانا لثدى الأم لتنفير الطفل فى حين نجد ثقافات تستخدم الشطة أو الفلفل.

وعلى أى حال فـالقسوة فى عمليـة الفطام لها آثار سلبيـة على البناء النفسى للطفل، وليس غريبا أن يعانى الطفل عقب تلك القسوة من قلق دائم.

كما أن الحرمـان المبكر للأطفال من ثدى الأم يجعلهم يقتربون مسـتقبلا من الاتصاف بالبـخل والحنين الدائم للأم أو بديل لها، بينمـا الحرمان المتأخـر يجعلهم يقتربون مستقبلا من الاتصاف بالشجاعة والكرم والميول الاجتماعية.

جـ ـ نظام الإخراج.

تختلف الثقافات فى السن التى تبدأ فيها عملية تعويد الطفل ضبط الإخراج، فبينمـا نجد بعض الثقافات تهتم بهـذه العملية وبحرص شديد فى عمـر مبكر، نجد ثقافات أخرى تتدرج فى هذا الحرص وربما لا تعتنى بالأمر.

إن الخبرات الصدمية المبكرة المتبعة فى ضبط الطفل لإخراج الفضلات تؤدى إلى مـا عرف بتـشكيل الخلق الـشرجى الذى يتـبـدى فى مظاهر الميل إلى البـخل والمبالغـة فى النظام والنظافة والدقـة، كما أن القـسوة فى التـدريب على الإخراج تؤدى إلى النزعة العدوانية والميل إلى المبالغة Exaggeration.

وتشيـر البحوث إلى أن التـدريب على الإخراج يمكن أن يتم بيـسر، ودون ردود فعل سيئة إذا كـان الطفل متقدما فى السن بصورة تسمح له بفـهم التعليمات المناسبة، ولا يمكن أن يتم ذلك بسهولة قبل عمر السنة والنصف.

د ـ تعديل العادات الجنسية :

تختلف الثقافات فى بعض النواحى المتعلقة بالجنس، وتختلف فى مقدار التسامح فى هذا الأمر عند تنشئة الأطفال.

ففى ثقافتنا العربية نعود الأطفال على ستر العورة فى سن مبكرة وخاصة فى الطبقة المتوسطة والعليا، كما نلزم الطفل بأداء التخلص من فضلاته فى أماكن محددة أو بشروط محددة.

وفى الوقت الذى نجد فيه ثقافتنا تحيط الجنس بجو شبه غامض أمام الأطفال نجد ثقافات أخرى ربما تنبه له، وربما تقدم مقررات وبرامج تربوية للأطفال الأكبر سنا. وإن كان أغلب علماء الشعوب يعترفون بضرورة تعديل الميول والغرائز وخاصة الجنسية لضمان النظام الاجتماعى.

وفى الوقت الذى نجد فيه المجتمعات الإسلامية تفرق بين البنين والبنات فى المجتمع وفى المضاجع فى سن محددة، نجد مجتمعات أخرى لا تعير الأمر أى اهتمام، وهذا ما سوف يبدو لنا بوضوح عند استعراض نماذج من طرق المجتمعات فى التنشئة للأطفال.

هـ ـ اللعب والثقافة :

الألعاب جزء من ثقافة الناس وأسلوب حياتهم العام، وتمدنا الدراسة الدقيقة للألعاب ببعض الاستبصارات عن نوع الثقافة.

وللألعاب وظيفتان بجانب أنها تخلص الإنسان من الملل. فهى تمثل طريقة لتعليم الأطفال وحتى الكبار بعض الطرق للقيام بالأشياء المهمة، وهى تقدم كذلك نوعا من العلاج، حيث إنها تسمح للشخص الواقع فى نوع ما من الصراع الثقافى أن يعيش فترة فى عالم خيالى أسهل تتجنب النماذج التعبيرية فيه ذلك العالم الحقيقى الذى يزعجه.

ويذكر Lambert أن John Roberts وزميل له أن :

- ابتداع ألعاب إستراتيجية مثل البوكر أو المونوبولى أو الشطرنج التى تمنح فرصة تجربة اتجاه الأمل فى النجاح من خلال اتخاذ قرارات ذكية، يتصل بالضغط العامل على إيجاد الطاعة فى عملية التنشئة الاجتماعية.

- ألعاب الحظ مثل الروليت أو البنجو أو السلم والثعبان ترتبط بالتدريب على المسئولية.
- ألعاب المهارة الجسدية مثل المطاردة والتسابق بالأقدام أو السباحة تنشأ أو تفضل حينما تكون الضغوط نحو الإنجاز عالية.

ومما هو جدير بالملاحظة أيضا من وجهة نظر عبر ثقافية أنه حيثما توجد أنواع عديدة من الألعاب فى المجتمع يوجد قلق بشأن الأداء الإنجازى. وباختصار فإن ثقافة الألعاب فى المجتمع تمنح الأفراد فرصا للتخفيف من القلق بشأن سلوكهم الإنجازى (لأن الربح أو الخسارة فى اللعبة ليس له أى ناتج غير تخفيض القلق)، بينما تعمل فى نفس الوقت على تدريب اللاعبين على عمليات التنافس نفسها.

وتتخذ الألعاب أشكالا معقدة لدرجة تصبح فى الظاهر على الأقل مخالفة لفعاليتها الأصلية مثل البهجة والسرور وغيرها، كما نلاحظ ذلك فى ألعاب القمار، وهو ما توافق على ممارسته بعض المجتمعات والبيئات وتحرمه بيئات أخرى.

والطفل إذا كان يريد أن يلعب فلأنه يريد أن يلهو ويمرح، ولكن هذا لا يمنع من تحقيق بعض الأغراض الجدية عن طريق اللعب، كما لا يمنع من أن تكون متعة اللهو غير ظاهرة مباشرة على الطفل ذاته لأنه يمارس اللعب بكامل الجدية. وإننا نحدث خلطا في الوقت الذي نحاول فيه أن نقطع على الطفل لعبه لشأن من الشئون، حيث يظهر تذمره الشديد، وقلما فهمنا سبب ذلك، إنه جدية الطفل فى لعبه فوق كل الأسباب.

وإذا نظرنا إلى ما يمارسه الطفل من الألعاب داخل الأسرة وما يرتبط بها من إعداد وتمرين للقدرات والمهارات أو تنفيس عن الصراعات أو القلق، فهو أيضا له دوره فى تكوين حب النظام المتمثل فى وضع الأشياء وضعا معينا فى الزمان أو المكان بناء على قواعد، وإتمام هذا النظام يصحبه شعور بالانسجام وإدراك له. وميل الطفل إلى النظام عملية تثقيفية اجتماعية تسربت بوادرها من هندسة المبانى والأثاث والملابس..، وهذا ما يجعل النظام لا يبتعد عن المعنى المطلق وإنما هو نظام البيئة الاجتماعية الكبيرة التى يحيا فيها الطفل، فالطفل هنا يحاكى نظام البيئة من أبنية (يبنى كوم أو هرم من الرمل) ومناسبات (تطلق الطفلة مجتهدة الزغاريد للعبتها الصغيرة فى لعبة عروسة وعريس) ومواقف (تمسك الطفلة عصا وطباشير حينما تلعب مع الأطفال دور المدرسة).

وتظهر هـذه العوامل الاجتـماعـية المؤثرة فى حب الطفل للنـظام من خلال الألعاب المناسـبة للزمان والمكان، فـهى تختلف باختـلاف البيئـات الاجتماعـية بل تختلف باختلاف الطبقات داخل المجتمع الواحد.

حقـا إن هناك ألعابا تتشابه بين الأطفـال فى جميع أنحـاء العالم، ولكننا لا نرى فى هذا ما يعارض هذه النسبية ولا ما يدعـو إلى افتراض أنها تبعا لذلك ألعاب بالفطرة. فنحن نرى فيها مجرد تشابه من جهـة، ومن جهة أخرى فإن تشابه البشر فى القدرات والإمكانات العقليـة لمكونات مع اتصالية الحضارات كفيل بتـوضيحه. والملاحظ أن الطفل يصـاحبه الخـجل عندما يخـرج عن قانون اللعـب أو لا يحقق النجاح المناسب فيها وربما يعيّره غيره من الأطفال، وإنه يتقبل الجزاء وهذا ما يدعو إلى التساؤل عن هذه الطاعة لقانون اللعب وعن الداعى إليها.

إن اللعب لا يحظى لدى كثيرا من البيئـات العربية عموما، وأغلب العائلات المصرية خصوصا بالاهتمام اللازم، وذلك نتيجة تصور ضمنى يحمله كثير من الآباء المصريين للعـب على أنه نـشاط ثانوى على الأقل، وأن الطفل الجدى البعـيد عن اللعب هو المثالى، فـعن طريق تصرف الآباء والأمهات بوحى من هذا الـتصور فى علاقتهم بالطفل، يتكون لديه تناقض وجدانى بين مـيوله الطبيعية إلى اللعب وبين إرضـاء رغبـة الكبار فى أن يـروه مقلعـا عن اللعب أو مـقلا منه بقـدر الإمكان، منصرفا إلى الأمـور الجدية، بالإضافة إلى رغبتـه فى أن يكون مثل هؤلاء الكبار، مندمجا فى منظومة علاقاتهم.

وإنا لنشاهد بين وقت وآخر كثيرا من الأسر العربية تقارن بين الأطفال بقولهم: «ذاك الطفل هادئ مجد أما أخوه فـعقله فى اللعب والجرى». إن الإيحاء هنا قوى التأثير فى جعل أحد الطفلين يمـعن فى هدوئه وانصرافه عن اللعب للحصول على مثل هذا الإطراء، وجـعل الطفل الآخر يكون صورة غـير صالحة عن نفـسه وعن اللهو واللعب. وكلتا الحالتين تساهم فى تكوين مفهوم لذات الطفل غير سوية.

إن الاعتراف بمشروعـية اللعب للطفل، لا ينفصل عن الاعتراف باسـتقلالية شخصيته، وحقه، وحريته. إن هذه الظاهرة المتمثلة فى عدم الاعتراف بحق الطفل فى اللعب تظهـر فى التسلطيـة التى يقطع بها الآباء على أطـفالهم ممارسة ألـعابهم لقضـاء أمر من الأمور التى يرونهـا جدية، وما يبـديه الآباء فى نهى الطفل، وربما يفاجئه أحد الآباء وكأنه متلبس.

حقا إننا ربما نلاحظ مع ذلك فى بعض العائلات ذات المستويات الثقافية منحهم حق الطفل ببعض حرية اللعب وبخاصة مع طفولته المبكرة، ولكن كلما أصبح الطفل أكبر عمرا، قل نصيبه فى الحصول على هذا الحق. كما أن معظم الأسر المصرية فقيرة من اللعب، وما يمارسه الأطفال من الألعاب إنما هو من قبيل تركه لشأنه يفعل ما يشاء، عندما تصبح الظروف مناسبة من وجهة نظر الآباء، أى عندما لا يكون هناك خطر من تكسير أو إحداث ضجة أو صياح أو نزاع، وبالتالى عندما يكون لعب الأطفال جميلا كتحرك السلحفاة أو تنقل العصافير داخل قفص صغير من السلك، هادئا يمثل سلوك الكسالى لا حركات الشياطين.

وسواء لعب الأطفال لعب الملائكة أو لعب العفاريت فليس فى معظم البيوت المصرية وسائل أو أدوات للعب، لأن أهم دور فى الأسرة هو توفير المأكل والمشرب والملبس وتأديب الأبناء وعقابهم إذا لزم الأمر لا إتاحة جو للعب أو المرح كما هو موجود فى مجتمعات أخرى. وحتى إن توافر اللعب فإن مبدأ عدم الاعتراف بحرية الطفل وحقه فى اللعب بها مرفوض إلى حد ما، والأجدى من وجهة نظر الآباء النظر إلى هذه اللعب وهى مرتبة أو مرصوصة فى جوانب من صالات الاستقبال أو فى مكان بحيث لا يتمكن الطفل من الوصول إليها خوفا عليها من الكسر وليس خشية على الطفل من الشعور بالإحباط.

إن تنشئة الأطفال مرتبطة فى جزء كبير منها بما يمارس من ألعاب فى المنزل، وبمقدار ما يشارك به الآباء أطفالهم فى اللعب وهم صغار، وما يعطونه من وقت معهم ليصبحوا أعضاء فى اللعبة، ولا تكتمل التنشئة السوية فى حرمان الطفل من هذا الجانب أو ممارسة اللعب خفية وتسترا.

و - التدريب على الاستقلالية :

تختلف الثقافات فيما بينها فى مدى الشدة واللين المستخدم لتعويد الأطفال على ممارسة أمورهم وألعابهم والمشاركة فى بعض الأمور.

وقد اتضح أن سلوك الاعتمادية والاتكال عند الأطفال يرتبط بالتشدد فى فطام الطفل واتباع نظام محدد فى تغذيته، كما أن الإحباط الذى يعانيه الأطفال مثلما يحدث أثناء اختيار الأشياء أو اللعب يؤدى إلى ميل متزايد من الاتكالية على العير

كما أن من عـوارض الإفراط فى حب الطفل وتدليله أن ينشأ طفـيليا، عالة على غيره.

فى الشعوب الإسلامية والتى تتخذ من الدين قانونا مستمرا، ينهى الدين عن الاعتماد على الغير ويظهر المسئولية الفردية، ويحذر من هذه الصفة الذميمة. وفى هذا الصدد يقول الإمام على بن الحسين عليه السلام : «رأيت الخير كله قد اجتمع فى قطع الطمع عـما فى أيدى الناس»، كـما أن انتظار ما فى أيـدى الناس أساس الحرمان المادى، ويسبـب الذل والهوان عند الله وفى أنظار الناس، وفى ذلك يقول أبو عبد الله عليه السلام : «اليأس مما فى أيدى الناس عزٌّ للمؤمن».

ويقـول الله تعالى فـى كتـابه الحكيم فى سـورة الطور آية ٢١ : **﴿والذين آمنوا واتّبعتْهم ذريّتُهم بإيمانٍ ألحقنا بهم ذريّتَهم وما ألَتْناهم من عملهم من شىء كل امرئٍ بما كسب رهينٌ﴾**.

ولقد وجدت علاقـة ضعيفة بين سلوك الاعتـمادية لدى الأفراد وهم أطفال فى عمر ثلاث سـنوات ودرجاتهم فى سلوك الاعتمـادية حينما أصبـحوا راشدين، كما أن الأطفال المعـتمدين فى عمر ٦ سنوات أميل لأن يكونوا سلبيين ومـعتمدين فى الرشد.

والبنات أكثر اسـتقرارا فى سلوك الاعتـمادية مقارنة بالذكور، بـينما الذكور أكثر استقرارا فى سلوك تأكيد الاستقلال. وتؤكد على ذلك Maccoby مشيرة إلى أن هناك اتساقا فى سلوك الاعتمادية علـى الغير عند الإناث خلال المراحل العمرية المختلفة مـقارنة بالذكور. كما تختلـف درجـة الاعتمادية عند الأطفال الأكـبر وفقا لاختلاف التعزيز والعقاب الذى يتبعه الوالدان والمحيطون بالطفل.

وقد دلت البـحوث على أن السلوك الاتكالـى عند الأطفال يرتبط إيجـابيا بما لدى بعض الأمـهات من ميل إلـى الإفراط فى الحمـاية لأطفالهم، وهذا يخـتلف باختلاف المجتمـعات وثقافتها. والثقافـة تنقل هذا السلوك من جيل إلى جيل مثله مثل أنواع أخرى من السلوك.

ز ـ التدريب على العدوان :

على الرغم من أن كثيرا من الآباء والمعلمين فى أغلب الثقافات يذمون السلوك العدوانى إلا أن هذا السلوك شائع عند الأطفال فى الثقافات المختلفة وبدرجات وأساليب متفاوتة .

ومن الأمور الشائعة فى مجال العدوان كسلوك، أنه يُسبق بإحباط غالبا، وقد عرض Dollard وزملاؤه فى كتابهم الشهير Frustration and Aggression العلاقة بين العدوان والإحباط. وبالرغم من ذلك فإن العلاقة رغم وجودها فى أحوال كثيرة إلا أنها غير مؤكدة من حالات أخرى كما سبق أن ذكرنا.

إن هناك آباء فى ثقافات معينة يحاولون عمدا تعليم أطفالهم الذكور وخاصة ممارسة العدوان من قبيل الدفاع عن النفس، وربما لتصورهم كى يصبحوا رجالا أشداء فى المستقبل.

كما أن سلوك الوالدين المتبع فى وقف المنازعات الشائع بين الأطفال ربما أسهم بطرق مباشرة أو غير مباشرة فى تنمية العدوان. فالوالدان اللذان يستخدمان العقاب البدنى بأسلوب متطرف يميل أطفالهم إلى أن يكونوا عدوانيين. وتعد دراسة Patterson ذات أهمية خاصة فى هذا المجال، فقد تبين اختلاف بيئات أو ثقافات أسر الأطفال العدوانيين عن الأطفال العاديين.

إن الطفل الأمريكى مثلا حينما يكون قد اقترب من المراهقة يكون قد شاهد ما يقرب من ١٣٠٠٠ حالة قتل خلال برامج تلفزيونية، وهو أمر لا يصل إليه الطفل العربى، وإن كانت الدلائل تشير إلى إمكانية انتقال تأثير مثل هذه النماذج العدوانية بعد انتشار الأطباق الفضائية المعروفة بـ Dish.

إن الثقافة تنقل هذا السلوك بين الأجيال، وربما حدث نوع من الاطراد فيه.

٢ ـ النظم الثانوية :

وتتمثل فى النظم الاجتماعية التى تشكلها جملة الأفعال والأفكار التى يجدها الأفراد أمامهم جاهزة ومفروضة عليهم، وقد يتجاوز عليها بعض الثوار أو المفكرين والمصلحين ويغيرونها ويجددونها، فإذا حدث التغيير فى هذه النظم وأثبت

فعاليته يصبح الجديد مفروضا على هؤلاء المجددين وبقية أفراد المجتمع والأجيال المتعاقبة إلى أن يأتى ثوار جدد.

وفيما يلى سوف نعرض لأهم النظم الاجتماعية :

أ- نظام الاقتصاد :

تتميز الحياة الاقتصادية لكل بيئة اجتماعية بنوعية خاصة، بناء على طبيعة ما تنتجه وما تستهلكه فى ضوء كونها زراعية أو صناعية.

والطفل الذى يربى فى ظل حياة اقتصادية زراعية أو صناعية مثلا يتأثر بها، بناء على الوضع الذى هى عليه من حيث الكم والكيف ومن حيث القوانين المنظمة والمبادئ المعمول بها مثل :

(١) مبدأ توزيع الثروة :

وأول ما يحدده هذا المبدأ درجة الغنى والفقر التى تكون عليه أسرة الطفل فى ضوء كسب قوت حياة الأسرة بالجهد الشاق أو الجهد المعتدل فى ضوء الآفاق السهلة أو المعقدة العسيرة للغنى.

وهذا يؤثر فيما يمكن أن يوفر من غذاء وملبس وتعليم ومستوى ذلك الذى توفره. ولا تؤثر درجة الغنى والفقر فيما ذكرناه، بل فى درجة حرمانه من عواطف الأم. ففى الظروف الصعبة ربما اضطرت الأمهات إلى ترك أطفالهن لساعات أو طوال اليوم للعمل خارج المنزل من أجل توفير ما يسد رمق الأسرة أو أكثر بقليل.

وتحت هذا الوضع وعند إحساس الطفل به، تتكون بذور الكراهية والنفور من بعض فئات المجتمع المحظوظة، وتنمو بذور احتقار النفس والشعور بالنقص.

وربما قال البعض إن أمامنا بعض الحالات التى كانت على شكل أطفال محرومين تمكنوا بجهودهم أن ينجحوا ويحصلوا على الثروة، ولكن ذلك لا يستتبعه بالضرورة سلامة البناء النفسى لأغلبهم، فضلا عن شخصيته البخيلة الشرسة. إن من المعروف أن أبناء الفقراء يدركون وحدة النقود فى مجتمعهم أكبر من حجمها بالنسبة لغيرهم من الأطفال الأغنياء.

(٢) مبدأ السياسة الاقتصادية :

إننا أمام ثلاثة منطلقات لهذه السياسة، إما سياسة ليبرالية مفتوحة أو سياسة موجهة أو سياسة معتدلة بينهما. والنظام المعمول به يجعل الأفراد منذ أن كانوا أطفالا يشعرون بمستوى المسئولية الاجتماعية أو الفردية التى يتحملونها أو التى يجب أن تكون على عاتقهم.

(٣) دور الطفل كمنتج :

ينتهى مبدأ توزيع الثروة ومبدأ السياسة الاقتصادية بتحديد دور كل فرد فى الإنتاج. وهذا الدور يجعل الفرد يشعر بذاته وأهميتها وفعاليتها إزاء نفسه وإزاء الآخرين من أبناء مجتمعه، وحتى وإن كان الفرد صغيرا، فهناك من الأطفال من يشعرون بانعدام أهميتهم نتيجة وجودهم حتى فترة المراهقة غير مؤهلين لشىء. إن ذلك نتيجة المبادئ التى اعتنقتها مدارس الصغار القائمة على أن مرحلة الطفولة كلها فترة إعداد وليست فترة إنتاج ولو بسيطا.

إننا نلاحظ أطفال الريف أو البدو يمارسون أعمال الزراعة أو الرعى منذ سن ٦ سنوات أو أقل أو أكثر بقليل، ويشعر هؤلاء الأطفال بمسئولياتهم كاملة، فى الوقت الذى نجد نظائرهم من الأطفال فى المدينة يبقون غير مدركين لأمور الحياة حتى فترة المراهقة.

والنظام الاقتصادى فى المجتمع الذى يقوم على جهود أحد الجنسين يجعل الجنس الآخر يعانى من الاغتراب Alienation ، إن العامل الاقتصادى المبنى على دور كل من الذكر والأنثى فى الإنتاج هو الذى يؤدى إلى تطوير بنية الأسرة من سيادة المرأة إلى سيادة الرجل، أو إلى التعاون بينهما، كما نشاهد اليوم فى أغلب الأسر فى الدول المتقدمة أو بعض طبقات المجتمع المصري.

ب ـ نظام السياسة :

من المعروف أن البيئة الاجتماعية العامة ترتبط بقيام السلطة، ومع تطور وتعقد الحياة الاجتماعية تتعقد نظم قيام السلطة. والنظام السياسى يطبع الحياة العامة للأفراد بطابع مميز فى المنزل والشارع والمدرسة، ونتيجة لوجود الطفل فى هذه الأماكن لأوقات ليست بالقصيرة؛ يمارس أهل الطفل والطفل نفسه بعض الحقوق السياسية التى ينشأ فيها ويتنشأ عليها.

فالنظام السياسى الاستبدادى يقلل من وجود المصانع المشتركة بين أفراد المجتمع عن طريق ما يلقيه فى نفوسهم من خوف ورعب، والطفل الذى يترعرع فى ظل نظام من هذا النوع يهيأ لأن يكون انطوائيا وأنانيا.

والطفل الذى يترعرع فى مجتمع ديمقراطى، يجد أمامه العلاقات اليومية التى تنعكس عليه آثارها المتمثلة فى الاعتزاز بالنفس وبالمجتمع وأفراده.

فالطفل الذى يشاهد مراسم اختيار رئيس دولته وما يسبقها من حرية فى اختيار الزعيم، ويعيش ظروف الكشف عن قضية مثل قضية وترجيت أو تطرفات سابقة للرئيس الأمريكى كلينتون . . . وكيف تتخذ فيها الإجراءات القانونية . . يرى كيف أن منصب الرئاسة لا يحمى صاحبه من الاتهامات له أو لكبار المساعدين. . وينمو هذا الطفل واثقا من نفسه معتزا برأيه وغير خائف من قول ما يرى ورؤية آثار ما يقول . . يرى حق الانتقاد . . فى الوقت الذى نرى فيه غيره من الأطفال الذين نموا فى ظل أنظمة نارية . . تطبق المثل القائل «من له ظهر لا يضرب على بطنه».

إن المجتمعات المتقدمة تختلف أيضا فى مستويات سياستها ونظمها، ومثال ذلك ما نلاحظه من تفتح أمريكى مقابل تحفظ إنجليزى عندما يعرض Allport مثاله عن سفينة الركاب الأمريكية التى تسمح للأطفال والكلاب بالتجوال فيها بحرية بينما لا يسمح فى الباخرة الإنجليزية للأطفال بدخول الصالونات وبعض المرافق.

جـ- نظام القضاء والدين :

هذا النظام يتمم نظام السياسة، ويتوقف عليه حقوق الأفراد، فالنظام القضائى والدين يدعم نظام السياسة، ومن المعروف أن «العدل أساس الملك». وهذا العدل هو تساوى الأفراد أمام القانون وتجرد القاضى عن الأغراض وكل سلطة يمكن أن تتدخل فى أحكامه إلا القانون والدين.

فالطفل الذى ينشأ فى مجتمع عادل فى قوانينه وشرائعه عند اتخاذ القواعد أو التطبيق والتنفيذ لها يهيأ لحب العدالة واحترام الغير، والطفل يتشرب كل ذلك فى علاقته بأفراد الأسرة والرفاق فى المدرسة.

إلا أن ما يعتبر عدلا فى بعض الأمور فى مجتمع ما ربما كان ظلما فى مجتمع آخر، فهناك مجتمعات قائمة على التمييز العنصرى أو على التمييز بين

الذكور والإناث. فأنظمتها فى ضوء قوانينها وتعاليمها عادلة، وفى عرف ثقافات أخرى تعد ظلما فادحا. وهذا لا يجعلنا ننسى المبادئ العامة التى لا يمكن أن تقوم عدالة بدونها مثل احترام الإنسان وعدم استغلاله، أو التقليل من كرامته.

فمثلا فى الدين الإسلامى لا تعد تربية الأطفال تربية صحيحة واجبا وطنيا وإنسانيا فحسب، بل إنها فريضة روحية مقدسة، وواجب شرعى لا يمكن الإفلات منه. لقد وجدنا فى هذا الحديث أن الإمام زين العابدين عليه السلام يصرِّح بمسئولية الأبوين فى تربية الطفل، ويعتبر التنشئة الروحية والتنمية الخلقية لمواهب الأطفال واجبا دينيا يستوجب أجرا وثوابا من الله تعالى، وإن التقصير فى ذلك يعرض الآباء إلى العقاب.

يقول الإمام الصادق عليه السلام : «وتجب للولد على والده ثلاث خصال : اختياره لوالدته، وتحسين اسمه، والمبالغة فى تأديبه».

ويذكر على عبد الواحد وافى أن Linton درس ثقافتين تتميزان أساسا بنظم دينية مختلفة فى درجة التسامح والتشدد إحداهما بجزر المركيز والثانية بجزر تانالاس بمدغشقر. فالأولى تتميز بديانة متسامحة لا تثير الخوف والرعب فى الأطفال، والثانية تتميز بالشدة والصرامة فى الأمور الدينية. وقدْ وُجد اختلاف بين نمطى الشخصيات للأطفال فى الديانتين. وفى الديانة الطوطمية يتضح كيف أن عواطف الطفل فى مجتمعاتها تتجه إلى الحيوان والنبات لتتبلور حوله فتحبه وتقدسه، مما يدل على قوة العاطفة الدينية وأثرها على تنشئة الأطفال. فالأفكار الدينية يتأثر بها الطفل لأنها تزرع فى نفسه الحب والإيمان، وربما الرعب والخوف وربما من هذا الجنس (رجل) أو ذاك (امرأة)، فيتهيأ الطفل إلى إقامة علاقات مع أفراد وينفتح على موضوعات وينغلق على أخرى من خلال سلوك عملى، فتُنمى روح التضحية بما لا يضحى به فى الظروف العادية، وتطبعه بالتسامح أو التشدد وتهيئه على النحو الذى يجب أن يترجم عليه حوادث العالم المحيط به.

د ـ نظام العائلة :

ويتمثل فى القواعد التى تخضع لها الأسرة عند تكوينها ووظائفها وعلاقة أفرادها بعضهم ببعض، من زواج، وطلاق، وحضانة، ونفقة، وواجبات،

وميراث . . ويرتبط ذلك بدرجة أو بأخرى بالدين والقانون باختلاف المجتمعات. فالطفل يتأثر فى تكوينه بالعلاقة بين الوالدين، ويتأثر بمن يتصل بالأسرة من أقارب ومدى أهميتهم طبقا لطبيعة المجتمع، فبعض المجتمعات يأخذ فيها العم أو الخال الأهمية الكبرى لدرجة أن عقدة أوديب تتجه إلى العم أو الخال لما لهم من سلطة حقيقية فى الأسرة خولّها نظام العائلة المعمول به فى ذلك المجتمع.

وهناك نظم عائلية تبيح الطلاق فى الوقت الذى تحرمه نظم أخرى أو تمنعه، ولذلك آثاره على الأطفال فى ضوء الرابطة بين الوالدين وإيجابياتها وسلبياتها.

وتتضمن النظم العائلية حضانة الأطفال ومن يقوم بها. فالعرب قديما فى مكة المكرمة كانوا يوكلون أبناءهم إلى مرضعات، وكون الطفل يحمل اسم أبيه ولا يحمل اسم أمه، وتفاوت نصيب كل من الذكر والأنثى فى الميراث . . كل ذلك يهيئ تنشئة مختلفة عموما باختلاف الثقافة وأيضا باختلاف الجنسين.

وكذا تعدد الزوجات أو الأزواج والمحارم وغيرها، تعد نظما عائلية تختلف باختلاف المجتمعات وباختلاف الديانات المعتنقة، وتبلور عواطف الأطفال الناشئين فى اتجاهات معينة، فتحدد له موضوعات حبه وكيفية التعبير عن هذه العاطفة . . كما تحدد له أعداءه الذين يمكن أن يكونوا موضوع كراهية باعتبارهم يخرجون عن النظام العائلى المعروف له.

هـ ـ نظام الأخلاق :

الأخلاق عبارة عن جملة من القواعد التى يلتزم بها الفرد مع غيره، وتحدد المبادئ التى يقيمون على أساسها علاقاتهم والمعايير التى يستندون عليها فى اتخاذ القرارات من حيث هى خير أو شر، فضيلة أو رذيلة كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وهذه القواعد ثمرة تفاعل نظام القضاء والدين والعائلة وحتى النظام السياسى . . بالإضافة إلى التقاليد والأعراف، وبطبيعة الحال تختلف من بيئة إلى أخرى.

وعن طريق مفهوم «العيب» و«الحشمة» و«الالتزام» تتسرب الأخلاق إلى الطفل عبر أسرته ومدرسته وقبلها روضته. ومن هنا يتكون الضمير أو الأنا الأعلى

بلغة فرويد، وتتكون منظومة القيم الأخلاقية مصاحبة مشاعر الاستحسان والإقبال نحو موضوعات، ومشاعر النفور والاستهجان نحو موضوعات أخرى.

وبالنسبة للأطفال الصغار فى مرحلتهم المبكرة تتركز المسألة الأخلاقية حول مناطق الإخراج بصفة خاصة، وتجد كلمة «عيب» صداها إذا تعرى جزء من جسم الطفل ثم إذا تحدث بكلمة جارحة أو إذا استخدم أو لمس أشياء معينة، ثم تتسع المسألة إلى أن يصل الطفل إلى مرحلة يستطيع فيها أن يقيس ما لم يُمنع على ما مُنِع . . إلى أن يصل الكبير فى الدين الإسلامى إلى أن البر حسن الخلق.

ويبدو تأثير النظام الأخلاقى على الصغير فى مرحلة مبكرة من عمره مع بدايات تدريبه على الإخراج والأكل والكلام . . وهذا ما يجعل أثرها أقوى وأطول فى المدى.

و ـ النظام الفني الجمالي :

إن عناصر الفن والجمال فى المجتمعات تتمثل فى الطبيعة والموسيقا والتصوير والرسم والغناء والرقص . . .

وتتضافر الأنظمة الأخلاقية والفنية والجمالية أثناء تنشئة الطفل، ففى الجانب الخلقى نجد المنع والردع والحب والتفضيل، وفى الفن والجمال نجد ذلك أيضا مع التفتح والابتكار لإظهار كل فن وكل جميل.

إن معايير نقد الفن والجمال فى بيئة الطفل تكون جزءا من شخصيته وتؤهله ليكون متذوقا. والبيئة الاجتماعية بنظامها الفنى الجمالى تمنحه ما يؤهله للكشف عن قدرة الخالق وجمال الطبيعة وإمكانات البشر، بالإضافة إلى عدم تجاوز الحدود فى بعض الأمور مثل النحت أو التشكيل كما نرى فى ثقافتنا الإسلامية. أما بقية الأمور الجمالية فهى تهيئ ناشئا يمكنه التنفيس عن نفسه فى مواقفه الصعبة أو المكدرة التى لابد أن يمر بها كل إنسان، فيشعر بأنه يعيش حياة ممتلئة امتلاءً ليس حالة من «النرفانا» كما يقول Rogers بل انفتاحا وثقة متزايدة.

ويشير مصطفى سويف أن ما أظهرته البحوث فى الإبداع أن كاتب القصيدة يرمى من إبداعها ترميما للصدع الذى يشعر به أو الذى يعانيه بين الأنا والنحن.

ز ـ نظام اللغة :

ويتمثل ذلك فيما تتخذه البيئة الاجتماعية من وسائل للتخاطب والتفاهم والاحترام، وما يستعمل من إشارات أو أصوات فى التعبير.

واكتساب الطفل لهذه الأمور هو جزء من الاندماج الحقيقى فى البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها.

ويعد استخدام الكلمات والألفاظ والإشارات وحركات العين أو اللسان أو الفم أو الوجه أو الأطراف مؤشرا لوصول الطفل إلى مستوى مناسب من الذكاء يمكنه من ذلك. وهذا ما يجعل اتقان نظام اللغة مرتبطا بالذكاء، وهذا ما يدفعنا بين وقت وآخر إلى إعداد اختبارات للذكاء مشبعة بالعامل اللغوى، وجعل Piaget يهتم بمجال اللغة والفكر عند الأطفال.

ح ـ النظام الديموجرافي Demographic والمورفولوجي Morphologie:

ويتمثل ذلك فى مناطق السكن وتعداد السكان ونسبة المعمرين وعمليات الهجرة من القرى إلى المدن.

ولهذا النظام ومكوناته آثاره على نمط الشخصية، فنجد سكان المناطق الساحلية لهم خصائصهم التى تنعكس على تنشئة الأبناء، وكذا سكان الصحارى والجبال.

فنحن لا نجد رجل الريف متقززا عندما تشاركه حيواناته مكان نومه، بينما نجد أن رجل المدينة ربما يطلب إخراج قطة صغيرة هادئة من غرفة نومه.

ويستعرض مبارك ربيع أن سكان سوس فى جنوب المغرب معروفون بالهجرة إلى المناطق النائية داخل المغرب وخارجه، سعيا وراء الرزق والكسب. وهم فى هذا معروفون بأنهم تجار يتميزون بالأمانة، إلا أنهم معروفون كذلك بأنهم يفارقون أبناءهم وزوجاتهم سنوات طوالا، يعودون خلالها مرة على الأكثر كل عام لرؤيتهم، وهذا يدل على أن عاطفة الحب عند الأبناء والزوجات تخالف فى قوتها ما هو موجود عند غيرهم من سكان المناطق الأخرى وخاصة سكان السواحل.

ك ـ التصورات عن الأطفال :

ويشبه ذلك بعملة ذات وجهين : أحدهما ما يحمله الطفل من تصورات عن نفسه، والوجه الآخر ما يحمله الكبار من تصورات عن الطفل.

وليس هناك خلاف حول التصورات التى يحملها الطفل عن نفسه فى أنها انعكاس لما يحمله الكبار من تصورات عنه.

وبقدر ما تنظر البيئة المحيطة بالطفل إليه على أنه وديع، أو شرير وطبيعته شريرة وتحتاج إلى القمع، تتكون فكرة الأطفال عن ذواتهم ويميلون إلى الثقة بالنفس أو الشعور بالنقص.

وتحت هذا النطاق نجد بعض المجتمعات ما زالت تنظر إلى الذكور على أنهم أفضل من الإناث، وينعكس ذلك على الذكر والأنثى على حد سواء، فالتصورات التى يحملها الطفل عن نفسه والتى تتسرب إليه من خلال ما تثقفه به بيئته، تؤثر على الدور الذى سيتقمصه الطفل ودرجة قبوله لهذا الدور.

وهناك من الأطفال من يكون لهم خصائص لها أهميتها عند تنشئتهم مثل الطفل البكر والطفل الأكبر والطفل الأخير والطفل الوحيد.

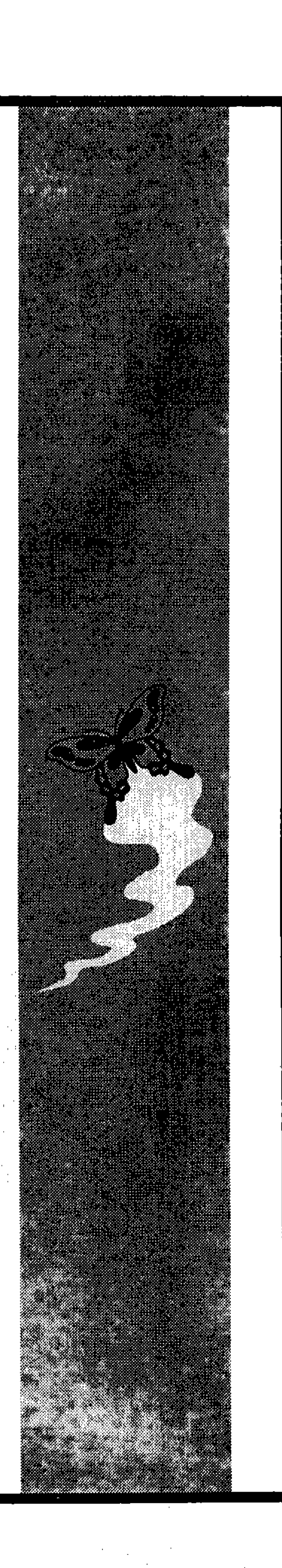
ويجب أن نأخذ فى الاعتبار أن التشابه فى مستوى الحضارة لا يعنى بالضرورة تشابها فى التصورات المتعلقة بالأطفال.

لقد أظهرت بحوث Mead عن عشائر الأرابش بغينيا الجديدة ، وهم سكان الجبال أنهم يختلفون فى تصوراتهم عن الطفولة مقارنة بجيرانهم المندوكومور سكان الوادى. ففى الوقت الذى يبدو فيه سكان الجبال أكثر تعلقا بأطفالهم وأشد عطفا عليهم، نجد سكان الوادى لديهم لا مبالاة فى معاملة الأطفال. وهذا ما أظهر أطفال أرابشيين واثقين من أنفسهم مقابل أطفال مندوكوموريين يحفهم القلق والاضطراب.



الفصل الثالث

وكالات التنشئة الاجتماعية







وكالات التنشئة الاجتماعية

Socialzing Agencies

ليس للمجتمع أن يترك مهمة التنشئة الاجتماعية، وهى من أهم عوامل بقائه واستمراريته دون تنظيم أو تحديد لمن يقومون بها.

والوكالات هى تنظيمات أو مؤسسات أو هيئات اجتماعية أو جماعات أو وسائط، نضع لها مصطلحا لكل منها وهو «وكالة»، لأن المجتمع يوكل إليها أمر التنشئة الاجتماعية. وتعد وكالات التنشئة مسئولة أمام المجتمع صراحة أو ضمنا فى أمر التطبيع الاجتماعى لأبناء ذلك المجتمع، بهدف استمرار الوجود الاجتماعى للجماعة بالإضافة للوجود المادى. وهذا ما يجعل وكالات التنشئة الاجتماعية خاضعة للمراقبة، ومعرضة دائما للتقويم، فيوجه لها من الإثابة ومن النقد بدرجات متفاوتة.

وهناك العديد من الوكالات والوسائط منها : الأسرة، والحضانة، والروضة، والمدرسة، وجماعة الرفاق، ووسائل الإعلام، ودور العبادة .. وغيرها.

وقد أشارت البحوث إلى أنه عندما توجد تباينات تولد صراعات بين الأفكار، والمثل والمهارات التى تنتقل عن طريق الأسرة، والتى تنتقل بواسطة رفاق اللعب، أو بين تلك التى تنقلها الأسرة فى مقابل ما ينتقل عن طريق الروضة أو المدرسة، فإن تنشئة الطفل تميل إلى أن تصبح بطيئة وغير مؤكدة، ومن ناحية أخرى فإنه عندما تكون جميع وكالات التنشئة Socialzing Agencies متفقة ومتوافقة، فإن ذلك يقلل من الصراع والخلط عند الأطفال، ولا نحسب أن ذلك يتحقق فى جو أسرى تقوم فيه مربية أجنبية مثلا غريبة عن المجتمع وثقافته، دخيلة بثقافتها المغايرة تماما لغةً وعادات وربما دينا بعمل المنشئ الاجتماعى للطفل

منفردة أو حتى مساهمة مع الوالدين، إذ إن مساهمتها يصعب جدا أن تأتى مطابقة لاتجاهاتها، وبالتالى فهى تضيف عنصرا آخر أو عاملا دخيلا من شأنه أن يعمل على زيادة اختلاط الأمور أمام ذلك الصغير (الطفل) فى مراحل تحتم على القائمين على شئونه بتجلية الأمور وشفافيتها، حتى يمكن للطفل أن يلتقط ويستوعب على نفس النسق فى يسر وسهولة.

وينبغى على أى وكالة من وكالات التنشئة الاجتماعية أن تعتمد على الأقل على أربعة أركان هى : المكافآت والتسامح والقبول والعقاب.

ففى هذه الأركان الأربع يُكون الطفل اللياقة الاجتماعية والاتجاه نحو احترام وطاعة القاعدة أو القانون.

إن التنشئة لا تعلم الطفل الخوف من الأشياء المحسوسة كى يقول الطفل لنفسه : لابد أن تكون ذا سلوك حسن حتى تبتعد عن العقاب أو لا ينكشف أمرك. ويكون الضبط هنا من خلال الشعور بالعار. ولكن التنشئة تعلم الطفل أن يضبط نفسه من خلال الشعور بالذنب عند اقتراف الأخطاء، بحيث لا يكون الشعور بالذنب قاسيا ومبالغا فيه. إن الشعور بالعار نراه فى انتظار الطفل للرقيب أو المدرس أو حتى رجل الشرطة لمعاقبته على أخطائه أو تأنيبه الحاد.

أولا : الأسرة :

على الرغم من أن وكالات التطبيع والعوامل الاجتماعية والجماعات تؤثر فى تنشئة الأطفال، إلا أن الأسرة من أهم الوكالات التى تقوم بهذه العملية.

والأسرة نظام اجتماعى معقد يتضمن وظائف متداخلة بين أعضائها، وهذه الوظائف يمكن أن يحدث بها من التغيير فى الشكل أو فى سلوك واحد من أفرادها نتيجة متغيرات مثل وجود أحد الوالدين فقط Single Parent أو عمل الأمهات Working Mothers.

والأسرة هى الخلية الأولى التى يحتك الطفل بها، وهى المكان الأول الذى تبدأ فيه معالم التنشئة الاجتماعية للطفل ابتداءً من عامه الثانى.

وتتكون معظم الأسر فى مجتمعاتنا الحديثة من الأب والأم والإخوة والأخوات، فلقد تعرضت الأسرة فى تطورها إلى التقلص فى حجمها من حيث

عدد الأفراد الذين تضمهم، ففى أشكالها البدائية كانت تضم بالإضافة إلى هؤلاء الأجداد والأحفاد والحلفاء والأنصار. وإذا كانت مجتمعاتنا العربية ما تزال تضم نماذج من أسر ممتدة، كما هو شائع فى الأسر القروية والأسرة البدوية، وبعض الأسر الكبيرة فى المدن، إلا أن الشائع الآن هو الأسرة النواة التى تشمل الأبوين والأولاد.

ومن الطبيعى أن ينعكس ذلك على وظيفتها فى إعداد أفرادها لحياة المستقبل، ومن المهم هنا أن نلاحظ فيما يخص الوظيفة التربوية للأسرة أن تقلصها من حيث الامتداد لا يعنى بالضرورة تناقصها فى التأثير من حيث العمق.

وفى أغلب الدراسات التى تناولت الأسرة يحاول الباحثون إيجاد العلاقة بين خصائص الوالدين واتجاهاتهم وأساليبهم فى معاملة الأبناء، وبين شخصية هؤلاء الأبناء أو النمو العقلى أو الاجتماعى لهم. ولقد كانت هذه الدراسات تضع فى حسبانها أن أسلوب الوالدين يقرر سلوك الأبناء متعاملة مع الأمر بمعالجات ارتباطية لا تعلن عن سبب ونتيجة.

فنتائج الدراسات التى انتهت إلى وجود علاقة بين العقاب الجسدى وجنوح الأبناء الذكور لا تعنى أن اتباع الآباء لهذا الأسلوب أدى إلى زيادة سلوكهم المنحرف، فربما شارك مع العقاب الجسدى من الوالد سرعة غضب الطفل وكثرة إلحاحه فى الطلبات مما جعل الوالد يقبل على أساليب قاسية وشديدة للسيطرة ، يمكن أن تكون قد بدأت بالمعقولية وتوضيح المبررات وتفسير الأمور دون جدوى، مما جعله يتبع أساليب أشد من سابقتها مثل الحرمان من الرحلات أو منع الخروج مع الأصدقاء أو حتى مشاهدة التلفزيون، وجاءت أساليبه الجديدة غير مجدية. وربما أصاب الوالد الإحباط وخيبة الأمل، فأسرف فى العقاب القاسى للتغلب على تمرد الطفل.

وهكذا يدفع الأطفال والديهم أحيانا للإقبال على أساليب للمعاملة لم تكن فى الحسبان، بل نبعت من خصائص وسلوكيات الأطفال أنفسهم أو خصائصهم كما اتضح فى نموذج الوالدية المقترح فى هذا الكتاب، وكما سوف يتضح فى الفصل السادس. وليس من الإنصاف أن نقول إن مثل هذا النوع من الأطفال

مسئولون عن أنفسهم وما يحدث لهم، فإن الظروف الاجتماعية والاقتصادية وسلسلة من المتغيرات الأخرى ربما تشارك فيما يصدر. إن التفاعل الاجتماعى داخل الأسرة لا يحدث بين الطفل ووالديه، بل يحدث بين كل أفراد الأسرة بالإضافة إلى الظروف والمتغيرات المحيطة. والأمر هنا ليس بين طرفين، بل يمكن تشبيهه بميدان مع طرق متقاطعة.

وترجع أهمية الأسرة فى تنشئة الأبناء إلى ما يلى :

- أن الأسرة وما تشتمل عليه من أفراد هي المكان الأول الذى يتم فيه باكورة الاتصال الاجتماعى الذى يمارسه الطفل مع بداية سنوات حياته الذى ينعكس على نموه الاجتماعى فيما بعد.
- إن القيم والتقاليد والاتجاهات والعادات تمر بعملية تنقية من خلال الآباء متخذة طريقها إلى الأبناء بصورة مُصفّاة وأكثر خصوصية. فهناك عوامل كثيرة تتدخل فى إكساب الأبناء القيم والتقاليد منها : شخصية الوالدين، والمستوى الاجتماعى والاقتصادى للأسرة، وجنس الابن، وهذا ما تعرضنا له فى النموذج المقترح فى الفصل الخامس. فالمعايير والقيم المرغوب تشكيلها فى فتاة من طبقة اجتماعية منخفضة ووالد متسلط سوف تختلف بالتأكيد عن المعايير والقيم المرغوب تشكيلها فى فتاة من طبقة اجتماعية راقية ووالد متسامح.

ويعتبر الآباء بمثابة مصفاة Filter تصفى أو تنقى القيم قبل عبورها إلى الطفل، كما أنهم نماذج Models أمام الأطفال يقلدونها.

- الأسرة هى المكان الوحيد فى مرحلة المهد وما بعدها بقليل للتربية المقصودة، ولا تستطيع أى وكالة أخرى تقريبا أن تقوم بهذا الدور، فهى تعلم الطفل اللغة وتكسبه بدايات مهارات التعبير.
- الأسرة هى المكان الذى يزود الأطفال ببذور العواطف والاتجاهات اللازمة للحياة فى المجتمع.
- الأسرة أول موصل لثقافة المجتمع إلى الطفل.
- الأسرة أكثر دوما وأثقل وزنا من باقى الوكالات المؤثرة على الطفل وبخاصة فى مرحلة الطفولة، وأكثر أهمية فى تأثيرها من تأثير الجيران والأقارب والأقران وحتى المعلمين.

- إن التفاعل بين الأسرة والطفل يكون مكثفا وأطول زمنيا من الجهات الأخرى المتفاعلة مع الطفل.
- الأسرة هى الجماعة المرجعية التى يعتمد عليها الطفل عند تقييمه لسلوكه.

والوالدان لديهم أفكار وآمال عن الخصائص الشخصية والاجتماعية التى يرغبان تحقيقها فى أطفالهم، ورغم ذلك فلا توجد معادلة سحرية لتحديد التنشئة الفعالة السوية، ورغم ذلك أيضا يعرف الآباء أن هناك أساليب لها آثار سلبية على الأطفال وأساليب لها آثار إيجابية عليهم.

وفى كثير من الأحيان نجد حالات متشابهة فى المعاملة الوالدية ومستوى الأسر الاجتماعى أو الاقتصادى، وتتشابه بعض المتغيرات الأخرى، ولكن تأتى سلوكيات أطفال هذه الأسر المختلفة فى صور متباينة.

وكما أن على الأسرة أن تربى طفلا يلتزم بقيم ومعايير مجتمعه عليها ألا تنسى أن لكل طفل فرديته. فمعرفة الوالدين للحالة المزاجية للطفل تجعلهم فى موقف أحسن من حيث توجيه عملية النمو الخاصة به. فمثلا إذا كان الطفل من النوع البطىء التقبل للأمور كان على الأهل ألا يتعجلوه فى تقبل المواقف الجديدة، فقد يؤدى ذلك إلى ارتفاع خوفه وربما ميله إلى الانسحاب والسلبية.

وكذلك إذا كان لدينا طفل من الصعب تهدئته نجد أن التسامح لا يتناسب معه وربما يشجعه على التمادى فى الصياح حتى يحصل على ما يريد، ولكن إذا أحيط بجو حازم عطوف كانت النتائج أفضل.

وللطفل أثر مباشر على علاقة الوالدين ببعضهما البعض، فالطفل إذا كان مريضا أو عصبيا أو معوقا زاد من عبء المسئولية، وينعكس ذلك على مقدار التحمل للوالدين وعلى فترة الاهتمام والرعاية بالإخوة أو نوعية هذا الاهتمام، وربما انعكس الأثر على دور الوالدين برمته فى الحالات السيئة للأطفال.

وعلى الرغم من أن عملية التنشئة الاجتماعية يمكن القول أنها تبدأ من السنة الأولى من حياة الإنسان إلا أنها تصبح بطريقة واعية ومنظمة مع بداية التحرك ونشاط الأطفال وبدء اللغة، ولم يعد التدليل على نفس النحو السابق أو نفس المستوى، لقد بدا له ضوابط وحدود وبدا الآن مصطلح لا تفعل كذا واردا

على نحو أكثر مما سبق. لقد بدأ التدريب على الإخراج وبدأ المرح والتشجيع على السلوكيات المقبولة، والعقاب على السلوكيات غير المقبولة . . هنا بدأت عملية التطبيع الاجتماعى . . إن الآباء الآن يقومون بتعليم أبنائهم القواعد والقوانين الاجتماعية.

والأطفال دائما يميلون إلى تقليد الآخرين وفى مقدمتهم الآباء كنماذج . . . وعملية التقليد هذه توجد كثيرا من التشابهات بين هؤلاء الأطفال وآبائهم. ويطلق المتخصصون فى علم النفس على ذلك التطابق والتوحد Identification كما سبق أن أشرنا، ويطلق عليها علماء الاجتماع مصطلح المحاكاة Immitation التى تبدأ فى فترة مبكرة من عملية التنشئة داخل الأسرة.

وتتم عملية التنشئة بسهولة وفى أحسن صورة إذا أحيط الأطفال ببيئة مملوءة بمعايير وقيم مجتمعهم. أما إذا وُجدوا فى بيئة آباء منحرفين أو حتى متقلبين عاطفيا فالاحتمال الأكبر أن ينموا بسلوك وقيم منحرفة.

إن الأطفال الذين يأتون فى أسر تتصف بالأمانة والجد والعمل غالبا ما يتصفون بالخلق والإحساس بالغير ودافع الإنجاز Achievement Motivation.

ومن أشهر أنواع السلوك القابلة للتقليد والمحاكاة القدرة على ضبط النفس والسلوكيات الأخلاقية والسلوكيات المناسبة لكل جنس.

وعلى الرغم من أن الوالدين يعدان النموذج الأول للمحاكاة، فهناك أيضا الإخوة والأصدقاء. وبالتدريج تؤدى عملية التقليد إلى مفاهيم . . نحن - هم . .

وهناك ثلاث خصائص والدية تسهل أو تساعد على تقليد الأطفال للوالدين هى : الحنان والعطف - القوة - العقاب وتؤثر كل منها فى عملية التقليد. ويختلف تأثيرها باختلاف الجنس (ذكور - إناث).

فالإناث يملن إلى تقليد النموذج الذى يتصف بالحنان والعطف، ويميل الذكور إلى تقليد النموذج الذى يتصف بالقوة والهيمنة أو السيطرة. كما أن العطف والحنان يسهل تقليد الحركات والأخلاق والتعليقات، والقوة تسهل تقليد اتخاذ القرار وإيجاد الحلول.

ولقد شاع منذ وقت ليس ببعيد تأثير عمل الأم على تنشئة الأطفال. ويرى Etaugh أن أطفال الأمهات الراضيات سواء يعملن أم لا، لهم درجات غير مختلفة

فى التوافق النفسى والاجتماعى. ويبدو أن الإشراف الكافى من قبل العاملات هو الذى يسد الثغرة الشائعة عن تأثير غيابها. إن المهم هنا هو استقرار بيئة الطفل وموقف الأم تجاه عملها ووظيفتها كأم، فمشكلات الأطفال إلى حد بعيد لا صلة لها بعمل الأم أو وجودها المستمر فى المنزل. إن الاستقرار الأسرى والوفاق بين الوالدين خلف التنشئة المناسبة للأطفال.

ولقد أشارت بعض الدراسات أن الأمهات العاملات يواجهن صراعا فى الأدوار نتيجة تحملهن لأعباء متنوعة، مما ينعكس على العلاقة بين الأم والأبناء. ولكن هذا يتضاءل حينما يكون هناك نوع من التعاون والدعم من قبل الزوج لزوجته فى إنجاز بعض المهام أو المشاركة فيها، وإن كانت من اختصاصات الأمهات فقط. حتى وجود الزوج أثناء الولادة يعمل على تخفيف حدة الآلام، كما أن لعب الآباء مع الأطفال ومناغاتهم وحملهم وهدهدتهم يخفف الكثير على الأمهات ويجعل الحياة الأسرية أكثر متعة ويجعل الأب يدخل عالم طفله كما سوف يتضح بالتفصيل فيما بعد.

إن الفاحص لعلاقة الطفل بأمه كموضوع أول لحبه، وكأول شخص يتعرف من خلاله على العالم يجد أن الأب يدخل متأخرا عالم الطفل. إن ذلك راجع إلى كونه لا يلبى رغبات حيوية بالنسبة للطفل.

ومن المعروف فى مجتمعاتنا العربية أن الآباء غالبا لا يولون الأطفال عناية فى الأسابيع الأولى، وحتى الشهور الأولى من باب أنه ربما لا يليق بالرجل. وهذا لا يمنع من مداعبة الطفل. والملاحظ أن الأم كثيرا ما تحاول توجيه انتباه طفلها إلى وجود أبيه بمجرد إحساسها أن الطفل أصبح الآن بإمكانه تحويل نظره. مما يشير هنا إلى أن الأب يكون خارج عالم الطفل لفترة معينة. ولكن هذا التأخير لا يعنى أن دخول الأب سوف يكون ثانويا، بل يمكن أن نقول عنه أنه يدخل عالم الطفل بقوة، وتبعا لشدة هذه القوة يكون الأثر على علاقة الطفل بالأب، بل وبالأم أيضا والإخوة.

وهذا الدخول القوى من قبل الأب فى عالم الطفل من مدخل التأديب، حيث يكون الأمر والنهى للأب، وحيث يجد الطفل اندماجه الحقيقى فى الأسرة وفى المجتمع متوقفا على استيعاب عالم الأبوة وتمثله Assimilation بما فيه من سلطة وقيم، يجعل تقمص شخصية الأب ضرورةً تتطلبها عملية النمو ذاتها، بفعل

موقف الاندهاش Astonishment من مدى قدرة الأب على التأثير فى الأسرة ومن فيها، وفيما تعانيه من ابتئاس وما تشعر به من ابتهاج، فهو مفتاح عوالم أسرته.

ومن هنا تتولد حالة نفسية للطفل نحو الأب نسـميها عاطفة الإعجاب. تلك العاطفـة التى تبدو فى موقف ثابت نسبيا ومسـتمر للطفل تجاه الأب، تتسرب فى أعماق الطفل، وبذلـك يتسرب عالم الأبوة بما فيـه من قيم داخل الطفل، ويكون العامل الأساسى فى تكوين الطفل من الزاوية الاجتماعية وفى تنشئته.

إن دراسة علاقة الطفل بالأب من منظور إعـجابى، يخالف الرؤية الفرويدية التى تركز فى هذه العلاقة على الكراهية والعداء.

حقـا إن فى تحليل عقدة أوديب لدى فرويـد ما يبين اختـلاط هذه الكراهية بعنصـر الإعجاب. ولكن مـحور النشـاط النفسى فى نظريـته يظل حول الكـراهية والعداء. وتفـاصيل عقدة أوديـب تعطى الأب إمكانية تجعله قـادرا على أن يتجنب هذا النوع من العلاقة، أو ألا تجعل علاقته بابنه مصطبغة بهذه الصبغة وحدها، أى أن الموقف التـربوى من قبل الأب فى عـلاقتـه بابنه هو القادر على الحـيلولة دون تعقد الموقف بعناصر الكراهية والعداء.

ولكن ذلك لا يمنع مطلقا أن يـكون إعجاب الطفل ممزوجا بعـواطف أخرى ملائمة ومنافـية. على أن تعرض الطفل للإحبـاطات وضروب من المنع والردع من قبل الأب (النموذج) ظاهرة طبـيعية فى مراحل نموه، وهى الكفيلة بتـقوية الجانب الإرادى فى الطفل. ولكنهـا من دون شك تثـمـر حزازات ومـشـاحنات فى نفس الطفل تجـاه أبيـه، وتكوّن بالتـالى ذلك التـناقض الذى لا يخلو من عـاطفـة من العواطف، وهو احـتواؤها على عناصر وجـدانية واتجاهات متناقـضة. وعلى ذلك ليس من المغامرة فى شىء أن نـذهب إلى أن عناصر كراهية وغيـرة تجاه الأب تتولد فى نفس الطفل مصاحبة للإعجاب به.

فإذا كانت الدهشة باعث الإعجاب بالأب كنموذج، فإن الرهبة والخوف حتى فى أقل مسـتوياتهمـا من سلطة هذا النموج وقوته المادية والمعـنوية ومكانته، وعلو صوتـه ورأيه وقدرته على التـوجيـه والتأثيـر فى حيـاة الأسرة، هذه الرهبـة وهذا الخوف كـفيـلان بأن يولدا فى الطفل مشـاعر كـراهية وغيـرة من الأب. وإن من

المشاهد أن بعض الأطفال ابتداء من عمر الثالثة يبدأون فى إظهار مثل هذه المشاعر المتناقضة فى الظاهر لعاطفة الإعجاب بالأب عندما يقول بعضهم مخاطبا الأب: لماذا تفعله أنت؟ أو يخاطب الأم قائلا: لماذا يفعله أبى ولا أفعله أنا؟.

إن عاطفة الإعجاب بالأب تنشأ فى جوها السليم عندما يشعر الطفل بأنه مرغوب فيه ومحبوب. فانعدام النضج الانفعالى لدى بعض الآباء كانعدام الرغبة فى الأطفال تؤدى إلى أسوأ الآثار العاطفية على الأطفال. ومن المعروف فى مثل هذه الأحوال عن الآباء أنهم يتخذون لموقفهم من الأبناء تبريرات مصطنعة، كأن يعلل بعضهم ذلك بأسباب اقتصادية أو اجتماعية، بينما يكشف التحليل عن عوامل نفسية لا شعورية لمواقفهم تلك. ويؤكد ذلك ما هو معروف فى آباء آخرين من تقبل لأطفالهم وحسن معاملتهم وعلاقتهم بهم مع سوء حالتهم الاقتصادية.

وعلى ذلك يمكننا القول أنه بالإمكان أن تنشأ عاطفة إعجاب بالأب تيسر إدماج عالم الأبوة فى عالم الطفل، وتسهل بالتالى عملية التمثيل والاقتداء، ومن ثم التنشئة الأسرية المنشودة. وإن انخفاض مستوى النضج الانفعالى للأب سواء تجلى فى مظهر الرفض اللاشعورى للطفل، أو فى مظهر العلاقة الاستحواذية به، ذات الحب التملكى، لا يؤدى إلى انحراف عاطفة الإعجاب بالأب لدى الطفل فحسب، بل يؤدى إلى آثار نفسية تنعكس على الأب نفسه ويكون لها ردود أفعال على ذلك الصغير الذى يجب أن يكون فى حالة انفتاح لعالم الأبوة، فلا يجد ما يحاكى من نماذج سوى مظاهر مرضية.

حقا إن ثم عمليات نفسية إعلائية أو تحويلية يمكن بواسطتها تحريف هذه التأثيرات عن مجراها المتوقع، ولكن تلك العمليات ربما تبوء بالفشل.

ولعل ما عاناه «هتلر» فى طفولته من طريقة وأسلوب أبيه نحوه من قسوة وما علق فى اللاشعور لديه من ارتباط هذه القسوة بمستوى اجتماعى منخفض لموظف بسيط أنشأ عنده رغبة فى تحدى الواقع، هذه الرغبة الكامن خلفها اندفاع ضد شخصية أبيه، وبالتالى نحو مستوى اقتصادى واجتماعى فوق ذلك الأب. إن هذا كله كان دافعا لا شعوريا «لهتلر» فيما قام به من أعمال.

وعموما فكلما اتجه موقف الأب مع طفله إلى الصداقة والتفاهم وتجنب السلطة والعنف أثمر ذلك عاطفة إعجاب الطفل وسهل اندماج عالم الأبوة وقيمه ومعاييره، ومن ثم جزءا كبيرا من قيم ومعايير المجتمع الذى ينتمى إليه ذلك الأب العادى. وأصبح الصغير فى سبيله إلى تنشئة اجتماعية راضية مرضية، وانعكست آثار ذلك على علاقة الأم بالطفل الصغير وعلاقة الصغير بإخوته، أي على التفاعل الاجتماعى فى الأسرة كلها، وإن كانت هناك عوامل تؤثر على ذلك التفاعل الاجتماعى فى الأسرة وعلى نوع ودرجة تأثر الطفل به فى أثناء تنشئته الاجتماعية يمكن إجمالها فى:

- **الطبقة التى تنتمى إليها الأسرة**: إن الأسر تختلف فى تفاعلها مع الأطفال باختلاف المستوى الاقتصادى والمستوى الاجتماعى والمستوى الثقافى الذى يميزها.

فقد تبين أن أمهات الطبقة المتوسطة أكثر واقعية فى التعامل مع أطفالهن، على حين أن أمهات الطبقة العالية الأفضل تعليما يملن إلى معاملة أطفالهن بطريقة أكثر دفئا وأكثر تفهما وقبولا، كما أنهن أقل تدخلا فى شئون الصغار. أما أمهات الطبقة الدنيا فلديهن ميل إلى معاملة أطفالهن بالعنف والعقاب الشديد، وخاصة فى التدريب على استخدام المرحاض. وفى أسر الطبقة المتوسطة كان نفوذ وسيطرة الأب تدعو إلى الاطمئنان والأمان نسبيا مهما كانت أعمار الأبناء. على حين نجد أن الأب فى الأسر ذات الطبقة الدنيا يميل إلى فقد سلطته على ابنه المراهق.

وتبدو الاختلافات فى الأسر حسب طبقتها فى نواح متصلة بالتنشئة الاجتماعية مثل: نوع وكمية المسئوليات التى تلقيها على الطفل - المرح والتشجيع ودفء المعاملة وتجنب العقاب - مستوى ضبط عدوانية الأطفال - مستوى الشدة

المتبع فى ضبط عملية الإخراج ـ أسلوب التغذية ـ اتجاه الأسرة نحو الأمور الجنسية التى يبديها الأطفال وتصرفاتهم نحوها.

ولا يغيب عن الأذهان أن تأثر الأسرة بثقافة الطبقة أو المجتمع الذى تعيش فيه، لا يعنى إلغاء الخصائص الشخصية للوالدين وطريقة تعبيرهم عن مشاعرهم وأساليب توجيههم لأطفالهم كما سبق أن ذكرنا فى الفصل الخامس.

كما أن نتائج أطفال الطبقة الفقيرة يمكن أن تكون إيجابية على الرغم من حرمانهم من الامتيازات الاجتماعية والاقتصادية.

فنجد ارتباطهم الشخصى والعائلى للأصحاب والجيران الذى يدعم المشاركة والدعم المتبادل. وعلى الرغم من سخريتهم من الأقدار والتشاؤم من الحياة إلا أنهم أكثر واقعية فى نظرتهم إلى المحيط من حولهم. كما أن إحساسهم بأنهم عرضة للأزمات وأنهم مهددون، ينمى عندهم الإحساس والوعى والقدرة على مواجهة الضغوط والصراعات. بعكس أطفال الطبقة الوسطى الذين يواجهون معاناة فى مواجهة المواقف الصعبة.

وعلى الرغم من الاختلافات الواضحة فى طرق حياة وخصائص كل طبقة إلا أنه لا توجد اختلافات فى القيم والأهداف من تربية الأطفال. والاختلاف يكون واضحا فى بعد القوة والتوجيه الذاتى للطبقة المتوسطة مقابل الخنوع والطاعة فى الطبقة الفقيرة.

فالآباء فى الطبقة الوسطى يفرضون الاحترام والطاعة للسلطة بينما يفرض آباء الطبقة الاجتماعية الوسطى حب الاستطلاع والتحكم والسيطرة على النفس والقدرة على تأجيل إشباع الرغبات والعمل من أجل تحقيق الأهداف طويلة الأمد.

وفى الطبقة الوسطى يكون الآباء أقل عنفا وشدة مع الأطفال حديثى السن من الميلاد حتى سن خمس سنوات، ويكونون أشد نصحا وتقويما وتوجيها لأبنائهم فى مرحلة المراهقة. ويتوقعون من أطفالهم النضج المبكر فى تحمل المسئولية، ويخططون لأطفالهم أهدافا وإنجازات عالية يجب تحقيقها.

أما فى الطبقة الفقيرة فالآباء يكونون أشد عنفا مع الأطفال حديثى السن من الميلاد حتى خمس سنوات، ويقل هذا العنف تدريجيا ويتحول إلى نوع من التهاون والتسامح الشديد مع الأطفال الأكبر سنا. وربما عاد ذلك إلى توقعات الآباء المنتظرة

من الأبناء للاعتماد على أنفسهم والاستقلال الاقتصادى. بعكس توقعات الآباء فى الطبقـة المتوسطة لهذا الاسـتقلال الاقتصـادى عند الانتهاء من التـعليم الثانوى أو الجامعى لأبنائهم.

ـ حجم الأسرة : تتأثر شبكة العلاقات والتـفاعلات داخل الأسرة من ناحيتى اتساعها وتعقدها بحجم الأسرة ومن ثم التطبيع الاجتماعى للأطفال.

إن البحوث تشيرإلى أن أكثـر من ٨٠٪ من الأسر تشتمل على أكثر من طفل أى بهـا ثلاثة أفـراد فأكـثـر، وكلما زاد حـجم الأسـرة قلت الفـرصة أمـام الآباء للاحتكاك والتـقارب بين كل فرد على حـدة، وكذا قلت مساحـة هذا الاحتكاك، ولكن تتسع الفرصة للتفاعل بين الإخوة.

وكلما زاد عدد الأبناء فى الأسرة حددت الأدوار فى العائلة وطبقت الأنظمة بشكل صارم، وتفرض القوانين فـرضا على أفرادها، ولا يستطيع الآباء تدليل هذا العدد الكبير وإلا انقلب الأمر إلى شبه فوضى.

إن الأسرة ذات الطفل الواحـد مثلا، تظـهر فيـها ثلاث علاقـات ثنائية هى العـلاقـة بـين الطفل والأم، وبين الطفـل والأب، وبين الأب والأم. ويزداد هذا العدد من العلاقات حينما يكون حجم الأسرة خمسة (أب وأم وثلاثة أبناء) وعندما نأخذ فى الاعـتبـار العلاقات بـين شخصـين والعلاقـات بين الشخص وأكـثر من شخص يصل عدد هذه الـتفاعلات الممكنة إلى ٦٥ علاقـة. هذا الكم الضخم من العلاقات يؤثر من غيـر شك على طبيعة العلاقات وعمـقها العاطفى، وعلى أنماط السلطة ونوعها، كـما يؤثر على الأنشطة الممارسة والمشكلات التـى يخبرها الطفل وإخوته سواء كان الطفل طرفا أو مشاهدا لها.

ووسط هذا الحجم يقل الوقت للشرح والتفسير ويزداد ميل الآباء إلى بعض القسوة للضبط والتحكم.

وإذا زاد العدد يكون دور الفـتيات واضحـا فى المساعدة على تربيـة الأطفال الأصغر. والتـفاعل الأقل مساحـة مع الآباء وسط هذا العدد يظهر الاعتـماد على النفس بدرجـة أكبر أو يكون الانخـفاض نسـبيا فى مـستـوى التحصـيل الدراسى للأبناء. وتشير البحوث فـى نتائجها إلى انخفاض فى مستوى الذكـاء عموما، وتعد دراسات يسرية صادق من الدراسات الرائدة فى هذا المجال على عينات عربية.

ويعد من عيـوب صغر حجم الأسر على التـنشئة الاجتمـاعية للأبناء، ذلك التركـز والعمق فى العـلاقات العاطفـية بين أفراد الأسـرة الواحدة مما يتـرتب عليه الحماية الزائدة للأطفال بالإضافة إلى ضيق مجال تحركه وتعامله وخبرته وربما ظهور الغيرة بين الأطفال.

ـ **الترتيب الميلادي للطفل** : سوف يظل الطفل الأول متربعا على عرش الحب والرعـاية والاهتمـام لدى الوالدين إلى أن يصل طـفلهمـا الثـانى وبعده الأطفـال الآخرون، عندئذ تختلف طريقـة التعامل اختلافا واضحـا، لقد أصبح هناك أطفال آخرون يشاركون الأول هذا الاهتمام وربما يسرقون منه تلك الرعاية.

وعلى الرغم من أن الطفل تظهر عليـه علامات الغيـرة لإحساسه بفـقد جزء من الاهتمام، لكن تبقى الحقـيقة بأن تفاعل الوالدين مع الطفل الأول كانت أعلى من مستوى التـفاعل مع الطفل الثانى أو الأطفال الآخرين، لدرجـة أنه ربما يقتصر احـتكاك الآباء بأطفالهم بـعد الأول على الاسـتجـابة لحاجـاتهم وتلبـية مـهامـهم الأساسية.

لقد جـاءت الدراسات معلنة أن التـعليقات والمحادثـات تكون موجهة غـالبا للطفل الأول على الرغم من قدوم إخوة آخرين له، مما يرفع مـعه الحصيلة اللغوية مقارنة بإخوته. كما يلاحظ ما يلى :

بخصـوص الطفل الأول : تكون توقـعات الوالدين للطفل الأول أكـثر والآمال أعلى، ويكون دفع الـوالدين للطفل الأول على أن ينجز بطريقـة أعمق، بالإضافـة إلى تحميله المسئـولية وإقحـامه فى بعض الأمور أكثـر من إخوته. ويقع الطفل الأول أكثر من إخوته فى العقاب وربما العقاب الجسدى.

بخصوص أواسط المواليد : يكون الوالدان الآن بعد خبرتهم مع الطفل الأول أكثـر مرونة وارتخاء فى مـعاملاتهم، وربما عاد ذلـك إلى تمرسهم مع الطفل الأول الذى يعـتبـر طفل التدريب وكـبش الفـداء، ويقول البـعض أنه يأخذ حـد السكين.

وهذا ما يجعل للطفل الأول خصائص أكثـر وضوحا مثل القدرة على ضبط الذات والقلق مع انخفـاض مستوى العدوانيـة، والجدية والتفوق الأكاديمى فـيما بعد، وكذا التفوق المهنى ربما للمعايير العالية التى يضعها الوالدان له. ويميل هؤلاء

الأطفال إلى عدم الثقة بالنفس والشعور بالخوف من الفشل، كما أنهم أكثر إدراكا للخطر وأقل إقبالا على المغامرة.

ونتيجة لهذه الحساسية لدى أوائل المواليد فإنهم يكونون أكثر عرضة للوقوع فى اضطرابات، ومشكلات نفسية مثل اضطرابات النوم والتبول اللاإرادى، أما أواسط المواليد فهم يقعون بين طرفين إخوة أكبر وآباء لديهم بعض التهاون عن ذى قبل.

ويكون مستوى الإنجاز الأكاديمى لهؤلاء الأطفال أقل من أوائل المواليد وأحيانا ضعيفا، وقوة تركيزهم ضعيفة ومداها قصير، ونجدهم دائمى البحث عن رفاق، ومرحين وباحثين عن المتعة وأكثر جرأة ومخاطرة.

بخصوص الطفل الأخير : هذا الطفل غالبا مدلل، إنه (آخر العنقود) كما يقال. يتوافر لديه كثير من النماذج ـ إخوة ووالدين ـ يشعر غالبا بالأمان. ومثابر ـ ومتفائل وأكثر ثقة بالنفس مقارنة بالطفل الأول، وله شعبية عنه.

١ ـ الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة الاجتماعية في الأسرة :

يطلق عليها البعض ميكانيات التطبيع الاجتماعى، وهى أساليب نفسية واجتماعية، مقصودة وغير مقصودة واضحة أو ضمنية تتخذها الأسرة لإكساب الطفل سلوكا أو تعديل سلوك موجود لديه. ومن أهم هذه الأساليب :

أ ـ الاستجابة لأفعال الطفل :

إن مجرد استجابة الوالدين أو الإخوة لأفعال الطفل، يؤدى إلى تأثير على هذه الأفعال وعلى المشاعر المتصلة بها. وحتى هذا لصغار الأطفال، فالطفل الذى يصدر صوتا ما ويستجيب له عضو من أفراد الأسرة (مجرد استجابة) فإن الطفل يميل إلى تكراره، وكأنه يعلن لنا أن نكرر معه الاستجابة لما يفعل، وهذا ما يحدث حتى مع الأطفال الأكبر سنا. وبطبيعة الحال يبدو أن استجابتنا هنا للطفل استجابة إثابة أو مكافأة.

ب ـ الثواب والعقاب للطفل :

إلا أن الاستجابة للطفل كما يمكن أن تكون نوعا من المكافأة قد تكون نوعا من المعارضة أو التثبيط أو العقاب. وهذا شىء شائع بلا استثناء فى جميع الأسر.

إن الوالدين أثناء تعاملهما مع الطفل يستعملان الثواب أو المكافأة والتأييد عندما يصدر من الطفل سلوك يرغبانه أو يحبذانه أو عندما يظهر من المشاعر ما يتناسب مع الموقف. وكذلك يوقع الوالدان العقاب فى عكس ذلك.

وتتدرج الإثابات من مجرد نظرة رضى أو إيماءة موافقة إلى هدية أو تقبيله، ويتدرج العقاب من إشارة ناهية باليد أو إغماضة لها معنى بالعين أو تقطيب للجبين أو ضغط على الشفتين إلى الحرمان من متعة أو العقاب البدنى.

وبطبيعة الحال يختلف الثواب والعقاب فى الدرجة والنوع باختلاف طبقة الأسر، فبعض أنماط السلوك لا يعاقب عليها مستوى طبقى وربما شجع عليها فى الوقت الذى يرفضها مستوى طبقى آخر.

مثال ذلك السلوك العدوانى الذى يشجع عليه لدى أطفال المستوى الاقتصادى والثقافى المنخفض، بينما يعاقب عليه الطفل فى المستوى الاقتصادى الثقافى المتوسط، وإذا كانت الأسر فى المستويات المنخفضة تميل إلى استعمال العقاب الجسدى، نجد الأسر فى المستويات المتوسطة تميل إلى استعمال الحرمان أو العزل قليلا لبعض الأطفال.

جـ - إشراك الطفل فى بعض المواقف الاجتماعية :

ربما دعا الوالدان أو أحدهما الطفل بقصد الذهاب معهما فى موقف عزاء أو موقف عرس بقصد إكساب الطفل السلوكيات المناسبة فى مثل هذه المواقف، وربما جاءت الدعوة لهذه المواقف وغيرها عن غير قصد . . . وهنا يتعلم الطفل ليس فقط كيفية السلوك المناسب بل والمشاعر المناسبة فى مثل هذه المواقف. . . وهنا يكون التعلم بالتقليد وربما بالتقمص.

ء - التوجيه الصريح لسلوك الطفل :

قد يلجأ الوالدان إلى توجيه سلوك الطفل بطريقة مباشرة وصريحة، فتعلمه ما يجب وما لا يجب أو تدربه على السلوك المناسب وربما هيأت له من المواقف الحية لدعم خبراته وسلوكياته.

وإذا كانت الأساليب السابقة يغلب عليها إمكانية الحدوث للأطفال، فإن تغيرا جوهريا يحدث لديهم عندما يبدأ مفهوم الذات Self Concept فى البزوغ أى

عندما ينظر الطفل إلى سلوكه باعتباره موضوعا، فيصبح هذا السلوك خاضعا منه للتأمل، والحكم والتقدير بل والتقويم، وعندما يضع فى اعتباره اتجاه المهمين فى حياته مثل الوالدين، وعندما يدرك إمكاناته ومكانة الآخرين وما يرتبط بها من التزامات وتوقعات للسلوك وحقوق للآخرين واجبة عليه، فى ذلك الوقت تزداد الفعالية والإيجابية للطفل، وتتدفق قدرته على العطاء دون الاكتفاء بالأخذ، ويتحرك مع كل ذلك قوى التنشئة الاجتماعية لتصبح داخلية بعد أن كانت كلها خارجية، وبالتالى نتسع الخطى فى طريق التطبيع الاجتماعى.

٢ ـ معالجة آثار الإحباط علي الأطفال أثناء تنشئتهم اجتماعيا داخل الأسرة :

إن أساليب التنشئة الاجتماعية التى تتبعها الأسرة لا تخلو من تعطيل أو كف لبعض رغبات أو نزعات الطفل. وأحيانا يكون العقاب مسيطرا على الأمر نتيجة إقبال الطفل على سلوكيات غير مقبولة. ويكون نتيجة ذلك تراكم لشعور الطفل بالإحباط ومن ثم كراهية أو مشاعر سالبة نحو الوالدين أو الإخوة الأكبر.

وتظهر مؤشرات الإحباط فى عناد الطفل أو عدوانه على إخوته أو الانطواء وغير ذلك من المؤشرات .. وكلها ردود فعل طبيعية .. ومن الضرورى على الوالدين الاعتماد على أساليب تتجنب معها تعقيد الأمور أو زيادة عمقها وحدتها. ومن أساليب مواجهة هذا الطفل المحبط :

أ ـ تعادلية القائم علي التنشئة : ويظهر فى موازنة الأب مثلا بين ما منع الطفل منه وما يمكن أن يسمح له به كبديل. فإذا حرم الأب طفله من عمل سلوك يستغرقه باعتباره غير مناسب فإنه غالبا يجب أن يسمح له بممارسة سلوك آخر يحقق له إشباعا. وكذا الأم التى تعاقب ابنتها ثم يعقب الأمر نوع من الملاطفة مع هذه الصغيرة «تضرب وتلاقى» وذلك بعد مدة كما سوف نرى فيما بعد.

ب ـ تعادلية الطرفين : ويطلق عليه البعض التعادل المشترك، أى التصرفات التى يقوم بها مثلا الوالدان ليعادل كل منهما أثر الآخر «واحد يشد والآخر يرخى» وليس المقصود هنا التسلطية والتهاون بل الحزم والدفء الداعم للوالد الآخر. ومثال ذلك الأب الذى مارس نوعا من العقاب على طفله، فإن الأم تتولى تخفيف

الآثار الناتجة عن العقاب بحيث لا يؤدى تخفيف الأثر إلى إلغاء التأثير أو التمرد على الأب أو تكوين اتجاهات سالبة ضده.

جـ ـ **تفريغ شحنة الطفل** : وهو أسلوب يعمد إلى امتصاص الصدمة وخفض التوتر الناتج عن الإحباط بسبب العقاب أو غيره، فتتيح الأم مثلا أو الأب للطفل مجالا للتعبير اللغوى أو الرمزى عن انفعالاته بطريقة مناسبة، وإذا لم يتح هذا التفريغ القائم على التنشئة يمكن أن يقوم بها شخص داخل الأسرة مثل الأخ الأكبر أو الجد أو العم ومن الممكن ضيف أو صديق للأسرة.

٣ ـ معالجة ما يصيب الوالدين من إحباط أثناء قيامهم بالتنشئة:

من نتائج قيام الوالدين أو أحدهما بتنشئة الأبناء أن يصابا بالتوتر والضيق والإحباط، مما يترتب عليه اتجاهات سالبة نحو الأطفال، وربما عبر بعض الآباء عن ذلك ليس فقط أمام الكبار مثلهم، بل أمام أطفالهم، فيقول الأب مثلا أو الأم : «أنا زهقت منكم ..» أو تعبيرات من هذا القبيل.

والأساليب السابقة التى تخفف الإحباط تعمل بوجهها الآخر على تخفيف العناء من القيام بدور المنشئ. وكذلك فالأحاديث الصريحة بين أعضاء الأسرة تساعد على تخفيف آثار الإحباط.

وتعد الآثار الإيجابية لما يقوم به الوالدان من دور فى عملية التنشئة وظهور هذه الآثار على سلوكيات أطفالهم، نوعا من الإشباع يجعل الوالدين يتحملان عناء رحلة التنشئة الاجتماعية لأطفالهما.

ثانيا : دار الحضانة Nursery School :

بعض الأسر تدفع بأطفالها بين الثانية والرابعة من العمر إلى دار الحضانة، وهذا التوجه المبكر لوضع الطفل فى مؤسسات مفترض أنها تربوية يمكن أن يكون بالنسبة إلى العديد من الأطفال خبرة ثمينة جدا.

وأوضح قيمة للطفل فى إرساله إلى الحضانة، هى أنها تهيئ له الفرصة للعب مع أطفال من نفس عمره تقريبا، فى جو تنظم فيه الألعاب والأدوات، وكذلك تنظيم الفعاليات والأدوار للأطفال بما يتناسب وعمرهم ودون قيود.

والطفل الذى يذهب للحضانة، ولا يصبح المنزل هو اهتمامه الوحيد، ولا غرفته هى مكانه المفضل، ولا أبواه وإخوته إن وجدوا هم أصدقاؤه فقط. لقد أصبح له غرفة أخرى يقوم بالمشاركة فى ترتيب أو تزيين بعض أدواتها، وأصحاب جدد يسعد برؤيتهم كل يوم فى أغلب الأحوال، لقد أصبح له شىء آخر يثير اهتمامه. إنه يقابل مربية تهتم به وبألعابه بطريقة تختلف عما تفعله الأم وعن جو المنزل الذى تعود عليه.

فإذا كانت دار الحضانة مكانا جيدا، وكان تكيف الطفل معها مناسبا، فإن الطفل لن يقضى فى الحضانة وقتا ممتعا فحسب، بل إن الذهاب لها يكون بالنسبة له خبرة تزيد من تكيفه مع حياته المنزلية واكتشافه لعالم جديد.

وثمة أطفال آخرون يبدون غير متقبلين للمكان الجديد، ويبدو ذلك من عدم استمتاعهم الظاهر عند الذهاب، وأحيانا تزايد ثورتهم أو تعبهم أو ربما مرضهم. وغير ذلك من الإشارات التى تدل على أنهم يلقون عنتا فى الذهاب إلى الحضانة.

١ ـ بنية الحضانة وأثرها فى التنشئة الاجتماعية للأطفال :

فى هذا النطاق يتطلب الأمر التحدث عن جانبين هما حجم سكان الحضانة والتفاوت العمرى والجنسى لمجتمع الحضانة.

أ ـ حجم سكان الحضانة : إن عدد سكان الحضانة لاشك أكثر من عدد أفراد الأسرة التى أتى منها الطفل، لقد أصبح الآن بين عدد أكثر من الأطفال، ويرى داخل غرفة النشاط مشرفة تشبه الأم، وهناك عاملات يترددن بين وقت وآخر للحفاظ على النظافة، ويصاب الطفل فى البداية بنوع من الدهشة مع هذا العدد الكبير، وربما يبكى مثل أطفال معه، ولكنه أصبح يصمت أو يهدأ مثلما حدث لأطفال آخرين، إنه مقلد جيد حتى لسلوك البكاء أو الهدوء والطاعة الذى يظهر من قبل أطفال آخرين معه، إنه يذهب مثل بقية الأطفال إلى حوض الرمل حينما تطلب المشرفة منهم ذلك، ويعودون إلى غرفة النشاط حينما تطلب منهم ذلك ... إننا الآن فى سبيل خطى للمسايرة وسط الجماعة.

ب ـ التفاوت العمري والجنسي لمجتمع الحضانة : إن أفراد الروضة من الأطفال لا يختلفون عمريا، ولكن الطفل يلاحظ نساء فى عمر أمه يطلبن منه

أحيانا تنفيذ بعض الألعاب أو الذهاب إلى الحمام أو إحضار علب الألوان، ويجد الطفل أن الذين معه من الأطفال ليسوا من جنسه فقط بل من الجنس الآخر.

٢ ـ الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة الاجتماعية بالحضانة :

ويطلق عليها ميكانيات التطبيع الاجتماعى، ومنها :

أ ـ برنامج الحضانة: هناك برامج لبعض دور الحضانة، ودليل للمشرفة، وعبر المناشط المدرجة بالبرنامج التى يشارك فيها الأطفال يكون هناك بث لبعض المعايير عن قصد مثل الاشتراك مع الجماعة والتعاون مع الأطفال والنظام وترتيب أدوات اللعب على الأرفف المنخفضة . . وغيرها.

ب ـ المناشط الحرة : إتاحة الفرصة للطفل كى يلعب حرا هدف جوهرى من أهداف الحضانة، وهو فى ذلك إما يستقل بلعبه أو يشارك فردا أو أكثر، ويكون نتيجة ذلك إنجاز بعض الأعمال مثل أكوام الرمل أو نقل الماء بالأوانى أو . . . وأحيانا العراك والشجار الذى لا يلبث أن ينتهى باللعب ثانية دون تدخل المشرفة، وكلها خبرات مناسبة للأطفال فى تنشئتهم، عند تفضيل لعبة على أخرى أو صديق على آخر أو الدخول فى شجار.

٣ ـ المشرفة وعملية التنشئة الاجتماعية للطفل بالحضانة :

من المفروض أن تضم الحضانة مشرفات يعرفن كيفية مساعدة الأطفال الذين هم من جنسين مختلفين على اللعب المفيد والمرح . . . بعيدا عن التزمت والصرامة أو الضيق والقلق من الأطفال. والمفروض على المشرفة فى هذا المجال أن تكون ذات بال طويل وقادرة على توجيه سلوكيات الأطفال المفاجئة واستغلالها فى النشاط الذى تقدمه لبقية الأطفال.

إن المشرفة لا يتوقف دورها على العمل وسط الأطفال أو رعايتهم عموما وقت الحاجة، ولكن أن تتحدث مع الأمهات حول أمور أطفالهن ومشكلاتهم. وهنا نكون مع مربيات عطوفات موجهات لسلوك الأطفال ولسن متسلطات عليهم.

وعبر هذا الدور الذى تقوم به المشرفة فإنه يمكن عرض صوره فيما يلى :

أ ـ **المشرفة كمنفذة للبرنامج** : وفقا لما هو وارد فى دليل المشرفة يجب أن يتم السير فى غرس أوليات السلوك الحسن كالمشاركة والمرح وحب النظام.

ب ـ **المشـرفة كنمـوذج سلوك** : المشرفة بالإضـافة إلى أهمية كونها مـوجها لسلوك الأطفال دون تزمت أو تسلط يجب أن تكون الشكل الذى يحتذى به. لأن الأطفال مـقلدون جيدون حتى لأبسط السلـوكيات التى تصدر من الكبـار. فتكون منظمة وصبورا ولا تنفعل بسهولة مع المواقف المحبطة. إن الأطفال يقلدون المشرفة فى مـواجهة مـثل هذه المواقف، فـالمشرفـة التى اندفع الماء بقوة فى وجـهها من الصنبـور وصرخت تكون قـد فشلت أمـام الأطفال فى مـواجهة المواقف المحـبطة مقارنة بالمشرفة التى ابتسمت.

٤ ـ رؤية الآباء لدور الحضانة في تنشئة الأطفال :

إن من المدهش أن نسـمع بعض الآباء يقـولون إن مشكـلات أطفالهم مـثل العناد أو قلة الأكل أو العلاقات السيئـة مع الإخوة قد قلت أو اختفت مع مواصلة الطفل الذهاب للحـضانة. وتقول بعض الأمـهات إن الطفل أصبح أكـثر استمـاعا وطواعية. وإن كـان هناك من الأمهات من يقلن إن الطفل تعلم المزيد مـن التمرد والعصيان وأصبح لا يسمع الكلام، أو يقلن إن الطفل يبكى باستمرار عندما يعرف أنه فى طريقه إلى الحضانة.

وهكذا فليس هـناك إصـرار على وجـوب ذهاب جـميع الأطفـال إلى دار الحضـانة، وتبعـا لحالة الطفل فـإنه يجب أن ينظر بجدية فى تأجـيل ذهاب الطفل للحضانة وليكن سنة مثلا، ولكن من الرأى أن غـالبية الأطفال تستطيع أن تتكيف مع ظروف الحضانة وتفيد منها ويساهم ذلك على تنشئتهم الاجتماعية.

ثالثا : رياض الأطفال Kindergarten :

من المناسب للغـاية أن يتجـه المعنيون بتنشـئة الأطفـال للأخذ بفكرة جـعل روضة الأطفال جزءا معـترفا به من كل مدرسة ابتدائية رسمـية، كما هو الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية.

ونسبة من الأطفـال ليست قليلة بين الرابعة والسادسة يوجـهون إلى الروضة سواء كانوا قد ذهبوا من قبل إلى الحضانة أم لم يذهبوا.

ولما كانت الفترة العمرية بين الرابعة والسادسة فترة تكيف سهل لدى الأطفال، ورياض الأطفال تسير على نفس النهج الذى تسير عليه دور الحضانة، ولا تطالب الطفل إلا بفعاليات حركية أو عقلية استكشافية أو فعاليات لعب فردية لهذا العمر. فإننا لا نبالغ إذا طالبنا المدارس الابتدائية بتقديم ودعم هذه الفعاليات بجدية فى غرفة الدراسة حينما ينتقل إليها الأطفال.

وإن كانت العوامل التى أدت إلى انتشار رياض الأطفال والحضانات تكاد تكون واحدة، ومن هذه العوامل خروج المرأة للعمل، وظهور الأسرة قليلة الحجم أو الأسرة النواة. بالإضافة إلى أن البيئة خارج المنازل أصبحت خطرة وصاخبة ولا تشبع حاجات الأطفال للانطلاق.

ولقد كان لإصدار الأمم المتحدة عام ١٩٥٨ من إعلان حقوق الطفل، واعتبار عام ١٩٧٩ عاما دوليا للطفل، أكثر الأثر فى توجيه الأذهان إلى أهمية إعطاء الأطفال فرصا أكثر مناسبة تعوضهم ما ينقصهم فى بيئاتهم. وهذا لا يقلل من شأن فروبل وغيره من الذين أسدوا إلى الطفولة عموما وفكرة رياض الأطفال بافتتاحه أول روضة للأطفال فى عام ١٨٣٧ .

لقد أطلق Froebel مسمى «المدرسة القائمة على غرائز الأطفال الفعالة» على روضته، ثم سماها «مدرسة التربية النفسية» وبعد ذلك أطلق عليها اسم «حديقة الأطفال» ومنه ظهرت التسمية التى شاعت فى جميع أنحاء العالم وهى «روضة الأطفال» ولذلك يعد فروبل المؤسس الحقيقى لرياض الأطفال.

وأعطى فروبل قيمة كبيرة للعب والموسيقا والتشكيل والرسم والتلوين، وأكد على أهمية الأنشطة اليدوية ودراسة الطفل للطبيعة.

والروضة تقدم الأفكار والمناشط فى جو مرح وفى هواء طلق كلما أمكن ذلك. كما أن الاهتمام بمبادئ الصحة مثل غسل الأيدى ومبادئ الدين مثل حمد الله وشكره والمبادئ الوطنية عن طريق الممارسة الأخلاقية جزء جوهرى من مهمتها.

وتأتى Montessori فى عام ١٩٠٧م معلنة أن الأطفال ينبغى أن ينالوا قدرا كبيرا من الحرية فى عملهم تحت رعاية مشرفة، وأن المقاعد رمز للاستبداد. والأهم من ذلك أن يكون لكل طفل أدواته التى يختارها بنفسه ويعمل بها ثم

ينادى المشرفة لترى ما يفعل، وتطلب من الأطفال الصمت لحظات أو ثوانى ثم يتصورون ويتخيلون ويفكرون فيما يحبون أن يعملوا ويصنعوا، وتستطيع الحرية على هذا النحو تكوين نظام، فليس النظام شيئا مجردا قائما على الرهبة، ويصبح المشى فى الحقول أو وسط الحديقة والمشاركة فى زراعة بعض النباتات وملاحظة نموها من المناشط الهادفة.

فللروضة أهداف منها : تنمية الشعور بالثقة لدى الطفل وفى الآخرين، فى جو غير قهرى، وتنمية الاستقلالية فى القبول والرفض والذهاب والعودة مع تعويده وجود وقت لا يستطيع أن يفعل فيه كل ما يريد. مع تجنب إحراجه أو إشعاره بالخجل.

والروضة تهدف إلى تنمية رغبة الطفل فى العمل مع غيره، ويتعلم أن يكون له دور وللآخرين دور. كما أن الاعتماد على النفس من خلال خلع الأطفال للمعاطف وغسلهم للأيدى مثلا يمكن أن ينمو. وهذابالطبع لا يتنافى مع دور الروضة فى تهيئة الأطفال لحياة المدرسة وممارسة مناشطه لمبادئ القراءة والكتابة والرياضيات مبتعدين عن طريق التلقين وعبر برامج أو أركان أعدت لهذا الغرض.

إن دور الروضة ينحصر فيما يبدو فى كونه دور تهيئة أو استعداد لدخول المدرسة وليس بديلا عنها، أو عوضا لها، فمهمة الروضة تكمن فى اكتشاف قدرات الطفل ومواهبه النامية والسماح لبراعمها بالظهور عن طريق النشاط الحر الموجه، مع تزويده بمهارات اجتماعية مثل التحية والاستئذان والعفو والسماح.. فى جو طليق خال من الضغوط أو الإرهاق للطفل، وهذا ما يجعل الطفل يشعر بأن الروضة مكان آمن يشعر فيه بالرضا، ويزيل من نفسه ما يعتريها من رهبة أو خوف، حين يترك المنزل ليجد نفسه فى محيط جديد، وتقوى عنده سمة الجرأة ليصبح أكثر انضباطا وأقرب إلى النظام وأكثر تقبلا له، فينتظم فى المدرسة فيما بعد دون جو مضطرب.

١ ـ بنية الروضة وأثرها فى التنشئة الاجتماعية للأطفال :

فى هذا النطاق يتطلب الأمر التحدث عن جانبين هما : حجم سكان الروضة والتفاوت العمرى والجنسى لمجتمعها، ولن يختلف الحديث عما عرضناه

عند تحدثنا عن دار الحضانة من قبل. إن الفارق ليس كبيرا بين الجو فى دار الحضانة ورياض الأطفال كبنية، ولكن الاختلاف فيما يدرك الطفل، وفيما يرى ويسمع.

فى الروضة ينتقل الطفل إلى بيئة جديدة عليه تماما إن لم يكن قد التحق بالحضانة حيث يتساوى فى المعاملة مع أطفال مثله، وهنا تمتد عملية التنشئة الاجتماعية تدريجيا، إذ إن الأمر يتطلب تعلمه كيف يتقبل ذلك ويسلك معهم السلوك المناسب - سلوك نحو الآخرين - وهنا يبدو مفهومه عن نفسه وعلاقاته بالغرباء من سنه، فتنمو اتجاهاته الخلقية والأساليب التى تجعله يتعامل بنجاح مع الآخرين. والطفل هنا لا يعلم ماذا يحدث ولكنه يحدث.

٢- الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة الاجتماعية فى الروضة:

وفى هذا نتعرض لنظام برنامج العمل بالروضة والمناشط الحرة:

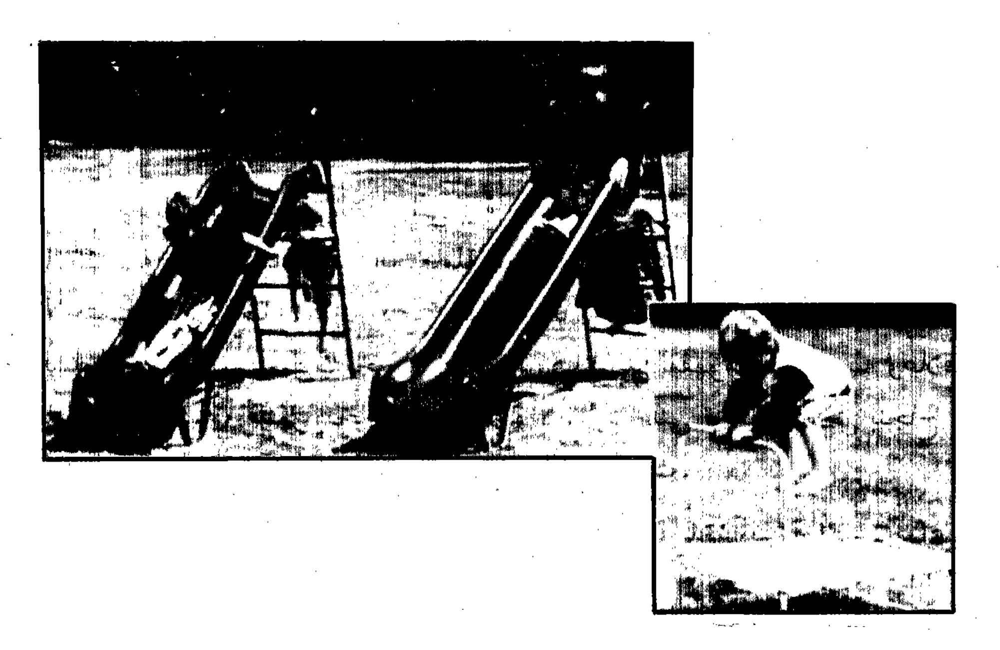
أ - **نظام برنامج الطفل فى الروضة**: من غير المقبول أن روضة أطفال تكون بدون برنامج، وهناك برامج متعددة ربما تختلف باختلاف المدن داخل نفس الدولة، وقد أخذت برامج رياض الأطفال أنماطا متنوعة متآلفة تارة ومختلفة تارة أخرى، ولقد اقترح Doreen قضبيات ثنائية تتراوح بينها هذه البرامج.

برامج محددة البنية مقابل برامج غير محددة البنية.

برامج تؤكد على المهارات المعرفية مقابل برامج تؤكد على المهارات الوجدانية.

برامج تعتمد على التعليم مقابل برامج تعتمد على الاستكشاف .. وغير ذلك.

كما أن هناك ما يطلق عليه نظام الوحدات التعليمية Teaching Units. وقد وضعت Eliason مؤشرات لجملة من الوحدات التعليمية تدور حول الألوان والأعداد والأحجام ووسائل النقل والأصوات والحيوانات .. إلخ، وغير ذلك من البرامج والأنظمة.



وإن اختلفت المداخل للنظام المعمول به نجد أنها تنطوى على أهداف لها أهميتها فى التنشئة الاجتماعية للأطفال، مثل الاستقلال الذاتى والجرأة والدعابة والضحك وتعلم أدوار الجنس والإصغاء والتقيد بالتعليمات بالإضافة للعادات المناسبة للمواقف وغيرها.

ب ـ المناشط الحرة المنضبطة : مما يلاحظ أن البرنامج المحدد البنية لا يعنى أنه محدد بصورة مطلقة، أو بصورة لا تترك أى مجال لمبادرة المعلمة، أو لاقتراحات الأطفال المفاجئة أو الآنية. كما أن البرنامج غير محدد البنية لا يعنى العشوائية التى لا يحكمها ضابط، كما أن الدافعية الخارجية لا تعنى التجاهل أو الإهمال لكل الدوافع الذاتية من لدن الطفل. ويبدو من ذلك أن الطفل أمام عمل جاد مشوق. ودور يستوعب ميول الأطفال الطارئة ضمن المناشط اليومية، وهذا ما يمكن الطفل من تطوير مفهومه عن إمكاناته وذاته وضبط النفس وإدراك المسئولية والتعاون. وكلها من قبيل النمو الاجتماعى.

٣ ـ المشرفة وعملية التنشئة للطفل في الروضة :

تبدو الحاجة إلى مشرفات يحببن الأطفال، فى الغالب يبدأ حبهن للأطفال ويأتى فى المقابل حب الأطفال لهن. مشرفة تحترم إمكانات الطفل ورغباته ولا تحكم عليه بمقاييس الكبار، لديها القدرة على أن تجعله يعبر عن أحاسيسه

ومشاعره، ومتمكنة أن تكون مستودعا لأسراره البسيطة النامية، والإفضاء بمشاكله مع غيره.

إن دور المشرفة يجب أن يتضمن دور الملاحظ والموجه لأعمال الطفل تاركة له بعضا من حرية التصرف، ليشعر بأنه يقوم بعمله بوحى من ذاته ووفق رغبته وإرادته، ولا يعنى ذلك أن تترك للطفل فى الروضة الحبل على الغارب، بل تراقبه عن كثب وتكون له القدوة. إن المشرفة تؤدى دورها متجنبة الإساءة إلى الطفل، لا توبخه أو تحرمه من المشاركة فى النشاط، وعليها أن تبتعد عن كل ما هو من شأنه أن يسوء علاقتها معه، كما تزيل من نفسه ما قد يعتريها من رهبة.

فعلاقة الطفل بالمشرفة التى يراها الآن والأطفال الذين وُجدوا معه سوف تحدد ماله وما عليه .. معنى الحق ومعنى الواجب .. دون أى نوع من أنواع التلقين، إنها طبيعة وجوده فى ذلك المجتمع. إن ذلك أول بدايات الإحساس بالانتماء للمجتمع الذى أصبح عضوا فيه. والطفل حتى الآن لن يسمع ولن يفهم معنى كلمة انتماء فى هذه السن المبكرة، ولكن بذرتها قد وضعت فى أعماقه.

أما الأخلاق والاتجاهات الاجتماعية فلن تنمو تلقائيا لمجرد وجود الطفل وسط ذلك المجتمع الجديد (الروضة). إنما للمشرفة فى الروضة دور هام فى إعداده اجتماعيا حيث يكون الطفل ما زال متمركزا حول ذاته وأحيانا ممارسا للعدوان، وهو يرى المشرفة فى توجيه تصرفه وفعل سلوكيات أخرى، يحس أنها جميلة لأنها من المشرفة التى أصبح يحبها، مشرفة أصبحت تشركه معها ومع غيره من الأطفال فيتحول تمركزه حول ذاته إلى نوع من المشاركة والتعاون.

وعبر هذه الأدوار التى تقوم بها مشرفة الطفل فى الروضة يمكن عرض صورها فيما يلى :

أ ـ المشرفة كمنفذة للبرنامج : وفقا لما هو وارد فى البرنامج المعمول به تسير المشرفة فى دعم أوليات السلوك المناسب للمواقف، متيحة له فرص الإفضاء بما يخالجه والتعبير عما يشعر به.

ب ـ المشرفة كنموذج سلوك : المشرفة يجب أن تكون مرحة ضاحكة، مرنة الحركة مستبشرة، لا تستخدم الصراخ فى توجيه دفة الأمور، تحب الأطفال، وتظهر حبها لأدائهم.

جـ ـ المشـرفة كمنفـدة للمكافأة ولتـعزيز السلوك الإيـجابي المشرفة تكافئ الأطفال على أعمالهم عن طـريق السماح لهم بالقيام بأعمال جـديدة، ولا تستخدم معهم أساليب الحرمان.

٤ ـ رؤية الآباء لدور الروضة في تنشئة الأطفال :

إن دور الوالدين لا ينتـهى بمجرد دخـول طفلهم الروضـة، وإنما هو امتـداد لدور المنزل. وإن من الواجب أن ينظر الوالدان تبعا لظروف ابنهما غير الراغب فى تقليل فترة دوامه بالروضة.

ويقول آباء كـثيرون أن الروضـة بالإضافة إلى أنـها أراحتـهم من أطفالهم، تعلمهم أشياء مفيدة، وسلوكيات هامة للغاية. إلا أن هؤلاء الآباء يطلبون المزيد من جهـود الروضة فى تعليم الأطفال الكتـابة والحساب واللغة، ونسـوا أو تناسوا أن الهدف الأول والأهـم للروضة هو العـمل على إسعـاد الطفل، وإكسابـه العادات المقبولة فى سنه وبيئته. وهى أمور أهم من التنشئة الاجتماعية.

رابعا : المدرســة

المجال المدرسى هو المجال التربوى المقصود الذى تحدث فيه الظواهر التربوية التعليمية، وهو بالتالى مجال نفـسى واجتماعى فى نفس الوقت، ويقصد به جميع الظواهر التى تحدث فى وقت معين بالنسبة لفرد أو مجموعة ما فى جو المدرسة.

فالمجـال المدرسى مـجال نفـسى واجتـماعى، لا يمكن فـيه فـصل الظواهر النفسيـة فى الأفراد عن الظواهر الاجتمـاعية الخاصـة بالمجموعات التى تلتـقى فيه وتتفاعل فى إحداث الظواهر التربوية. فالمتغيرات السيكولوجية الخاصة بالأفراد من حاجات وأهداف ومدركـات . . . تلتقى بالمتغيرات الاجتماعـية من منظومات القيم الثقافية، وهذا ما يجعل المجال المدرسى مجالا عاطفيا لسببين :

الأول : أنه مجـال معرفـة ولا يمكن أن توجد آلية مـعرفيـة بدون عناصر وجدانية، كما لا توجد الأخيرة بدون الأولى داخل المدرسة.

الثاني : إنه من حـيث هو مجال نفـسى واجتـماعى هو مـجال عـلاقات إنسانية، وحينما تكون علاقات إنسانية تكون هناك عواطف

إن مرحلة المدرسة تبدأ فى حياة الطفل منذ السادسة فأكثر، إنها توافق مرحلة الهدوء بالنسبة لنموه النفسى والاجتماعى، لأنه يكون قد تجاوز مرحلة المعارضة والعناد أو فى سبيله للخروج منها. فهو بذلك قد خطا فى مراحل الاندماج الاجتماعى. كما أن حياته العاطفية قد اغتنت واكتسبت خبرات لا بأس بها، فى مواقفه من ذاته أو من الآخرين ومن الموضوعات المحيطة به.

وبعد دخول الطفل المدرسة، يصبح خاضعا لها فى نسبة كبيرة من وقته، فالمدرسة تؤثر فيه بما تعطيه من واجبات منزلية Home Assignments واستذكار وواجبات اجتماعية من خلال روابط تربط الطفل بالزملاء، وجمعيات وجماعات مدرسية.

إن البيئة الأسرية والوسط الاجتماعى بصفة عامة، يكون قد مارس تأثيرات على الطفل فيما يخص إعداده للحياة المدرسية : فالأسرة فى مواقفها من الطفل ومعاملتها له طوال ما مر من عمره قبل هذه المرحلة وكذا الحضانة أو الروضة قد جعلته يحمل تصورات خاصة عن جو المدرسة، وعن شخصية المعلم وجزء من دوره، وطبيعة العمل المدرسى، وهذه كافية لجعله مكونا بعض العواطف الإيجابية أو السلبية تجاهها.

لقد ترددت على مسامع الطفل مقارنات كثيرة بينه حيث لم يدخل المدرسة بعد وبين أخيه الأكبر الذى دخلها، أو غيره من أبناء الجيران المنخرطين فى حياة المدرسة. كما أنه قد تأهب لكثير من المواقف التى تجعله ينظر إلى دخول المدرسة كمرحلة ضرورية لابد منها، وذلك لإحراز قيمة إضافية لذاته وتوسيع دائرة ممتلكاته وتصرفاته. فدخول المدرسة يعنى امتلاكه لأدوات مدرسية وزى خاص، وعناية خاصة عند الخروج وفى فترات الامتحانات.

إن هذا التهيؤ لحياة المدرسة الذى تمارسه البيئة على الطفل، والتهيؤ الذى يقوم به الطفل ذاته قد ينطوى على مظاهر سلبية أو إيجابية.

فقد يغلب على هذا التهيؤ عامل القمع، بحيث تكون حياة المدرسة وعيدا وتهديدا لانطلاق الطفل وحيويته، وهذا ما يجعلنا نسمع صراخ الأطفال حفاوة فى الفسحة أو فى حصص الألعاب أو مع آخر اليوم الدراسى أو مع آخر يوم فى الدراسة وبعده تبدأ الأجازات.

كل هذه أمور تعلن أن الطفل يشعر بأن المدرسة أقيمت للحد من رغباته ولقمع حريته أيضا. لكن الطفل يصبح مقتنعا بضرورة المرور بهذه المؤسسة أو الوكالة ليحظى بالمكانة أو الاعتراف، فهو عن طواعية يشارك فى قمع ذاته وممارسة الضغط على نفسه. ويعنى ذلك أن الطفل رغم ما سمعه ويسمعه عن الدراسة ويعايشه فيها يقبل عليها، وقد اتخذ موقفا منها وتكون فى أعماقة ما يشير إلى إمكانية تقبله لها أو نفوره منها. ولا شك أن باستطاعة المدرسة أن تصلح كثيرا من الموقف السالب الذى أصبح لدى الطفل ولكنه يبقى دائما موقفا مبدئيا له دوره وتأثيره فى كثير من المجتمعات.

وللمدرسة وظيفة اجتماعية هامة، هى استمرار المجتمع الذى هى فيه، وذلك بأن تيسر لأطفال المجتمع، تمثل قيم هذا المجتمع ومعاييره، وتدربهم على السلوك الذى يرتضيه عموما فى المواقف والمناسبات، وهى بذلك وكالة من وكالات التنشئة الاجتماعية ذات الأهمية.

وقد تكون المدرسة أول مجتمع يواجه الطفل بمفرده بعد خروجه من المنزل إذا لم تسنح له ظروف الالتحاق بالروضة. ويختلف هذا المجتمع الجديد عن أسرته التى قضى فيها فترته السابقة.

إن أسرة الطفل كجماعة أولية كانت العلاقات تتميز فيها بالمواجهة والعمق والدفء، وإن الطفل فيها تقدر قيمته لذاته، أما الآن وقد دخل المدرسة فهى جماعة ثانوية، ليس فيها دائما علاقات المواجهة لا بين المدرسين والأطفال ولا بين الأطفال بعضهم والبعض، فالعلاقات ليست على نفس الدرجة من العمق والحرارة.

فأعداد الأطفال داخل المدرسة كبيرة مقارنة بالأسرة، وتبدل المدرسين من عام إلى آخر، بل ومن مادة إلى أخرى يجعل تكوين مثل هذه العلاقات ونموها أمرا صعبا جدا، كما أن المدرسة كتنظيم اجتماعى له وظيفة محددة ، لا ترحب بنشأة هذه العلاقات؛ لأن تقويم التلاميذ وتقديرهم جزء أساسى من وظيفتها، وإن نشأة علاقات حميمة عميقة بين المدرسين والتلاميذ أمر يؤثر فى سلامة أداء المدرسة لدورها التقويمى.

إن العلاقات فى المدرسة أهم ما يميزها أنها رسمية يغلب عليها الخضوع لقواعد محددة ومعايير متفق عليها يخضع لها الجميع، أو على الأقل مطالبون بالخضوع لها.

ويعد تقدير قيمة الطفل فى المدرسة قائما على أساس مختلف عما كان فى الأسرة، ففى الأسرة كان مصدر قيمته ذاته وأنه أحد أبناء الأسرة، أما فى المدرسة فقيمة التلميذ تنبع من ثلاثة جوانب.

الجانب الأولى مقدار ما يستطيع أن يتعلمه، أى تحصيله المدرسى، والثانى مدى مسايرته لأنظمة المدرسة وقواعد السلوك المطلوبة، أما الجانب الثالث فهو مشاركته فى الأنشطة اللاصفية ومدى ما يهتم به فى ألوان النشاط.

والاختلاف بين الأسرة والمدرسة فى طبيعة العلاقات والتفاعلات، لا يعنى فقدان أو انقطاع الصلة بين الوكالتين، فالمدرسة تدفع الإمكانات العقلية والمهارات الاجتماعية التى بدأتها الأسرة أو الروضة وتبنى عليها ما يتناسب مع طبيعة المجتمع.

١ ـ بنية المدرسة الاجتماعية وأثرها في التنشئة الاجتماعية للأطفال:

فى هذا النطاق يتطلب الأمر الحديث عن أربعة أمور رئيسية هى : حجم سكان المدرسة، وحركة المجتمع المدرسى، والتفاوت العمرى والجنسى لمجتمع المدرسة والتفاوت الاجتماعى والاقتصادى لمجتمع المدرسة.

أ ـ حجم سكان المدرسة : لا نختلف أن عدد الأفراد الموجودين فى المدرسة ضخم، من تلاميذ ومدرسين وإداريين. والطفل أصبح الآن ـ بعد دخوله ذلك المجتمع الجديد ـ مطالبا بأن يكتسب لنفسه مكانا، واستخلاص هذا المكان والاعتراف ليس بالأمر الهين أو الذى تسمح به المدرسة بسهولة، وإنما يحتاج إلى مثابرة من التلميذ ومنافسة وتغلب على الصعوبات والعقبات، وربما تعرض الطفل للضياع وسط هذا الخضم الهائل، وخاصة عند انتقاله من أسرة تميل إلى صغر الحجم فى عصرنا الحالى إلى مدرسة تتجه إلى التضخم والاتساع، وقد يترتب على هذا فقدان ذلك الصغير للثقة بالنفس نسبيا وربما لاحترام الذات، مما يترك آثارا سلبية على نموه الاجتماعى ومن ثم تنشئته الاجتماعية.

ومع الأعداد الكبيرة لا يسهل عادة إقامة علاقات اجتماعية عميقة بين التلاميذ بعضهم والبعض وبين التلاميذ والمدرسين، ولا يتمكن المدرس من إنشاء هذه العلاقات بينه وبين التلاميذ بسهولة إلا إذا كان عدد التلاميذ مناسبا.

ب ـ حركة المجتمع المدرسي : إن أعضاء المدرسة يتميزون بالحركة والتغير، فالتلاميذ يتغيرون بالنجاح من سنة إلى أخرى أو حتى الرسوب، والمدرسون يتغيرون مع سنوات الدراسة وربما ينقلون.

وإذا كانت هذه الحركة لأعضاء المدرسة تتيح للتلميذ فرصا وخبرات جديدة ومواجهة مع أنماط جماعية وأفراد مثل الذين يواجههم مستقبلا فى المجتمع، فهذا أمر لازم لعملية التطبيع الاجتماعى، إلا أن فيه ما يجعل الطفل غير شاعر بالاطمئنان وخاصة مع سنواته الأولى بالمدرسة.

جـ ـ التفاوت العمري والجنسي لمجتمع المدرسة : إن أفراد المدرسة مختلفون من حيث العمر، ففى المدرسة الابتدائية مثلا نجد من هم فى السادسة من العمر ومن هم فى الثانية عشرة، وربما وجد تلاميذ وتلميذات، وربما وجد فيه مدرسون ومدرسات من أعمار أكبر. إن هذا الاختلاف والتفاوت له أهميته فى التنشئة الاجتماعية للطفل. فهو يمنح الطفل فرصا للتعامل مع فئات عمرية مختلفة من الجنسين، مما يجعله يتعلم أو على الأقل يلاحظ بعض أنماط التعامل والسلوك. وغالبا جرب بعضها وأصبح على الطريق لاكتسابها.

ومن ناحية أخرى ربما كان لذلك أثر سالب، فقد يأتى توقيت الخبرة التى يلاحظها أو يسمعها ليس فى وقته أو موعده، فالتلميذ الذى لم يصل إلى سن البلوغ قد يسمع عن الاحتلام من تعامله مع تلاميذ أكبر منه.

د ـ التفاوت الاجتماعي والاقتصادي لمجتمع المدرسة : لا يأتى التلاميذ فى نفس المدرسة من مستويات اجتماعية واقتصادية متشابهة تماما إلا تحت بعض الشروط، وغالبا ما نجد أنهم أتوا من أوساط ثقافية واجتماعية مختلفة إلى حد ما، ويؤثر ذلك فى العلاقات التى تنشأ بين التلاميذ بل وفى صبغتها.

وينعكس ذلك على تنشئة الطفل، فالحياة المدرسية نوع من التفاعل. ولا يتوقف الأمر على مستويات التلاميذ، فلمستوى المدرسين أنفسهم أثر أيضا، فلقد

أظهرت البحوث أن المدرسين من طبقة ما (متوسطة أو غير ذلك) يدعمون قيم واتجاهات ومعايير وسلوك هذه الطبقة فى تلاميذهم من نفس الطبقة.

وربما كان هناك نمط طبقى شائع فى مدرسة ما، تنعكس آثاره على سلوكيات التلاميذ مقارنة بالتلاميذ فى مدارس أخرى لهم نمط طبقى آخر أكثر شيوعا. وعموما فإن التكوين الطبقى لتلاميذ المدرسة يؤثر على أنماط التفاعل والسلوك فيها، وبالتالى على دور المدرسة فى التنشئة الاجتماعية لهم.

٢ ـ الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة الاجتماعية في المدرسة :

يطلق البعض كما سبق أن ذكرنا مصطلح ميكانيات التطبيع الاجتماعية على هذه الأساليب ومنها :

أ ـ عن طريق المقررات المدرسية : فقد تلجأ وزارة التعليم إلى الاعتماد على طرق مباشرة لبث قيم ومعايير غلب عليها الاتفاق فى المجتمع، وتأتى هذه القيم صراحة فى الكتب المستخدمة بالمدارس وأثناء شرح المدرس، أو تحدث بأساليب غير مباشرة مثلما يعرض مدرس للرياضيات مسألة عن الاستثمار أو التأمين، أو عندما يطلب المدرس من التلاميذ أن يحكوا قصصا عن الصدق وعن الأمانة والمنافسة أو عن الإخلاص. وعلى الرغم من ذلك فالمدرسة تعطى التفوق الدراسى فى المقررات الدراسية أهمية كبرى فيما تمارسه من أساليب التنشئة الاجتماعية لتلاميذها الصغار.

ب ـ الأنشطة المدرسية : هناك أنشطة مدرسية منظمة وموجهة ليكتسب منها الطفل بعض المعايير والقيم مثل حسن الاستماع للمتحدث، أو التوقعات المرتبطة بالمكانة للقائد والمرءوس، مثلما نجد فى النشاط المسرحى أو فى نشاط التربية الرياضية والمباريات، أو ما هو متوقع من الغالب والمغلوب فى مباراة، أو المتوقع من المضيف أو المستقبل لزائر فى حفل.

جـ ـ الثواب والعقاب للتلميذ : يمارس ممثلو السلطة المدرسية الثواب والعقاب، فنجد تشجيعا لقيم معينة وتعزيزا لتصرفات التلاميذ بأنواع من الثواب مثل المدح ومنح الجوائز وإعطاء الامتيازات، ويحدث العكس فيما يتصل بالقيم والسلوك الذى لا يتفق مع النظام المدرسى. والمدرسة فى ذلك مثلها مثل الأسرة

فى تطبيق الثواب والعقاب، وإن كانت الرسمية فى التطبيق من جانب المدرسة تبدو واضحة.

فتطبيق مبدأ الثواب والعقاب من جانب المدرسة نابع من أداء التلميذ وليس من كونه ابنا فى الأسرة، هذا الأداء الذى يقارن فى ضوء أداءات التلاميذ الآخرين وترتيباتهم فيه، ولا يتم منح التعزيز أو توقيع العقاب فى ضوء عمق عاطفى كما يحدث داخل الأسرة، ولا تبدو فيه الحدة الانفعالية، فالمنفذ غير متعاطف فى جميع الأحوال لأنه يطبق نظاما يعرفه الجميع.

د ـ **تحقيق استقلالية الطفل عن الأسرة** : تتمسك المدرسة بأن يخبر الطفل علاقات ومعاملات وتفاعلات مختلفة فى النوع والدرجة عما عهده فى أسرته من خلال فاعلية الثواب والعقاب المستخدم، وتحرص المدرسة على هذا الاستقلال باعتباره شرطا لازما لنجاح ما تفعله لتنشئة الطفل اجتماعيا.

هـ ـ **تقديم نماذج للسلوك** : وهو من الأساليب التى تقوم بها المدرسة لتنشئة الأطفال، إما بالحديث عن النموذج وشرحه ومناقشته بقصد الترغيب فى الخصائص المقبولة، أو بمجرد عرضها دونما ترغيب، أو دعوة للاقتداء بالنموذج. وعلى أية حال فتأثر الطفل بالنموذج متوقع فى الحالتين.

ومع كل الأساليب التى تتبعها المدرسة فى سبيل تنشئة الأطفال، لا يخفى على الأذهان، أن الطفل لا يبقى خاملا أو مستقبلا للأساليب المستخدمة معه، فالتلميذ يلاحظ ويعيش كل ما يجرى فى المدرسة من أحداث صغيرة وكبيرة، تتعلق بالزملاء أو بالمدرسين أو حتى أصحاب السلطة، وما يدور فيها من مناسبات كالامتحانات أو زيارة المسئولين. إن التلميذ ليس مسجلا جيدا فحسب بل مشاركا فعالا فى كل هذه المناسبات، وله دوره النشط الذى تقصده المدرسة أو تسهل له أن يتبناه.

٣ ـ معالجة آثار الإحباط على التلاميذ أثناء تنشئتهم داخل المدرسة :

الأمر مختلف تماما بالمدرسة، فليس من الضرورى فى المدرسة ـ كما هو الحال فى الأسرة ـ أن نقوم بمعالجة آثار الإحباط أو الألم الناتج من الحرمان من ممارسة نشاط داخل المدرسة، أو عدم الحصول على جائزة لتدنى مستوى التلميذ،

أو خفض درجته فى السلوك مع نهاية الشهر لتجاوزه حدود الألفاظ اللائقة مع الزملاء، أو توقيع أى نوع من أنواع العقاب الأخرى المسموح بها فى المدارس.

٤ ـ المدرس وعملية التنشئة الاجتماعية :

المدرس هو المركز الذى تلتقى عنده بالتلميذ كل النظم الموضوعة فى المدرسة وكل الأساليب المتبعة للتنشئة الاجتماعية.

والمدرس له عدد من المكانات والأدوار الاجتماعية التى تحددها المؤسسة التى يعمل بها، وهو يعمل ويؤثر فى التنشئة الاجتماعية للتلميذ من خلال هذه المكانات والأدوار.

والتلميذ يدرك المدرس بصورة قد تتفق أو تختلف عن تلك الصورة المحددة اجتماعيا بواسطة نظم التعليم أو التربية، ولا يمكن أن نغض البصر عن خصائص المدرس ونواحى شخصيته وانعكاساتها على دوره.

ثَمَّ ظاهرة مؤكدة يعرفها كل من مارس مهنة التعليم، كما يعرفها عن تلاميذه الأطفال أو حتى المراهقين، تلك الظاهرة هى المحاولة المبدئية من جانب الدارس والمدرس لتصنيف الآخر.

فأول ما يفكر فيه المدرس هو أن يعرف نوعية التلاميذ الذين وكل إليه أمورهم، كما أن التلاميذ يقومون بنفس المحاولة، وفى ضوء هاتين المحاولتين نجد الهدف هو العثور على مفتاح شخصية الطرف الآخر للسيطرة عليه وربما أسره.

وإذا كانت للمدرسين وسائل ومظاهر أرقى لتحقيق هذا الأسر، فإن التلاميذ قد يتخذون فى هذا السبيل ما يدعو أحيانا إلى الرثاء، لو أن بعض المدرسين يقعون مع ذلك فيها، مثال ذلك ما يلاحظ من تسابق فئة خاصة من تلاميذ الفصل على تقديم بعض الخدمات للمدرس، كتنظيف المكتب أو مسح السبورة . . إلخ. مع أن مثل هذه الأعمال يمكن أن تحقق فى جو من التنظيم مبنى لفائدة الجماعة وليس للتقرب من المعلم.

إن التلاميذ رغم صغر سنهم فى المدرسة الابتدائية، يبدون وكأنهم سيكولوجيون صغار بالنسبة لمعلميهم أو بالنسبة لآبائهم حينما كانوا يتعمدون المساومة لتحقيق المطالب أو وصف الطرف الآخر.

ومن الملاحظات أن نجد المدرس وهو يسأل تلاميذه الصغار بطرق متنوعة عن أفضل مدرس بالنسبة لهم، فهذه الواقعة التي تبدو فى ظاهرها مجرد فضول، إلا أنها تدل فى عمقها على أن المدرس يسأل فى سبيل جلب الاعتراف بأنه الأحسن، أو ليتعرف على الأقل على الصورة المفضلة لدى التلاميذ التى يمكنه بواسطتها أن يستحوذ على دارسيه، وهو نوع يشبه نوع الموقف الذى يتخذه أحد الوالدين سائلا الطفل إن كان يحب أمه أو أباه أو أيهما أفضل ولماذا؟ . إنه موقف المساومة والارتشاء العاطفى والأنانية فى الاستحواذ على الطفل.

ومع أهمية مثل هذه المواقف فى العلاقة الناشئة بين المدرس والتلميذ، وقوة دلالتها، على أن دور المعلم فى المدرسة يتحدد بواسطة هذه التصورات التى يكونها من الواقع، أو انطلاقا من تصورات التلاميذ.

ومهما كان الأمر فإن للمدرس أدوارا من المفيد أن نستعرضها :

أ ـ المدرس كمنفذ سياسة : وفقا لما تتطلبه سياسة المدرسة، يعمل المدرس على إكساب التلاميذ القيم والمعايير وأنماط السلوك التى تعكس سياسة السلطة التربوية فى المجتمع، وليس من حقه التغيير، وإن كان تنفيذ هذه الممارسات للإكساب يعكس ذاتية المدرس وخصائصه الشخصية، وربما وقع فى صراع بين السياسة المطلوب تنفيذها منه وما يؤمن به، إلا أنه فى النهاية عليه أن يسير طبقا للسلطة التربوية الكبرى، وهو فى ذلك يكون قد اتخذ أحد المسالك لعملية التنشئة الاجتماعية للتلاميذ.

ب ـ المدرس كممثل سلطة : السلطة داخل المؤسسة التعليمية ضرورية، وللمدرس نصيب منها بقدر ما يسمح له بإحداث التأثير المناسب فى مجالات ضبط سلوك التلاميذ والحكم عليهم واتخاذ قرارات تتصل بهم.

والتلميذ هنا من خلال تفاعله مع مدرسه الذى يعتبر ممثل السلطة، يتعلم أن هناك قوى مراقبة لضبط سلوكه، وأن هناك سلطات تقدير وتقويم تزنه وتحكم عليه حسب أدائه وسلوكه.

جـ ـ المدرس كنموذج سلوك : المدرس يجب أن يكون مثالا أو نموذجا للتلاميذ، ومتوقع منه أن يسلك تبعا لصورة لها أهميتها. إلا أن الأمر يختلف بين التلاميذ عند اتخاذهم مدرسيهم أو أحدهم نماذج لهم. فالتلميذ الذى ينتمى لمستوى

اقتصادى مرتفع قد يحب مدرسا ويحترمه ولكنه ينظر إليه أنه من فئة أخرى أو من جماعة معينة، وربما نظر إليه على أنه أقل منه فى المستوى بحيث لا يتمنى أن يصبح مثله، بعكس الحال إذا نظر إلى هذا المدرس تلميذ له مستوى اقتصادى منخفض. وهذا لا يعنى أن التلميذ صاحب المستوى الاقتصادى المرتفع لا يتأثر ببعض السمات البارزة فى هذا المدرس.

إن التأثير العاطفى لشخصية المدرس فى التلميذ، يأتى من مبدأ اتخاذ المدرس كنموذج، فكل الظروف القائمة فى مجال المدرسة وشروطه المادية والمعنوية، ومضمون عملية التنشئة التى يقوم بها المجتمع تؤدى إلى هذه النتيجة. وإن المدرس نفسه وهو يتعامل مع التلميذ يكون فى ضوء هذا المبدأ، كما أن التلميذ يعامل المدرس على أساس منه.

وهذه النموذجية الشاملية على المستوى المعرفى والأخلاقى والوجدانى هى ما يجعل العمل التربوى صعبا، وهو أمر واضح من تردد وتخوف المبتدئين فى التدريس أو المقبلين عليه. وهذا التأثير للنموذج ربما استمر معهم وعلق بهم إلى مراحل متأخرة من حياتهم، وخاصة ما يتصل بالجانب الخلقى والمهنى من شخصية المدرس.

د ـ المدرس كممثل قيم : إن المدرس فى سلوكه ومن خلال مركزه الاجتماعى يعكس العديد من القيم مهما اختلف المدرسون، مثل قيمة النظام، وقيمة المعرفة والتحصيل، وقيمة المسايرة الاجتماعية أو التمشى مع الأوضاع. ويتأثر التلاميذ عبر سلوك المدرس وتصرفه فى المواقف بهذه القيم، فى الفصل أو أثناء النشاط أو أثناء حفلة أو مباراة.

هـ ـ المدرس ككفيل أو مُعيل Supporter : ربما كان أعمق تأثير للمدرس فى نمو التلميذ اجتماعيا، هو ما يشعره التلميذ بأنه مكفول بالمدرس أو أن المدرس راع له. تلك العلاقة التى تقوم على الاهتمام والحرص من جانب الكفيل (المدرس) على المكفول (التلميذ) وتنعكس من التلميذ فى صورة احترام أو إعجاب بهذا المدرس، ويسقط معها الفتور بين التلميذ والمدرس مع بقاء الموضوعية والاتزان.

٥ ـ نماذج العلاقة بين المدرس والتلميذ أثناء تنشئته :

إن العلاقـة بين المدرس والتلميذ وشكلهـا لها أثر فعـال على تنشئة التلمـيذ اجتـماعيا. إن هذه العـلاقة هى علاقة بـين طرفين أحدهما أدنى والآخـر أسمى، فـالمدرس مكتـمـل افـتـراضـا ونموذج يحـتـذى به، والتلمـيـذ تـابع فى مـرحلة التكوين، والمدرس كمـمثل للسلطة يوقظ فى التلميـذ ردود فعل من قبيل مـشاعره نحـــو الأب. ولا يعنى هذا أن صــــورة كل من الأب والمدرس تتطابـقـان، أو أن تأثيرهما واحد على التلميذ.

ويمكن إجمال نماذج المواقف بين المدرس والتلميذ فى ثلاثة :

أ ـ الفـتور : فى مثل هذا الموقف يـتمثل التلمـيذ كوسـيلة يؤدى بها المدرس وظيفته التعليمية، أو يرضى بها رغباته الشخصية.

وفى هذه العلاقة يصبح الهم الرئيـسى للمدرس هو ضخ المعلومات فى ذهن التلميذ، ويبلغ حد اللامبالاة بهذه الفئة من المدرسين إلى انعدام أى قلق يمكن أن يخامرهم حول مدى استجابة التلاميذ لعملهم، أو حتى حول ما حُشر فى أذهانهم من معلومات. فموقف المدرس هنا خـال من كل لون عاطفى وأحيانا يهتم المدرس بالسرد والشـرح لحبـه لمادته وحبه لإثبـات ذاته. والأمر هنا ينطوى علـى أنانية من المدرس.

ولا يمكن الحـديث عن أى علاقة هنـا، لا علاقة الخـضوع أحـيانا للتلمـيذ والنفور أحيانا أخرى من المدرس ومادته.

ب ـ المبالـغة في حب التلمـيذ : على النقيض من المـوقف السابق، إنه ليس موقف الخلو من الدفء العـاطفى، بل موقف فيض الحـرارة العاطفيـة. يظهر هنا الاهتمام الزائد بالتلمـيذ والغيرة الشديدة على مـستواه التحصيلى، ومـستوى أدائه عمـوما، إنه موقف حب التلمـيذ، يهدف المـدرس من ورائه إلى اقتناص الضحـية (التلميذ) وربطه فى حبائل علاقة لا يريد لـه منها فكاكا، إنه استحواذ، وهو مظهر للأنانية من جانب المدرس أيضـا لا تتاح معه للطفل فرصـة المناخ الضرورى لتبلور عاطفة إعجـاب، ولذلك فهذا الأسلوب وإن اختلف مع موقف الفـتور واللامبالاة السابق فى مظهره لا يختلف عنه فى طبيعـته، فكل منهما موقف تسلطى. وإن كان

الموقف الأول يؤدى إلى موقف سلبى فى التلميذ، فإن الموقف الثانى يولد داخل التلميذ صراعا وتوترا وربما تمنى الفكاك من هذه العلاقة.

وتعد درجة النضج الاجتماعى والعاطفى للمدرس من الأمور التى لها أهميتها فى هذا الشأن، وتؤدى إلى تكوين مواقف عاطفية مناسبة إزاء الدراسة عموما.

جـ ـ الاعتراف بشخصية الطفل : إنه موقف خال من الأنانية، موقف يعترف باستقلالية الطفل، ويترك مجال النمو العاطفى للطفل متفتحا، لا يأسره بحب زائد ولا يقتل فيه اعتبار الذات عن طريق لا مبالاة عاطفية أو تحكم ضمنى.

إن الطفل شديد الحساسية بمواقف الآخرين إزاءه، لذلك فهو أقدر من غيره على استشفاف دلائل الاعتراف بشخصيته، وهو قابل للإجابة بالمثل، وهذا ما يؤدى إلى تكوين علاقة انسجام بين المدرس والتلميذ مبنية على اقتناع التلميذ شعوريا ولا شعوريا بنموذجه (أستاذه) خارج كل قيد مادى أو معنوى.

ويعمل المدرس نتيجة نضجه على تخليص التلميذ من الأسر الوجدانى، والخروج به من دائرة التقليد والاحتذاء، ليمارس قدرته على الاختيار.

وبفضل علاقة الانسجام العاطفى ونكران الذات هذه يتكون ثنائى مثالى Ideal Couple بين المدرس والتلميذ، وفى ظل هذه العلاقة تنمو عواطف الاحترام للذات وللغير، وللمدرس خصوصا، ولا يجب أن يكون التصور من هذا الحديث وجود علاقة ذات بعد واحد، لأن علاقة الانسجام الحقيقية بين المدرس والدارس ليست مجرد حوار بين شخصين، بل تأخذ مضمونها كعامل فى إطار الفصل الذى يدرس فيه التلميذ من حيث هو مجموعة تلاميذ أو ما يعبر عنه الفصل - المجموعة Groupe - Class وبذلك تكون هذه العلاقة ذات امتداد فى جميع الاتجاهات.

٦ ـ معالجة ما يصيب المدرس من إحباط أثناء قيامه بالتنشئة :

يصاب المدرسون غالبا بخيبة أمل مع بعض تلاميذهم، ويزيد الأمر صعوبة إذا كان هؤلاء الأساتذة من أصحاب المبالغة فى حب التلميذ أو حتى الذين يعترفون بشخصية التلميذ. وذلك يجعل المدرسين فى حالة من التوتر والقلق إزاء ما كانوا يتوقعونه وما حدث بالفعل سواء من تفوق أو تأخر للتلميذ أو حتى سلوك صدر

منه. وربما قال بعض الأساتذة إن هذه المهنة سيئة، أو وضعوا لها أمثالا تثير الضحك أحيانا، وتواسى المدرس المنفعل أحيانا أخرى.



وقد أشرنا أنه لا توجد أساليب لمعالجة إحباط الأطفال فى المدرسة تخفف من عنائهم، وكذلك لا توجد وسائل لمعالجة ما يحدث للمدرسين من إحباطات.

ولكن الأحاديث الصريحة التى تتم بين المدرسين أحيانا، وتوقيع العقاب على التلاميذ المخالفين ربما يخفف القليل من آثار الإحباط. كذلك تعد النتائج الإيجابية مع نهاية الامتحانات ليست فقط إشباعا لحاجة المدرسين إلى التقدير بل وتخفف أيضا من عناء الإحباطات، بالإضافة إلى الامتنانات القليلة التى ربما يوجهها بعض الآباء المخلصين لمدرسى أبنائهم.

ومن الآراء الحديثة إشراك أحد تلاميذ الفصل ليقوم بدور المدرس (قرين المدرس) Peer - Teacher وفى الغالب ما يكون أكبر التلاميذ عمرا، يعاون المدرس ويعلم الأطفال الأصغر. ويستفيد من هذا الأسلوب كل من المدرس والطفل الأكبر والطفل الأصغر. ومن الجدير بالذكر أن هذا النظام عرفته التربية الإسلامية واشتهر باسم «العريف» الذى يطلق على التلميذ الأكبر الذى يتمكن من ضبط سلوك التلاميذ فى غيبة المدرس، ويقلل هذا الأسلوب نسبيا من بعض الإحباطات.

٧ ـ رؤية الآباء لدور المدرسة في تنشئة الأطفال :

معظم الآباء يتوقعون أن تقوم المدرسة بمعاونة الأسرة فى تنشئة الأطفال اجتماعيا، أى بتدريبهم بشكل واع على اكتساب القواعد الخلقية والاجتماعية.

فإلى جانب المهارات المعرفية التى يتعلمها الطفل فى المدرسة كالقراءة والحساب والكتابة فإنه يجب أن يكتسب معلومات عن المعايير والقيم والأدوارالاجتماعية.

ولكن فى حين يتفق جميع الآباء أن يتعلم أولادهم الكتابة أو غيرها نجدهم يختلفون فيما يتعلق بالمعايير والوسائل التى تتخذها الملحوسة فى عملية التنشئة الاجتماعية.

ويرى البعض مثلا أن على المدرسة أن تؤكد على صفات الطاعة والأدب، ويرى آخرون ضرورة معاونة الطفل على التعبير عن ذاته وثقته بنفسه، ويرى البعض الأخير أن تكون التنشئة دينية.

هناك قواعد أخلاقية واجتماعية تعمل فى ضوئها المدرسة مثل التأديب والطاعة . . . وقد لا يكون لمثل هذه القواعد أهمية أو غير مناسبة للبيئة خارج الفصل، حيث يكون التقييم بين الأقران قائما على مبدأ الشجاعة والجرأة والاستقلالية والحرية.

ولا تسلم الوكالات التعليمية والتربوية عموما من تقريظ أولياء الأمور وملاحظاتهم رغم الموقف الضخم الذى تقوم به هذه الوكالات مع أعداد كبيرة من الأطفال.

خامسا : جماعة الرفاق (الأقران ـ الأنداد) Peer - Group

يبدى الأطفال بعض مظاهر المشاركة الوجدانية مع بعضهم البعض من سن مبكرة. ولا نغالى إذا قلنا أنهاتبدأ من العام الأول للميلاد، فنجد أن الطفل يلاحظ غيره من الأطفال يبكون فغالبا يبكى مثلهم. ويزداد تأثير الأقران فى سن المدرسة وقبلها بقليل حيث يطرأ على سلوك اللعب عند الطفل تغير ظاهر فى نمط اللعب.

فيتحول نمط لعب الأطفال من اللعب الانعزالى Isolated Play إلى اللعب الاجتماعى Social Play ويلاحظ تفضيل الطفل اللعب فى جماعة الأقران عن اللعب مع الكبار.

والجماعة جملة أفراد أو أشخاص، تربط بينهم علاقات متبادلة ومتداخلة، ويضمهم وعى، ولا يمثل دخول فرد فيها زيادة عددية فحسب، بل تغييرا كيفيا فيما يخص تأثيراتها الوظيفية السلوكية فيه.

والجماعة تبدو كلاً مخالفا لمجموع عدد أفراده، ليست منعزلة بذاتها، بل توجد داخل تنظيم اجتماعى تظل تتأثر به مستمدة منه نماذجها، ومتفاعلة على نحو ما مع بقية ما فيه من مجموعات أخرى، هذه المجموعات التى تتفاوت فى مقدار اتساعها، ومدى توافر أعضائها، بحيث يمكن التمييز بين جماعات كبرى وجماعات صغرى . . . كما أن الجماعة كيفما كانت حدودها ومداها، تحتوى داخلها على ترتيب وتنظيم للأعضاء حسب أدوارهم ومستوياتهم.

فهناك منصب الرئيس أو القائد أو الزعيم Leader ومن ينوب عنه أو يساعده، أما الطابع العام لسلوك جميع الأفراد فهو التعاضد والتعاون.

والتلاميذ فى الفصل، من حيث إنهم مرتبطون بعلاقات متبادلة فيما بينهم، وبوعى وبأنماط ثقافية مشتركة، يكونون بالفعل جماعة، وهو قابل كمجموعة كبرى نسبيا إلى أن يضم مجموعات صغرى.

إن وجود الطفل فى المدرسة بين مجموعة من الرفاق يجعلنا نرى فى هذه العلاقة صورة جديدة لعلاقة سبق أن عرفها فى الأسرة، وهل علاقته بإخوته، فلكل من مجموعة الإخوة فى الأسرة ومجموعة رفاق الفصل الدراسى توجد مرحلة تكوين يشرف عليه ويوجهه كبار. مما يجعل الاهتمامات والمطامح والمشاكل مشتركة بين رفاق المدرسة، كما كانت هناك اهتمامات ومشاكل مشتركة بين كل طفل فى الأسرة وسائر إخوته. وهذا بالطبع لا يعنى أن هذه العلاقة نسخة طبق الأصل من علاقة الطفل بإخوته، وبالتالى فليس من الضرورى أن يترتب عليها نفس التأثير العاطفى الذى يترتب على علاقته بإخوته. غير أن ما نعنيه بتشابه العلاقتين هو أن الطفل مستعد للدخول فى علاقة مع آخرين، بناء على خبرة تكونت لديه فى ضوء علاقته بإخوته، بجوانبها السلبية والإيجابية.

ولا شك أن العلاقة بالإخوة إذا كانت قد سارت فى طريقها الإيجابى السليم من ناحية تأثيرها العاطفى، أصبح سهلا على الطفل الاندماج والتفاعل مع جماعة الرفاق بالفصل المدرسى، إلا أن كل علاقة مع ذلك تبقى لها تأثيراتها العاطفية الخاصة. وعلى الأقل فإن عمق العلاقة بين الإخوة، رغم ما فيها من صراعات أحيانا، تساعد الطفل على تحمل الصدمات المنتظرة فى علاقاته الجديدة مع جماعة أو جماعات الرفاق. وتبقى له الجماعة الثابتة المستقرة التى يلجأ إليها كلما احتاج إلى ذلك.

وتقوم جماعة الرفاق أو الصحبة أو الأقران أو الشلة بدور هام فى عملية التنشئة الاجتماعية، فهى تؤثر فى قيم وعادات واتجاهات الأطفال، وحتى الكبار. وفى الصحبة، يجد الطفل مجموعة من الأطفال يتصل معهم ويقاربونه فى العمر والميول.

ويحرص الفرد فى أى مرحلة عمرية يصل إليها على الانتماء إلى جماعة من الأصدقاء يتقاربون معه فى العمر من أجل تحقيق قدر من التفاهم المتبادل، وقدر من الإحساس المشترك. كما أن مدى تأثر الفرد بالجماعة أو الصحبة ومدى ما يتقبله من قيمها واتجاهاتها ومعاييرها يتوقف على درجة علاقة الفرد بشلته، فكلما ازداد مدى تمثل الفرد لما اصطلحت عليه الجماعة من أنماط سلوكية دل ذلك على قوة ارتباطه وتأثره بها.

ويبقى باستمرار المبدأ الذى تقام عليه جماعة الرفاق أو الأقران، هو تكونها من أعضاء يتعامل كل منهم مع الآخر على أساس من المساواة سواء كانت تتكون من أفراد أو راشدين.

وأساس المساواة هنا فى التعامل والتفاعل بين الأطفال، له وجهان: أحدهما إيجابى ويتمثل فى ضم أطفال آخرين من نفس العمر تقريبا وغالبا من نفس الجنس ويستطيع أن يتعامل كل منهم مع الآخر على أساس المكانة المتساوية. والجانب السلبى هو استبعاد الراشدين منها أى من هم ليسوا آباءً أو أمهات أو مدرسين، ويعتبر هذا الراشد حتى وإن وصلت الجماعة فى عمرها إلى مرحلة المراهقة بمثابة مكانة لمغترب Status of Alien.

١ ـ البنية الاجتماعية لجماعة الرفاق وأثرها على التنشئة الاجتماعية للأطفال :

إن البنية الاجتماعية لجماعة الأقران ليست على نفس المستوى من التحديد والتعقيد كما هو الحال فى الأسرة أو المدرسة، ورغم ذلك فإنه يمكننا التحدث بخصوص هذه البنية عن بعض الأمور الجديرة بالتناول.

أ ـ حجم جماعة الرفاق : يصل حجم جماعة الرفاق فى الغالب إلى ثلاثة أفراد فأكثر، ويظهر الأطفال الكبار أن الانتماء إلى هذه الجماعة يخلصهم من حصار الأسرة، يتصرف فى رحابة كما يشاء، ويكتشف الطفل حينما يصبح على مشارف البلوغ أو قبلها بقليل أنه مكبل بأغلال أقوى مما كان يتوقعه وإن كانت من صنع جماعة الرفاق أنها جماعة ضاغطة Pressure Group، ويجد نفسه منقادا لضغوط الجماعة سواء شاء ذلك أم أبى، وذلك كسبا لرضاء أعضائها وحرصا على تقبلهم الدائم له.

ب ـ استمرارية جماعة الرفاق : ليس من خصائص جماعة الرفاق استمراريتها إلى فترات زمنية طويلة، فهناك جماعات رفاق تستمر لأشهر معدودة كما أنها لا تتجدد ولا يحتفظ بكيانها بالأعضاء أنفسهم.

وإن كانت هناك حالات معينة تحتفظ بها الشلة Clique بوجودها واستمراريتها مثل مجموعة المكفوفين من أبناء حى معين أو أبناء لطبقات عليا فى المجتمع التى يكون استمرارها وسيلة لتحقيق بعد نفسى أو اجتماعى.

جـ ـ التجانس العمرى والجنسى : غالبا ما تقوم جماعات الأقران على أفراد من نفس العمر ومن نفس الجنس، فهناك جماعات أفرادها إناث، وأخرى أفرادها ذكور، ونادرا ما تنشأ جماعات تشمل الجنسين معا فى مجتمعاتنا العربية.

د ـ البساطة والتعقيد : هناك أشكال من جماعات الأقران يمكن تصنيفها على النحو التالى :

(١) جماعة اللعب : وهى أبسط أنواع جماعات الأقران، وتتكون بصورة تلقائية لإشباع الحاجة إلى اللهو أو اللعب والمرح. وتظهر أول ما تظهر بين الأطفال فى الفئة العمرية ٣ ـ ٤ سنوات. وليس لهذه الجماعة أى قيود أو قواعد مشتركة.

(٢) **جماعة اللعبة** : وهى جماعة تشارك فى لعبة جماعية مع تأكيد على قواعد وأصول وقوانين للعبة يجب الالتزام بها، وفيها يقع الثواب والعقاب بناء على الالتزام. وهنا يبدأ التشكيل الاجتماعى للأدوار والمكانة لكل عضو.

(٣) **الشلة (عصبة) Clique** : وهى مستوى أعلى من التعقيد فى المشاركة الحميمية بين الأفراد، وفيها لا يسمح بدخول أفراد معينين داخلها ويكون هناك اتفاق على استبعاد نوع معين من بينها، وتصل درجة التماسك والعلاقات الحميمة بين أفرادها إلى اتخاذ أنماط سلوكية مشتركة، تصل أحيانا إلى ارتداء نفس النوع أو الشكل من الزى. وتعد جماعة الرفاق عندما تصل إلى هذا المستوى مصدر إشباع عاطفى لأعضائها. والشلة بين أبناء الطبقة الوسطى تبدو أكثر رسمية وتقيدا بعكس الشلة من أبناء الطبقة العليا وأبناء الطبقة الدنيا.

(٤) **العصابة Gang** : وهى أقصى درجة من درجات التعقيد والتنظيم، وإن كان أهم ما يميزها الصراع مع السلطة أو مع عصابات أخرى.

ولدى أفرادها خبرات متراكمة من الصراع، ورموز مشتركة وشعارات وإشارات، وتعتبر نموذجا اجتماعيا لما يمكن أن يصل به شكل جماعات الأقران نتيجة لظروفهم من قوة ضغط على سلوك أعضائها والانقياد لأوامرها.

(٥) **جماعات تلقائية النشأة ورسمية التكوين** : وهى التى تتكون فى الأندية أو المدارس، وربما تحولت إلى جماعة أقران على شكل الشلة بعد فترة من التفاعل وغالبا ما يشرف عليها الراشدون، وهذا ما يجعل البعض يقول إنها ليست من جماعات الأقران. لأنها تنشأ من أعضاء يتلقون وجهة نظر الراشدين فى الأمور العلاقية لأعضاء هذه الجماعة، وهى ليست مجالا لتفريغ التوتر والشحنات الانفعالية نتيجة مسار الأفراد أثناء عملية التطبيع، وإن كانت تسمح بجزء منها أحيانا.

وإذا كانت الصحبة عموما لها وظائف جوهرية للأطفال، منها أن يجد الطفل من يسايره من الأفراد من نفس سنه، وتنمية الإحساس بالقيم والحساسية نحوها

وتوصل الطفل إلى مستوى مناسب من الاعتماد على النفس بالإضافة إلى المساهمة فى تكوين الاتجاهات والأدوار الاجتماعية، إلا أن أثر الصحبة فى عملية التنشئة أثناء مرحلة الطفولة يظهر فى عدد من النقاط

- دخول الطفل فى جماعة يعد نوعا من النشاط الاجتماعى وتكوين الصداقات ومن ثم النمو العاطفى.
- الالتزام بالقواعد خشية الوقوع فى النقد.
- الدخول فى أدوار اجتماعية مثل الزعامة أو القيادة.
- الشعور بالاستقلالية والاعتماد على النفس والقدرة على اتخاذ قرارات بسيطة.
- الدخول فى ممارسات لتجريب بعض أنواع السلوك الجديدة أو المحرم التحدث عنها داخل الأسرة أو المدرسة.
- إتاحة الفرصة لتقليد سلوك الكبار فى جو سمح أو مرح.
- إتاحة الفرصة للالتزام وتحمل المسئولية.
- إشباع أهم حاجات الأطفال غير الأولية وهى : الحاجة للشعور بالمكانة والانتماء.
- إكمال ما ينقص الطفل من معلومات لا توفرها الأسرة أو المدرسة أو تتجنبها (المحرمات الاجتماعية).
- تساعد الطفل فى الحصول على استقلال شخصى عن الوالدين أو المدرسين.
- ملاحقة التغيرات والألعاب الجديدة.
- ممارسة أدوار اجتماعية مثل صلح الأقران، أو إثارة الخلاف.
- تنمى الاعتراف بحقوق الآخرين.

٢ ـ موقع الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة فى جماعة الأقران :

تعمل فى جماعات الأقران وسائل أو أساليب للتطبيع أو التنشئة الاجتماعية نعرضها على النحو التالى

أ ـ **الثواب والعقاب** : إن وجود أفراد داخل جماعة الأقران يلزم كلا منهم بأنماط السلوك، وكل فرد يهمه أن يحظى بانتباه وتقدير ورضى باقى أفرادها، أو يحصل على رضى المهمين فيها وألا يستمر فى عضويتها وتلفظه الجماعة. وهنا يكون العقاب، وربما اقتصر على الاستهزاء أو النبذ. ويكون الاحترام لعضو الجماعة بمثابة مكافأة أو إثابة له، وربما السماح للمشاركة أو الانضمام للأنشطة.

ب ـ **النماذج** : داخل جماعة الأقران، قد يصبح أحد الأعضاء ذا قيمة خاصة تجعل منه مثالا يحتذى، ويحاول أن يتوحد أو يتقمصه باقى الأعضاء ويكون باقى أعضاء الجماعة أكثر استعدادا لتقبل أفكاره وآرائه.

جـ ـ **المشاركة فى اللعب** : وهى خاصية أو أسلوب لا يظهر تأثيره بوضوح على التنشئة الاجتماعية مثلما نجده فى جماعة الرفاق، وإن كان هذا الأسلوب يعد مشتملا على أساليب أخرى مثل أسلوب الثواب والعقاب، فعن طريق اللعب يعرف الطفل الحدود اللازمة لممارسة اللعبة والقواعد المنظمة لمشاركته أو إخراجه نهائيا. وقبول الطفل لهذه القواعد يحدث تدريجيا، وهو خبرة لها قيمتها فى تطبيع الطفل، لأنها تضعه وجها لوجه مع خاصية هامة من خواص المؤسسات الاجتماعية، وهى الالتزام حتى تستمر عضوية الفرد.

٣ ـ معالجة آثار الإحباط أثناء التنشئة داخل جماعة الأقران :

هناك أمور محبطة على بعض أعضاء الجماعة، فعدم الاعتراف بأهميتهم أو أهمية ما يبدون، ربما يسبب نوعا من الإحباط، ولا تقوم جماعة الأقران فى أغلب الأحوال لإزالة هذا الشعور، وبخاصة أن الفرد أصبح عضوا فيها، وربما وصل الأمر لعلاقات حميمة بين الأعضاء، ويكون التسامح من العضو فى حد ذاته أو ارتضاء المكانة وسط هذه الجماعة وارتضاء رواد له أو رضى زعيم الجماعة، بمثابة تخفيف لما أصابه من إحباط. وإن كانت هناك جماعات رفاق تخفف من آثار الإحباط التى بدت على بعض أفرادها من منطلق العاطفة التى تربطهم ومدى الجرح الذى أصاب العضو. كما أن لمساندة الجماعة للعضو مقابل الجماعات

الأخرى، وإفـادته بالرأى فى مشـكلاته الخاصة والـصعوبات التـى تقابله أحـيانا، والأمور ـ التى تتطلب مـنه اتخاذ قرار ـ تجعلـه يتسامح فيـما أصابه من عـقاب أو إحباط من الجماعـة نتيجة اختلاف فى الرأى أو عدم التزام بقواعـد متفق عليها أو متعارف عليها.

٤ ـ رؤية الآباء لدور جماعة الأقران فى تنشئة الطفل :

ليس لدى الكثير من الآباء فهم واضح لجمـاعة الرفاق أو الأقران، وإن كان بعض الآباء يعـتمـدون عليـهم فى تصـفيـة بعض مـشكلات الأطفال مع الأسـرة وبخاصـة الأطفال الكبار والمراهقـون، وربما يعتمـد عليهم بعض الآباء فى تصفـية الخلافات بين الأطفال.

إلا أن المفهوم الشائع لدى الآباء كـما يشير إليه Krumboltz وزميله هو قلق الآباء بسـبب خضـوع أبنائهم لتـأثيـر الرفاق، وبخـاصـة إذا كانت صـورتهم لدى الوالدين أنهم رفقـاء السوء أو هم كذلك فعـلا، لأنهم يشكلون مصدر خطر كـبير على سلوكيـاتهم. وينصح الآباء بضرورة تعليم أولادهم، أثناء تنشئـتهم، أساليب المناقشة والحوار لأية معايير أو قـرارات أو التزامات تفرض عليهم دون خوف وبلا تردد أو امتثال تلقائى، ولا غبار على رأى الآباء فهم حريصون على أطفالهم.

يقـول رسول الله ﷺ : «إنما مـثل الجليس الصالح وجليس الـسوء كحـامل المسك ونافخ الكير، فحـامل المسك : إما أن يحذيك وإما أن تبتـاع منه، وإما تجد منه رائحـة طيبـة. ونافـخ الكيـر : إما أن يحـرق ثيابك، وإمـا أن تجد منه ريحـا منتنة». وقال ﷺ : «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»، وقال ﷺ: «لا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، وإياك وقرين السوء».

ولكن يجب أن نعلم أطفالنا صورة الصديق الحسن، ونمهد له بكيفية التعرف على الأصـدقاء من منطلق أننا لا نـنكر ضرورة تمهـيد الأطفـال للاستـقلاليـة، أو الانتقـال التدريجى من الاعتـمادية أو الاتكالية فى نطاق الأسـرة إلى الاستقـلالية الموجهة فى رحاب جـماعة من الرفاق من نفس العمر، مع مـراعاة ضرورة الالتزام بمعايير الأسرة.

سادسا : النوادى والساحات الشعبية والجمعيات

تنبئ طريقة تنظيم النوادى وكيفية تسييرها عن الأهداف التى يرمى إليها المنظمون، ومدى عنايتهم، بتكوين إطار تربوى تتوافر فيه شروط معينة. لذلك فإنه كلما تطورت الأهداف تطورت طرق الإعداد والتنفيذ. والغاية التربوية للنوادى والساحات والجمعيات هى تعويد الطفل الطاعة وتوزيع المسئوليات، وإسناد جزء من تربية الطفل إلى الطفل نفسه تحت رعاية شخص أكبر سمح الأخلاق.

وفى الأندية والساحات تجمعات من الأطفال، لكل منها ميل مشترك، فالميول والرغبات لها دور كبير فى تنظيم هذه المؤسسات، لدرجة أن هناك نوادى تقوم على نشاط مميز لها نبع من ميل المشتركين.

وتؤدى الملاعب عند توافرها وتجهيزها تأثيرا فى وجدان الطفل نحو مجال من أهم المجالات المشروعة الأداء والممارسة وهو اللعب. فاحتفالات المجتمع أو بعض شرائحه بمظاهر اللعب المتجلية فى تشجيع الرياضة المنظمة (كرة القدم - السباحة - . . .) بشتى أنواعها يجعل الراشدين والأطفال ينظرون إلى أبطال هذه الرياضات نظرة الإكبار والإقدام فيبدون نماذج تحتذى فى هذا المجال، ليس على مستوى ممارسة اللعبة وإتقانها وممارسة سلوك اللاعب بل على مستويات أدنى مثل ارتداء نفس لون ملابس اللعب أو نفس رقم اللاعب المحبب.

إن الملاعب والساحات الرياضية والنوادى تُرغب الأطفال وحتى الكبار إلى ممارسة الرياضة، وفضلا عن أن هذا فيه استفادة مشروعة من أوقات الفراغ وشغل لها، فهى تنمى الأجسام وتحافظ على البنية، بل تكون واحدة من مجالات الترويح.

إن نظرة بسيطة إلى المباريات الرياضية الأسبوعية، وما يحيط بملاعبها أو الأجهزة الإعلامية الناقلة لها لتدل على قوة الشحنة العاطفية التى يحملها الأطفال بين جوانحهم وما يمكن أن ينعكس على قبولهم للصفات الخلقية لممارس الرياضة من تحمل وثقة بالنفس وتعاون.

وهناك أندية متعددة المناشط، لتحقق رغبات المشاركين. فى جو ممتلئ بالألفة، يجد فيه كل عضو ما يشبع رغباته من اطلاع ولعب وندوات وأنشطة

خدمة بيئة وغيرها كما أن هذه المؤسسات تستثمر اهتمامات الأطفال الثقافية والعملية، وتنمى تذوقهم للفنون والآداب والرياضة

والهدف من ذلك تنشئة الأطفال وتنمية حصيلتهم العامة وإكسابهم للمهارات عن طريق الممارسة، بالإضافة إلى تنمية الإحساس بالتذوق الفنى والتشكيلى والغنائى من خلال مناشط يقيمها الأطفال بأنفسهم وجهودهم الذاتية. والنوادى والساحات الناجحة هى التى تزود الأطفال بما لا تزودهم به المدرسة، أو تضيف على ما يمكن أن تزودهم به المدرسة.

ولذلك فدور هذه المؤسسات هو تحقيق نوع من التعلم الذاتى عبر استخدام المؤلفات والآلات التعليمية والمبتكرات الحديثة بالإضافة إلى الأنشطة الرياضية التى تنمى المهارات المختلفة فى القفز و الجرى . . وكذا التدريب على أنشطة تنمى المهارات اليدوية مثل الحياكة والحفر.

ولن تكون هذه الأداءات فى الأندية والساحات والجمعيات دون تفاعل اجتماعى بين الأعضاء من أطفال أو مدربين ورواد.

ويكون المبدأ الأساسى هو احترام شخصية الطفل واستقلاليته أثناء الأداء داخل هذه المؤسسات مما يشعره وينمى فيه القدرة على العطاء ودافع الإنجاز والروح الرياضية، والابتعاد عن الأنانية وتقبل وجهة نظر الغير فيما يؤديه، وكلها من قبيل التنشئة الاجتماعية.

إن معرفة الفرد بأن هناك متميزين فى أداء مهام معينة وغير متميزين وإنه يمكن أن يأخذ موضع الريادة فى مجال لا يتمكن منه زميل آخر. ويستطيع أن يبدى الرأى فى أمور، كما يسمع الرأى الآخر. كل ذلك يجعله قادرا على تقدير ذاته وسط عمل جماعى مما يسهم عموما فى نموه الاجتماعى.

ويبقى الشىء الهام الجوهرى وهو شعور الطفل بأنه عضو فى مؤسسة من هذا النوع فيدعم ذلك شعوره بالانتماء.

١ ـ الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة الاجتماعية فى الأندية والساحات والجمعيات :

ومن هذه الأساليب :

أ ـ ممارسة الأنشطة : هناك كثير من النوادى لها مناشط محددة، ولها برامج موجهة، وتهدف من ممارسة الأطفال لهذه المناشط تنمية الاستقلالية والتعاون وغيرها. وإعطاء فرص لتفوق الأطفال فى مجالات ثقافية ورياضية واجتماعية، مما يعزز ثقتهم بأنفسهم ويجعلهم نماذج لغيرهم من الأطفال.

ب ـ تقديم نماذج للسلوك : ربما اهتمت بعض النوادى أو الجمعيات بالحديث عن نماذج فى صورة أشخاص لهم أداءات متميزة كالمتفوقين فى مجالات الرياضة ومجال الثقافة العامة وغيرها، وإن كان الهدف تعريف الأطفال بهذه النماذج إلا أن مجرد التعريف فيه الكثير من الترغيب.

والنموذج المقدم هنا لا يشترط أنه يكون من بين الأطفال عموما أو أطفال النادى أنفسهم، فربما كان النموذج شخصا لا نتحدث عنه فى ندوة أو اجتماع ولكنه شخص يمارس عمله باحترام واقتدار على خلق حميد داخل هذه المؤسسات، وربما كان رائدا من رواد الأندية أو رئيسا للنادى، وهنا يصبح ذلك الرجل أو ذلك الشاب مثالا يحتذى يدركه الأطفال ويعايشونه.

٢ ـ الرائد في النادى والمشرف فى الجمعية ودورهما فى التنشئة الاجتماعية للأطفال:

للرائد بالنادى عدد من الأدوار، فهو ينظم العمل، ويدير البرنامج المعمول به فى النادى أو يشارك فى إدارته ويحافظ على انسجام هذا البرنامج ورغبات المترددين، كما أنه يتابع أماكن وأدوات النشاط والقائمين عليها، وفضلا عن أنه يكوِّن علاقات مع المشاركين من الأطفال فهو يكون علاقات مع أولياء أمورهم فى ضوء من المعايير والقيم، وهذا ما نلاحظه علي المشرفين علي الجمعيات أيضا.

إن ذلك يجعل عمل الرائد والمشرف أكثر فعالية وبصماته أكثر وضوحا، وتعد النوادى الناجحة دليلا على وجود رواد ومشرفين ناجحين.

والطفل يدرك ذلك بصور غير مباشرة، فلا يبدو الرائد أو المشرف أمامه كمنفذ سياسة بل كنموذج للسلوك، فيحب الطفل انتماءه لهذا المكان وتزداد

فعاليته الاجتماعية مع الكبار داخل النادى ومع أقرانه، وهنا يكون الاحترام المتبادل القائم على قيم ومعايير يرتضيها الجميع - الأهل - المشرفون - الأطفال أنفسهم. إنها معايير المجتمع ككل

سابعا : دور العبادة

تقوم دور العبادة بدور هام وفعال فى حياة الناس، بتأكيد القيم الخلقية، وعبادة الله سبحانه وتعالى. يقول الله تعالى : **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**.

ودور العبادة تقوم بتنقية فكر البشر، وتطهير قلوبهم وتصحيح نفوسهم، وإيقاظ ضمائرهم، وضبط سلوكياتهم وتصرفاتهم.

إن دور المساجد مثلا لا يتجلى فقط فى ربط المسلم بربه، وإعلان توبته، وتوجيه شكره لله، بل وربط الفرد المسلم وإدراكه لقيمته والمحافظة عليه.

ودور العبادة عموما تعلم الفرد التعاليم الدينية، ومعايير السلوك، وتنمى ضمير الإنسان وتضع أسس التفاعل الاجتماعى بين الأفراد.

قال الله تعالى فى كتابه العزيز : **﴿وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن﴾** ويفسر الإمام الباقر هذه الآية : «قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم». وكان جعفر عليه السلام يقول «عظّموا أصحابكم ووقروهم، ولا يتجهم بعضكم على بعض».

وفى الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ : «من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها وفرّج عنه كربته لم يزل فى ظل الله الممدود عليه الرحمة ما كان فى ذلك».

وتوجه دور العبادة أساليبها إلى الكبار والصغار. وتحث الأديان على تنشئة الأطفال تنشئة دينية واصطحابهم مع الكبار إلى دور العبادة.

ودور العبادة تعد مظهرا من مظاهر البيئة الاجتماعية. إن دور العبادة كما عرفت فى كثير من المجتمعات القديمة والمعاصرة، لا يقف تأثيرها عند كونها مكانا لممارسة الشعائر الدينية، بل إنها كمؤسسات مارست تأثيرها فى أعمق مظاهر الحياة

الاجتماعية، فما زال من القادة فى بعض الدول مَنْ يتولون السلطة فى بلادهم فى هذه الدور وبتأييد من القائمين عليهـا، وتعقد عقود الزواج أيضا داخل هذه الدور أحيانا.



ويرتبط بمفـهـوم دور العـبادة مـا يسـمى بالأضـرحـة المقدسـة وأوليـاء الله الصالحين،وهذه ذات آثار قوية فى بيـئتنا العربيـة، وخاصة مـا يشيع حـولها من ضروب الشـعوذة والخـوارق والمعجزات،والتى تتـضارب مع أسس وقـواعد الدين الإسلامى. وهذا يعد أمـرا غاية فى الأهمية من حيث تـأثيره على أذهان البعض، ودخوله إلى وجدانهم.

والطفل الذى يعيش فى بيئة يشيع فيهـا تأثير الأضرحة وأولياء الله الصالحين سواء الصحيح منهـا أو غير الصحيح، وما يقترن بها من أنـواع الممارسات وأحيانا بعض الغرائب التى تقام أمام أنظار الأطفـال، تدخل فى أعماق الطفل وتشد ذهنه

وتهز وجدانه، فتحدد له بعض تصوراته عن ظواهر هذا العالم، وكيفية التعامل مع بعض المشكلات والعقبات التى يمكن أن تقابله مستقبلا. لقد رأى الكثير من الكبار يلجئون إلى ذلك الأسلوب.

إن التصورات التى تملأ ذهن الطفل إزاء قبور بعض أولياء الله، وعواطف الاحترام التى تولدت داخله إزاءها، تحدد نوعية التعامل مع بعض موضوعات العالم المحيطة، وسوف نري في نموذج تنشئة الطفل من قرية فرنسية ما يشير إلى ذلك فى فصل قادم.

أساليب دور العبادة في تنشئة الأطفال :

تتخذ دور العبادة عددا من الأساليب لتنشئة الأطفال :

أ ـ تحديد وتوضيح مسئولية الوالدين في تربية الطفل :

إن مسئولية الآباء لا تنحصر فى إدارة الحياة المعيشية المادية للأطفال بل إن عليهم أن يقوموا بتربيتهم تربية إيمانية صالحة.

إن تأديب الأطفال وتربيتهم أهم فى نظر الإسلام من الاهتمام باحتياجاتهم الجسدية، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «ما نحل والدٌ ولدا نحلا أفضل من أدب حسن».

وتقوم دور العبادة بتوجيه نظر الآباء إلى رعاية الأطفال وتنشئتهم، قال تعالى: **﴿.. حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾**، وقال تعالى : **﴿فإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾**.

ب ـ **الترهيب والترغيب** : تقدم فى دور العبادة ما يصلح الناس عموما فى الدنيا والآخرة، فترغب فى عمله وممارسته، وتنهى عن الأشياء التى تجعل الناس على قرب من العذاب والنار فى الآخرة وسوء العيش فى الدنيا. وسماع الأطفال لبعضٍ من هذه القواعد ومشاهدتهم التزام الكبار بأداء الفرائض يعد ترغيبا لهم فى الإقبال على ممارسة أو تقليد النماذج السلوكية الحسنة والطيبة، وترهيب لمن يقبل على أفعال لا يقبلها الله مثل : السرقة والكذب والغش، وكلها أمور يعد تجنبها من قبيل التنشئة الحسنة للأطفال.

جـ ـ مخاطبة العقل بأمثلة ونماذج : تقدم دور العبادة أمثالا حية ونماذج للسلوك من التراث أو من الواقع، وشعور الطفل أثناء وجوده بالخضوع لله سبحانه وأداء الصلوات من قبل الكبار شعور لا يمكن إحداثه عبر أساليب أخرى كالكتب أو النصائح بعيدا عن دور العبادة. فالخشية التى يشاهدها في عيون الكبار ومنهم أبواه مثلا، والتضرع إلي الله سبحانه كما يتابعها فى رفع أيدى الناس شكرا وطلبا للرحمة والمغفرة والصحة والعافية وسعة الرزق، وسماعه للأدعية المختلفة. كلها أمثال حية على طريق التطبيع الاجتماعي للأطفال فينشأ الطفل على التقوى والبر (حسن الخلق)، وقول الصدق والشفقة واحترام الكبير نتيجة غرس القيم الذى تم بأسلوب مزجت فيه بفكرة التدريس حدود الدين وطريق الحياة.

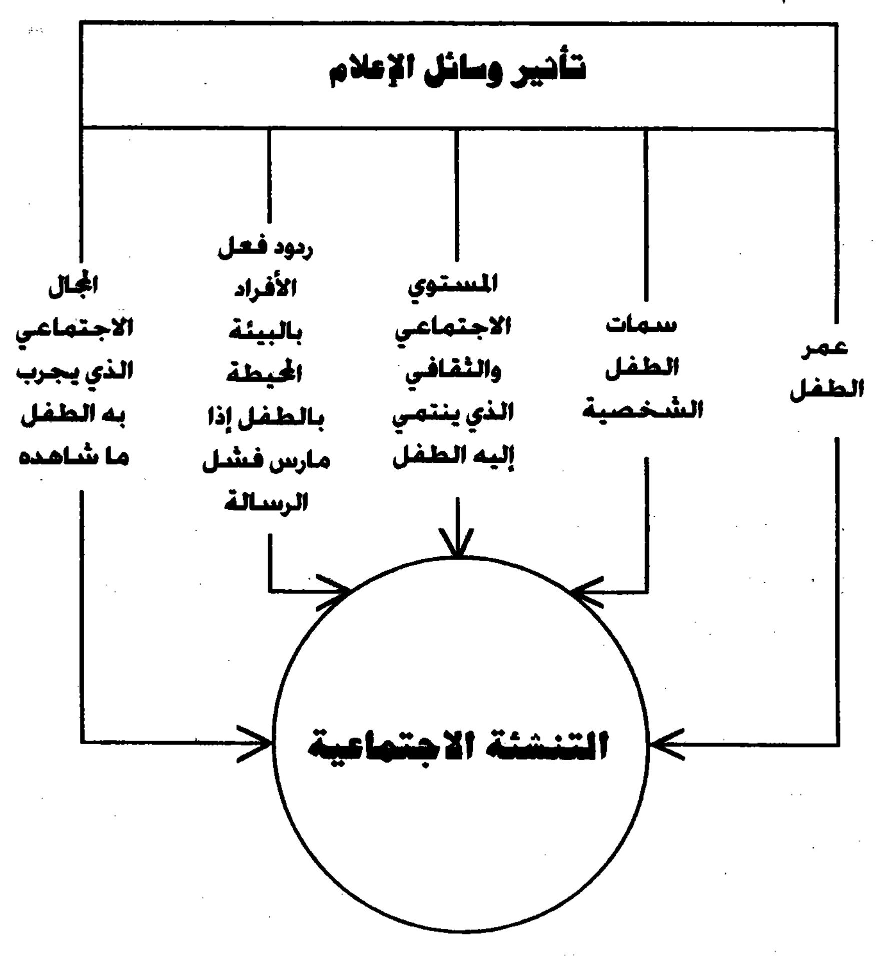
ثامنا :وسائل الإعلام

تعددت وسائل الإعلام التى أصبحت تشد الطفل من مجلات وكتب هزلية Comics وتلفزيون وسينما ومسرح . . . ووسائل الإعلام تحدث تأثيرها بما تنطوى عليه من إحاطة الأطفال بموضوعات. وإغراء الأطفال واستمالتهم ليسلكوا بما يتفق مع رغبة موجه الرسالة بالإضافة إلى إتاحة الفرصة للترفيه والترويح وهو هدف يأتى فى المقدمة.

والاستفادة من وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية للطفل ليست حديثة، فالحواديت والقصص والملاحم الشعبية، كانت تستعمل قصدا وبغير قصد في إكساب الطفل كثيرا من عادات المجتمع وتقاليده. إلى أن أصبح الآن للطفل مساحة من صفحة أو أكثر في جريدة يومية أو مجلة خاصة به أو برنامج إذاعى موجه يقصد له، ووسائل الإعلام عموما لها خصائص تنسحب على مجال الأطفال، فعبرها لا يحدث تلاق بين القائم على الوسيلة والطفل مثلما نرى فى الأسرة والمدرسة والنادى، كما أنها تعكس جوانب من الثقافة العامة للمجتمعات الأخرى التى لا يعيش فيها الطفل مثل مجتمع البادية ومجتمع الريف والمجتمعات الأخرى الأوربية والأمريكية. وتزداد أهمية وسائل الإعلام بالنسبة للأطفال والكبار فى مجتمعاتنا الحديثة، كما تزداد جاذبيتها، بحيث أصبحت تحتل من الوقت اليومى لهؤلاء الكثير.

ورغم أن وسائل الإعلام لها أسلوب وطريقة فى العرض، إلا أنه لا يجب أن ننظر إليها فى معزل عن بقية وكالات التطبيع الاجتماعى مثل الأسرة والمدرسة و . . . كما لا يجب أن ننظر إليها فى معزل عن العوامل الشخصية لمتلقى الرسالة الإعلامية.

وإن كان تأثير وسائل الإعلام عموما على تنشئة الأطفال يتأثر بعدد من العوامل منها أيضا المرحلة العمرية لمتلقى الرسالة الإعلامية، وحاجات الأطفال، والمستوى الاجتماعى والثقافى الذى ينتمى إليه الطفل، وردود فعل الآخرين عند ممارسة الطفل لما تعرض وسائل الإعلام (من أسرة وأقران وجيران . . .) ومدى توفير البيئة الاجتماعية التى يجرب فيها الطفل ما عرض من شخصيات ونماذج عبر وسائل الإعلام.



وإذا كانت الغالبية ترى أن وسائل الإعلام تقدم للأطفال تثقيفا، على اعتبار أن الثقافة طريقة حياة. فإن تثقيف الطفل من شأنه أن يجعله يعيش حياته بطريقة أكثر فعالية، ولن يقبل المفهوم الذى يتندر به القلة قائلين إن الثقافة إحدى الكماليات التى لا تتوافر إلا لذوى القدرة على الحصول عليها والاستمتاع بها من أبناء طبقة الصفوة فى المجتمع. إن تثقيف الطفل ضرورة حيوية من ضروريات الحياة التى يتحتم تزويد جميع الأطفال بها، بغض النظر عما بينهم من فوارق طبقية. ويبقى السؤال: كيف يتم ذلك وبأى طريقة يمكن التقديم، وما شروط المقدم للرسائل اللازمة لهذا التثقيف؟.

ويميل الكثيرون إلى إرجاع ما يلاحظونه من تباينات وانحرافات فى سلوك الطفل إلى واحدة أو أكثر من وسائل الإعلام. والواقع أنه لا يجب النظر إلى الأمر بهذه البساطة فإنه إذا كان تقليد الأطفال للرسائل المقدمة واردا فإن تغيير أنماط السلوك االسوية والقيم الأخلاقية الموجودة من السواء إلى الانحراف ليس بالأمر السهل. ويجب الحذر عند تحدثنا عن علاقة سببية بين التعرض لرسائل إعلامية معينة وانحراف سلوك الأطفال. إن الجريمة والعنف فى وسائل الإعلام لا يحتمل أن تكون هى المحرك الأول والوحيد للنجاح، بل إنه يجب أن تتوافق هذه الرسائل الإعلامية مع ميول واستعدادات وظروف الطفل الاجتماعية والثقافية.

إن الوسط الاجتماعى الثقافى الذى يعيش فيه الطفل وردود فعل المحيطين به من أفراد الأسرة، وجماعة الأنداد أو . . . ليست بمعزل عن اقتراف الأطفال لانحرافات متفاعلة مع ما يقدم بالرسالة الإعلامية ومستوى توافق هؤلاء الأطفال.

ولكن المشكلة الأكثر جوهرية هى نوع ما يقدم ومصدره، ومدى اتفاقه مع قيم وتقاليد المجتمع الذى يعيش فيه هؤلاء الأطفال.

على اعتبار أن الثقافة هى الإمتاع العقلى والوجدانى لابتكار الفن والمعرفة، ولما كانت الثقافة غذاء وجدانيا واجتماعيا فكريا محببا يسعى إليه الإنسان سعيا ولا يتلقاه فرضا أو عنفا أو تلقائيا، ولا يساق إليها طوعا أو كرها، وبما أن الثقافة بنت البيئة، ولها مذاقها الخاص فى كل بيئة من البيئات، إذن هى إن تجردت من بيئتها فقدت طعمها ورائحتها.

إن ما يصلح لمجتمع معين من أهداف توجه عملية التثقيف، قد لا يناسب مجتمعا آخر، بل إن الأهداف التى يسعى إلى تحقيقها مجتمع فى مرحلة معينة من مراحل حياته قد لا تصبح صالحة لنفس هذا المجتمع فى مرحلة أخرى نتيجة لما ينتابه من تغير على مر العصور، ويستدعى التخلص من بعضها أو تعديلها فى البعض الآخر أو استحداث أهداف جديدة تتناسب مع طبيعة وسمات مرحلة تاريخية معينة فى حياة المجتمع، فأهداف أى مجتمع ترتبط ارتباطا وثيقا بتدرج السلم القيمى فيه، وكلما حدث تغيير فى هذا السلم القيمى نتيجة للتغير الاجتماعي، كان من الضرورى أن يحدث تغيير فى أهدافه يتناسب مع هذا التغير القيمى، معنى هذا أن الأهداف لا تمثل شيئا ثابتا جامدا لا يتغير، بل يجب أن تكون المرونة من أهم سماتها لكى تصبح مناسبة، ليس فقط لمجتمعنا المتغير، بل ولاتجاهات تيارات التغير فى المجتمع العالمى الذى يعتبر عالمنا جزءًا منه يؤثر فيه ويتأثر به فى عملية تفاعلية متبادلة لا يتوقف تأثيرها ما دام احتكاكنا واتصالنا مستمرا بالعالم الكبير الذى نعيش فى جزء منه، ولكن لن يكون ذلك على حساب النواحى العامة والخطيرة فى مجتمعنا الأصيل.

والآن يتعرض الطفل لثقافات متباينة وافرة وعامرة تناقض ثقافة مجتمعه وتراث بيئته الأصلية الذى يجب أن نحافظ عليه باستمرار، ففيه من العراقة والمجد ما يفتخر به كل عربى، وقد لا ينسحب هذا القول على القليل مما يتعرض له الطفل من ثقافة، ويكمن الهدف أولا وأخيرا من وراء ما يتعرض له الطفل فى إعداد أجيال صالحة لخدمة الوطن، ويلح السؤال: لمن سأعد هذه الأجيال ولماذا؟ إنها تعد لخدمة أرض عربية إسلامية تتميز بثقافة متميزة وتراث أصيل يطلب من أجياله المقبلة المحافظة عليها فى مرونة وعناية، وكيف يكون ذلك إلا من شخص نبت وترعرع وتشبع وأصبح يملأ أعماقه بثقافة ذلك الوطن الذى ينتمى إليه.

إن لم تنبع ثقافة الطفل من أرضه وبيئته التى ينتمى إليها فإن ذلك يعد مساهمة على الانسلاخ من هذه البيئة والتناقض معها فى فترة ما.

وإذا كانت هناك ثقافة ما أعدت لشعب ما قصد أطفال هذا المجتمع وذلك الشعب ثم مراهقيه ثم شبابه، وها نحن الآن نستعين بثقافات متباينة من أجل

أطفالنا العرب فهل سوف نتمم المسيـرة ونستعين بثقافة غير عـربية للمراهق ومثلها بعد ذلك حينمـا يصبح هؤلاء شبابا؟ إن الإجابة بنعم أو لا على مـثل هذا التساؤل فيها كثير من الخطورة، فإذا قلنا : نعم. فمعنى ذلك أننا نبنى أجيالا لأى بيئة وأى أمة، وإذا قلنا : لا، فماذا سوف نقدم للطفل الذى يتعـرض لهذه الثقافات المتباينة الآن حينما يصبح مـراهقا وحين يدنو من الشباب، فإن كـان لا شىء سوف نقدمه فهذا خطير، وإن كان ثقافة من نوع مختلف وإطار للسابق غير مؤتلف، فإننا سوف نكون السبب فى إحـداث فجوة وتكوين هوة بين ما ترعرع عـليه ذلك الإنسان فى طفولته وما يتطلبه الآن فى مراهقته، وأخيرا سوف يكون القول أين ولد؟ وفى أى بيئة سوف يستقر ولأى مجتمع سوف يضحى ويخدم وينمى؟ إنها بيئة وطنه العربى الإسلامى العريق.

وإذا كانت هناك من الثقافات التى تثبت من القيم المستوردة والأفكار القادمة من الخارج، فـإنها بلا شك سوف تحـتاج إلى تطبـيق . . وفى أى مجتـمع سوف يطبق . . . ومن هنا سوف تكون العاقبة.

إن نقل نماذج الغرب يجـانب الصواب، فالغـرب له وجهه الجـميل ولكن له أيضا وجهه اللاجميل.

إن من أعماق كل مجتمع يمكن أن تشـتق ثقافة مرنة لأطفاله تنبع من أصالة وعراقة تراثه يشاركها فى ذلك تراث وثقافة مجتمعات قريبة الشبه وتشترك معها فى خلفياتها الثقافية أو جذورها التاريخية، مثل هذه المجتمعات القريبة الشبه والمشتركة الخلفية والتـاريخ سوف تتقارب أهدافها فى بناء أجـيال المستقبل المتمـيزين الواعين بأصولهم، ومن ثم نكون فى ذلك على الطريق المأمون.

إن هذا لا يقلل من الجهود الكبيرة التى تبـذل وبذلت فى خدمة ثقافة الطفل العربى والتى تظهر واضحة جلية معلنة عن نفسها.

وعلى أى حال فإن وسائل الإعلام للطفل تتمثل فى :

١ ــ التلفزيون : بدأ عمل التلفـزيون فى مصر عام ١٩٦٠م وقـد تضمنت برامجه منذ البداية جانبا خاصا بالأطفال.

ويعتبر التلفزيون جهازا يجمع بين الكلمة المسموعة والصورة المرئية، مما يزيد قوة التأثيـر لاستغلاله حاستـين من حواس الأطفال. ورغم أن الوسائل التعليـمية

تتنوع بين سمعية وبصرية، إلا أنه من المعروف أن الوسيلة الإيضاحية التى تعتمد على أكثر من حاسة من حواس الطفل، يكون أثرها التعليمى أكثر جدوى وأكثر عمقا ودواما من الوسيلة التى تعتمد على حاسة واحدة فقط. فالصورة تزيد من مدى وضوح الكلمة ومدى فهم معناها، كما أن الكلمة توضح ما تتضمنه الصورة من أفكار ومعان، مما يساعد فى النهاية على سهولة استيعاب الرسالة الموجهة للطفل. فهو يتفوق على وسيلة الكلمة المكتوبة أو المطبوعة التى تحتاج إلى إعادة تكوينها فى صورة ذهنية قد تشوه أو قد تقصر عن التعبير عن الخبرة المباشرة التى تصفها.

لقد أصبح التلفزيون هو المسيطر الأول على ميدان الاتصال بالأطفال بين وسائل الإعلام، فقد توصل السيد خيرى وآخرون فى دراسة عن التلفزيون والصغار إلى أن الأسرة قل لديها الاستماع إلى الراديو بنسبة ٧١٪، وقل لديها الذهاب إلى السينما بنسبة ٥٧٪، وقل لديها الذهاب للنادى بنسبة ٦٨٪ تقريبا.

إن المادة المعروضة عبر التلفزيون تمثل أقرب بديل للخبرة الحقيقية وبخاصة الملون منها، فالطفل الذى لم يشاهد قبيلة من قبائل الإسكيمو أو من قبائل البدو أو . . يمكنه أن يحصل على بديل لهذه الخبرة على شاشة التلفزيون بشكل لا يختلف كثيرا عن موطن الخبرة الأصلى.

وتشير الإحصاءات إلى أن أطفال المدرسة الابتدائية وما قبل المدرسة يشاهدون التلفزيون أكثر من مشاهدة التلاميذ بالمرحلة الإعدادية له، ويقل عدد ساعات المشاهدة يوميا عن ساعة.

إن للتلفزيون قدرة على تحويل المجردات إلى محسوسات، مما يساعد على سهولة فهم الرسالة المقدمة. ويعتبر ذلك مهما جدا لطفل المدرسة الابتدائية، لعدم اكتمال قدرته على فهم المعانى والمدركات الكلية.

إن مشاهدة الطفل للتلفزيون تحدث طواعية، وأن انتباهه إلى برامجه يكون محاطا بتركيز أكثر من انتباهه إلى دروس المدرسة، مما جعل البعض يذهب إلى أن الطفل يتعلم عن طريق التلفزيون قدرا من الخصائص والمعلومات والقيم والاتجاهات أكثر من كل ما يتعلمه أو يكتسبه من المدرسة والكتب المدرسية.

وإذا كان لكل وسيلة جمهور خاص، وإذا كان المثقفون يفضلون بصفة عامة المطبوعات كوسيلة للحصول على المعلومات بالإضافة إلى المذياع والتلفزيون فإن الأطفال يفضلون الصورة والحركة والأحاديث . . وهذا ما يقدمه التلفزيون.

إن القدرة الفائقة التى يستطيع التلفزيون بها أن يعرض غرائب الموضوعات تنمى خيال الطفل وإدراكه. كما أن الاعتماد على الصوت والصورة يقوى القدرة التذكرية واسترجاع الأفكار والمشاهد، وهذا ما يجعله وسيلة تعليمية مساعدة فى نطاق استغلالها تربويا، وهذا من شأنه أن ينمى عواطف إيجابية فى الأطفال نحو البحث والاستطلاع والسعى وراء اكتشاف الغموض.

وهذا لا ينفى وجود مظاهر سالبة لمشاهدة التلفزيون، نجد منها على الأطفال ما يثار فيهم من انفعالات من قبيل الخوف والكره، نتيجة مشاهدة بعض المشاهد للأفلام. إن ملاحظة ما يظهر على ملامح الأطفال من تغييرات تدل على مشاركة وجدانية قوية، كما أن التقنية البارعة للمشاهد التلفزيونية تجعل الطفل يستمر لفترة طويلة بعد المشاهدة تحت تأثير هذه الانفعالات.

ومن السلبيات أيضا إحساس الطفل بالتناقض العاطفى بين الواقع وما يشاهده على شاشة التلفزيون، ففى الأفلام المستوردة وحتى فى بعض الأفلام العربية يعيش الطفل العربى هذا التناقض بين بيئة المحافظة التى يعيشها والبيئة الثقافية التى يشاهدها على الشاشة ومنها الزى أو الملابس الخليعة والمناظر الخليعة، فيقع الطفل فى صراع بين قولنا له «عيب» أو «حرام» وبين صورة البطل الذى يراه ويشاهده على الشاشة الصغيرة وربما نشاهده معه فى نفس اللحظة. مما يعرض قيمه الأخلاقية والدينية لبعض من الذبذبة وعدم المعقولية.

وفى قرب العاشرة من العمر خاصة، وهى ما تعرف برحلة التشكك عند الطفل فيما يدور حوله من أفكار الكبار وتوجيهاتهم بدافع نمو قدرته على النقد، تصبح الذبذبة فى القيم الأخلاقية الدينية صعبة. وعندما يطغى حب بطل الشاشة يكون الطفل مهيأ بطبعه لتقليده، وهنا يكون التلفزيون عارضا لنماذج يمكن أن يتقمصها الطفل، وذلك تحت شروط سبق أن تعرضنا لها. وهذا ينعكس على

ألعاب الأطفال العدوانية، ويبلغ أقصاه عندما يصل الأمر بالطفل إلى الانتماء إلى جماعات رفاق من سبيل العصابة.

ونتيجة طول المدة التى يقضيها بعض الأطفال أمام التلفزيون والتى تصل أحيانا إلى أكثر من ٣ ساعات يوميا، وانعدام رقابة الآباء، يشعر الطفل بالكسل، وهكذا يفقد جانبا كبيرا من طاقته المتدفقة، ويفقد كذلك بالتالى جزءا من طاقته لمراجعة دروسه بالإضافة إلى إجهاد البصر والأعصاب.

ويكون مردود ذلك بالطبع سيئا على الانتباه والاهتمام ويتولد لديه شعور بالنفور أحيانا من الأعمال والواجبات المدرسية باعتبارها معارضة للمتعة والراحة. وهذا ما يجعل البعض يرى التلفزيون أداة أو سيلة «إدمان كهربائية» تشغل الطفل عن القيام بأعمال مفيدة كالقراءة والمحادثة فضلا عن تعليمه العدوان والعنف، كما أن للتلفزيون دورا فى ترويج الأفكار الشائعة أو الآراء المقولبة Stereotype أو الصور الشائعة، ورغم كل ذلك فإنه لا نكران لكون التلفزيون ينمى السلوك الإيجابى من التعاطف مع الغير، وقد أثبتت الدراسات أن تعريض الطفل لهذه البرامج يؤدى إلى تنمية روح التعاون والمشاركة عند الأطفال. على الرغم من أن البرامج التلفزيونية التى تحتوى على أدوار عدوانية وأدوار خيرة معا، غالبا ما ينجذب الأطفال إلى الدور العدوانى ويفقدون الرسالة الأخرى الخيرة. كما اتضح أن الآباء الذين يعاملون أبناءهم معاملة تتسم بالدفء والمحبة Reaioning غالبا ما نجد أبناءهم ينتفعون كثيرا من البرامج التى تحث على التعاطف.

والكثيرون يرون أن التلفزيون إذا كان ينقص من الوقت الذى يقضيه الأطفال فى أعمال نافعة مثل القراءة ومشاركة الغير، فإنه يُمكن الأطفال من تعلم مهارات متعددة أخرى، ولكن على أن يكون الآباء على وعى واهتمام بأطفالهم.

وبين الإيجابيات والسلبيات لمشاهدة الأطفال للتلفزيون تجد بعض النظريات فى مجال علم النفس لها مكانا.

فنظرية التحليل النفسى لـ Freud ترى أن مشاهدة الأطفال لأفلام العنف وسيلة مفيدة للتنفيس عن الذات والتخلص من العدوانية. أما نظرية التعلم

الاجتماعي لـ Bandura فتشير إلى أن الإجرام والعنف في التلفزيون قد يشجع على العدوان عن طريق التقليد. إلا أن الدراسات الطولية أفادت بأن الأطفال الذين كانوا يميلون إلى مشاهدة أفلام العنف في عمر ٨ سنوات قيموا من قبل زملائهم في عمر ١٩ سنة أنهم عدوانيون، وعندما أصبح عمرهم ٣٠ سنة ارتكب عدد منهم بعض الأعمال الإجرامية. وتنتهي هذه الدراسات بأن هناك علاقة بين مشاهدة أفلام العنف والعدوان في واقع الحياة، ولا تشير إلى أن العنف الذي شاهده الطفل في التلفزيون كان السبب في ارتكابه أفعالا إجرامية ولا يجب أن ننسى احتمالية إقبال الأطفال العدوانيين بطبيعتهم على مشاهدة أفلام العنف. وإن جناح الأحداث كان شائعا حتى قبل مجيء التلفزيون.

ولا يفوتنا القول بأن من آثار مشاهدة أفلام العنف وبرامج الجريمة على شاشة التلفزيون فقدان الأطفال الحساسية ضد الإجرام أو يحجز العاطفة أو الفؤاد Desensitize فتجعل الطفل يتقبل السلوك العدواني ولا يحس أنه شيء غريب، بالإضافة إلى إعطائه فكرة عن أن المجتمع مليء بالإجرام والعنف، كما أن علاقة الآباء بالأبناء التي تتسم بالنزاع والسلبية بالإضافة لوجود مشاكل أسرية بين الزوجين ترتبط بكمية ونوعية مشاهدة الأطفال للتلفزيون .

٢ ـ **الإذاعة** : على الرغم من تميز عصرنا بالتزايد المستمر في اعتماد الناس على المادة المذاعة بهدف الثقافة والترفيه، إلا أن الإذاعة لم تتغلغل إلى عالم الطفل كما فعل التلفزيون.

والإذاعة لا تجد لها مكانا إلا عند أطفال القرى والبدو البعيدة عن الكهرباء وخلاف ذلك يأتي التليفزيون في مقدمة وسائل الإعلام المهمة في تلبية حاجات الأطفال ودعم قيمهم واتجاهاتهم. وبالرغم من ذلك إلا أن الإذاعة تدع خيال الطفل ينساب لتصور المشاهد والأحداث بعكس التلفزيون الذي يصور الأحداث فلا تدع خيال الطفل يعمل.

إن الاستماع للمذياع لا يبدأ عند الكثير من الأطفال إلا بعد السادسة من العمر، ومنذ ذلك الحين يصبح المذياع محببا للطفل بشكل متزايد، ويشعره بالاستقلالية في الاستماع وخاصة إذا كان يمتلك جهازا لنفسه نظرا لانخفاض ثمن بعض الأجهزة بشدة مقارنة بالتلفزيون غالي الثمن.

٣ ـ السينما وأفلام الفيديو : للسينما دور مفيد فى عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال، فهى تخاطب مثلها مثل التلفزيون حاستين للطفل، وإن كانت تتميز عليه بشعور جديد وهو الإحساس بالخصوصية حينما يجد الطفل مكانا له مخصصا أو مقعدا مخصصا له داخل دار العرض، وكذا الإحساس بالخصوصية إذا أحضر له أحد الوالدين واحدا من أفلام الفيديو أو قام هو باختياره أو شرائه. إنها بدايات لدعم الاستقلالية عند الأطفال.

وفى معظم الحالات يولع الأطفال بالسينما وشاشتها الكبيرة، وهذا الجمهور الغفير الذى حضر للمشاهدة، إن لها متعة خاصة يشعر بها الأطفال وخاصة الذين عودوا على مشاهدة الشاشة الصغيرة (التلفزيون).

وفى سن الخامسة يكون ندرة من الأطفال قد شاهدوا فيلما خاصا بالأطفال على شاشة سينما نظرا لشيوع التلفزيون وانشغال الآباء، ولكن بعض الأطفال فى هذا العمر من الطبقة الاقتصادية المتوسطة والمرتفعة يكونون قد شاهدوا فيلما بالفيديو للصغار.

أما فى الثامنة وما بعدها فربما طلب الكثير منهم الذهاب إلى السينما مرافقين لأحد الراشدين أو شراء واحد من أفلام الفيديو المخصص للأطفال. ويفضل أغلب الأطفال أفلام الكرتون التى تسبق العرض السينمائى، إلا إذا كانت السينما خصصت ساعات العرض كلها للأطفال، عندها يفضل الأطفال أفلام الحيوانات وأفلام الطيور الراقصة والغنائية، فغالبية الأطفال يكرهون القصص الغرامية.

وحينما يصل الأطفال العاشرة من العمر فإنهم يفضلون أفلام الحركة والحرب، إذا كانوا ذكورا، ويفضل الإناث أفلام الغناء والموسيقا، وكل من الذكور والإناث يفضلون أفلام المغامرات إلا أنهم ما زالوا يكرهون الأفلام الغرامية.

وحينما يصل الأطفال إلى الحادية عشرة والثانية عشرة يتحمسون لبعض الأفلام لدرجة أنهم يطلبون مشاهدتها أكثر من مرة.

ومعظم الأطفال يتقبلون عدم سماح الوالدين لهم برؤية بعض الأفلام أو بالتردد على دور السينما.

وتشجع المشاهد السينمائية مثل التلفزيون والفيديو على تعزيز المفاهيم وامتصاص القيم وتعزيز الاتجاهات، كما أنها تنمى لدى الأطفال المشاركة الوجدانية.

٤ ــ **المسرح والسيرك** : يمثل المسرح بجوه ومقاعده مكانا غريبا وعجيبا بالنسبة للأطفال، وتصبح الصورة التى كان يشاهدها فى التلفزيون أو فى السينما أو في الفيديو مجسمة بأناس يراهم يتحركون على مقربة منه. والطفل ما زال جالسا على مقعد متمتعا بالخصوصية والاستقلالية ومشاركا جمعا كبيرا من الأطفال، لدرجة أن الأطفال يثار بينهم الضحك فى جرعات جماعية يسعد لها الأطفال عند سماعها وينفجرون أكثر بالضحك. مما يجعل البهجة تملأ النفوس فى المواقف الدرامية والفكاهية التى تلقن الطفل قيما وسلوكيات لها أهميتها فى المجتمع الذى يعيش فيه.

٥ ــ **المطبوعات** : لا تزال الكلمة المطبوعة والصور محتفظة بقوة تأثيرها على الأطفال والكبار على حد سواء، وتشمل المادة المطبوعة أنواعا عديدة منها : المجلات والكتب والقصص ودوائر المعارف والمعاجم المصورة.

وتكتسب المادة المطبوعة جاذبية خاصة بها، فالطفل يستطيع قراءة ما يريد فى أى وقت يريد، ويستطيع أن يسترجع قراءاته إذا أراد. وقابلية الشىء المقروء للتشكيل فى ذهن الطفل إذا كان أعد بمهارة من قبل متخصصين، وهذا لا يمنع عيوبا، فربما كانت المادة المكتوبة صعبة، ولا يتمكن الطفل من فهمها وهناك احتمالية فهم الطفل للكلمات بتشويه أو غير قصد.

وتشير نتائج البحوث أن الأطفال المنحرفين أكثر إقبالا على المجلات الفكاهية المتصلة بالجريمة والعنف عن الأطفال العاديين، كما أن الأطفال ذوى التوافق الجيد كانوا يفضلون الأبطال الخارقين مثل سوبرمان وصوره وملابسه.

وتعتبر المسلسلات الهزلية المصورة أكثر المواد المطبوعة قدرة على جذب الطفل وإثارة اهتمامه وميله للقراءة.

وتمثل قراءة الكتب بالنسبة للأطفال مرحلة متقدمة. يصل إليها الطفل بعد أن يمر بمرحلة قراءة المجلات التى تتميز ببساطة أسلوبها وبجاذبيتها بفضل ما تحويه من صور، وبسهولة استيعاب مادتها.

ويعتبر «كامل الكيلانى» من رواد كتب الأطفال، قدّم الكثير من كتب وقصص الأطفال الأدبية والدينية والتاريخية التى ما زال أطفالنا يقرءونها حتى يومنا هذا.

والسؤال الآن : الكتب الهزلية، هل تعتبر تهديدا إذا استثنينا كتب ومجلات الجرائم الشديدة، فإن الكتب والمجلات يمكن أن توجه قراءتها فى داخل الأسرة ولا يتم ذلك عن طريق المعاكسة أو المنع من قبل الوالدين، وإنما عن طريق المراقبة المعقولة.

ويتجلى الاهتمام عند الكثير من الأطفال عند الخامسة. إن بعض الأطفال يهتمون بصورة هذه الكتب والمجلات، وبعضهم يطلب أن تقرأ له وأن تشرح. ولكن فى حدود السابعة يكون كثير من الأطفال قادرين على شىء من القراءة البسيطة بأنفسهم.

وعند الثامنة يندفع الأطفال إلى قراءة كتب المغامرات والعنف، ويقبل الأطفال على الشراء أو الاستعارة فى حدود التاسعة من العمر.

ومع العاشرة والحادية عشرة نجد الاهتمام أصبح أشد وأحيانا نجد الأطفال فى الإجازات وقد أحاطتهم أعداد من الكتب، وربما لا يكتفون بشراء الكتب وقراءتها وتبادلها أو استعارتها بل ينظمونها ويصنفونها، والويل إذا نقص من هذه الكتب أو اختفى كتاب أو مجلة.

ومراقبة الوالدين ضرورية فى هذه السن، وبعض الأمهات يشتكين من أن أطفالهن يتصرفون وكأنهم تحت تأثير سحرى، وأنهم ينظرون بعيون زجاجية إذا ما تحدث إليهم شخص وهم يقرءون مثل هذه الكتب والمجلات. وإذا كان صحيحا أنه ليس من الجاذبية فى شىء أن ترى الطفل وهو أمل الأسرة وقد انغمس مثل هذا الانغماس لأنه مثل الكثيرين من الأطفال فى نفس المرحلة العمرية.

ولاشك أن هذه الأمور جميعها تحتاج إلى تنظيم كثير. ولكن مثل هذا التنظيم من قبل الآباء أجدى من المنع الكامل. والحقيقة هى أننا لسنا قانعين أن المنع الكامل ضرورى حتى ولو كان ممكنا. إن الأطفال المستقرين عاطفيا وفى بيوت وأسر عادية تكون قراءتهم للكتب مثلها مثل بقية أنواع التسلية، حتى وإن كانت فيها من العنف أو العاطفة الشديدة ولا تسبب الجنوح ولا حتى الاضطراب العاطفى.

٦ ـ وسائل التنشئة الاجتماعية في الوسائط الإعلامية :

كل وسائل الإعلام ما عـدا المسرح والسيرك لا يحدث فيهـا تلاق مباشر بين الموجه والطفل، إلا أن أهدافها خلف توسل واضعيها واستعانتهم بمضامين متنوعة من قصة أو برنامج إذاعي أو تلفزيوني أو رواية سينمائية.

وهناك نوعـان من وسـائل التطبـيع أو التنشـئـة : الأولى تخص مـوجـهى وواضعى المضمون والثانية متصلة بمستقبلى المضمون أى الأطفال أنفسهم.

وسائل موجهي وواضعي المضمون :

أ ـ التكرار : تعمـد الوسيلة أو الوسائل إلى تكرار مـضامين أو مـفاهيم أو أحداث معينة أو شخصيات، ومثل هذا التكرار يُعرف الأطفال الكثير عن مجتمعهم وحياة الأفراد فيه والقيم والتقاليد والمعايير السائدة.

ب ـ الجاذبية : لقد بلغت أسـاليب الجذب من القـوة بحيث أصبـحت تشد الأطفال حتى ولو كانوا أحيانا يرغبون فى النوم.

جـ ـ الدعوة للاشتراك : تتعمد بعض وسائل الإعلام دعوة الأطفال للمشاركة الفـعلية إمـا بالكتابة أو بالرسم أو بالتـحدث عـبر الهـاتف، لإبداء الرأى فى حل مشكلة أو اتخاذ قرار بشأن رغباتهم أو غـير ذلك. وربما استخدمت وسيلة الإعلام وسائل للتحفيز مثل المكافآت المادية والمعنوية.

د ـ النمـوذج : والنماذج قـد تكون أشخـاصا لهم من المكانة الاجـتماعـية (لاعبى الفرق)، وقد تكون أبطالا تاريخيين، يمثلون قيما معينة يريد موجه الرسالة الإعلامية غرسها أو تدعيمها، وأحيانا تكون النماذج أطفالا أو حيوانات أو طيورا. وأيا كان نوع النمـوذج فإن المضمون فيـه دعوة صريحة كى يفـعل الطفل مثله، أو دعوة صريحة للابتعاد عن هذا السلوك أو الاقتراب من آخر.

وسائل مستقبلي المضمون (الأطفال) :

أ ـ الامتصاص : أى استيعاب ما يعرض، وللتـكرار والإعادة أهمية كبيرة فى استيعاب الطفل للمفاهيم والمدركات والعادات.

ب ـ التقليد : الأطفال يميلون بطبيعتـهم إلى التقليد، وهذا التقليد والتأسى يتوقف على سمات شخصية الطفل وحاجاته وردود فعل المحيطين به.

جـ ـ **التقمص** : وهنا يشعر الطفل أو لا يشعر بأنه أصبح مثل النموذج، وبذلك يكون قد توحد معه، ويسلك مثله وينفذ تعليمات النموذج. ويتوقف ذلك أيضا على شخصية الطفل وحاجاته ومدى تقبل البيئة المحيطة لسلوكياته المتقمصة.

وإذا كانت هناك بعض المخاوف التى تنتاب الآباء من تعرض أطفالهم لرسائل إعلامية لا تليق بأعمارهم، فإن أجهزة الإعلام المعنية عليها مراعاة ذلك قدر الإمكان، كما أن الآباء لا يجب أن يقفوا كما سبق أن أشرنا مكتوفى الأيدى. ورغم ذلك فإن لرسائل الإعلام آثارا جلية فى التنشئة الاجتماعية للأطفال ومن ذلك :

أ ـ إشباع حاجات الأطفال للاستطلاع والترويح والتسلية.

ب ـ عرض مضمون يتناسب مع فئات الأعمار بحيث يجد كل طفل ما يناسب عمره، مراعية الخصائص الشخصية للأطفال فى كل عمر وطبيعة البيئة والمجتمع الذى يقدم فيه المضمون.

جـ ـ ربط الآباء بوسائل الإعلام بالإجابة على استفساراتهم وتوجيه مشكلاتهم التى تعترضهم أثناء تربية الأطفال إلى المختصين للإجابة عليها وتوضيح الحلول المناسبة لها.

٧ ـ رؤية الآباء لدور وسائل الإعلام في تنشئة الأطفال :

فى الوقت الذى لا ينكر فيه الآباء دور وسائل الإعلام على تثقيف طفل اليوم، وأنهم افتقدوا ذلك حينما كانوا أطفالا، نجدهم يوجهون بعض اللوم لهذه الأجيال عبر وسائل إعلامهم وثقافتهم. فنسمع بعض الآباء يقولون «جيل تلفزيون» أو يقولون «جيل فيديو» . . . وتحمل هذه العبارات وغيرها نوعا من عدم الرضا فى أغلب الأحوال لحال أطفالنا.

وهذا لا يخفى الامتنان الواضح للآباء على مشروع القراءة للجميع والذي تبنته سيدة مصر الأولى «سوزان مبارك».

وبالرغم من ذلك لا ينسى الآباء الجهود التى تبذل من قبل وسائل الإعلام فى خدمة قضاياه ليس فقط فى مصر بل والعالم العربى، وهذا يعلن عن نفسه فى

تنوع وكم هذا العدد الكبير مما يقدم للأطفال ومن أجلهم. وأود أن أشير إلى أنه بالرغم من أن الأطفال العرب يمثل تعدادهم بنسبة تقدر بنحو ٤٥٪ من تعداد سكان العالم العربى فى الوقت الذى تبلغ فيه نسبة الأطفال فى العالم كله ٣٧٪ من عدد السكان تهبط هذه النسبة إلى ٢٧٪ تقريبا فى أمريكا الشمالية ودول أوربا وترتفع إلى ٤٢٪ فى أمريكا الجنوبية، وعموما فى الدول المتقدمة لا تزيد نسبة الأطفال عن ٢٢٪ من جملة السكان. إن ارتفاع نسبة الأطفال العرب هذه لا يرفع نسبة الإنفاق على الأطفال فى هذه الدول العربية والذى لا يمثل أكثر من ١ ٪ مما كان من الواجب إنفاقه، وهذا ينسحب بالتالى على أداء وسائل الإعلام المختلفة لدورها الرئيسى.

ومن المعروف أن الخلية الأولى التى ينمو فيها الطفل ويحتك بها احتكاكا مستمرا ويتلقى فيها أول أنماط التنشئة هى الأسرة. والأسرة لا تعتبر الآن بالأسرة الشاملة للرعاية والتنشئة لهذا الطفل أو ذاك فى خلال سنوات حياته الأولى، وذلك كما كان حالها فى العصور الماضية، فتشاركها الآن معاونة دور الحضانة والروضة بهدفها التثقيفى التربوى ، والمدرسة بأنشطتها الصحافية والإذاعية والموسيقية وغيرها. وكذلك المادة المطبوعة من مجلات وكتب، والمذياع المرئى والمذياع المسموع، ونوادى تثقيف الطفل، وقد استدلت مثل هذه المؤسسات التربوية ومؤسسات أخرى على بعض من تلك الأدوار والأنشطة التى كان الآباء والأقارب يقومون بها فى وقت من الأوقات، وبغض النظر عن تعرض الطفل تعرضا هائلا للمؤثرات الخارجية، فما زالت المدرسة ذات أثر فى توجيه الطفل ونموه العقلى وجزء من ثقافته وتحاول دور الحضانة والروضات جاهدة أن تساهم بدور ليس بالقليل وخاصة فى مرحلة هامة من مراحل نمو الطفل النفسى.

ويقع على عاتق الأجهزة الإعلامية الآن نسبة كبيرة من تثقيف الطفل وتوجيهه فضلا عن مساهمة المؤسسات التربوية الأخرى.

هذا .. ويؤكد جوهرية الدور الذى تقوم به أجهزة الإعلام فى إعطاء ثقافة مشتركة وخلفية موحدة لأعداد كبيرة من الأطفال وفى أسرع وقت ممكن وعبر المساحات الشاسعة والأميال المترامية من البيئات المتباعدة والقريبة.

ونعود ثانية إلى داخل الأسرة، فنجد أنها أول خلية للمجتمع يقابلها الطفل، وأول وكيلة من قبل البيئة لتنشئته وتنبيه عواطفه، وواضعة بذور القيم والتقاليد والعادات عبر الأم بالدرجة الأولى يساعدها الأب بالدرجة الثانية ويشاركها أعضاء الأسرة، إن هذا يجعل للأسرة الفضل فى بث أوليات ثقافة الطفل.

ثم نعود ثانية أيضا لمدارسنا فتعتبر عملية توجيه الطفل نحو النظام الاجتماعى والسياسى القائم وتعضيد احترامه له هو أحد المسارات التى تعمل فيها المدرسة كمؤسسة تحافظ على ثقافة المجتمع وتراثه، ولكن مسئولية مدارسنا لن تنتهى بالمحافظة على الوضع الراهن ولا حتى عن طريق التنشئة الاجتماعية للأفراد القادرين على التكيف بسهولة مع البيئة الاجتماعية والمادية المتغيرة، ولكن بدلا من ذلك سوف تمتد إلى أقصى درجة ممكنة من تشجيع القدرات العقلية واستثمارها لأعضاء المجتمع الجدد من الأطفال.

وعلى مؤسساتنا التربوية أن تأخذ على عاتقها القيام بدور رئيسى للتحديث الواعى والتغير إلى جانب دورها الواعى فى تأكيد الاستمرار الثقافى للمجتمع وأصالته المتميزة، وخاصة بعد انتشار وسائل الاتصال الحديثة مثل «الدش».

وسوف يصبح هناك تفاقم للمشكلة نتيجة لحقيقة يثيرها الآباء وهى : أن المدرسة تبدو أنها تتغير بطريقة أكثر بطؤا عن أوجه المجتمع الأخرى، إن كل التعليم تقريبا يصبح قديما وقد يكون باليا فى الوقت الذى يعطى فيه.

إن علاج هذه المشكلة سوف يساهم فيه التقاء المؤسسات المختلفة التى تهتم بالطفل لتحديد الدور الذى تشارك به كل منها ومداه آخذين فى الاعتبار عدم ظهور الازدواجية فى الأداء أو التعارض بل التعزيز والتكامل بين هذه المؤسسات.

ومن بين هذه المصادر الكلمة المطبوعة والممثلة فى الكتب والمجلات المقدمة للأطفال. إن لها الأثر الكبير على ثقافة الطفل، فالكلمة المكتوبة هى أول وسيط ثقافى للإنسان، وظلت وسوف تظل بقدرتها وقيمتها.

والكتاب الثقافى للطفل هو الذى يقدم له الصور الذهنية والفكرية والوجدانية ويفسر له المعانى التى تتكون فى خاطره وفى خياله على مر الأيام والأعوام، ويترجم له كل التصورات والأفكار والخيالات معتمدا على الانطباعات الحسية والمعنوية فيجد فيه الطفل ومنه إمتاعا عقليا، والكتاب بمثابة الناقل للحضارة

وقيمها إلى الطفل وكذا المسهم فى التربية فضلا عن عرضه للتراث بأشكال فنية جذابة وبسيطة للخبرة المهذبة وتنمية القدرة على مواجهة الحياة.

إن نسبة كبيرة من كتب الأطفال بالعربية تصور فى باب القصة والموضوعات الدينية وبعض الموضوعات التاريخية، وقلة نادرة هى التى تصور موضوعات علمية أو فنية ولم توجد قواميس أو موسوعات عربية للطفل العربى إلا مؤخرا رغم قلتها.

والكتابة للأطفال فن وحساسية وموهبة بالإضافة للمعرفة الدقيقة بمراحل النمو النفسى وجوانبه العقلية والاجتماعية والانفعالية واللغوية، مما يستلزم عدم السماح بتوجيه القلم الذى يكتب للطفل إلا لمن أوتى هذه الجوانب مما يدعو إلى الاطمئنان عند مخاطبة الطفل بالكلمة المكتوبة.

وعلى اعتبار أن ثقافة الطفل مجموعة من الخبرات الواجب اكتسابها، وتساعده على النمو إلى أقصى حد ممكن، فإن المنزل ودار الحضانة والمدرسة وأجهزة الإعلام والكتب والمجلات يجب أن تشارك معا لاستغلال الكثير من طاقات الطفل المعطلة والتى يمكن عن طريقها إثراء ثقافته ونموه العقلى فى ضوء اعتبارات هامة هى :

١ ـ مشكلات الطفل اليومية مصدر رائع للتثقيف والتنشئة.

٢ ـ استغلال حواس الطفل فى نموه العقلى وثقافته خير ضمان.

٣ ـ حب الاستطلاع عند الطفل ثروة يجب استثمارها إيجابيا.

٤ ـ إهمال حب الطفل للحركة واللعب فى توجيهه خطأ سوف نعاقب عليه أنفسنا.

٥ ـ تستيقظ مدارك الأطفال على الغناء والموسيقا.

٦ ـ القدرة على التخيل إمكانية ذهنية للتثقيف والنمو العقلى ومن ثم التنشئة.

والآن هل علمت الأم بطريقة ما أثر تلك المتغيرات، وهل أشير للأب عن أثره الفعال فى ثقافة الطفل ونموه، وهل حاول القاصدون والمربون استغلال تلك

العناصر كهدف عن قصد فى قضية الثقافة للصغار. وإننا إذا قلنا: وما النوع؟ فسوف نسمح لأنفسنا أن نقول : وما أقل الكم!

وإذا كانت الكلمة المقروءة هى أخلد الوسائل للثقافة، فإن الكلمة المسموعة والمرئية تفوقها سرعة فى التأثير ومدى الوصول إلى أعماق الطفل.

والأثر الخطير لكل من الإذاعة والتلفزيون على نفوس الأطفال ووجداناتهم جعلنا نهتم بإعداد برامج خاصة بهم ويتحقق من خلالها لهم الإمتاع العقلى والنفسى وتبتعد به عن التدريس فى أسلوب التقديم.

والطفل قد يجلس أمام التلفزيون ما يقرب من سدس عدد ساعات اليقظة، وعندما يجلس أمام هذه الشاشة الصغيرة فهو يتعلم نماذج جديدة من السلوك قد تدعم أنماط السلوك السائدة أو تبشر بأشكال جديدة من السلوك المقبول والموافق لمعايير المجتمع، أو قد تبث قيما وآراء وأشكالا جديدة تتعارض بل تتصارع مع قيم الجماعة وتقاليدها. وهنا تكون الخشية على التنشئة.

إن الإيمان بالفكر الغربى فيما يقدم للطفل ونقل نماذج الغرب إلى بلادنا شىء يستحق منا وقفة تأمل. إن ما يصلح هناك قد لا يصلح هنا. ويكفى أن نقول عن هذه البرامج التى تقدم هناك ويستعان بها هنا. إن أطفالنا ليسوا هم بأطفال الغرب وقيمنا التى يجب أن نربيها فيهم لا تصلح لها برامج غربية تعنى وتهتم بتنمية قيم وتقاليد خاصة بأطفالها لإتمام سلسلة قيمية تخدم ثقافة الغرب من أجل أطفال بعينهم، وذلك بهدف أن يصبح الطفل ذا ثقافة فرنسية أو أمريكية أو غير ذلك اعتمادا على القيم والتقاليد والعادات التى تبثها تلك البرامج عن قصد لأطفالها، وهل أطفالنا فوق كل ذلك يتميزون بمعايير النمو التى يختص بها طفل من ثقافة أخرى ومن مجتمع مختلف؟ لا أعتقد هذا وإن تشابهت إلى حد ما إذا جاز لنا هذا القول.

وطوق النجاة لن يكون من خارجنا دائما، بل من أعماق أصالتنا وتراثنا العربى العريق، طوق النجاة لنا ببرامج تؤكد قيم المجتمع العربى وتثبت تقاليد وعادات وعرفا عربيا أصيلا، فالوطن العربى له تراثه وله بناء دينامى وله تاريخ

مجيد خاص به ويتميز به، تعلنه المصادر والمراجع فى كل وقت وحين، ويجب ألا يطرأ على الأذهان السؤال التقليدى : لماذا لا نلحق نحن بلدان العالم الثالث بركب الدول المتقدمة باستيراد الثقافة؟ أقول : لأن المسألة ليست استيرادا للثقافة بقدر ما هى تفاعل للتثقيف الواعى، لأن اللحاق بهذا الركب لا يجب أن يكون على حساب عراقة وأصالة وعظمة شعوب من أعظم وأخلد شعوب العالم فيما مضى هم شعوب العالم العربى، وإلا فسوف نساعد الطامعين فى محو أصالتنا واختزال تراثنا الزاهر.

إن هذا لا ينسحب إلا على عدد فقط من البرامج، والحق أن هناك برامج أخرى لها أهميتها وقدرتها وأصالتها.

٨ ـ بعض البرامج في الميزان :

ومع البرامج التى تشاهد بقصد الترفيه وتمضية الوقت واستهلاكه مع الطفل الزاخر بالإمكانيات، فهى ليست تثقيفية معرفية أو تربوية وتبقى معها طاقات وإمكانيات الأطفال معطلة.

إلا أن البعض يأخذ فى الاعتبار أفضل ما يمكن له واضعا فى الاعتبار غايات تثقيفية ومعرفية وتربوية إلى حد كبير. ومن هذه المسلسلات مسلسل «سنان» و«أحلى الأيام» ، و «نبيه وصالح» وبعض حلقات جوهرية جدا من «حواديت زمان». . . . . . وغيرها.

وإذا كانت هناك البرامج غير العربية والتى يستعان بها فى مثل أفلام الكارتون المحببة للأطفال المشغوفين المولعين بها، فأين الدبلجة الخاصة بها؟ فهذه مثيرات بصرية فقط يتعرض لها الطفل ويتابعها بكل حواسه كى يصل إلى المعنى وبدون تفسيرها أو تعريبها نقدح خيال الطفل لأكثر مما يتحمل الموقف، فقد يأخذه هذا الخيال لتفسيرات سيئة للمواقف التى يشاهدها فى هذه الأفلام غير الموجهة للمعنى والحدث بلغة يفهمها الطفل. إن الأمر يحتاج إلى توضيح للمشهد وإشارة للمعنى وإشارة لمحتوى الفكرة فى أثناء متابعة الطفل ومراقبته، ومن المستحب توضيح الفائدة بنهاية العرض مباشرة حتى تكون القيمة فى طريقها للتشكيل.

وفى البـرامج لا نرى تنمـيـة القـدرات العـقليـة فليس مـن هوايات للرسم والتلوين أو التذكر أو التخيل وإن كان منها بالمدرسة إلا أنه من المفضل توافرها فى البرامج التلفزيونية المحببة للأطفال بدرجة أكثر مما هي عليه الآن.

ومسلسل «سـنان» من المسلسلات الهادفـة والتى لها مـستوى مـرتفع ثقافـيا وعقليـا، ولها مضـمون تربوى عمـيق، إلا أن بها شخـصيات بعـيدة عن الطفل، و«سنان» يحافظ على الحب والوفاء ويدعم الإخلاص ويسـعى إليه ويتخذ من المثل ويرقى بها إلا أنه ما زال مرافـقا «لفرفور» و«شرشور» ومعهمـا كما يظهر فى بعض الحلقات على الرغم من أنهما ممثـلان للشر والخبث والدهاء فى الوقت الذى نسعى فيه مع الأطفال بالبعد عن الجليس السوء وعدم مرافقته.

وفى مسلسلات أخـرى نجد جميع الحـيوانات تأكل نفس الحلوى ونفس نوع الأكل، وتعيش فى نفس الأماكن، ويصبح الطفل فى حيرة من أمره بين ما يشاهده وبين واقعه، فضـلا عن أنها قد تكون حيوانات بأشكال غير معـروفة فلم يعرف ما هو هذا الحيوان أو ذاك.

وفى مسلسل «حواديت زمان» قد تشمل الحلقة الواحـدة حلقتين فرعيتين أو أكثر، ويقوم نفس الأشخاص بالأداء فى الحلقتين لأدوار مختلفة الاتجاه ومتعارضة المبادئ، وذلك بالنسبـة لبعض الشخصيات فـقط، وهذا يعنى أنه بالإضافة للخلط الذى يحدث فى ذهن الطفل والتداخل فى الأفكار نجد التـضارب فيما يتكون لدى الطفل نتيجة الدور الذى يقدمه الممثل. وهذا لا يجعلنا نقلل من المضمون التربوى في بعض المواضع.

ومن الأفلام المحببة للأطفـال «توم وجيرى» و«نقار الخشب» إلا أن الملاحظ فى معظم الحلقات كيفية تصـميم «المقالب» و«الخبث» و«الشر» إلى حد ما، وهذه النواحى لا تطغى بالفـعل على إمكانيات هذه الأفلام التـربوية والترفيـهية بالنسـبة للأطفـال، ولكنها فى سـبـيلهـا لتدعم النواحى الـسلبيـة كالخـداع مقـابل نواحى إيجابية.

و«افـتح يا سمـسم» فيـه من الأفكار التـربوية ويا حـبذا إذا وجـد ما يشـد الأطفال كـالمسابقات وأسئلة الذكـاء والمفاجآت الهـادفة فى شتى الخبـرات وكذا إذا

استعين بأطفال أثناء الأداء، لهم نفس العمر الذى يحتويه الهدف الموجه وليس بأطفال أكبر من الهدف الموجه والمقصود. وإن كان هذا المسلسل به من الأغانى ونعلم أهمية الأغنية وفعاليتها على الأطفال ومعهم، إلا أنها أغان مباشرة ليس فيها من الخيال الذى يمتع الطفل فيصبح للأغنية عمق فى نفسه فتشده بالحركة أو الترديد أثناء الأداء فتمس وجدان الطفل وتملأ عاطفته. ويلاحظ أن كلمات الأغانى فى معظمها مباشرة للغاية والأغنية ليس لها اللمسة الوجدانية، فالكلمات لأغنية الطفل يجب أن تكون غير مفتعلة وتكون خارجة من وجدان المؤلف حتى تصل إلى وجدان الطفل ومشاعره. فالطفل حساس للكلمة الحلوة الرقيقة ذات الشاعرية والنغم والخيال والتى تشبع العقل والفكر. ولكن أين هى؟.

إن الكثير من الأغانى مفتقد بل نادر بصفة عامة فى برامج الأطفال ويحتاج إلى المحتوى النفسى والتربوى الملائم للكلمة المنظومة الموجهة للصغير.

إن أغنية الطفل لم تشغل حيزا ملائما فى برامج الطفل هنا، وبالرغم من أن الكلمة المغناة غذاء لروح الطفل منذ شهوره الأولى، والشكل المحبب منها يكون ذا إيقاع سريع خفيف وتشمل الحوار الرقيق كلما أمكن.

والأطفال حتى الرابعة تستهويهم الحركة فيما يقدم، وبعد ذلك العمر يحتاج الأطفال إلى الخيال، فالأطفال فى حاجة إلى الخيال الحر المنطلق لأن لهم عالمهم الخاص الذى يجب أن ندع له ساعة فى النهار يخرج فيها بعقله وفكره على واقعنا المادى البحت فيصور لنفسه أشياء «كالخاتم السحرى» و «مصباح علاء الدين» و«بساط الريح» أو «بحار السندباد».

لندع الأطفال يعيشون ساعة من اليوم فى دنيا لا يقيدها منطق الواقع، ففى ذلك ودعم وتنمية لقدراتهم الابتكارية فيما بعد، وعلينا أن نحيط هذا الخيال فى نهايته بانتصار الحب والخير والجمال آخذين فى الاعتبار أنه ليس معنى تعاطف الطفل مع الخيال أنه لا يفهم الواقع.

وحقيقة هناك العديد من الأعمال للأطفال تظهر على الشاشة المصرية والسعودية الصغيرة تستحق التقدير، ففيها من الجهد والكم، وياليت هذه البرامج تكون على قناة واحدة أو فى أوقات متفاوتة لأنه فى بعض الأحيان قد تأخذ هذه البرامج نفس وقت التقديم على القنوات المختلفة.

أمـا برنامج «ناشئ فـى رحاب الـقـرآن» الإذاعى فـهـو برنامج رائع، ومن المستحب أن يستضـيـف أكثر من طفل فى الحلقة، ويحضر النقاش مـجموعة أخرى من الأطفال.

٩ ـ تصور الوسائل الثقافية المقروءة وتصور فى الحلول :

من المعروف أن الكلمة المكتوبة هى وسـيط ثقافى للإنسان، وكانت ولا تزال تحتفظ بقيمتها وقدرتها.

والكتـاب المقـدم للـطفل هو الذى يقـدم الفكر والمـعـرفـة ويتـرجم له كل التصورات والأفكار والخـيالات مما يشد الطفل لإمتاع فكـرى ووجدانى بنقل القيم الحضارية والمبادئ والتراث بأشكال فنية جـذابة، مبسطا له الخبرة فى تهذيب،وينمى لديه القدرة على التوافق مع البيئة التى ينتمى إليها.

إن نسبة كبـيرة من كتب الأطفال العربية تصور فى باب القـصة والموضوعات الدينية وبعض الموضوعـات التاريخية وقلة منها تهـتم بالجانب العلمى والفنى أو ما يتعلق بالمجتمع الحديث.

أما القاموس الـعربى للطفل أو الموسوعة العربية له أو الأطالس الـهامة فهى من القلة أو من الندرة.

والأمة العربيـة أحوج ما تكون إلى مزيد من البحـث عن الشكل والمضمون الأفضل لكتاب الطفل، هذا الصـغير المتعطش دوما للثقـافة بكل ألوانها. نظرا لأن الكلمة المقـروءة فى ثقافة الطفل تلعب دورا هاما فى التنشـئة الاجتمـاعية، وذلك بمساعدته على التعرف على أكبر قدر من ذلك الموجود فى خبرته الحالية، وتقترح له دورا سلوكيا، وغـالبا ما نجرى هذه الأدوار الجديدة فى الألعـاب التى يؤديها بمفرده أو مع زملائه، وتسـاعد هذه الكتب على معـرفة الطفل بما هو رديء وما هو جـيد وتسهم فى نمو القيم لديه، مما يجعل دور المربى توجيها لما يقرأ الأطفال.

والمادة المقروءة المقدمة للطفل فى حاجة إلى تقـييم برغم كثرتها، لأن تقديم الكتاب للطفل فى مختلف مـراحل نموه يجب أن يتم بناء على دراسة علمية وخطة متكاملة تجعل الطفل لا يمر بمرحلة من مراحل نموه إلا ويكون قد قرأ كل ما يمكن

أن يتلاءم مع قدراته الفنية والأدبيـة من ناحية وكل ما يشبع احتياجـاته النفسية من ناحيـة أخرى، مما يحتم علينا أن نخضع عـملية تأليف الكتاب لجـهاز علمى يراقب كل ما يقدم للطفل بحيث يشعـر الطفل بأن الكتاب متعة حقيقية ويسـتثمر الطاقات الكامنة بداخله.

وبالرغم مما أشرنا إليه إلا أن مـجلات «ماجد» و«افتح يا سـمسم» و «سوبر مان» و «غـريندايزر» قامت بدور فعال بالنـسبة للأطفال، وتشـبع إلى حد كبيـر ما تفتقده فى الكلمة المقروءة للطفل فضـلا عن سلسلة القصص التى اهتم بها محمد سعيد العريان وعـبد الحميد جودة السحار وكامل الكيلانى وأحـمد نجيب وما يهتم بها الشارونى ونتيلة راشد وغيرهم ومعظمها فى باب القصة وبها الكثير من الأسس النفسية التربوية لأطفالنا الصغار.

وكـانت هناك مجلة سـعودية هى مـجلة «حـسن» على طريق ثقافـة الطفل السعودى، ومن المفضل أن توفر صحافـة للطفل السعودى ومجلات خاصة به تنبع من تراثه الأصيل، وتعتمد على ثقافـة أرضه العريقة مهبط الوحى وأرض الإسلام العظيم خاتم الأديان.

إن ما يقدم فى مـجالات ذكرت وأخرى غيـرها لم نذكرها لا يحتوى طبـيعة البيئة العربية المميـزة للوطن العربى ذات الرمال والصحراء الممتدة، وبدلا من توغل الطفل فى بحار دزني وثلوج شـمال أوربا علينا توجيـه توغل مغامراته إلى أعـماق الصحـراء ومخاطـرات قمم الجبـال ومآزق إخراج ثروات الأرض الطـيبة، وسير وحياة الملوك والرؤسـاء العظام، والعطاء الذى لا ينسى منهم من أجل الوطن. وما هو فوق ذلك تقـديم طـفولة الأنبيـاء والرسـل ففيهـا من القيم العريقـة والأصول الراسخـة الأصيلة على أن تكون مداخلهـا للطفل بأسلوب يلائم حياته الحـضارية الحالية.

إن إخراج «سلسلـة للأرض» توضح أماكن الوطن الحبـيب واتساعـه ومدنه وشهرة كل منها وأشهر العظماء فيـه عن طريق «مخاطرات كشاف» يؤتى من الثمار أفضل من روايات مترجمة للصغار.

ومن بعض المقترحات لحل القصور فى المادة المقروءة :

- تشكيل لجنة متابعة كتب الأطفال لغرض الرقابة على ما يقدم والذى يعتمد البعض منه على الترفيه والسذاجة والاستهزاء بعقلية الطفل على حساب الدور التثقيفى التربوى للكتاب.
- وضع خطة عامة لاحتياجات الأطفال من المادة المطبوعة تحترم معايير النمو النفسى وتقوم على أسس نفسية تربوية.
- تخصيص جزء أكبر من صفحات الجرائد اليومية ليقدم للأطفال مادة مشوقة وذات جاذبية تعتمد على أسس نفسية وتربوية، وذلك حتى يتاح للطفل ويحيط به من كل جانب كلمة تهمه وفكرة تجذبه.
- تخريج متخصص جامعى يقدم للطفل فى مجالات متعددة منها الكتابة والكلمة المطبوعة، وقد يكون ذلك مستحبا من خلال إنشاء قسم لدراسة الطفولة تابع لأقسام علم النفس بالجامعات، هذا المتخصص الجامعى يستطيع أن يتعامل مع الطفل بأسلوب مباشر وغير مباشر (عن طريق الكلمة مثلا . . . أو رعايته كمربى بدور الحضانة أو المدارس الابتدائية) ويستحب أن يكون هذا المتخصص حاصلا أولا على ليسانس فى الأدب العربى ثم يدرس دراسات تربوية ونفسية ثم يعد بعد ذلك إعدادا خاصا يمكنه من الكتابة الهادفة للطفل.
- زيادة التقدير المادى لما ينتجه كتاب الأطفال.
- مشاركة الصغار بإيجابية فيما يقدم من مادة مطبوعة لإكسابهم الثقة بالنفس وتنمية القدرة على التعبير والطلاقة الفكرية بمساهمتهم فى تزويد المجلات بالمادة المقروءة أو الصور.
- لفت نظر الآباء والمربين عما يجب أن يكون بالنسبة لأطفالهم وما يتوافر بالنسبة لأطفالهم بالسوق المحلية ويمكن الاستعانة به.

١٠ ـ دعامات أساسية لبناء صرح ثقافة الطفل المسهمة فى تنشئته :

وتنقسم إلى أسس للتفاعل المباشر وأخرى للتفاعل غير المباشر :

أ ـ أسس التفاعل المباشر :

- الدين والقيم الدينية محور أساسى فى كل ما يقدم للطفل أو معظمه.
- الطفل يحب المتعة والإبهار والحركة السريعة فيما يقدم والحوار الخفيف فيما يسمع.
- برامج الأطفال وكتبهم وأغانيهم وموسيقاهم صعبة فى كل مراحل تكوينها وتنفيذها تأليفا وإعدادا وتصويرا وإخراجا؛ لذا كان لابد من اختيار العناصر البشرية التى تقدمها على أساس الموهبة والمعرفة بسيكولوجية الطفل وتربيته فضلا عن الاهتمامات بالمجال أو التخصص.
- الطفل يرفض السذاجة التى تقترب من البلاهة، فالمادة المحببة له هى المادة ذكية الحوار السهلة فى غير انحطاط.
- أحب ما يكون إلى الأطفال الأشكال سريعة الإيقاع خفيفة الأسلوب المشوقة الممتعة.
- سرعة التغير فى الفقرات مع التنوع يلائم طبيعة الطفل، وهذا ما يعطى البرامج المنوعة للأطفال أولوية، تليها القصص الخرافية والواقعية ثم المغامرات.
- إطلاق الخيال للطفل يوميا لنخرج بعقله عن الواقع المادى البحت فى طريقه إلى تنمية الابتكار.
- مسرح الطفل يملأ نفوس الأطفال بهجة بعرض المواقف الدرامية والفكاهية بهدف بث قيم المجتمع، ولدينا نحن العرب تراث عربى عريق وأساطير وحضارات، مما يربط أطفالنا بجذورهم الثقافية والحضارة الإسلامية. إن المسرح حقا شىء شبه مفتقد، وخاصة إن التنوع فى وسيلة نقل الثقافة المقدمة للطفل تحقق له حاجته للتغيير، فيجب أن ينال رضاه من مصادر متعددة من التلفزيون والمسرح والكتاب والإذاعة وغيرها، إن ذلك ضمان

لدعم القيمة وتكثيف لبثها عما لو استعين بأداة واحدة أو وسيلة دون غيرها. إننا فى حاجة إلى مسرح للطفل العربى.

- التقصير فى مجال أفلام الطفل وخاصة الطفل العربى يدفع الأطفال لمشاهدة أفلام الكبار، وذلك له من الأضرار ما قد يبلغ حد الإيذاء القاتل للبناء النفسى للطفل وعقليته وعواطفه.

أين الفيلم العربى للأطفال، لا يوجد إلا نادرا، ويكاد يكون مختفيا.

- هناك فروق كبيرة بين لغة الطفل ولغة الراشد، ومن ثم فمعرفة لغة الطفل فى مراحل النمو المختلفة شىء مهم لكل من يتعرض لعمل فى وسائط ثقافة الطفل، إن هذا يحبذ وجود قاموس لغوى للأطفال.

وحتى الآن لا يوجد مثل هذا القاموس للغة الطفل لييسر على المهتمين بالثقافة ويبعدهم عن السلبيات فيما يقدم.

ب - أسس التفاعل غير المباشر :

جذب انتباه الأمهات والآباء العرب عن طريق وسائل الإعلام المختلفة لبعض القضايا الهامة فى حياة الطفل ونموه، تفيد بطريقة غير مباشرة فى تنمية ثقافة الطفل العربى وهذه القضايا هى :

- التأكيد على أهمية السنوات الأولى من حياة الطفل.
- التأكيد على تنمية علاقات الاحترام المتبادل بين الطفل ووالديه.
- التوعية بضرورة أن يصبح الأب أكثر ارتباطا بأسرته وأطفاله فى سنى حياتهم الأولى، وألا يكون رمزا للسلطة والتخويف عند أولاده بل هو رمز للثقة والحب.
- التأكيد على أن كثرة العقاب البدنى ليست وسيلة لإصلاح الصغار بل تولد الخلق المنخفض والرغبة فى التمرد والارتياب.
- تأكيد العناية الطبية والغذائية وتقديم المساعدات الطبيعية للأم والتركيز على الأسرة ذات المستوى الاقتصادى الاجتماعى الثقافى غير المرتفع كهدف.

- تبصير الأمهات بأدوار أساسية فى التنشئة كعملية الفطام والاندماج مع الأطفال وكيفيتها.
- تأكيد كيفية التفاعل بين الطفل ووالديه وضرورة إشباع حاجاته إلى العطف والحب والتقدير والتعود على المسئولية، واكتساب خبرات جديدة باستمرار وتأكيد حب المعرفة عنده من أجل احترامه لذاته.
- تبصير الأمهات والآباء بأنهم يسهمون دون وعى منهم فى تحطيم ثقة الأطفال بأنفسهم عند الاستخفاف بهم وإذلالهم بتشبيههم بأشياء قبيحة.
- التأكيد على الوالدين فى التعود على التحدث مع أطفالهم بلغة البالغين وعدم ترويض أخطائهم.
- الإيمان بأن اللعب جزء لا يتجزأ من عملية التعلم.

إن خطة قومية لتثقيف الطفل العربى تؤكد على القيم الدينية معتمدة على تطور الشعور الدينى لدى الأطفال كأساس لبناء هذا الجانب، وتقوية الشعور بانتماء أطفالنا لوطن عريق وتنمية الإحساس بالمسئولية نحو المجتمع الذى يعيش فيه الطفل، يكون من قبيل تنشئة الطفل العربى.

إن هذه الخطة إذا أكدت على طاقة الطفل وإمكاناته المعطلة الآن، وقدراته النامية والتى يجب العناية بها ورعايتها على أسس سيكولوجية وتربوية لتكون مهمة بحق فى قضية تثقيف الطفل ومن ثم تنشئته.

ويعتبر إنشاء أقسام لدراسات الطفولة بالجامعة تقوم على إعداد خريجين يعرفون جيدا متى وماذا وكيف وأين يقدم للطفل من المعلومات والمعارف والقيم والتقاليد والعرف والأصول العربية العريقة، لهو خطوة عظيمة واهتمام رائع ليس بقضايا الطفل وعالمه الخاص، بل بتنشئة الطفل العربى.

تاسعا: الخدم والبشكار والمربيات

مما يلون الحياة العاطفية للأطفال داخل الأسرة وجود الخدم أو البشاكير، والحاضنات والمربيات، وذلك إذا افترضنا دخول الأطفال فى علاقات مع واحد من هؤلاء، فربما خلا المنزل من مثل هؤلاء.

والخـدم من الذكور والإناث هم الأشـخـاص الذين يتم الاسـتعـانة بهم فى المنازل لأداء خدمات مـثل التنظيف أو الطبخ، وإن كانت الخادمات كثيـرا ما يجدن أنفسـهن فى ظروف تجعل من اخـتصاصـهن رعاية الأطفـال بالإضافة إلى أشـغال المنزل.

وإذا كان مصطلح الخادم قـد انتشر فى البلاد العربية الإفريقـية حتى المغرب العربى وبعض دول آسـيا، إلا أن بعض دول الخليج مـثل الإمارات تطلق مـسمى بشكار على الخدم الإيرانيين بيـض البشرة الذين استمر وجـودهم هناك حتى قرب الخمـسينيـات من هذا القرن، وكـانت هذه الفئـة تقوم بعـمل القهـوة وصبـها فى المجالس ويبـيعون فـى المحلات ولا يطبخـون ولا يقومون بالأعـمال المنزليـة مثل النظافة والكنس.

وكلمة **بشكار** من أصل فارسى، وتنقسم إلى «بيش» وتعنى «أمام» و «كار» وتعنى «عمل»، وتكون فى مجملها «داخل أو أمام العمل» وجمعها بشاكير. ويذكر فالح حنظل أنها تعنى «الخادم فى البيت».

أما **الحاضنة** فهى الأم الاجتماعية للطفل، ويعهد إليها بالطفل داخل الأسرة أو خارجهـا ، فقد تكون مرضعـا أو غير مرضع حسب مـؤهلاتها وحسب المرحلة التى وكلت فيهـا حضانة الطفل، وأحيـانا توظف داخل الأسرة للعناية بالطفل فى كافة النواحى حتى مع وجود الأم، وأحيانا تستقدم فقط فى حالة وفاة الأم.

والمربية أنثى تأتى لتربية الطفل ومراعاة تقـويم سلوكه، وتنشئته على النحو المراد، وكذا تعليمه فى مراحل حياته الأولى.

وربما تتـقارب هـذه المفاهيم عـندما تخـتلط أدوار هؤلاء، نقـصـد الخادمـة والبشكيـرة والحاضنة والمربية، وفـيما يخـص ما يعهد إلـى الواحدة منهن من دور تربوى، فقد يكـون دورا عابرا وحسب ظروف سيدة المنزل (أم الطـفل) من كونها تقضى الـيوم خارج المنزل أو داخله، أو مـدى انشغـالها داخل المنزل من عـدمه. ومهما يكن الأمـر فإن الطفل يدخل فى علاقة ما مع الخادمـة أو المربية، سواء مع توافر تام لعلاقته بأمه أو توافر جـزئى، ويتم ذلك يوميا سواء فى غياب الأم أو فى وجودها. وعبـر هذه العلاقة يحدث التأثير المرتـقب فى تنشئة الطفل. وربما وصل

الأمر لأن تأخذ الخادمة دور الأم البديلة Substitute Mother. وعندها نكون قد قلنا نعم للخادمة، لقد تنازل الأبوان عن دورهما فى تلبية الحاجات العاطفية والنفسية إلى مجهولين، وأصبح البرعم النامى يتجاوب مع مجتمعه عبر واسطة هى محض تأجير، غالبا أبعد عن أن يوفى بأبسط المطالب التربوية الإنسانية. ونادرا ما تتوافر التجاوبات عبر واسطات صحية بأسرة الطفل، كبعض الحالات التى تصبح الخادمات على علاقة لسنوات بهذه الأسرة، لدرجة تجعلهن غير مفتقدات للتبادل العاطفى مع أفرادها. ولكن غالبية الخدم يعتبرون غرباء عن الأطفال، وفى بعض المجتمعات يأتين من مجتمعات مخالفة وثقافات بعيدة.

ففى واحدة من الدراسات التى تمت فى منطقة الخليج، اتضح أن ٨٪ من مجموع المربيات فى بعض دول الخليج لهن إلمام باللغة العربية، وجاءت اللغة الإنجليزية اللغة الأولى للاتصال بين المربيات والأطفال. فكيف إذن لعملية التطبيع الاجتماعى أن يتم جزء منها فى غياب اللغة؟ إن اللغة نظام موضوع من الرموز يستطيع أعضاء الجماعة بواسطته أن يتفاعلوا وأن يتعاملوا وفق المعايير الاجتماعية فى المجتمع، وماذا يكون التوقع إذا ظهر أن ٢٥٪ من الأطفال يقلدون المربية فى اللهجة، وأن أكثر من ٤٠٪ من الأطفال تشوب لغتهم لكنة أجنبية ويتعرضون لمضايقات أقرانهم لهذا السبب، كما أن من ٦٠٪ إلى ٧٥٪ من المربيات غير مسلمات، ويمارس منهن ما نسبته ٩٨٪ تقريبا شعائرهن الدينية . . . إنها قدوة خطيرة أمام النشء المسلم من الأطفال فى منطقة الخليج إذا تذكرنا أن الطفل البشرى يحتاج لفترة حضانة ورعاية طويلة نسبيا ويأخذ نموه الاجتماعى من خلال تفاعله مع المحيطين به مباشرة، فى الوقت الذى تنازلت فيه ٤١٪ من أسر الأطفال عن إشرافها على لعب الأطفال، وفى الوقت الذى يمكن أن يستقر بعض المربيات مع الأطفال فترة تفوق الخمس سنوات.

وعموما فإن نتائج دراسة وزارة الشئون الاجتماعية والعمل بعُمان أشارت إلى أن وجود مربية أجنبية للأطفال أثناء مرحلة الطفولة المبكرة، قلل من فرص الأطفال فى الاعتماد على النفس، بينما أشارت نتائج الدراسة على عينة كويتية إلى عدم وجود آثار سلبية للمربيات الأجنبيات على الأطفال من حيث نموهم اللغوى والنفسى والاجتماعى، نظرا لاقتصار أعمال المربيات على الخدمة المنزلية، وقيام

الوالدين بأغلب مسئولياتهم نحو الأبناء مثل توجيههم ومساعدتهم دراسيا والإشراف على طعامهم ولباسهم وألعابهم وصحتهم.

وإذا كانت ظاهرة الخدم واضحة فى منطقة الخليج، فإن الظاهرة محدودة فى مصر ودول المغرب العربى، ولكن عموما كلما ارتفعت مكانة الأسرة اجتماعيا واقتصاديا أمكن أن نتصور إمكانية وجود خدم أو مربيات.

إن العلاقة الحميمة التى نلاحظها أحيانا بين المربيات والأطفال، إنما يرجع بعضها إلى اعتماد أساليب تربوية خاطئة لدى المربية، مثل التساهل والتراخى، والتكتم على تصرفات الأطفال . . . وحتى الحنان المفرط.

وإذا كانت هذه الفئة تتخذ من هذا العمل مهنة لها، فإن تقلباتهم بين البيوت عبر السنوات يجمد حنانهم العاطفى، ويجعلهم عرضة للتذبذب فى المشاركة الوجدانية، ولذلك فالأشخاص من هذه الفئة تكون علاقاتهم بالأطفال مجرد علاقات مظهرية ووظيفية فى الأعم والأغلب، وبقدر ما تعمل الأسرة على توفير حياة طيبة للخادمة أو المربية يمكن أن تنتظر من الأخيرة الاهتمام والرعاية بالأطفال.

إن علاقة الأم والطفل، فى جلستها أو فى حركتها، أو حالتها النفسية تبدو أثناء إرضاع الطفل أو تغذيته، وينعكس ذلك على الطفل، وربما الخدم والمربيات كثيرا ما يبدو اهتمامهم بتنظيف الأطفال وملاحظتهم أثناء اللعب . . وما إلى ذلك. ولكن قد يثرن انفعالات الأطفال نتيجة توترهن أو التقزز وهن يقمن بتنظيفهم، وينعكس ذلك على شعور الطفل بذاته وقيمته بالإضافة إلى ما يستخدمه بعض الخدم من أساليب الأمر والنهى لانخفاض مستواهم الثقافى . . أو أساليب العقاب . . . لقد شاهدت بنفسى خادما يهدد طفلا فى الرابعة من العمر تقريبا بضربه بالحذاء، وذلك أثناء وجودي فى متجر بإحدى الدول العربية.

إن هذا لا يقلل من الجهد الكبير الذى يبذله بعض الخدم والمربيات فى خدمة الأطفال بإخلاص، ولكن يظل والدا الطفل أهم عاملين أوليين، ما داما هما الشخصان الرئيسيان اللذان يتصلان بالطفل مع بداية حياته، وينطبق ذلك أيضا على أى شخصيات اجتماعية يكون للطفل بها علاقة مثل المربيات أو الخدم، حيث

يُتوقع هنا شيء من التوحد Identification يأخذ فيه الشخص اتجاهات وأنماط سلوك شخص آخر . . وينتهى إلى تقليدها أو ممارستها، وهنا يكون قد حدث نوع من الاستدخال Internalization أو النمذجة والاقتداء Modeling .

ومع مصطلح التوحد والاستدخال يكون التقبل اللاشعورى لقيم الوالدين والمربين، بحيث تصبح جزءا راسخا أو شبه راسخ فى نظام القيم للطفل، وهنا تكون العواقب إيجابية، إذا كان من يحل محل الوالدين فيه من الصفات المؤهلة، أما إذا كان من يحل محل الوالدين ليس مؤهلا نفسيا وخلقيا ـ فى ضوء معايير المجتمع الذى يعمل فيه ـ على أداء مهمة رعاية الأطفال، فالمنتظر أن ينتحل الطفل سلوكيات عليها الكثير من التحفظ وربما أودعته الاغتراب.

إن الأطفال فى سبيل تنشئتهم على النحو المناسب فى مجتمع ما يجب، بالإضافة إلى تحقيقهم حاجاتهم من غذاء وملبس ومأوى، أن نوفر لهم العاطفة وفرص اللعب والتشجيع على ممارسات لغوية ودينية واتصالات رمزية مع الآخرين فى ضوء قيم ومعايير نفس المجتمع.

وهذا ما يدفع بعض الدول الغربية إلى أن تشترط أن يتعلم المنتقلون إليها لغة البلد التى يعملون فيه، وتوجد فى ألمانيا مثلا مدارس رسمية وأخرى خاصة تشرف عليها جهات مسئولة من أجل تعليم الألمانية للأجانب مقابل تكاليف زهيدة، ولذلك لا نجد أثرا للعمالة المهاجرة. إن هذا ما يجب أن يأخذ فى الاعتبار عند إحضار أجانب أو مربيات أجنبيات ، تلك الظاهرة التى زحفت على المجتمع الخليجى وفى طريقها للمجتمع المصرى ومجتمعات أخرى.



الفصل الرابع

نماذج لتنشئة الطفل
من بيئات مختلفة





إن أساليب التنشئة تختلف من بيئة إلى أخرى، فتختلف أساليب التربية باختلاف الثقافات، مما يأتى معه اختلاف فى شخصيات الأطفال.

وسنعرض فيما يلى نماذج للتنشئة فى عدد من البيئات المتباينة فى مناطق متفرقة من العالم تتفاوت فى بنائها الاجتماعى من البدائية إلى الصناعية المتقدمة.

أولا : نمط تنشئة الطفل من قرية مصرية:

انها قرية «سلوا» تلك القرية المصرية التى تقع فى محافظة أسوان، فى منطقة فقيرة، تعتمد الحياة فيها على زراعة المحاصيل ورعى الإبل.

وينتمى أهل «سلوا» إلى أصل واحد، لقد نزحوا من شبه الجزيرة العربية، وفيها عائلتان أو عشيرتان كبيرتان، هما الجعافرة والعبابدة، وتنقسم كل عائلة إلى مجموعة من الأسر، والعائلة وحدة اقتصادية واحدة يمارس أفرادها نفس المهنة، ويعتمد مركز العائلة على الملكية.

١ ـ الأعراف والقيم الشائعة:

الروابط العائلية هى القوة الأخلاقية وراء تماسك القرية، وتتحمل العائلة مسئولياتها كاملة عن سلوك أفرادها، وتنمى المعايير الأخلاقية بين أفراد العائلة الشعور بالانتماء واحترام الكبير والقائد.

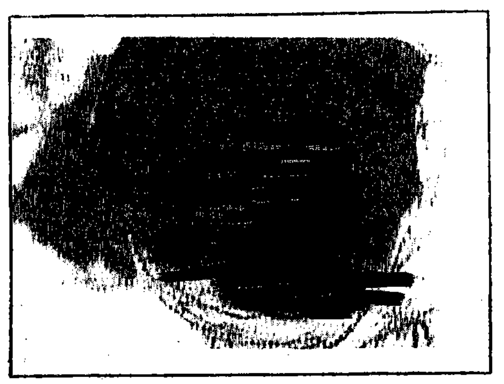
وتختفى من مجتمع «سلوا» ظاهرة صراع الأجيال. وكل قواعد السلوك تستند أساسًا على القرآن والسنة، ويعتقد السكان أن الإهمال فى تربية الأطفال يصحبه غضب من الله ونقمة منه فيحل المرض وتفسد المحاصيل.

وتسود مجتمع «سلوا» ظاهرة التنافس والغيرة بين الإخوة، والصغير يغار من يكبره، والكبير ينافس الصغير، فالاعتقاد السائد أن التنافس ظاهرة مفيدة لتحقيق النماء، ويُعتقد أن نظافة الأطفال تجلب لهم الحسد.

ويرى أهل «سلوا» أن فترة الطفولة أنسب الأوقات لفرض قواعد التأديب والنظام، ليعرف الطفل مكانه بين عالم الكبار فى القرية، ويدعم نظام التربية

المعمول به هناك أسلوب العقاب لردع الانحراف، ويشيع هناك أيضا المثل القائل «العصا لمن عصا»، وتسود فى مجالات التفاعل بين الكبار الريبة والتكتم والظن والخوف، إذ يعتقد أهل «سلوا» أن «الخوف بركة».

٢ ـ رعاية الأطفال من الوالدين:



عرض حامد عمار مظاهر التربية فى أطوار للنمو. فقد أوضح أن طور الحضانة يمتد حتى ٤ سنوات، ويفطم الطفل غالبا قبل نهايتها. ويتعلم الطفل فى هذا الطور الكلام والاستجابة لأوامر الكبار. وتتميز تلك الفترة بالتساهل مع الطفل. وهناك اهتمام بعملية الرضاعة يرجع إلى الاعتقاد الشائع بأن ثدى الأم رمز للحنان. ويفطم الطفل بطريقة قاسية.

وحتى عمر ٤ سنوات يبدو عدم العناية بمظهر الأطفال أو ملابسهم القذرة، إلا أنه بعد العاشرة من العمر لاتسمح الأسر للأطفال بارتداء الملابس الممزقة أو كشف عوراتهم.

وتقوم عملية تلقين الطفل قواعد السلوك على الإلزام وغالبا القهر اعتمادا على الأقوال السائدة مثل «إذا عصى الابن الوى رقبته». ومع هذه القسوة فى التنشئة يغرس فى نفس الطفل الخنوع، والخوف والرهبة.

٣ ـ مراعاة الفروق بين الجنسين فى التنشئة:

يفرق أهل «سلوا» بين البنين والبنات فى المعاملة وحتى عند تناول الطعام كما يحرم لعب الذكور والإناث معًا ابتداء من السابعة، بل حتى الاختلاط معا، وعلى البنت بعد هذا العمر أن تغض الطرف كلما قابلت رجلا فى الطريق.

والمجتمع فى «سلوا» يميل إلى القسوة والإلزام مع الفتاة أكثر من تطبيق هذه الأساليب مع الفتى، فالشدة هى مايميز معاملة الأسرة للبنت، ويرجع التفاوت فى

أساليب المعاملة بين الجنسين إلى القيم الدينية والقيمة الاقتصادية والاجتماعية للجنس التى تحقق للأسرة الاستمرار والبقاء

٤ ـ المشاركون فى التنشئة:

الأب هو العائل والمسئول عن إعالة الزوجة والأبناء، ويطلب الأب من الأولاد الطاعة والاحترام، وقلما أظهر الأب الحب والعطف لهؤلاء الأبناء. والأب له سلطة مطلقة فى تحقيق التماسك الأسرى.

وتسهم جدتا الطفل فى تربية الحفيد، وعملية تربية الطفل عملية مشاعة تتولاها العائلة كلها.

ومع نهاية ٤ سنوات من عمر الطفل، يستقطب الطفل جماعة الأطفال من نفس السن ويلعب الإخوة دورا هاما فى تكوين اتجاهات الطفل، ويقف الإخوة الكبار موقف الحراس على إخوتهم الصغار أثناء اللعب.

٥ ـ المنتظر للأطفال:

ينتظر أن يتعلم الطفل أنماط السلوك وبعض العواطف التى عليه تبادلها مع الأقارب، وعدم اللعب أو الأكل إلا مع أقرانه من الأقارب فقط غالبا، وينتظر أن يحترم الطفل الكبار، وينسحب من مجتمعهم، على الرغم من تدريب الصغار على الأداء مثل هؤلاء الكبار.

من الهام لدى أهل «سلوا» أن يلقن الطفل قواعد السلوك الاجتماعى، ليتوافق مع معايير المجتمع، وتأديب الطفل عملية أساسية حتى يبقى استمرار البناء الاجتماعى، وذلك اعتمادا على ركائز الدين الإسلامى

ومع عمر الثالثة سوف يعرف الطفل أنه لن يسمح له بالتبرز خارج المنزل، وفى العاشرة يعرف أنه لايجب أن يكشف عن أعضائه التناسلية، وعليه أن يذهب إلى المسجد ويطيع الكبار، ويتقبل السلطة المفروضة فى هذه السن، وعندها يطلق عليه «ابن حلال».

وينتظر أن يتعلم الإخوة التنافس لاعتقاد الآباء أنه أسلوب يدفع الطفل إلى التخلى عن طفولته. وينتظر إن يتحول الطفل إلى إنسان منتج وليس عبئا اقتصاديا

٦ ـ نتائج ومشكلات للتنشئة فى قرية "سلوا" :

يغلب على ألعاب الصغار القسوة والخشونة، وهذه المظاهر تبدو تنفيسا عن المشاعر العدوانية ضد عنف الكبار عموما والإخوة الأكبر، والتى يحرم على الطفل التعبير عنها.

ويرى حامد عمار أن استعمال القسوة فى التربية لأولاد قرية «سلوا» تدفعهم إلى الكذب وممارسة الخداع فى اللعب.

والشخصية لدى أبناء «سلوا» عموما تتميز بالمثابرة والدأب على العمل، وممارسة الإلحاح، وردود الأفعال السريعة.

ثانيا : تنشئة الطفل فى قرية مكسيكية :

إنها قرية سانت دومنجو بريو فى ولاية أوكساكا المكسيكية. ، وهى قرية فقيرة يقوم البناء الاجتماعى فيها على ثلاثة عناصر هى القرابة والسن والجنس، وتسير على نظام الأسرة الممتدة، ويسود فيها غالبا نظام الزواج الداخلى.

١ ـ الأعراف والقيم الشائعة:

تبدو المشاركات الجماعية فى مواسم الحصاد والحفلات. ويرى أهل بريو أن الأسرة لاتكتمل بين زوجين إلا إذا ولد طفل لهما. وينظر أهل القرية إلى عدم الإنجاب كظاهرة غير طبيعية، وتسعى الأمهات لإنجاب أطفال كثيرين فى سن مبكرة. والأطفال لهم قيمة اقتصادية، ويعتقد أنهم يتعلمون السلوك المناسب تلقائيا لدرجة أن كثيرا من الأمهات لديهم لامبالاة من تصرفات الأطفال غير المناسبة كالإخراج.

ولايمارس أهل بريو أساليب التسلط أو العقاب البدنى للأطفال، وينظرون إلى التنافس والصراع بين الرفاق نظرة كره، وتكره الأمهات اعتماد الأبناء على أنفسهم ولايشجعونهم على الاستقلالية عنها، على الرغم من أنها تؤكد وتشجع على سلوكهم الإنجازى. ولايهتم أكثر من نصف أهل القرية بإرسال أطفالهم للمدارس.

٢ ـ رعاية الأطفال من الوالدين :

ينال الرضيع عناية أمه وحنانها منذ ميلاده، وتعطى الأم ثديها للطفل كلما بكى، وتستمر عملية الرضاعة نحو عامين. ويعمل الابن بالزراعة حينما يتجاوز العاشرة من العمر، أما الابنة فتدربها الأم على أداء الأدوار النسائية. وأسلوب عقاب الأطفال الشائع هو التأنيب أو العزل من جانب الآباء، وتقف الأمهات موقف لامبالاة من الأخطاء وكل منهن تقوم بتأنيب أطفالها.

٣ ـ مراعاة الفروق بين الجنسين فى التنشئة:



يوجه الأطفال ليعاون الابن الذكر أباه فى العمل، وتساعد البنت أمها، ولايضرب الأبناء الذكور نهائيا وأحيانا تضرب البنات، وتفضل الأمهات أن يلعب الأولاد الكبار بمفردهم، كما تؤثر الأمهات الفصل بين الجنسين فى اللعب بعد مرحلة البلوغ. أما فى الطفولة فيمكن أن يلعب الذكور والإناث معا ولكن تحت إشراف فتاة كبيرة.

والأمهات لايفرقن بين ملابس البنين وملابس البنات، فيلبس الأطفال من الجنسين أزياء متشابهة فيما قبل ٨ سنوات تقريبا، ولاتهتم الأمهات حتى هذه السن بتربية الأولاد تربية جنسية، وغالبا لايغطى الأبناء عوراتهم وكثيرا ما يلاحظ ممارستهم للاستمناء.

وبعد عمر ١٢ سنة يبدو التميز واضحا بين الذكور والإناث، وترتبط الإناث بأعمال المنزل وتكون أكثر احترما وإذعانا وتفرض عليها الأسرة الطاعة، وبينما تفرض الأم على ابنتها الطاعة، تعطى ابنها الحرية كاملة، إلا أن الابن يتعلم الانقياد والطاعة لأوامر الأب، ويعتنى كثيرا بتغذية البنات أكثر من الأولاد.

والبنات أكثر إقبالا على التعليم من الأولاد، نظرا للحاجة إلى مساعدة الأولاد للآباء فى أعمالهم.

٤ ـ المشاركون فى التنشئة:

من الأمور الطبيعية مشاركة الكبار من أبناء العم وأبناء الخال فى تربية الصغار، والعائلة كلها تشارك فى عملية التنشئة، بل يرى البعض أنها أفضل من الأب والأم.

وبالرغم من أن مسئولية العناية بالرضيع تقع على الأم إلا أن أختها (خالة الرضيع) تشارك وكذا عمة الرضيع. وتُنتقل الرعاية إلى الإخوة وأقارب آخرين بعد الفطام، ولايهتم الأب غالبا بالعناية بالأطفال لانشغاله بأعماله خارج المنزل.

٥ ـ المنتظر للأطفال:

الطاعة أمر مرغوب فيه من الطفل. ويمنح الطفل المطيع دائما الثواب على طاعته.

ويقلد الأطفال فى ألعابهم سلوك الكبار، ولكن حياتهم ليست لعبا خالصا بل يساعدون الأسرة فى العناية بالطيور والحيوانات، ولايتعدى نشاط الأبناء فناء المنزل، أما بعد ١٢ سنة فالمنتظر أن يعمل الابن بالزراعة.

ويتعلم الأطفال العدوانية مثل الضرب والبصق والرفس مع الأطفال الآخرين، ويتعلمون سرد الأكاذيب وقول الزور. وإن كانت هذه السلوكيات لايعرفها الطفل من داخل أسرته.

وعلى أى حال فإنه بينما تتصف شخصية الذكور بالعنف والقسوة مثل الآباء، فالمنتظر أن نجد الإناث يتصفن بالوداعة والهدوء مثل الأمهات.

٦ ـ نتائج ومشكلات التنشئة فى قرية بريو:

أساليب التربية المتبعة فى القرية تأتى بأفراد يؤمنون بالسحر ويقدرون العمل، ويسود بين أفراد القرية التعاون والمساواة، ومن الشاذ أن يُرى أو يُسمع عن فرد استغل أشخاصا آخرين.

ثالثا : التنشئة للأطفال فى الولايات المتحدة الأمريكية:

المجتمع الأمريكى مجتمع رأس مالى، وهو مجتمع يقوم على الإنتاج الضخم. ويتميز هذا المجتمع بعدم التجانس بين ثقافاته، وتعدد طبقاته. ويواجه المجتمع كثيرا من المشكلات الصناعية الضخمة.

١ ـ الأعراف والقيم الشائعة:

تقوم التربية فى المجتمع الأمريكى على قيم متصارعة بين طبقة وأخرى، ويواجه الطفل منذ بداياته تيارات متباينة من المبادئ ونماذج السلوك داخل الأسرة وخارجها.

ويؤكد المجتمع الأمريكى على التغبير الحر للفرد، ولو على حساب التماسك الاجتماعى. ولا تخضع عملية التربية للأبناء فيه على أسلوب محدد يرتبط بنظام الدولة، بل إن التربية تعود للأشخاص، وتثمر نتائجها حسب جهد الوالدين أو أحدهما فى توجيه الأطفال.

ويتفاوت دور الأب والأم أثناء عملية التنشئة، والأسرة تلقن الأبناء قيم الطبقة التى تنتمى إليها، وكثيرا ماتتعارض قيم الأسرة مع قيم الجماعات الأخرى مثل جماعة الرفاق، وتدعم جماعات الرفاق للأطفال ـ وبخاصة مع اقترابهم من البلوغ ـ النزعات المعادية لقيم الكبار واهتماماتهم.

٢ ـ رعاية الأطفال من الوالدين:

يتفاوت دور الأب والأم فى اتخاذ القرارات الأسرية الخاصة بالأطفال وفى استخدام العقاب البدنى، ووضع القيود على الأطفال. وعموما يتضح ضعف دور الأسرة فى توجيه الأبناء.

فالوالدان لايبذلان جهدا ولاينفقان وقتا كافيا فى المواقف التى تتطلب تقديم النصح وتوجيه السلوك لضعف علاقات الود داخل الأسرة. كما أن هناك ضعفا فى العلاقات بين الكبار بعضهم وبعض.

٣ ـ مراعاة الفروق بين الجنسين فى التنشئة

تختلف بعض الطبقات فى أسلوب تربية البنت عن الولد، ويبدو هذا الاختلاف واضحا عند الطبقة العاملة التى تعاقب البنت على أفعال تغفرها للولد.

٤ ـ المشاركون فى التنشئة:

لاتضع الدولة معايير للتربية الجماعية مثلما نجد فى دولة ضخمة مثل أمريكا وهى روسيا، وإن كانت هناك دور للحضانة وروضات.

والتربية مسئولية الأسرة وحدها، وهذا مايجعل الطفل الأمريكى أكثر عرضة أحيانا للقلق إذا ترك فى عناية شخص آخر أو فى دار للحضانة.

ولذلك فالأشخاص الآخرون دورهم ثانوى فى تربية الأطفال، وللأبوان دور مهم فى تلقين الطفل قيم الطبقة التى ينتمى إليها.

ولجماعات الرفاق دور مهم على الأطفال الكبار، وهى تعمل مستقلة عن إشراف الآباء إلى حد كبير، وتتميز بالمرونة فى أفكارها، ولذا فغالبا تتعارض مع مبادئ الأسر.

٥ ـ المنتظر للأطفال:

تستقطب الطفل الأمريكى مواقف السلوك الاستقلالى والحرية والسلوك المنحرف بدرجة أوضح من الطفل السوفيتى فى نفس العمر، ويعانى الطفل الأمريكى صراع القيم بين مايراه داخل الأسرة ومايراه خارجها.

٦ ـ نتائج ومشكلات للتنشئة فى المجتمع الأمريكى:

لايبدو تحديد من جانب الأسرة لحرية الطفل، ولاتبدو الصورة البارزة للتربية الجماعية، كما لايوجد توحد مع القيم باستمرار من جانب الأطفال، ويرتضى الأطفال الغش فى الامتحانات، ولامانع أن يأخذوا أشياء لاتخصهم أحيانا ويتجاهلون غيرهم ممن هم فى حاجه إلى نجدة.

رابعا : تنشئة الأطفال فى روسيا:

كانت روسيا لعهد قريب مجتمعا يعتمد على النهج الاشتراكى، والمجتمع الروسى له نسق صناعى متفوق يتصارع مع الولايات المتحدة الأمريكية.

١ ـ الأعراف والقيم الشائعة:

كانت التربية فى روسيا تهدف إلى إعداد طفل يتوافق تماما مع معايير الكبار، ومن أهم الأهداف التربوية خضوع الطفل للنظام واحترامه بالإضافة إلى الطاعة.

فالطفل فى مجتمع متجانس، ويعيش فى معايير متجانسة، والتنشئة فى روسيا تهدف فى جميع أطوارها إلى تحقيق الجماعة وتأكيدها، والقائمون بالتنشئة ملتزمون، وكانوا يؤكدون على غرس القيم الاشتراكية.

ومسئولية الأب فى المجتمع الروسى نحو أبنائه هى استمرار لمسئوليته نحو المجتمع، وتأكيد السلوك لصالح الجماعة.

وتهدف عملية التنشئة إلى التكوين الخلقى عند الطفل. وقد حددت لهذا التكوين برامج إجرائية يتعرض لها الأطفال بفاعلية فى المدرسة والبيت والمجتمع. ولكل سن برامجه الخاصة به فى تفصيل يحدد بالدقة ماذا يجب على الطفل عمله فى تلك البيئات الثلاث. والمعلمة أو المنشئة لها مكانة عالية، ودروها محل تقدير من جميع أفراد المجتمع، ومعروف أن مسؤوليتها خطيرة فى إعداد النشء ورعايتهم نفسيا وتربويا.

٢ ـ رعاية الأطفال من الوالدين:

ليست الأسرة الروسية نظاما مغلقا عن المجتمع الكبير، فهى تعد جزءا من البناء الروسى القيمى. وتقوم التربية للأطفال على الإقناع والتشجيع والمدح، ويتم

اللجوء إلى العقاب بالتأنيب والتهديد بسحب الحب للابن المتمرد. والروس يكرهون العقاب البدنى.

ويربى الطفل على احترام العمل وتنظيمه، واحترام العمل مع جماعة وإخضاع رغباته لصالح الجماعة.

ويؤكد الروس على الحماية الزائدة، وغرس الروابط العاطفية بين أفراد الأسرة.

ومنذ مولد الطفل تهتم الأسرة بعملية الرضاعة، إيمانا بإشباع الحاجات الأولية والنفسية للطفل، ومع نمو الطفل يستمر توفير الحنان والدفء الأسرى له. فيلاحظ عناقه وتقبيله بكثرة عما يشاهد مع الطفل الأمريكى. ويؤدى الحب الزائد للأطفال إلى تقييدهم.

وإن لم تكن الأم متعلمة، فإنها تزود بعديد من النشرات والكتيبات، التى توضح لها بأسلوب سهل بالصور والأمثلة، كيف تتعامل مع أطفالها.

والاهتمام الأكبر من الوالدين هو تعويد الطفل الطاعة : طاعة الأوامر التى تلقى إليه، وأن يسمع وينفذ مافيه، ويتم ذلك بلهجة وأسلوب مملوء بالمحبة والحنان والعطف. بل إن الطفل لكى يصبح مطيعًا يحاول الأب أو الأم إقناعه بضرورة تنفيذ مايكلف به، ويتم ذلك بإعطاء أمثلة للطفل أو قص الحكايات القصيرة، أو بالمحاكاة وتقليد مايفعله غيره.

وعندما لايطيع بعض الأطفال الأوامر، يكون التأنيب فى بداية الأمر خفيفا هينا لاخشونة فيه، وخاليا مما يؤلمه نفسيا أو جسميا. وإذا زاد العناد، يبدأ إشعار الطفل بسحب جزء من الحنان والحب اللذين عهدهما، ويكون السحب تدريجيا، ويكون هذا السحب بوسائل مختلفة مثل تغيير ملامح الوجه، أو تغيير نبرة الصوت أو حتى طريقة لمس الطفل، أو عدم الاهتمام بالإصغاء لما يقول . . وهنا يشعر الطفل أن ثمة تغييرا لدى الكبير قد حدث.

ويهتم الوالدان بضرورة تعويد الطفل على شكر من معه فى المنزل، على مايقدمونه من أعمال له، على أن يقترن الشكر بالابتسامة.

ومن الطريف أن مواقف الخبرات التى يمر بها الطفل فى البيت أو المجتمع يحكى عنها فى المدرسة أمام الزملاء وتحت إشراف المعلمة (المنشئة).

والملاحظ أنه بعد الحرب العالمية الثانية، فقدت ملايين من الرجال، وأصبح عدد النساء أعلى من الرجال بنسبة ٢٠٪، وكان على الأم أن تلعب دورا بالغ الأهمية فى تنشئة الأطفال، بالإضافة لإشباعهم بالحب والعطف الزائدين، فى الوقت الذى تطالبهم فيه بالطاعة.

٣ مراعاة الفروق بين الجنسين:

من الجدير بالذكر أن الأعمال التي يكلف بها الأطفال حتى سن ١١ سنة تقريبا سواء فى المدرسة أو البيت أو المجتمع تنسحب على الذكور والإناث على السواء.

٤ ـ المشاركون فى التنشئة:

الأسرة الروسية لاتنفرد بعملية التربية، فهناك منظمات للأطفال والصبية ولاتقوم الأم وحدها بتربية الطفل بل تمتد المسئولية إلى الأقارب والأطفال الأكبر سنا.

ورغم امتصاص العمل لوقت الآباء فى روسيا مما يجعل الأبناء يلحقون بمؤسسات اجتماعية تتولى رعايتهم ويجعل الوالدين يعوضان الساعات الطويلة بعيدا عن أطفالهم بالحنان والحب الزائد.

وتوسس الدولة دور الحضانة ورياض الأطفال والمدارس الأهلية ومدرسة اليوم الكامل لخدمة أبناء النساء المشتغلات، وكل هذه المؤسسات تخدم أيديولوجية المجتمع فى التربية.

ويلتحق الأطفال عامة بمؤسسات داخلية أو بمؤسسات يطلق عليها مدارس اليوم الطويل الذى يمتد من الصباح الباكر إلى ما بعد العصر، ويطلق البعض على هذه المؤسسات المجمعات أو الجماعيات Collectives.

وقد اقترن دور المنزل بالمدرسة، فحينما يتحدث Bronfenbrenner وغيره يقولون أن الأم والمدرسة تفعلان كذا وكذا . . . فالصلة بين الاثنتين والدعم دائما قائم لدعم الانتماء والولاء لدى الأطفال لمجتمعهم.

وفى المجتمعات الروسية تقوم المنشئة بتربية الأطفال بلغة مشتركة للتعامل معهم، كأن تستخدم حركة يدها تعني الصمت التام، أوحركة أخرى تعنى التصفيق، وثالثة تعنى حرية الحركة .. ويتم هذا وغيره مع مراعاة أن المنشئة تخفض من قامتها حتى يصبح وجهها مع مستوى وجوه الأطفال، فتكون عيناها فى أعينهم، وليست أعلى من مستواهم تنظر إليهم من علٍ،ولايطيل الأطفال أعناقهم لينظروا إليها، وإنما هى معهم فى مستوى قامتهم وحتى فى بساطة محببة إلى نفوس الصغار .. وفى بعض الأحيان حتى لاتضطر المنشئة إلى الانحناء يصمم موقع الأطفال على مستوى عال عن أرضية وقوف المنشئة، ويطلق على ذلك التفاعل وجها لوجه.

ويتم تعويد الطفل ارتداء الملابس والذهاب إلى دورة المياه .. وكل هذه الأوامر تصدر عن نبرة مشبعة بالحب والحنان من المنشئة. حتي يصل الأطفال إلى مرحلة يعتمدون فيها على أنفسهم كمجموعة، وعندها تنسحب المنشئة تدريجيا تاركة للمجموعة زمام القيادة بحيث يكون الطفل مسئولا أمام المجموعة عن تصرفاته.

ونسينا القول بأن اليوم الأول للذهاب إلى المدرسة، يقدم الأطفال للمدرسات أو المنشئات زهورا، ويكون الجميع فى فرحة وكأنهم على موعد سعيد.

وأثناء تعليم الطفل قد تلجأ المنشئة فى بداية الأمر إلى تعزيز سلوك الأطفال وتشكرهم وتثنى على هذا السلوك. ولكن بعد أن يتأصل فيهم تصبح هذه الأعمال من الواجبات والأمور التى يجب على الأطفال أداؤها.

٥ ـ المنتظر للأطفال:

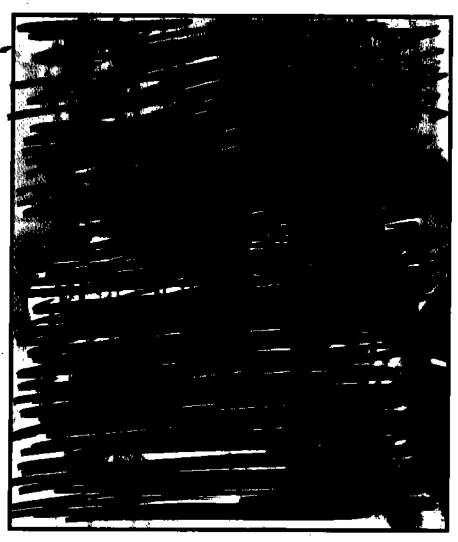
تهدف التنشئة فى المجتمع الروسى إلى إدماج القيم التى تؤكد على الطاعة وضبط النفس.

وينتظر أن يتعود الطفل الالتزام والتفاعل الجماعى، والتعود على العمل الجماعى.

ولاتستقطب الطفل الروسى مواقف الغش أو الانحراف مثل من هم فى مثل سنه بالمجتمع الأمـريكى، فالطفل الروسى يعد ليكون له سلوك متوافق مع مـعايير الجماعة، ويساعد على قوتها.

اعتياد الطفل مع كل يوم بالمدرسة أن يحيى المنشئة ومن يقابله من العاملين، ثم تحية غيره من الأطفال. ويحيى الطفل الذى يجاوره فى غرفة الدراسة باسمه.

وينتظر من الطفل فى المنزل العنايـة بملابسه وترتيبـها وتعليـقها. بل أحـيانا ينتظر منه أن يثبت زرا فى قميصه إذا لزم الأمر وتلميع الحذاء كما يشارك فى بعض الأعمال المنزلية البسيطة.



ومن المتـوقع من الطفل أن يصـبح على وعى بأن الممتلكات العامة هى أيضا ممتلكاته، وكـما يراعى مايملكـه ويحافظ عليه فـإن عليه أن يراعى مايملكه غـيره. فالزهرة ملك للجميع فى الحديقة ـ مراعاة عـدم إزعاج الغـيـر ـ الصوت المنخـفض الهادئ دون عويل ـ احترام المهن المختلفة ـ الالتزام بمواعـيد المدرسة ـ الاستـئذان ـ مراعاة الوقفة والجلسة ـ وضع الأشياء فى أماكنها المحددة.

٦ ـ نتائج ومشكلات التنشئة فى المجتمع الروسى:

تقـييد الحـرية للطفل إلى حـد ما، وتقـوية الروابط بين الأطفال وأسـرهم ومجتمعهم مع قلة الشعور بالقلق مقارنة بالطفل الأمريكي.

البعد عن الغش وعدم أخـذ مايخص الغير، وتقديم العون والمسـاعدة للغير عند طلب النجدة من الآخرين.

إن الأطفال الروس أقل رغـبة فى المشاركـة في أعمال ضـارة بالمجتمع كـما أظهرت نـتائج البحـوث. وإن كانت الأطفـال نسخـا مكررة فى الوقت الذى تكون الحاجة فيه إلى أفراد أكثر متميزين وليسوا فقط بالضرورة ممتازين.

خامسا: تنشئة الطفل الغجرى فى الهند:

لم يعد كل الغجريين من الرحل، إلا أن الترحـال هو الخاصية التى تميزهم، ومن الصعب التكهن بمن سوف ينقطع منهم عن السـفر أو لن ينقطع من جيل إلى آخر. والترحال سبب تشتت هؤلاء على وجـه الأرض، لأن الترحال يتميز بالطرد والرفض.

وفى بعض البلدان تكون نصف المجمـوعات الغجرية من أطفـال ومراهقين دون الخامسة عشرة. والمجتمع الغجرى غـير متجانس، والطفل الغجرى فى مفترق طرق التقليد والتجديد والانقراض.

وقـد كتب على الغـجـر أن يناضلوا من أجل البقـاء فى مـختلف مـراحل تاريخهم، وغالبـا ماكانت ردود الفعل على هؤلاء الرحل مناهضـة عنيفة، وهناك عدم تلاؤم بين المجتمع الصناعى ومجتمعات الرحل، ويبدو أن هذه المجتمعات قد غرست فى لاشعور أفرادها مقاومة تأثيرات مايحيط بها من ثقافات.

وهناك نزوع إلى الالتحام بين الأبناء والآباء والمجموعات التى ينتمون إليها. ويلاحظ وجود الأسر الممتدة التى تحافظ على الأجداد والأبناء والأحفاد وتستوعبهم طويلا فى شبه التـحام يبدو أنه أصبح غريزيا، لدرجـة تصل بنا إلى إمكانية القول بامتلاك الآباء للأبناء امتلاكا حقيقيا.

١ ـ الأعراف والقيم الشائعة:

إن المهم عند الغجر هو الجماعة وليس الفرد، وإن قانون الجماعة فوق الخيار الشخصى.

ويعتـبر محظوظًا من بين الغجـريين من يرزق طفلا، وخاصـة إذا كان ذكرًا وهذا مـايجـعل أقرب القـريبـات من الأم أن تقـول بطريقـة شعـائرية لهـا «أنت محظوظة» عند وضعها لطفلها.

والحظ يؤمن به الغجر ويعبر عن ضمـان استمرارهم فى هذا الكون وتميزهم عن سواهم.

والولادة مجلبة للدنس طبقا لاعتقادات الغجر، فالأم تضطر الى اعتزال الآخرين أياماً محددة، وعلى الأب أن يتحصن من القذارة والابتعاد عن الأم قليلا، ولايمنعه ذلك من المشاركة فى ممارسة الطقوس المتبعة عند استقبال مولود. وهناك اعتقاد حول سلطان الأم بصفتها واسطة مع القوى الغيبية لعلاقتها بالدنس.

ولكن هناك خشية من الاقتراب من الأم حتى لاتحدث اتصالات مشئومة مع قوىً الشر العليا، لأنها غير طاهرة فى هذه المناسبة، ويجب التوقى من الأرواح الشريرة، كما يعتقدون. والعرف يقتضى أن يعيش الزوجان عند أبى الزوج إلى أن تلد الزوجة طفلها الأول إذا أرادا الانفصال عن الأسرة الممتدة.

ولامانع لدى الغجر من قبول القيم غير الغجرية للبلاد التى ينزلون بها بهدف ضمان التسامح معهم وتجنب النبذ، والنجاة من التعامل السيئ معهم.

٢ ـ رعاية الأطفال من الوالدين:

ومع المولد يكون عهد رضاعة الطفل قد بدأ، ويظل الطفل متعلقا بأمه سنوات عديدة . وإن كانت بدائل للغذاء أصبحت تدخل على وليد الغجر.

وما أن يصبح الطفل قادرا على الحركة حتى تترك له حرية التنقل، ويُساعد على أن يمشى مبكرا، وطعامه يصبح وقتها من بقايا طعام الأسرة، دون أن تتخذ له تدابير خاصة، ويأكل طوال اليوم ماتقع عليه يداه دون أن يقابل من والديه بأى نهى.

أما بخصوص النوم، فالأسرة كلها تنام فى نفس المكان، وعامة مايحاذى الأطفال ولى أمرهم ذى الجنس المخالف، وتهدهد الأم رضيعها عندما يسترخى للنوم أثناء السير أو تتحدث إليه وتداعبه بأسلوب شبه آلى دون أن تعيره اهتماما خاصا، بالإضافة إلى بعض المداعبات للعضو التناسلى أو تقبيل الطفل.

وعندما يكبر الطفل يحدد بنفسه مكان نومه ووقته، دون أن يعيره الكبار اهتماما خاصا.



ولنظافة الأطفال، لا تمارس أي ضغوط، وأحيانا نجد سلوكا مزدوجا للطفل إذا كان ملتحقا بمدرسة، فيتبع أسلوبا للإخراج مثلا فى المدرسة غير الذى يمارسه وسط والديه، وحرية التصرف الظاهرة التى ينعم بها الطفل الغجرى لا يعتبرها الغجر سوءا أو قلة نظام. والأم لا تطاع مثل الأب.

إن المداعبات والقبلات للطفل تؤكد أهمية الجسد فى العلاقة بين الوليد ووالديه، فالأمر يصل إلى حد الالتقاء بين جسد الطفل وجسد والديه، وهو أمر سوف ينتهى عند وصول الطفل إلى سن البلوغ. فعلاقة الوالدين بالأطفال قائمة على الجنس بصورة طبيعية للغاية. وهناك تأويل لهذا التقارب الجسدى على أنه انتماء.

ومع بلوغ الطفل يحرم من هذه العلاقة ويتم اختيار زوجته دون استشارته ويتولى الأب تحديد تاريخ الخطوبة والزواج، ويُقتدى بهذا النظام باستمرار.

٣ ـ مراعاة الفروق بين الجنسين :

يستبشر الأهل خيراً مع ولادة الذكور، ويقال للأم أنها محظوظة. وعند سن البلوغ يعد الطفل فى المجتمع الغجرى رجلا يمكنه الزواج، ويكون للذكر حقوق أكثر من الأنثى وواجبات أقل من واجباتها، فتستسلم، كما استسلمت أمها لرغبات الزوج وتقوم بالأعمال المنزلية، ولاتخرج بمفردها، وأحيانا تدخل فى علاقات محرمة مع رجال المجموعة.

٤ ـ المشاركون فى التنشئة:

الطفل يقرر طريقة عيشه، والآباء الغجريون لايمنعون أطفالهم من رغباتهم.

ويعيش الطفل داخل علاقات القرابة المؤسسة على الأبوية عامة حيث يعرف نفسه باسم شجرة الأب، وتتعاضد القرابات لتدعم للطفل انتماءه إلى مجموعته ضد المجموعات غير الغجرية.

٥ ـ المنتظر للأطفال:

ينتظر من الطفل أن تكون صورة الأب لديه مثلا أعلى لرجولته، وترك الحرية للأطفال واستقلاليتهم يفضى بهم إلى كيفية تدبير أمورهم بأنفسهم إلى حد كبير قرب الثامنة من العمر.

ورغم التحاق بعض الأطفال بالمدارس، فيدخلون فى نظام تختلف معاييره عن معايير الغجر، لكنهم يبقون على عدوانيتهم وكثير من سلوكياتهم. وهذا الالتحاق بتعليم رسمى لايدوم طويلا فيتركون المدارس.

ويلاحظ أنه مع نهاية الطفولة يكون المرور من الحرية إلى المحظور، ويكون التقيد وربما ظهور الانطواء، وهذا مايجعل الزواج المبكر حلا لهذا الأسر الجديد.

٦ ـ نتائج ومشكلات التنشئة للمجتمع الغجرى فى الهند:

يبدو من خلال الأطوار أن الطفل لايحصل على تفاعل منظم مع والديه، فليس هناك تدريب على الإخراج، أو النظافة، ولاصورا للعاطفة العفيفة البعيدة عن الانطباع الجنسى فى جسد الطفل.

ويفضى غياب القانون الذى يجعل الطفـل يدرك نفسه وذاته إلى عملية تقليد لعالم الأجداد. وعالم الصغار لايتدخل فيه الكبار

سادسا : نمط التنشئة فى قرية كولمبية:

لقد أطلقت البـاحثة Alicia Dussan اسم ليـنارس Linares على القـرية الكولمبية التى أجرت فيها هذه الدراسة.

ويقطن القـرية سكان من البيض الملونين والـهنود والعبـيد السود. وينـقسم الناس فيـها إلى طبقة مـيسورة من البيض فـقط، وطبقة وسطى ودنيا أغلبـها من الملونين.

ويعتمـد اقتصاد القـرية على الزراعة بتقنيـات بدائية، والأسر الفقـيرة تحيى أراضى الأسر الميسورة.

ويأتى إلى القـرية سيـاح كولمبـيون ينتـمون إلى الطبـقة الوسطى والدنـيا، يصطحب الواحـد منهم مـعه بعـض الأدوات مثل أجـهزة الـتصـوير والراديوات الصغيرة، وسلوكه ينافى جزء منه ماهو مألوف بالقرية. وتباع بعض قطع الأراضى لبعض السياح.

١ ـ الأعراف والقيم الشائعة:

أنماط التـربية للأطفـال التى شاعت لسنـوات طويلة فى طريقهـا إلى بعض التحولات بسبب الثقافة السياحية.

وكل الأمهات يعتقدن أنه لايجب التخلى عن رضـاعة الطفل نهائيا، وتعتقد كل الأمهات أنه لايوجـد طفل أجمل من الطفل الذى يتغـذى بلبن الأم. ولاسبيل لإسكات الطفل الباكى من وجهة نظر الأمهات سوى إرضاعه إن لم يكن مبللا.

وعلى الأب أن يقدم ثياب الوليـد، فهذا دليل على أنه سوف يقـوم بواجباته نحـو الطفل. أما إذا كـانت الأم غيـر متـزوجة مـنه فإنه يمـتنع عن ذلك. ومن المعتـقدات الموجـودة أنه كلما كـان الطفل أكبـر كان تعـويده على ترك الرضـاعة أصعب. وترى النساء أنه لا لزوم لتعليم الأكل للأطفال ولاتعلم الأمهات أطفالهن الكلام، ولاسبيل لأحد غير أم الطفل أن يراه بدون ملابس.

ويتسبب تبـول الطفل أو تبرزه فى نفور كثير من الأمـهات والأسر، ولايليق الحديث عن ذلك أمام الغرباء، ويستغل هذا النفور لتأديب الطفل.

وتنام الأسرة كلها فى غـرفة واحدة، عادة حتى وإن كـانت فى البيت غرف أخرى شاغرة . واستخدام العقاب يكون أشد عند الأسر الفقيرة.

٢ ــ رعاية الأطفال من الوالدين :

الأمهات واعيات بمشكلة نقص الغذاء، ويولد الأطفال غالبا قبل تسعة أشهر لهذا السبب بالإضافة إلى ضعف الأم.

وفى المستشفى الخاص بالقرية تتـمخض أغلب الأمهات، ويغذى الطفل من زجاجة فى الثـلاثة أيام الأولى بعد المولد وفى اليوم الرابع ترضـعه الأم من ثديها، وتأخذه فى أحضانها وتعينه على التقـاط الثدى وتفعل ذلك بطيب خاطر وكثير من اللطف، وتدعه يرضع كلما أراد أو إذا بكى.

وإذا وصل الطفل عمـر العام تترك الأم ثديهـا لطفلها، وهى غالبـا ماتكون جالسة على مقعد منخفض جدا أمام منزلها ويرضع منها الطفل واقفا.

ويستمر غذاء الطفل بلبن الأم حتى الثانية والنصف أو الثالثة من العمر، وقد اعتادت النسوة دهن الثدى بمادة منفرة، فالأم لاترفض تقديم ثديها للطفل بل عليها أن تجعله مصدر نفور لابنها بعد هذا العمر، وإن كان الطفل يبدأ فى تناول غير لبن الأم قرب الشهر السادس من عمره، مثل الحساء ثم الأرز قرب الشهر العاشر.

وعندما تطعم الأم ولدها فإنها لاتكلمه وتقتـصر على إدخال الطعام فى فمه فى البداية، ثم تضع الغذاء فى يده دون أن تظهر اهتماما خاصًا.

وفى عمر الثالثة يبدى بعض الأطفـال غضبهم بقلب الطعام على الأرض أو تقديمه للحيوانات الأليفـة، ويعاقب على هذا التصرف بأن يترك الطفل الذى يفعل ذلك بلا طعام سائر اليوم.

ومنذ الأيام الأولى تسعى أمه إلى تعليمه بالحركة والصوت والشعور بالحشمة نحو أعضـائه التناسلية، وإذا مااقـترب منه أحد وهو مكشوف أو من غـير سروال تقول له أمـه «استح، استر نـفسك» وذلك عندما يتـمكن من المشى. أما فى سن الحبو فهم يتركون نصف عراة دون سراويل.

والأطفال لايبدون نظفاء بسبب قلة تبديل ملابسهم وقلة استحمامهم، وتداعب الأم طفلها بيدها حين تستخدم الصابون فى استحمامه ويكون الطفل سعيدا لهذه المداعبة.



وتعنى الأم بطفلها وتهدهده بعد الرضاعة، وبعد أن كان يوضع الطفل فى سلة بيضاوية فى أيامه الأولى ثم فى مهد فى سرير الأم فإنه فى عمر الستة أشهر يوضع فى أرجوحة النوم، وهى عبارة عن بطانية معلقة بين حبلين، قرب سرير الأم.

وفى الشهر التاسع يبدأ توبيخ الطفل، وضربه ومع نهاية الشهر الرابع تطوف الأم بطفلها مشدودًا إلى صدرها فى الطريق، ومع حبو الطفل تحمله بشال على ظهرها، وحينما يصبح أكبر ويمشى تصطحبه معها للأماكن، ويمكنه أن يخرج عدة ساعات يوميا فيلعب مع الرفاق ويلهو بالأحجار والأزهار ونادرا مايعلب بلعبة حقيقية.

والعقاب البدنى المفرط غير محبب، لأنه من وجهه نظر الآباء متى أفرط فيه يأتى الطفل سفيها. والمثل الأعلى هو أن يفهم الطفل من مجرد النظرة، والأم تصوب نحو طفلها مجرد نظرات تنبهه عن تصرفه.

ومن أنواع العقاب مع الأطفال تركهم فى الظلام، وهو مايفزع الطفل للغاية، وينجه الآباء إلى إخافة أطفالهم بالمتسولين ويقولون لهم: «سيأتون ليأكلوكم».

ومن المكافآت المتبعة مع الأطفال نظرات العطف والابتسامات، ومنح الحلوى أو الثياب الجديدة ونادرا اللعب، أو أخذ الطفل مع الوالدين إلى الحفلات.

والآباء الذين يشتغلون بالمحلات فى قرية لينارس، يستعينون بأطفالهم فى تحصيل النقود من العملاء أو فتح قوارير الشرب للسياح، ولقد بدأ الأطفال يتخلون تدريجيا عن صحبة آبائهم فى المزارع، لأن الريف بدأ يهجر شيئا فشيئا لانشغال الرجال بالبناء والعمران.

ويبين الكبار للصغار بكل صبر كيف يعملون، فالأم تبقى دائما بجوار بنتها عندما تعمل وتعلمها، والأب يكتفى بإعطاء بعض الإرشادات للولد ويتركه فترة ثم يعود ليرى ما أنجزه . ولايكافأ الأطفال على طرافتهم، ولاتغفر زلات لسان الطفل، ويطلب منه دائما التصرف كراشد صغير .

٣ ـ مراعاة الفروق بين الجنسين:

يعامل الأطفال من الجنسين بنفس الطريقة حتى سن الثانية، ولكن بداية من هذا العمر على البنت أن تقلد أمها وتساعدها، وعلى الولد أن يقلد أباه ويعينه.

وتعلم البنت أنها فى منزلة أقل من الولد، وأن عليها طاعة الآخرين والتحلى بالتواضع، أما الولد فيتعلم كيف تخدمه النساء وتحترمه باعتباره ممثلا لأبيه. وهذا يتيح له فرصة أن يغضب إذا لم يعجبه شيء.

وفى عمر الخامسة تلعب البنات مقلدة الأم بالعرائس والأشغال المنزلية، ويلعب الأولاد ببناء منازل من حجارة، أو لعبة الشرطى والسكّير. ويجتمع الأولاد والبنات للعب الكرة باليد.

وفى سن الخامسة يعطى الطفل الذكر بعض الدجاج وشاة أو أكثر كرأس مال صغير له بالإضافة إلى تقاضيه أجرًا على بعض مايقوم به من أعمال.

أما البنت فهى تعاون أمها فى سقى النبات والعناية بدجاج الأسرة وغسل الثياب وتقديم الأكل للأب والإخوة.

٤ ـ المشاركون فى التنشئة:

خلال الأسبوع الأول من ولادة الطفل، يبقى الأب بالمنزل ويترك كل أعماله، ويبقى مرافقا للأم إذا كان متزوجها . ويساعد عدة نساء من الأسرة على ضمان توفير احتياجات المنزل.

وإذا انشغلت الأم خلال الأشهر الثلاثة الأولى من الولادة بشئون المنزل اهتم الأب بالرضيع. وإذا اضطرت الأم إلى ترك المنزل فيعوض الطفل إخوته الأكبر ويبذلون ما فى وسعهم معه ويتحلون بالصبر معه فى البداية ثم يتركونه يبكى.

ومع الأسبوع الأول للولادة يختار الزوج والزوجة، زوجين لاينتميان إلى عائلتهما، ويتولى هذان الزوجان اختيار اسم الطفل ويهبانه الثياب.

وعندما يتمكن الطفل من المشى غالبا ماتتركه أمه عند الأقارب فى الصباح وتأخذه فى المساء، ويرسل الطفل لزيارة أقاربه الذين يحرصون على رعايته ولايعاقبونه أبدا، وعندما يكبر يعمل زيارات لحقول أعمامه وأخواله.

ويكلف الأطفال الكبار أحيانا بمراقبة الأطفال الصغار، ويغضب الأطفال الصغار إذا ما أخذ الطفل الأكبر مافى أيديهم مثل الحلوى، أو الدميات الطينية أو سدادات القوارير التى يلعبون بها. وأحيانا يقوم الإخوة والأخوات الأكبر برعاية الطفل الصغير.

٥ ـ المنتظر للأطفال:

المتوقع للأطفال فى قرية لينارس كما يرى الأهل أن ينطبع الطفل بطابع الأب أكثر من الأم ابتداء من سن السادسة، وأن سلوك الأطفال أثناء وجود الأب بالبيت يصبح أفضل خوفا من عقاب الأب.

وينتظر أن يعرف الطفل المطلوب من نظرة الأم أو الأب وينفذ مايقصدونه كما أن الطفل يتعلم مراعاة الأقارب والمسنين واحترامهم وكذلك احترام من ينتمون إلى الطبقة الراقية، ويتعلم الحرص على حسن هندامه عند زيارة الآخرين وينتظر منه دائما أن يتصرف كراشد صغير.

والمتوقع منه الطاعة والجلد والإحساس الشديد بالمسئولية إزاء عائلته، ولاتشجع أو تضخم فى تصرفاته العفوية، وعليه احترام مايصدره رجال الدين.

٦ ـ نتائج ومشكلات التنشئة فى قرية لينارس الكولمبية:

استخدام الضرب يجعل الأطفال يغضبون ويبولون على أنفسهم، كما أن عقاب الأطفال بتركهم فى الظلام يجعلهم يخافون، وعموما فإنهم لديهم مخاوف

الظلام، ولايستمتع الأطفال بطفولتهم فترتها المعهودة، ويتعلمون الانضباط من سن صغيرة. كما يتعلمون الادخار.

سابعا: تنشئة الأطفال عند الفينزويليين الأفارقة:

الفنزويليون الأفارقة من العبيد الذين اقتيدوا إلى فينزويلا للعمل فى المناجم وزراعة المنطقة الساحلية، وقد حصلت بعض الأسر منهم على قطع من الأراضى للزراعة فيها، وقد بنت الحكومة لهم مساكن مجهزة بالماء والكهرباء تعويضا عن الأكواخ القديمة، وأصبح بإمكان العبيد هؤلاء شراء أجهزة التلفزيون والأدوات المنزلية.

ورغم هذه التحولات إلا أن المراهقين من هذه الفئة يهاجرون عندما يتركون المدرسة إلى المدن بحثا عن مصير أفضل.

والآباء يرون من المهم أن يتلقى أبناؤهم تعليما ليحسنوا مستواهم من المنزلة الزراعية.

١ ــ الأعراف والقيم الشائعة :

هناك احتفاظ بكثير من التقاليد القديمة كالشعائر الدينية والطب الشعبى والأساطير، ويحيى الفينزويليون الأفارقة «عيد القديس حنا» بأفراح كبيرة.

والطقوس الجنائزية مازالت بها بعض الممارسات الأفريقية، مثل السهر على رأس المتوفى والانتحاب الشعائرى، وتنتهى بشعيرة طرد روح الميت. ويؤمن الفلاحون الفينزويليون الأفارقة بالأرواح الشريرة والأرواح الطيبة، وعند موت أحد أفراد العائلة توضع أشرطة سوداء أو حمراء فى معاصم الأطفال لمنع روح الميت من أخذهم إلى العالم الآخر.

وتكوين العائلة يندر فيه الزواج القانونى، والكثرة الكثيرة من المعاشرات بالتراضى، ولذلك فالنسبة الأعلى من الولادات سفاح، والأمومة محببة جدا سواء كانت الأم لها أولاد شرعيون أو غير شرعيين.

ولا وجود للعنوسة. والأبناء اللقطاء لايعانون من كونهم غير شرعيين. وإذا وجدت روابط زوجية فهى غير ثابتة ولا مستمرة . والأم هى التى تربى الطفل.

وليس للطفل من علاقة ثابتة إلا معها، لأن الأطفال يبقون معها حتى إن بدلت صاحبها أو زوجها.

وإذا وجد الأب أو الصاحب مستمرا مع الأم، فإنه لايقوم إلا بدور ثانوى فى حياة الطفل، ويظهر بعض الآباء عطفا على طفلهم، ولكنهم يخجلون من مداعبة الأطفال أمام الناس، وكثيرا مايساهم صاحب الأم الجديد ـ بعد زوجها أو صاحبها الأول ـ فى العناية بالأطفال.

ورغم ذلك فإن الأمهات يتمنين أن تتزوج بناتهن قبل أن ينجبن سفاحا، أو يجدن على الأقل صاحبا ـ عوضا عن الزوج ـ يكون ملتزما ومسئولا . لكن الأمهات يتنازلن بسهولة جدا إذا لم تتحقق أمنياتهن. وبالمقابل فإن الآباء يشجعون أولادهم من سن العاشرة على الألعاب الجنسية، ويفتخر الآباء بمغامرات أبنائهم. وإن كانت العديد من التقاليد تأخذ فى الزوال.

٢ ـ رعاية الأطفال من الوالدين :

تعتنى الأم بالطفل، تطعمه وتوفر له الملبس. والرضاعة من ثدى الأم للطفل كانت شائعة فقط فى الماضى حتى يصل عمر الطفل إلى عامين أو عند ميلاد طفل جديد وفيما بعد فإن الأمهات يطعمن الطفل من الثدى والزجاجة.

وإذا لم يأت للأم طفل آخر، فإنها غالبا ماتدهن حلمتها بمادة مرة لتنفر الطفل وتيسر فطامه.

وتعطف الأم على الطفل بشدة، ولاتتركه باكيا مدة طويلة، ولاتعاقبه إلا بعد عمر الثانية، وتأخذ فى تعليمه مايجب أن يفعله ومايجب ألا يفعله ابتداء من هذه السن، وقبلها بقليل يتعلم الطفل كيف يكون نظيفا من عمليات الإخراج.

وفى عمر الرابعة أو الخامسة، يتعلم الأطفال أداء بعض الأعمال البسيطة كإحضار الماء والكنس وترتيب الفراش.

وفى الماضى كانت الأمهات تقص على أطفالها حكايات عن الأشباح وحيوانات خرافية، لتعلم الأطفال منها القواعد الخلقية ولمنع الأطفال من الاقتراب

من النهر وردعهم عن الخروج من المنزل ليلا، أما فى الآونة الحالية فعدد من هذه الأمور قد اندثر أو على وشك الاندثار.

والأمهات يتحلين بالصبر رغم كبر عدد الأطفال أو عدد أفراد الأسرة، وهن متذبذبات مع أطفالهن، فاليوم قد تتسامح مع نفس الفعلة التى عاقبت عليها بالأمس.

ويعامل الأطفال قرب الثانية عشرة من العمر معاملة الرشد، والأم هى أهم شخص فى تنشئة الأطفال فى الأسر السوداء بفنزويلا، وهى التى تعلم الطفل كل مايساعده على اتباع السلوك المناسب ، وليس للأب سوى دور هامشى للغاية.

٣ ـ مراعاة الفروق بين الجنسين :

منذ الطفولة المبكرة، يتم التمييز بين الجنسين، ففى حين تثقب آذان البنات الصغيرات، ويبقين نادرا عاريات، فإن الأولاد الذكور قد يظلون عراة إلى أن يذهبوا إلى المدرسة.

وابتداء من سن الخامسة، تبدأ معاملة الأولاد والبنات بطرق مختلفة تدريجيا. وإذا كان الأب يعيش فى المنزل فإنه قد يصطحب ابنه فى السفر أو عند الذهاب للحقل ويعلمه مبادئ الزراعة.

ويعاقب الأولاد بشدة مقارنه بمعاقبة البنات، وخاصة فى حالات العصيان أو قلة الاحترام.

وتتعلم البنات مبكرا العناية بشئون المنزل، وفى سن السابعة يذهب أغلب الأطفال إلى المدارس، وقديما لم تكن هناك مدارس، والبنات غالبا ما يصبحن حوامل فى الثانية عشرة من العمر وعليهن تحمل المسئوليات قبل الرشد الحقيقى وتحذر الأمهات بناتهن أحيانا من الألعاب الجنسية، ويضربنهن إذا هن تغازلن مع الأولاد، ولامانع من حبسهن فى المنزل ليلا.

٤ ـ المشاركون فى التنشئة :

إذا كانت الأم الشابة تعيش مع والدتها، فإن الأخيرة (الجدة) قد تصبح أهم شخص بالنسبة للطفل، ولاسيما إذا كانت الأم مضطرة للعمل خارج المنزل،

وخلاف ذلك وعندما لاتتلقى الأم الشابة أى عون، فإنها تدع الطفل إلى شخص يكون له بمثابة الأم كالخالة. وإذا كانت هناك أخت أكبر للطفل فيفترض الاهتمام به من جانبها عند غياب الأم.

وعندا يبلغ الأطفال الرابعة، يشرع ذووهم فى اصطحابهم إلى الحفلات، ويعلمونهم النقر على الطبول والرقص مع الكبار.

وأصبح للمعلم فى المدرسة اليوم دور فعال فى التنشئة وبمكانه أن يؤثر فى تلاميذه سلبا أو إيجابا وذلك تبعا لخصاله الشخصية . ويعطى المعلمون التوجيهات المتعلقة بضروب السلوك الجديدة، المتلائمة مع التحولات الحديثة.

٥ ـ المنتظر للأطفال:

من سن الرابعة أو الخامسة من المتوقع أن يتعلم الأطفال أهم قواعد السلوك، وفى هذا العمر يتبين الأطفال أن للناس جميعا أبا وأما، وحتى إذا لم يكن الأب موجودا، ويعرفون ما إذا كانت العلاقة بين الوالدين طبيعية أم لا.

وفى هذا العمر يكتشف الأطفال الواقع الجنسى من خلال لعبهم بالشارع، ويتعلمونه عن طريق الملاحظة بسبب الاختلاط . وإن كانت الأمهات ينفرن من الحديث عن هذه المسائل مع بناتهن، وحتى عندما يبلغن عشر سنوات ولايقبلن نهائيا التحدث بهذا الأمر مع الأولاد الذكور.

ومن المتوقع بعد تعليمه لمدة ثلاث سنوات بالمدرسة ألا يعرف الأطفال القراءة ولا الكتابة أو يعرفونها بالكاد، لكنهم يكتسبون بعض الأفكار عن المجتمع وعن فينزويلا . وقد تسبب هذه الفترة من الدراسة ظهور بعض الصراعات لدى الأطفال بين قيمهم التقليدية والأفكار الحديثة.

ويفترض فيمن وصل إلى العاشرة من العمر أن يفعل كل شىء بنفسه، والمعاشرة مرغوب فيها جدا فى هذه الفترة ومابعدها وخاصة لدى الفتيات، ويظهر لدى البنات بعض الاحتشام فى حين يصبح الأولاد أكثر عدوانية.

وفى سن ١٢ سنة يتعين على الأطفال طاعة من هم أكبر منهم واحترامهم رغم تمتعهم بحرية شخصية أكثر عن ذى قبل.

٦ ـ نتائج ومشكلات التنشئة لدى الأطفال الفينزويليين الأفارقة:

تشكو الأجيال القديمة من الأهمية التى أصبحت للمدرسة، ومن إهمال الأطفال لواجباتهم تجاه أسرهم، ولم يعد الآباء يعلمون الأطفال الزراعة، وأصبحوا أكثر لعبا فى الطرق مع الرفاق، ويزعم الأجداد أن الأطفال فى السابعة كانوا أكثر احتراما لمن هم أكبر سنا، وأن هناك تغييرا فى القيم والتقاليد التى سادت لفترات.

ثامنا: تنشئة الأطفال فى قرية فرنسية

إنها قرية من قرى بورغونية الشمالية، وقد جمعت المعلومات عن هذه القرية من كبار السن الذين وصلت أعمارهم تقريبا فوق الستين، والذين يذكرون أنه حدثت تحولات وتغيرات تكنولوجية واقتصادية ضخمة وحديثة عن ذى قبل فى الخمسينيات من هذا القرن.

وقديما كان مجتمع القرية مقسما إلى فئتين، الأولى أصحاب الأملاك من فلاحين وحرفيين، والثانية من الحطابين والبنائين وحراس الزراعة، لكن هذا التقسيم انقرض من القرية الآن إذ لم يبق إلا الفلاحون وصغار المقاولين وعمال الصناعة، ولا تتمايز هذه الفئات اجتماعيا إلا قليلا.

وتتكون الأسرة فى القرية من الأب والأم والأولاد الذين لم يتزوجوا ويمكن أن يقطن الجد أو الجدة الأرامل مع الأسرة، والإخوة والأخوات الذين تزوجوا يقيمون فى نفس الشارع.

والمسكن يتكون من غرفة واحدة، يتم إعداده وتناول الطعام فيه والسهر والجلوس والنوم. أما حديثا فإن المساكن تحوى عدة غرف منها للاستقبال ومنها للأكل ومنها للأطفال بالإضافة إلى مطبخ.

وفى هذا الإطار العائلى تمر فترة الطفولة التى كانت تصل إلى عمر ١٤ سنة فى الماضى وتصل الآن إلى ١٢ سنة.

وقد ظلت الأسرة حتى وقت متأخر تأوى فى بيت واحد كل الأعمار على اختلافها.

وتظل المدافن (القبور) كما كانت قديما ، أفضل منتزهات الجدات، مصطحبين معهن الأطفال الذين يجرون فيها ويمرحون.

وفى الماضى لم يكن للوالدين من مكانة أو دور فعال أو تقارب مع أطفالهم مثل الجد أو الجدة ولكن الآباء استعادوا مكانتهم، وأصبح التقارب واضحا بين الآباء والأطفال ربما لظهور الأسرة النواة.

١ ـ الأعراف والقيم الشائعة:

توصى الأمهات بإرضاع أطفالهن، أطول مدة ممكنة، وفى الغالب كان الطفل يفطم بعد عام أو عام ونصف على الأكثر.

والطفولة ليس لها إلا عالم القرية المنغلق، فيه من المعارف والحكايات وفيه شيوخ يهتمون جدا بتربية الأطفال . ويقضى الأطفال أغلب وقتهم فى قاعة البيت أو داخل الحى.

والمبدأ الرئيسى الذى يتخذ تجاه الأطفال هو بقاؤهم مشغولين بمهام يكلفون بها تجعلهم يبقون فى مكان محدد وفى منأى عن التأثيرات الفاسدة التى تبدو على بعض القرويين، ذلك أن كل شىء ليس صالحا لأن يرى. ففى الماضى كانوا يوصون الأطفال بألا ينظروا إلى من كانوا على جانب كبير من البشاعة أو ضعاف العقول.

وعلى خلاف العلاقات المتوترة أحيانا بين الوالدين والطفل، كانت علاقات تتسم بالعطف واللطف تجمع الأجداد بالأطفال، وطوال مرحلة الطفولة يحتل الأجداد منزلة مهمة فى التنشئة.

والمعلم له منزلة الاحترام فى القرية، وخلال الأجازات لاينفك عن مراقبة الأطفال بالصرامة التى تعودوها منه فى المدرسة، ويخبر الآباء بسلوك اطفالهم. وعلى ذلك فهناك تكامل لإبقاء الأطفال تحت رقابة اجتماعية قوية وتنشئتهم من قبل الجدات والمدرسة والكنيسة.

ولذلك فإن ضبط النفس والالتزام واللطافة حظيت بالأولوية فى تربية الصغار بالإضافة إلى مراعاة جداول الأعمال التى يكلف به كل طفل. أما حاليا

فـإن الواجبـات المدرسـيـة فى المنزل هى الشىء الوحـيـد الذى أصـبح يكلف به الأطفال.

٢ ـ رعاية الأطفال من الوالدين:

فى الماضى كان الأطفال يلفون من أعلى إلى أسفل فى قماط، ويوضع على الرأس طاقية، ويبقون فى وضع رقاد إلى أن يتعلموا المشى.

وفى الأسرة الفقيـرة يخرج أهل المنزل جميعهم إلى العـمل، ويترك الرضيع وحيدا مربوطا إلى سريره وزجاجة الرضاعة مثبتة على حافة السرير بطريقة مناسبة. والأسرة دائما مـغطاة بستائر تحمى الطـفل، والأسرّة توضع على قوائم متـأرجحة تساعد على هدهدة الطفل.

وبالرغم من الاهتمـام بكثرة بهدهدة الـطفل ، إلا أنهم كانوا أيضا يتـركونه يبكى قائلين «ابك، فيقل بولك».

ومع الشهر السابع يطعم الطفل بالثريد وهو قطع من الخبز المغلى مع الزبد، وما إن يتمكن الطفل من الخطو حتى ينقل إلى سرير كبير.

ويخـيـف الأجـداد عند اللزوم الأطفـال بكائنات مـثل «ست الرياح» «ست الذئاب» وذلك حـتى ينضبط الأطفـال بالهدوء أو عـدم الذهاب إلى أماكن بعـيدة ويحكى الأجداد للأطـفال القصص والحكايات التى تتـوارثها الأجـيال، وفى سن مبكرة يتم تعلم الطاعة والخضوع عبر هذ القصص.

وقلما يتـوافر للطفل لعب مصنعـة، ولكنه يلعب مع الحيوانات الأليفـة مثل القطط والكلاب، ويحاول ترويض البوم والعصافير التى تسقط من أعشاشها.

إن الأب والأم كانا يعتنيـان ويراقبان أولادهما منذ ولادتهم، لكنـهما بحكم انشغالهما فى العمل لايشاركان مشاركـة حقيقية فى عملية تربية الطفل، إلا عندما يصبح هـؤلاء الأطفال كبـارا بدرجة تمكنهم من المسـاهمة فى العـمل ويكون ذلك قرب الـسادسة، وعنـدئذ يظهر الوالدان دورهمـا فى توزيع العمل على الأطـفال والمراقبـة والمعاقبة، لقـد كان الطفل يكلف بالاحـتطاب وكسر الأغصـان، وإبعاد الحشـرات عن المحاصيل، وإطعـام الحيوانات، ومتـابعة المحراث، وكـان الأطفال

يتمنون التسلية قليلا، إنهم فى معاملة قاسية، وحينما يخرجون فى السادسة صباحا كانت أرجلهم تبلل بالندى البارد لأنهم يرتدون القباقيب فلا توجد أحذية.

وهكذا فإن الوالدين يفصلان وقت الطفل ويدبرانه. ومع تقدم عمر الطفل لايعتمد الأجداد على قصص الكائنات الخرافية ولكن يستخدمون السخرية والتهكم فى عباراتهم مثل «أنت تخاف من ظلك» .. ومع العام السابع يتحمل الطفل مسئوليات الذهاب بالحيوانات إلى الحقول أو زرع الحبوب.

وإذا كان الأجداد يؤدبون الأطفال بالكلام، فإن الوالدين يستخدمان العقوبات البدنية فبعضهم يستخدم الحريق لإيلام الطفل أو يضربه بخرقة مبللة للتأديب. وأحيانا يستنجد الآباء بأشخاص حقيقيين مثل شيخ القرية لتأنيب الطفل، وبعض الآباء يجلدون الأطفال بالسوط.

وبالرغم من العقوبات الشديدة التى يسلطها الوالدان، إلا أنهما يكنان للأطفال حبًا وحنانا غزيرا. ولكن لانستطيع القول بأن الوالدين كانا ينقلان أى علم أو معرفة إلى أولادهما، ولكن التدرب يأتى من الملاحظة فى صمت ويكاد التعلم يقصر على النظر. كان الأطفال يفعلون لأنهم يلاحظون آباءهم يفعلون. لامجال لأى حوار، إنها تربية بصرية.

وهذا الكبت للكلمة بين الأجيال المتعاقبة لايكون داخل البيت فحسب أو على المائدة فحسب، وإنما فى الأماكن العامة التى يتردد عليها الكبار. إن أقصى شىء يفعله الأطفال فى حضرة الكبار أن ينظروا ويسمعوا، ويروا ويتعلموا، والكبار فقط لهم حق الكلام.

ومن هنا يتعلم الأطفال كيف يتحكمون فى الكلام، ويرددونه قبل أن تنطلق به ألسنتهم، وقلما تحاور الآباء والأطفال.

أما فى الآونة الحديثة، فإن التقنية غيرت كثيرا، إذ بإمكان الفلاحات أن ترعى الأطفال، وتخلصت من نشاط الفلاحة، وإذا كانت بعض النساء تعمل طوال اليوم خارج المنزل، فلقد أصبحن يوكلن الرضيع لأحد مقابل أجر، إلا أن أغلب الأمهات الآن يكرسن كل وقتهن لرضيعهن لتقلص أعمالهن المنزلية، وابتداء من

اليوم الخامس عشـر لايقمط وتطلق الأم حريته، ولاتبقيه فى مهـده فقط بل تضعه داخل حاجز معد ليلعب داخله، وإذا بكى تأخـذه فى حضنها وتربت عليه وتحدثه بحنان.

ويستـخدم الوالدان الآن مع الطفل لغـة الرضع إلى أمد طويل، ويعـاملانه بطلف، ويحرصان على تعليمه السلوك المهذب، «قل شكرا، قل صباح الخير، . .» والآباء أصـبحـوا لايطلبـون من الأطفـال أى عـمل زراعـى ومنزلى إلا النادر، وأصبحوا يعدون لهم جداول لأنشطة وألعاب ومذاكرة، بالإضافة إلى الحرص على اشتراك الأطفال فى عالم أكثر اتساعا من مجتمع القرية.

ولـم يعد الصـمت والملاحظة هما أداة الأطفـال فى جلسات الكبـار، وحتى تلاميذ المدارس أصبحوا يهـتمون أكثر بالكراسة الشخصية التى التى يجـمعون فيها كل مايروق لهم عن الشعراء أو الأدب والطقس أو الضغط الجوى أو حياة الحيوان، لقد تخلص الأطفال من الجداول الملزمة للأعمال المنزلية أو الزراعية أو المدرسية.

٣ ــ مراعاة الفروق بين الجنسين:

فى الماضى لـم تكن هناك فـتـرات تعطى للتسـلية سـواء للأولاد أو البنات. واقصى مايعطون أن تـذهب البنات إلى مقر حياكـة الملابس، ينصتن إلى القصص المكررة التى تقصها متعلمات الخياطة. . اللائى يقال عنهن إنهن طائشات . . وكان الأولاد يترددون علـى محلات صناعـة القبـاقيب الذى يصـبح يوم الأحد حـلاقا للذقن، أو إلى الحـداد الذى يسـقى الخمـر للشـاربين بعد أن ينـتهى من عـمله، ويستمعون فقط إلى حكايات الكبار عن الصيد والعمل . .

وكان لكل جنس منذ الطفولة انطباعاته، فالأولاد لهم أفكار حرة عن الصبر والانتخابات، وللبنات لغة الجنس وأسرار القلوب.

وفى الأعياد الدينية ينتظم الأولاد والبنات فى مجموعات تجوب أنحاء القرية بالمرور، مـرددة دعاء للأهالى فى عـبارات مـثل «صحـة طيبـه» ، «سنة سعـيدة» ويحصلون مقابل ذلك على بعض من قطع الحلوى والسكر.

والأولاد والبنات أحـيانا يمـرحون خلف مـايتابعـونه من قطيع، وهناك فى الحقول بعيدا عن العيون المراقبـة باستمرار تبدأ المداعبات بين الأولاد والبنات، أثناء

جنى بعض الثمار.. وفى الوقت الحالى مثلما فى الماضى تجمع الذكور والإناث أماكن وسط الحقول يلهون فيها ويبدءون أول مبادىء الإعجاب والعشق.

٤ ـ المشاركون فى التنشئة

لقد كان فى الماضى يعنى بالرضيع أفراد مثل الجدة أو الأخت الأكبر أو إحدى الفتيات القريبات. وقد كان الأجداد يتكفلون بالطفل سواء كانوا يعيشون مع والديه بنفس المنزل أم لا، وبصحبة الجد أو الجدة يتدرب الطفل شيئا فشيئا على الحياة العائلية.

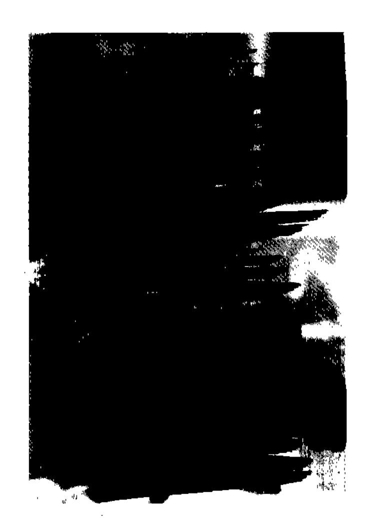
وبصحبة الجد أو الجدة يجوب الطفل الحى بأكملة متنقلا بين بيوت الجيران والأقارب، ومن هنا يتعلم سلسلة الأنساب، ويتعلم أخلاق القرية، وفى أحيان أخرى يرافق الجدة إلى المقابر ذلك المكان الذى تحب أن تتردد عليه كبيرات السن.

والأعمام فى الغالب يتميزون باللطف مع الأطفال، وإن كان الأطفال يتمتعون بالقرب من الأجداد لأنهم يتيحوا لهم التحدث وتواصل الحوار عوضا عن الصمت والملاحظة التى يجب أن يتحلوا بها فى حضرة آخرين.

لقد كان الأجداد ليسوا هم المربون فقط بل هم الملاذ والملجأ من صرامة الآباء أو للإصلاح بين الآباء والأبناء، إنهم وسطاء طيبون.

أما الأشخاص المراقبون والمؤنبون للطفل فهم كثيرون. فلقد كان المعلم يأتى إلى الآباء ليخبرهم بسلوكيات أطفالهم ومستواهم الدراسى بين حين وآخر . أما حارس الحقول الذى يقوم بدوريته كل يوم ليراقب تجاوز الحيوانات لحدود المراعى إلى مراعى أخرى. فلا يترك أى خطأ دون أن يتسبب على الأقل فى تأنيب الأطفال الذين يجب أن يتابعوا الحيوانات. ولاتتهاون الكنيسة فى متابعة الأطفال.

وفى الوقت الحالى، إذا كانت الأمهات مشغولات بالعمل، فإن أول ماتطلب رعاية للطفل فإنها تطلب من والدة الأم أو والدة الأب أو من الأخت للأم أو الأخت للأب . وعموما فقد أصبح الوالدان يمارسان دورهما الأساسى فى تربية الصغار والعناية بهم، وبذلك فقد استعاد الآباء مكانتهم التى أوكلوها لغيرهم فى الماضى، فى لطف وهدوء.



والمفارقة أن الأجداد أصبحوا متسلحين بمقرعة، حتى يطيع الصغار تعاليمهم إلا أنهم غالبا مايحضون الأطفال ويلاطفونهم فى غياب الوالدين، ويظلون مدربى الطفل أثناء جولاتهم معهم داخل القرية وخارجها فيتعرفون على ملكية الأراضى وأوقات الزراعة وأخبار المتوفين السابقة أثناء زيارة قبورهم.

ولقد تطورت فعالية المعلم بعد الشخص الصارم القاسى المراقب، بل أصبح يعتمد على الحوار مع الأطفال والإقناع، ويحدد التلاميذ مستوى ونوع العقاب الذى يجب أن يقع على أحدهم إذا أخطأ. والطريف أن المعلم لايشذ عن القاعدة، فإذا نسى أن ينتعل خفيه قبل دخول الفصل فإن عليه مثلا أن يكرر قوله: «سألبس خفى» خمسين مرة.

ويبدو أن الطريقة الجديدة بالمدارس لاترضى الأهالى، إن أمر المدرسة وصل إلى أن إحدى المعلمات استغنت عن الكتب المدرسية ولم تعد تطلب من الأطفال أى واجبات مدرسية، لقد أصبح الاعتناء بكراسة جديدة يجمع فيها الطفل بشغف الوثائق وأحوال البيئة وظروف الطقس ودرجات حرارة الجو. ومن جهه نظر الآباء أنه ساء وضع المدارس، إذ إن الأطفال ماعادوا يتعلمون القراءة والكتابة والحساب.

٥ ـ المنتظر للأطفال:

فى الماضى كان المتوقع باستمرار تعلم الأطفال عن طريق الملاحظة فقط وليس هناك أى حوار، وماكان الآباء ينتظرون من المدرسة تلقين الأطفال المعارف، إنما ينتظرون أن تعودهم على أدب السلوك وتأكيدا على ماتعلموه من الملاحظة داخل الأسرة.

ونتيجة تغير أسلوب المدارس فى الضغط على الأطفال، رأى الأهالى أن فى ذلك حرية شديدة ، وينتظر الآباء أن ترقى المدارس بمنزلة الأطفال وتكسبهم مهارة

أو حرفة، ويطلبون من المدارس تسهيل دمج الأطفال فى حياة اجتماعية أكثر تفاعلا.

٦ ـ نتائج ومشكلات التنشئة:

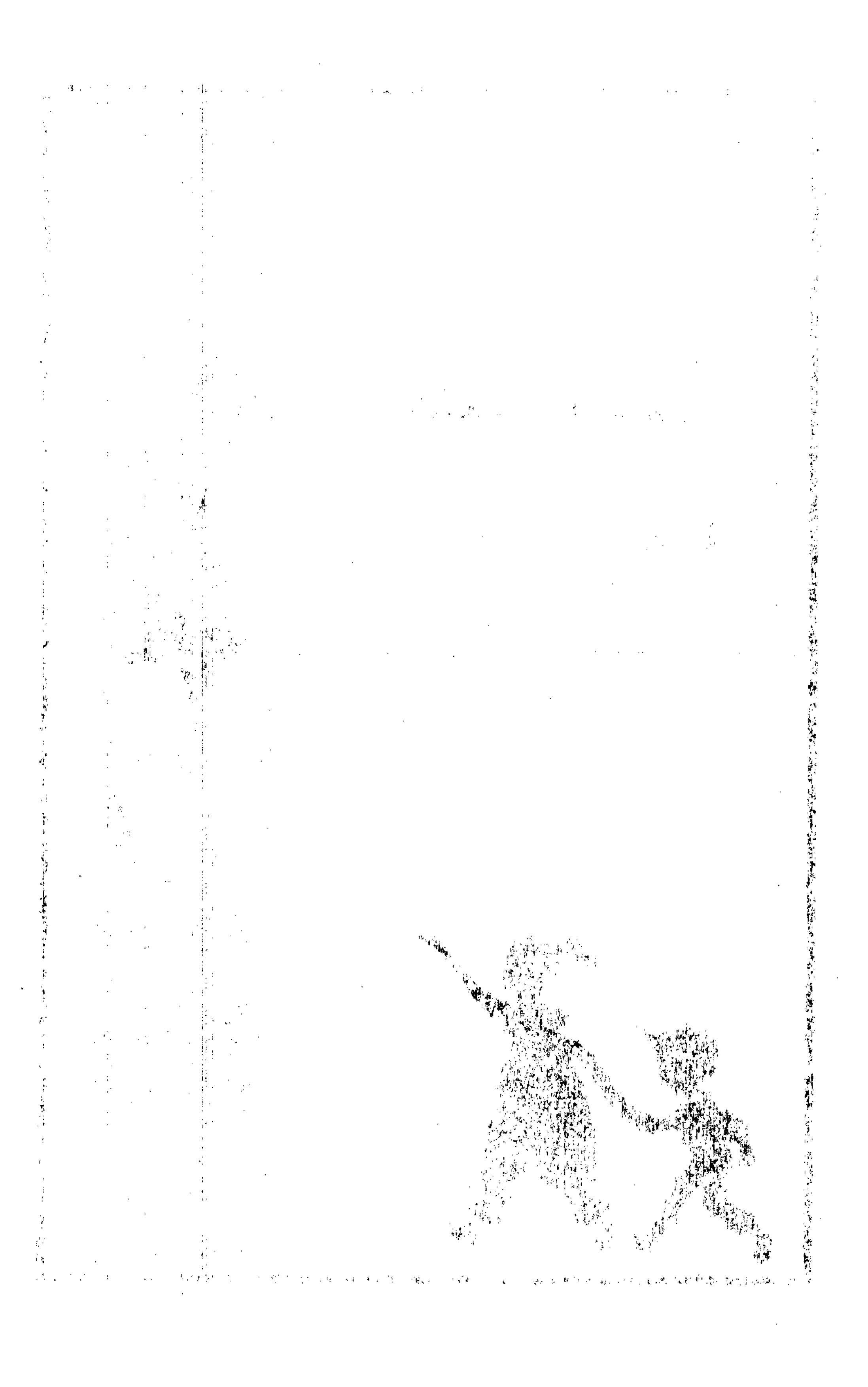
لم يزل الطفل من وجهة نظر الجدات، فاقدا لما يجب أن يكون عليه، وتستغرب الجدات من التساهل الذى أصبح مع الأطفال أثناء التعامل، وترك الصرامة لدرجة أن بعضهم رغم عطفهم الشديد على الأطفال يستعينون بمقرعة لتأديب بعض للأطفال المستهترين وهو أمر لم يكن شائعا فى الماضى.

ان الاستغناء عن بعض الكتب أصبح يثير أولياء الأمور. ولم يعد اليوم أحد من داخل المدرسة يمكن أن يأتى إلى أسرة الطفل ليخبرهم بسلوكياته وينظر الكبار إلى ذلك أنه سوف يزيد التسيب الأخلاقى لدى الأطفال ويؤدى إلى افتقادهم القدرة على التمييز بين الخير والشر.

الفصل الخامس

نحو نموذج للوالدية في التنشئة





أولا : تفاعل الوالدين مع الأبناء من خلال نماذج وبحوث :

تبدأ الخطوات الأولى لتنشئة الأطفال داخل أسرهم، فالأسر هى الخلايا الأولى للمجتمع، وكل أسرة بيئة أساسية ترعى الطفل، وفيها تكون القوى المنبثقة التى توجه الطفل مع بداياته النامية فى كافة المجالات النفسية للنمو.

والقوى التى توجه الوالدين أثناء تنشئة الطفل وتؤثر على نموه بعضها يأتى من الأب وبعضها يأتى من الأم وبعضها يبدو من داخل الطفل، بالإضافة إلى قوى تأتى من محيطات خارجة عن كل هؤلاء.

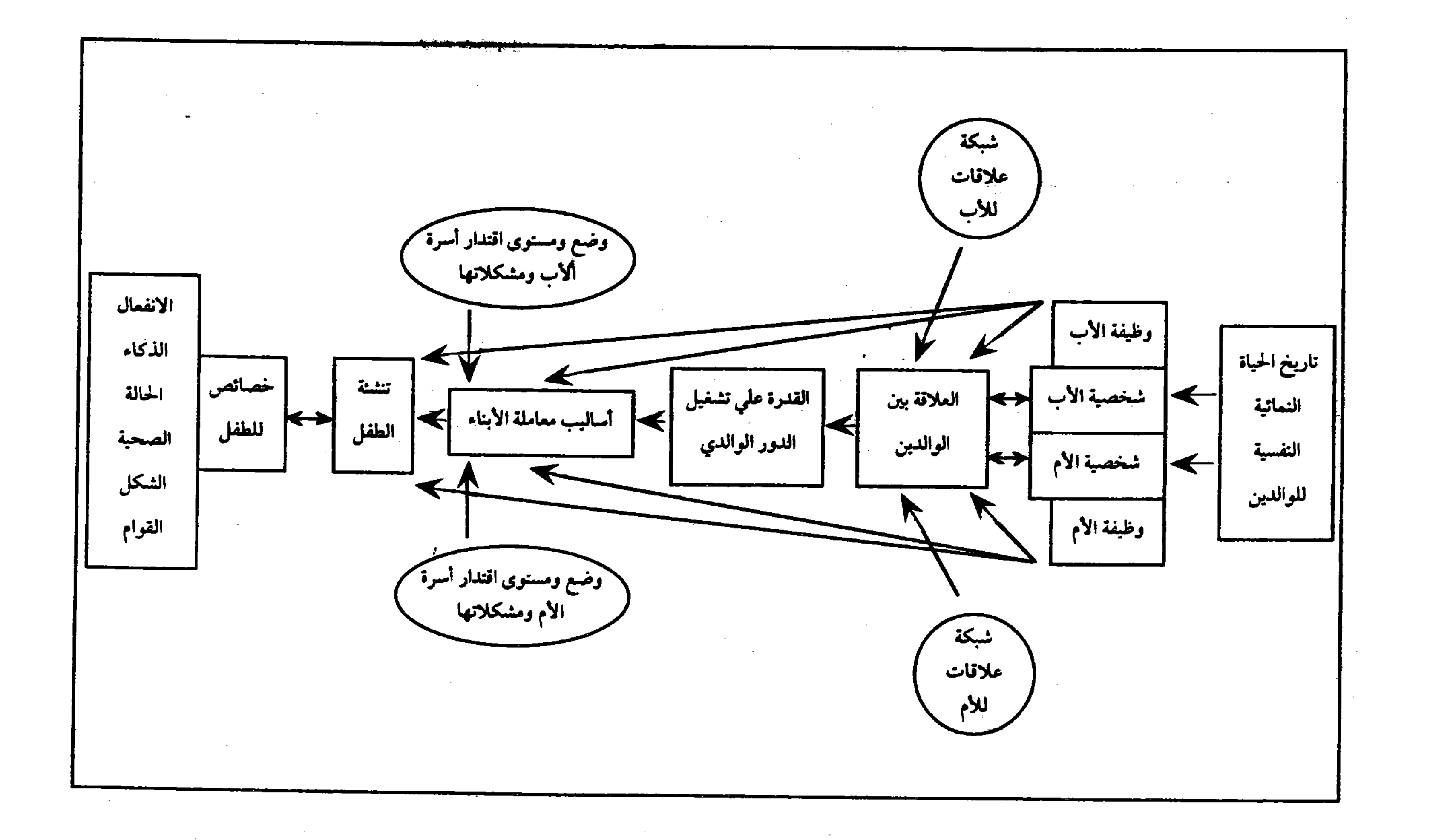
وقد اهتم Belsky بإعداد نموذج يأخذ فى اعتباره كل هذه القوى وغيرها على افتراض أن تاريخ نمو الوالدين ينعكس على شخصية كل منهما بل يشكلها، ويؤثر على علاقتهما بعضهما ببعض كزوجين ومستوى تفاعلهما مع الآخرين الذى فى أدنى رتبة العزلة الاجتماعية Social Isolotion ونوع معاملة الطفل وخصاله، كل ذلك وغيره يؤثر على ذلك الطفل النامى.

ويكون من المفيد استعراض هذا النموذج مع بعض الإضافات، حتى تظهر جملة العوامل المؤثرة على عملية التنشئة الوالدية للأطفال، والتى أطلق عليها محددات الوالدية Determinats of Parenting.

وإذا كان Belsky لم يغفل العلاقات بين الزوجين (والدى الطفل) عند عرض نموذجه، فإن وظيفة الوالد وعمله وشبكة علاقات كل من الأب والأم، والوضع الأسرى لكل منهما، متمثلا فى مستوى اقتدار كل من أسرة الأب وأسرة الأم الذى ينطوى على الوضع الاجتماعى والثقافى والاقتصادى لكل من الأسرتين لايجب أن تختفى من نموذج لمحددات الوالدية.

والشكل التالى يوضح نموذجًا مقترحًا لمحددات الوالدية.

ومن المعروف أن شخصية الوالدين يتم تشكيل كل منهما فى ضوء التاريخ النمائى النفسى لكل منهما. ولقد جاءت البحوث بنتائج تشير إلى أن ارتفاع مستوى الثقة بالنفس لدى الأمهات ارتبط بالدفء فى المعاملة للأبناء وتقبلهم ارتباطًا موجبًا، وجاء الارتباط سالبًا مع الاستهجان، كما أن الأمهات المكتئبات تبدى استعدادًا أعلى لبيئة رافضة للأطفال أو غير متقبلة لهم.


تاريخ الحياة النمائية النفسية للوالدين
وظيفة الأب
شخصية الأب
شخصية الأم
وظيفة الأم
شبكة علاقات للأب
شبكة علاقات للأم
العلاقة بين الوالدين
القدرة علي تشغيل الدور الوالدي
أساليب معاملة الأبناء
وضع ومستوى اقتدار أسرة الأب ومشكلاتها
وضع ومستوى اقتدار أسرة الأم ومشكلاتها
تنشئة الطفل
خصائص للطفل
الانفعال
الذكاء
الحالة
الصحية
الشكل
القوام

ويشير Belsky إلى أن الأب الدافئ الحنون والمتـفاعل مع أطفـاله يأتى بأبناء يتوحدون معه ويعتبر نموذجًا جيدًا لهم بعكس الأب غير المتفاعل مع أطفاله.

والزواج السـعيد يـضرب فيـه الوالدان لأبنائهم المثل على مـا ستكون علـيه حياتهم الزوجـية المستقبـلية، ولايأتى الطفل فى الزواج التعس إلا نقمـة غالبًا على والديه وعلى نفســه، لأن كره أحد الزوجين للآخـر لايخففه مجيء طـفل لهما، وقد ينعكس الأمر على تصـرفاتهما نحوه ومـعاملتهما له، وبخـاصة إذا جاء الطفل شبيهًا لأحدهما أو أحد أفراد أسرة أحدهما.

إن الأمهات اللائى يشـعرن بدفء منخفض وعاطفة متدنـية نحو أزواجهن، يملن إلى توبيخ أطفـالهن، والعلاقـات الزواجيـة الطيبـة ترتبط تلقائيًـا بمدح وثناء الأبناء، ومن ثم تقـبلهم. وفى دراسة Santrol و Tracy اتضح أن الأطفال الذين يأتون من بيوت حدث فيها الطلاق كانت معـاملتهم مختلفة تمامًا عن الأطفال الذين يأتون من بيوت تقليدية.

كما أن العزلة الاجتماعية Social Isolotion وضيق شبكة العلاقات للوالدين يرتبط بالاختلال الوظيفى للوالدية، وهذا لايعنى أن الانفـتاح المغالى فيه فى شبكة العلاقات مع الأصـدقاء والجيران ورفـاق العمل يكون مفيدًا دائمًـا، والمسألة تعنى على أكثر حد أن المساندة والمشاركة التى نلقاها من الأصدقاء أو الجيران أو الأقارب لها تأثير مفيد على العلاقة بين الوالدين والطفل.

وتشير الدراسات إلى الارتبـاط الموجب بين العلاقات الاجتماعـية وإحساس الأمهات بالكفـاية عند رعاية أطفالهن، كما ارتبطت الـعلاقات الاجتماعـية بتجنب عقاب الأطفال وتقييد حرياتهم.

ولاينكر النموذج المقترح الحـالى أخذ متغير عمل الأم ووظيفتـها فى الاعتبار مثلما اهتم به Belsky فعمل الأم غالبًا يؤثر على مسئوليات العناية بالأطفال، ويعد من العـوامل المسهـمة فى صـراع الدور لدى الأمهـات، وإن كانت الدراسـات قد تعارضت فى تأثير عـمل الأم على رعاية الأبناء. فقد انتهت «ممدوحـة سلامة» من دراسة مشيرة إلى أن عمل الأم لايثير تعارضًا مع مطالب وحاجات الطفل، ولايؤثر على علاقة الوالدين بالطفل.

وتأتى دراسة «كاميليا عبد الفتاح» مستخلصة أن أبناء الأمهات المشتغلات أكثر نضجًا انفعاليًا من أبناء غير المشتغلات، كما أن الأمهات المشتغلات أكثر ميلا إلى إعطاء الأطفال فرص الاستقلالية والتعبير عن الذات، بالإضافة إلى الإقبال بلهفة على الأطفال لتعويض الوقت الذى ابتعدت فيه عنهم. بينما نجد الأم غير المشتغلة شاعرة بالتعب والملل من أطفالها الذين تقضى معهم معظم ساعات اليوم مما يجعلها أقرب إلى استخدام الزجر والعنف معهم.

وتحدد بثينة قنديل عدد الساعات بخمس الذى بعده يقل تكيف الأبناء إذا زاد غياب الأم بعيدًا عن طفلها يوميًا، وتوجه الانتباه إلى نتيجة فحواها أن أبناء الأمهات المشتغلات أكثر طموحًا من أبناء غير المشتغلات.

وقد جاءت دراسة .Getta et al معلنة أن الأمهات المشتغلات يشجعن أطفالهن على التعبير بحرية عن مشاعرهم. وعند مراجعة Hoffman لعدد من الدراسات عن تأثير عمل الأم انتهى إلى أن عمل الأم يؤثر على حالتها الانفعالية وبالتالى يؤثر على تفاعلها مع الأطفال ويتبعه حرمان انفعالى وعقلى للطفل. ويبدو نفس التوجه لدى Balsky عند الإشارة إلى أن عمل الأم يؤثر فى كل من كيفية وكمية سلوكها الأمومى المفترق تجاه طفلها.

ويبدو أن عمل الأم لابد أن يترك آثاره على شخصية الأبناء من خلال كيفية التعامل معهم وكميته والذى يتأثر بنوع وظيفة الأم والمهام الوظيفية الملقاة على عاتقها، وإن كانت تنشئة الأبناء دالة أيضًا لمكانة الأب الوظيفية بل ونوع الوظيفة.

وتبدو العلاقة التبادلية بين كل من شخصية الوالدين ووظائفهم من جانب والعلاقات بين الزوجين (الوالدين) من جانب آخر، وينصب الأمر فى النهاية على أساليب يعامل بها الأطفال من قبل الوالدين، فى ضوء قدرتهم على تفعيل الدور الوالدى.

ولإيضاح معنى القدرة على تفعيل الدور الوالدى، دعنا نشبه الأسرة بمنضدة لها ثلاثة أرجل لاتستوى إلا باستقامة دعائمها الثلاث (الأب - الأم - الطفل). فالطفل بحاجة إلى أبيه وأمه، وكل من الأم والأب بحاجة إلى الآخر كى يقدما للطفل ما يدعم حاجاته. وقبل كل شىء تحتاج الأم إلى إحساس بمشاركة الأب

وعيشه معها وتفضيل الرعاية التى تقدمها للطفل. وبذلك تنساب العلاقة القائمة بينهما كزوجين وبينهما وبين الطفل، وهنا يظهر التفعيل للدور الوالدى، الذى يعد غياب الطفل بالنسبة لهذا الدور الوالدى بمثابة كمون لهذا الدور وعدم تفعيل له.

ولما كانت الأم هى من يقدم الطفل لأبيه، يصبح من الأفضل أن تهتم بالرضيع أثناء وجود الأب في المنزل، وتحت نظره، ولامانع من تعاونه بدلا من الإسراع للقيام بهذا الدور قبل حضور الأب إلي المنزل. وإذا كان من المفيد طلب الأم مساعدة الأب أثناء قيامها بمهامها تجاه الطفل، فإن ذلك يجب أن يكون حسب رغبة الأب، إذ ينبغى قبل كل شيء احترام رغباته، فالآباء يختلفون فهناك من يتملكهم الإحساس بأنهم أقدر من زوجاتهم فنجدهم يفضلون التدخل فى كل كبيرة وصغيرة. وإذا لم تتفهم الأم ذلك فإن الأمر يعوق تفعيل الدور الوالدى، وأفضل وسيلة لتحقيق التفعيل المطلوب أن يساعد الأب زوجته على رعاية الطفل من غير سحقها أو إزالة معالمها كأم.

إن الطفل يتعرف أولا على الأم وعذوبتها وحنانها، وهذا مايمكنه لاحقًا من التعرف على صفاتها الأخرى كالقسوة والحزم التى تتراكم من خلال صور ذهنية عند الطفل، وهذه الصور هى التى تشكل المنطلق الرئيسى لدخول الأب عالم الطفل على امتداد مراحل طفولته، باعتبار الأب هو القوى، الموقر، الذى يستطيع دفع الطفل إلى احترام القواعد وتعاليم المجتمع، وتقبل التقاليد.

وعندما يدخل الأب فى حياة الطفل، يحول هذا الأخير بعض المشاعر التى أحس بها سابقًا تجاه بعض صفات الأم كالحزم والقسوة . . . إليه كأب وهذا ما يريح الأم إذ تتخلص من بعض الأعباء فيمكنها التفرغ لمسئولياتها الأخرى.

إن وجود الأب ضرورى جدًا فى المنزل كى تحس الأم بالسعادة، والطفل حساس جدًا تجاه هذا التفاهم والتناغم بين الوالدين. والود بين الأب والأم يشكل واقعًا صلبًا يبنى الطفل حوله العديد من الإيهامات.

إن ضرورة وجود الأب إلى جانب الأم تكمن فى ذلك الدعم المادى والمعنوى الذى يقدمه لها فيساعدها على دعم سلطتها تجاه الطفل بفضل تجسيده للقانون والنظام اللذين تدخلهما الأم فى حياة الطفل. ودعم الأب للأم لايتطلب منه حضورًا دائمًا فى المنزل بل يحتاج إلى وجوده الرمزى.

ويساعد وجود الأب فى المنزل (إلى جانب الأم) الطفل فى اختباره ومن ثم عيشه للمشاعر المتناقضة التى تتجاذبه فيتمكن بذلك من الاستمرار بحب أحدهما كى يكره الآخر (والعكس صحيح)، بينما يضطره غياب أبيه عن ساحة نموه لتوجيه مختلف المشاعر المتناقضة والمتجاوبة فى ناحية الشخص نفسه، وهذا ما يثير الغموض بداخله. كما أن ذلك يُصَعِّب على الأم مهمتها إذ يستحيل عليها تمثيل صورة الحنان والحب إلى جانب الحزم والمنع والقسوة عند الاقتضاء . . .

إن ضرورة وجود الأب تنطلق من صفاته الإيجابية والعناصر المميزة له كذكر راشد يختلف عن الأم كأنثى، كما يختلف عن باقى الراشدين الذكور بسبب وضعه الخاص بالنسبة للطفل وإحساس هذا الطفل بقوة شخصية الأب.

وعندما يتقبل الوالدان معًا مسئولية رعاية طفلهما، فإن ذلك يشكل أرضًا خصبة لبناء منزل سعيد، قائم على التفاهم تتذلل فيه الصعوبات بصور تلقائية.

وللوسط أو الطبقة الذى يعيش فيه الوالدان والطفل دور جوهرى فى الطريقة التى يتفاعل بها كل نحو الآخر، ففروق الطبقات الاجتماعية والاقتصادية تعلن عن اختلافات فى مستويات وأساليب التنشئة.

فلقد اتضح أن الأسر من الطبقة المتوسطة أكثر شدة وقسوة من أسر الطبقة الفقيرة فى تدريب أطفالهم على النظافة والغذاء، ويعتمد أمهات الطبقة الفقيرة على العقاب البدنى والصياح عند محاولة ضبط الطفل. ويدرك أبناء الأسر ذات المستوى الاجتماعى الاقتصادى المرتفع أن آباءهم مبتعدون عن فرض القيود والتسلط.

ويعد وضع أسرة كل من الوالد والوالدة اجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًا مهمًا فى توجيه الأطفال وإرشادهم والرغبة فى مشاهدتهم على نحو مماثل أو أعلى باستمرار وفى الوقت الذى يحاول فيه أبناء الطبقات الراقية الحفاظ على أطفالهم فى نفس المستوى، نجد أبناء الطبقات المتوسطة والمنخفضة يسعون جاهدين للارتقاء بمستوى أطفالهم، وينعكس ذلك على توجيهاتهم لأطفالهم وأساليب معاملتهم فى ضوء ما لديهم من مستوى اقتدار.

وإذا كان المتوقع أن تترك جملة العوامل أو القوى آثارها على تنشئة الأطفال فلايجب أن نغفل خصال Child Charactirstices ذلك الطفل النامى.

ومن أهم خصال الطفل حالته المزاجيــة التى تجعل الوالدين أكثر أو أقل شدة فى المعاملة. فيشير Belsky إلى أن Batcy توصلت إلى أن المزاج المتقلب وخاصة فى فترة الرضاعة يمكن أن يقــوض الأداء الوالدى أو يعوقه. فى الوقت الذى نجد فيه أن وسامة الطفل أو ذكاءه يمكن أن يجعل الوالدين أكثر حماية أو اهتمامًا زائدًا بطفلهم.

ويعد جنس الطفل أيضًا من الخصال ذات الأهمــية، ففى الوقت الذى يشعر فيــه الأبناء الذكور أنــهم يعاقبــون أكثــر، ترى البنات الإناث أن أمهــاتهن تراعــيهن بدرجة أعلى. ونجد أيضًا فى بعض المجتمعــات العربية مكانة الذكور الواضحة عن الإناث وبخاصة قرب الطفولة المتأخرة وما بعدها.

كما أن تكوين الطفل الجسدى وصحته الجسمية ومدى إعاقته تجعل الوالدين يتخذون توجــهات معينة نحو تنشــئته أو معاملته. ويتــوقف الأمر فى كل الأحوال على حجم أسرة الطفل وترتيبه الميلادى بين الإخوة والأخوات.

وهناك على أى حــال نماذج نظرية لوصف سلوك الوالدين مــع أبنائهمــا ربما كان من المفيد تناولها فى الجزء القادم.

ثانيًا : الأساليب الوالدية فى معاملة الأبناء

هناك عــدد من النمــاذج الــنظرية التى تصف سلوك الــوالدين فى مــعــاملة الأبناء. فلقد قدم Symonds نموذجًا اشــتمل على بعدين قطبــين، وذلك فى عام ١٩٣٩ أحدهما يعــتبر أن «تقبل الابن» من جانب الوالــد أو الوالدة يقابله أو ضده «رفض الابن» من جــانب الوالد أو الوالــدة، والثانــى «السيــطرة على الابن» من جانب الوالد أو الوالدة يكون ضده «الخضوع للابن» أى لطلباته وأغراضه وأوامره وبذلك فإن البعدين تبعًا لهذا النموذج هما :

التقــبل ـ الرفــض ، السيطرة ـ الخضوع

وفى عام ١٩٥٩ ظــهر نموذج .Scheafer et al لسلوك الوالدين فى مــعاملة الأبناء على النحو التالى :

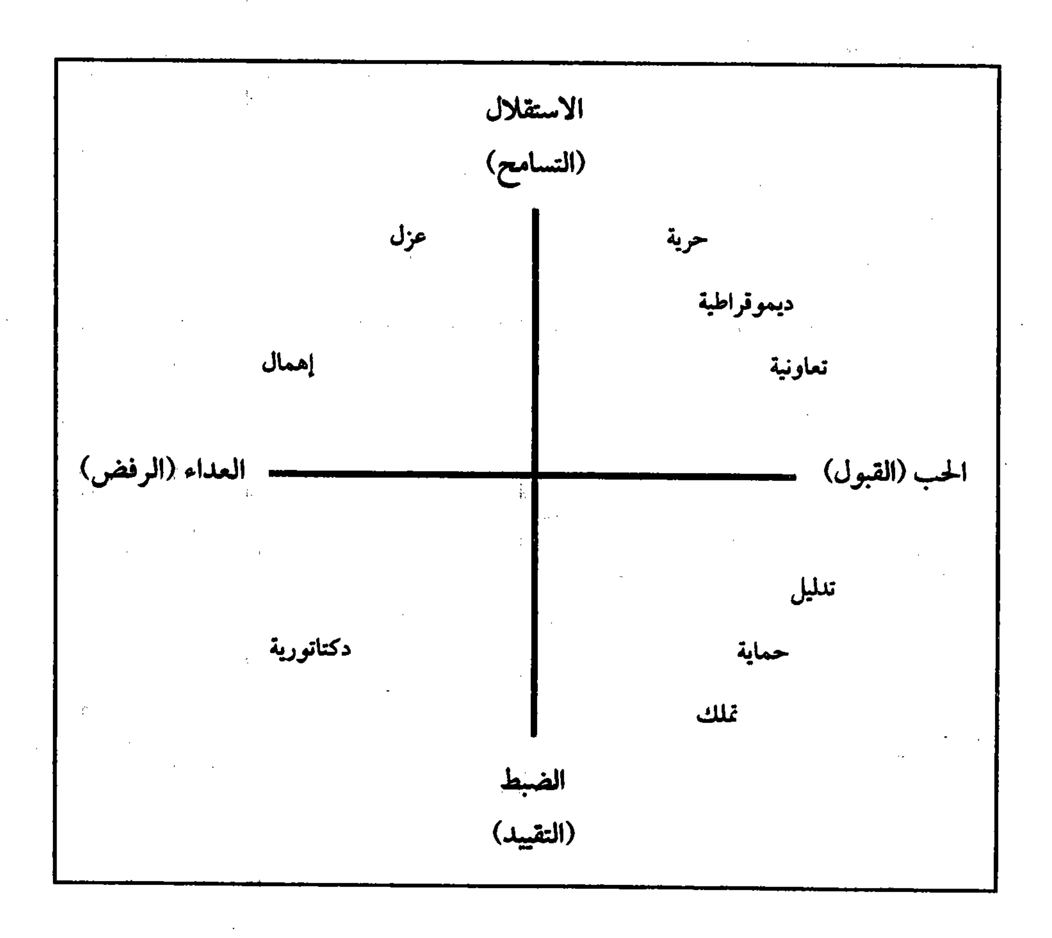
الاستقلال ـ الضبط	Auto nomy vs Control
الحب ـ العداء	Love vs Hostility

وقد ذكر البعدان السابقان بمسميات أخرى على النحو التالى :

التسامح - التقييد Permissiveness vs Restrictiveness

القبول - الرفض Acceptance vs Rejection

وقد ذكر أيضًا فى هذا النموذج بعض من مسميات أساليب المعاملة بين محاور هذه العوامل القطبية يوضحها الشكل التالى :



ولقد عرض Becker نموذجًا مقترحًا ثلاثى البعد لسلوك الوالدين فى معاملة الأبناء عام ١٩٦٩ جاءت أبعاده الثلاثة على النحو التالى :

الدفء - العداء ، التشدد - التسامح ، الاندماج القلق - الحياد الهادئ.

وافترض بين هذه الأبعاد الثلاثة أساليب متدرجة للمعاملة يوضحها الشكل الآتى :

أما الباحثة Baumrind فقد توصلت إلى أربع طرق يعامل بها الآباء أطفالهم هى :

الالتزام بالضبط الوالدى Parental Control

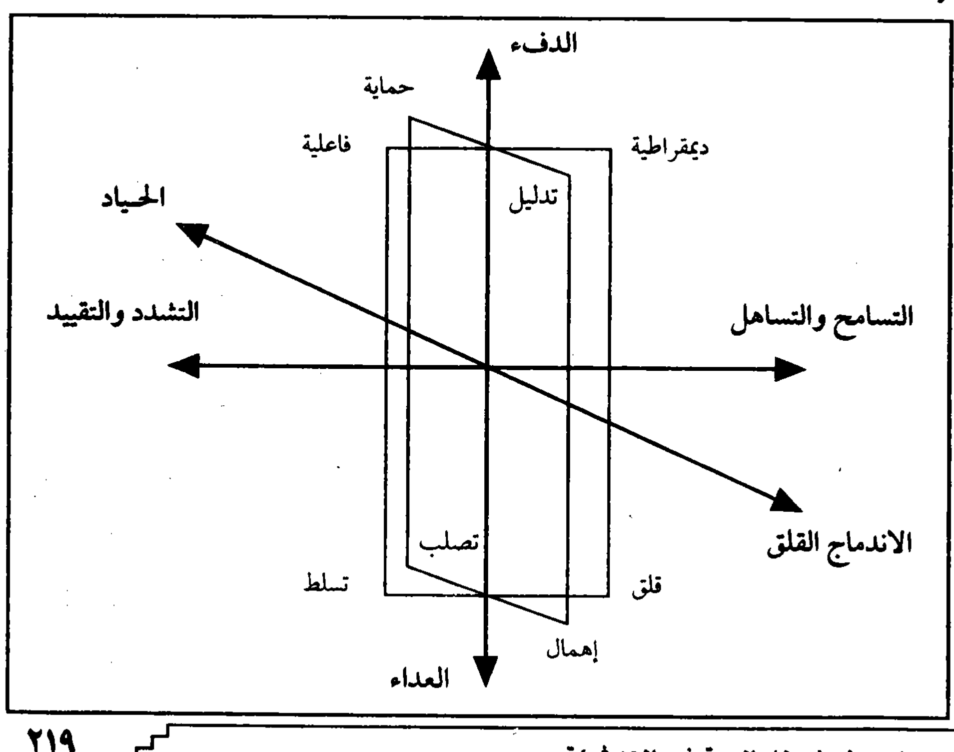
مراعاة مطالب النضج Maturity Demands

التواصل بين الوالدين والطفل Communication

الدفء الوالدى (عطف وحنان) Narturance

وقد انتهت نفس الباحثة فى عام ١٩٧١ من مراجعة دراستها فى ضوء دراسة أخرى وركزت على ثلاثة أساليب يعامل بها الأطفال من قبل الوالدين، وأضافت إليهم فيما بعد أسلوبًا رابعًا :

الحزم ، التسامح Permissive ، التسلط Authoritative ، الانسجام Harmony



وإذا كانت هناك أساليب للمعاملة الوالديه تمارس مع الأبناء، قد حاولت الدراسات استكشافها، فإن التباين شبه الظاهر يوحى بوجود أنماط وأساليب لاتمارس على وتيرة واحدة خلال مراحل نمو الأطفال، ولايمكن القول باستقلاليتها، وغالبًا تختلف مستوياتها باختلاف المستويات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للأسر.

فإذا ارتضينا التقبل أو دفء المعاملة أسلوبًا فى ضوء ما سبق، ننتظر تأثير هذا الأسلوب على انتماء الطفل للجماعات والاندماج مع الآخرين ومن ثم استدخاله للقيم والمعايير. كما أن جحود الوالدين أو أحدهما مع الطفل يفقده لجزء من الأمن ويتعلم الأنانية بالإضافة إلى افتقاد جزء من القدرة على التوافق العام.

ويكتسب أسلوب دفء المعاملة أهميته والرفض أو الجحود من قبل الوالدين خطورته كما يشير Hetherington و Park فى أن الطفل يحاول تجنب التفاعل مع والديه الجحودين كلما تمكن مما يقلل من دور والديه فى تنشئته، بالإضافة إلى توهج الغضب والعدوان الذى لايستطيع الطفل توجيهه إلى والديه فيزيحه إلى الآخرين.

ويعد الضبط الوالدى الذى يقابل الاستقلال من أساليب المعاملة التى كشف عنها كل من Scheefer و Becker وفيه يمارس الأب أو الأم سلوكيات تغير السلوك النامى للطفل وتكف عن ميوله، ويصل الضبط إلى الصرامة حينما يضع الوالدان قواعد ويطلبان من الطفل الالتزام بها، وإذا لم يؤكدا على الالتزام بها يقال أن الضبط لين. ويختلف ذلك عن الحماية الزائدة التى تعتنى بالطفل فى جميع أوقاته لتقدم كل ما يرغب لتهدئته.

وترى Baumrind أن الوالدين يحاولان تشكيل أطفالهما، فيكبحان إرادة الطفل ويبخلان بتشجيع الطفل على ممارسة جزء من حريته تحت رعايتهما، وفى ذلك يكون الوالدان على مسار التسلط الوالدى Firm Discipline. ويستخدم بعض الآباء أشكالا مختلفة من العقاب تتباين بين الكره الحقيقى إلى ممارسة الضرب أو النقد والتوبيخ وأحيانًا سحب الامتيازات.

ويذكر .Bordizinsky et al أن الأبناء الذين كان عقابهم بقسوة من قبل الوالدين أصبحوا عدوانيين مع غيرهم من الأطفال وأيضًا مع المعلمين، وينتظر من الأطفال الذكور الذين تمت ممارسة القسوة عند عقابهم أن يصبحوا منحرفين أو لهم سلوكيات مضادة لمجتمعهم حينما ينخرطون فى المراهقة.

وعلى أى حال فإن أى شكل من الأشكال القاسية والعنيفة فى التعامل مع الطفل يعد سوءًا لمعاملة الطفل Child Abuse. فالعقاب البدنى القاسى بإفراط وإهمال الطفل يعتبر من قبيل سوء المعاملة التى عند استمرارها مع الصغير تجعله يبدو له وجه عجوز عند مقارنته بمن هم فى مثل سنه من الأطفال، ولايخفى أنه من الصعب تحديد عدد الأطفال العرب الذين يعانون من سوء معاملة والديهم، وأشكال هذا السوء للمعاملة.

والوالد المسىء لطفله بإفراط يمكن أن يكون والدًا مريضًا ويحتاج إلى علاج نفسى، ومن سماته الأكثر وضوحًا فى الغالب الذهانية ؟ ويذكر Park و Collmer أن الدراسات انتهت إلى أن الوالد المسىء فى أغلب الأحوال أسيئت معاملته وهو طفل، فهذا الأب حينما كان طفلا كان أمامه نموذج مسىء له، والاحتمال الأعظم أن يكون قد امتص معاييره وطريقته. وهذا ما دفع Belsky إلى ذكر أهمية دراسة تاريخ نمو الوالد المسىء، نظرًا لإمكانية أن يكون تاريخ النمو النفسى للوالدين أو أحدهما سببًا فى سوء معاملة الأبناء.

ولايجب أن نكون فى معزل عن خصائص المجتمع الذى يعيش فيه أولياء الأمور المتسمون بالعنف وسوء معاملة الأبناء. فالعنف السائد فى المجتمع، والذى يظهر بين أفراده أو على شاشات التلفزيون أو عبر وسائل الإعلام الأخرى يمكن أن يعلم الأبناء والآباء أن العنف وسيلة مقبولة لحل المشكلات.

ولقد ظهر أن الوالدين المسيئين إلى أطفالهما، لديهما ممارسات قليلة من التفاعلات اللفظية مع هؤلاء الأطفال بالإضافة إلى أنهم ليسوا متسقين معهم فى التعامل. ولايفوتنا أن نشير إلى أن الطفل ذاته وخصائص شخصيته أحيانًا تكون من أسباب معاملته معاملة سيئة من قبل الوالدين أو أحدهما.

ويعد عدم الاتساق فى المعاملة Inconsistence مع الطفل سببًا فى ممارسة هذا الطفل لسلوك ضد المجتمع Anti Social Behavior مثل العدوان، بالإضافة إلى الاضطرابات النفسية التى تبدو عليه.

والواقع أن الإكثار من ترهيب الطفل وتهديده على كل صغيرة وكبيرة من أشد العوامل خطورة على بنائه النفسى. كما أن التحقير والاستهزاء به أو إشعاره باختلافه عن بقية إخوته، هى أساليب للمعاملة سوف تترك آثارها فيما بعد عليه. ولكن الحزم من أنسب الأساليب التى تحقق جزءًا من الصحة النفسية للأطفال، ويترتب عليه غالبًا أطفال وكبار مستقبلا لهم شخصيات متزنة، قادرة على تقييم الأمور بموضوعية ومتقبلة ذواتها إلى حد بعيد.

وربما ينكر شخص الحديث عن دفء الأبوين أو حنانهما بحجة أن هذا الحنان أمر طبيعى فيهما، ولكن ما يحدث من البعض من غلظة وجحود يوجب النصح والإرشاد ويمحو العجب والإنكار، إن هذا يحدث وحدث بالفعل منذ القدم.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «أبصر الأقرع بن حابس رضى الله عنه النبى ﷺ وهو يقبل الحسن والحسين، فقال : إن لى عشرة من الولد ما قبلت أحدًا منهم !!، فقال رسول الله ﷺ : من لايرحم لايُرحم».

وإذا كان علماء النفس يرشدون إلى عدم نهر الطفل لأن ذلك يؤثر على شخصيته نجد أن رسول الله ﷺ قد سبقهم إلى ذلك.

فعن عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فى إحدى صلاتى العشاء أو الظهر أو العصر، وهو حامل الحسن أو الحسين، فتقدم النبى ﷺ فوضعه ثم كبر للصلاة، فصلى فسجد بين ظهرانى صلاته سجدة أطالها، قال (راوى الحديث) : إنى رفعت رأسى فإذا الصبى على ظهر النبى ﷺ وهو ساجد، فرجعت فى سجودى فلما قضى الرسول ﷺ قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهرانى الصلاة سجدة قد أطلتها فظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك، فقال رسول الله ﷺ «كل ذلك لم يكن، ولكن ابنى ارتحلنى، فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته».

إن فى عمل الرسول هذا تهذيبًا لطباع شرسة، ويحد بذلك من تنطع مقيت، فإصلاح نفس الطفل وإدخال السرور على قلبه أمور هامة فى المعاملة. إن الله الرحيم ليقبل الصلاة التى يشغل فيها صاحبها بالحدب على طفل، وربما لايقبل الصلاة التى توصد حول مؤديها الأبواب والحجب، وينهر من أجلها الأطفال أو يضربون خشية أن تبطل كما يزعمون.

إن الآباء الذين يشكون من فساد أولادهم بعد كبرهم، ليس لهم إبداء ضيق أو برم - فعلى نفسها جنت براقش - فهم الذين أرخوا لهم بحجة العطف والحنان، بدافع الحب المفرط. إن الإسلام دين الوسط والاعتدال - يجب على الوالدين أن يسلكا فى ضوئه مع أولادهما نهجًا وسطًا، ليس فيه حماية زائدة أو تدليل أو تسلط أو تصلب أو تحقير، بل إن الأمر دفء فى غير ضعف وحزم فى غير شدة.

والذى يقرأ قصة سيدنا يوسف عليه السلام أو قصة سيدنا إبراهيم أو سيدنا شعيب عليهما السلام - يلتمس تنبيها إلى صورة حية واقعية، كان فيها الحوار بين الآباء والأولاد وليس التسلط والتصلب بل لغة الإقناع، وكان فيها أيضًا تقدير رأى الولد بما يبعث الثقة بالنفس وتقدير الذات.

يقول الله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام : ﴿.... **إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين* قال يا بنى لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين**﴾، ويقول الله فى شأن إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام : ﴿**فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ماتؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين**﴾.

وإذا كان الثواب مهما بالنسبة للأطفال، فعقاب الطفل إذا أهمل أو جنح إلى الخطأ مباح أيضًا استنادًا إلى إباحة الإسلام ضربه على ترك الصلاة عند بلوغه عشر سنين، ولكن هذا العقاب المباح أمر بالغ الحساسية على الأخطاء الأخرى التى ترتكب من الأطفال، ولاننسى ما روته عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف، وما لايعطى على سواه».

وإذا كانت هناك تباينات واضحة توصلت إليها البحوث بخصوص أبعاد أو أساليب المعاملة الوالدية وانعكاساتها على الأطفال، فإنه فى ضو كل ما سبق وفى ضوء ديننا الإسلامى يمكن تصور أساليب للمعاملة لايمكن القول بأنها مستقلة فى شكل أبعاد على النحو التالى:

(١) التقبل (الدفء) ـ الرفض (الجحود) Ingratitude

إن دفء المعاملة يتمثل فى السعى إلى مشاركة الطفل، والتعبير الظاهر عن حبه وتقدير رأيه وإنجازاته والتجاوب معه والتقارب منه من خلال حسن الحديث إليه والفخر المعقول بتصرفاته ومداعبته بالإضافة إلى رعايته، واستخدام لغة الحوار والشرح لإقناعه، أو توضيح الأمور له مع البعد عن الاستياء منه والغضب من تصرفاته والضيق بأفعاله وإشعاره بعدم الرغبة فيه والميل إلى انتقاده وبخس قدراته وعدم التمتع بصحبته وظهور النفور من وجوده.

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

يؤدى اتباع الرفض والجحود للطفل، إلى صعوبة فى بناء شخصية مستقلة نتيجة شعوره بالرفض. كما أنه يكره السلطة الوالدية وينسحب شعوره بهذا إلى معارضة السلطة الخارجية. وغالبًا ما يصبح هذا الطفل متمردًا فى المستقبل متسلطًا ولديه شعور بالنقص.

(٢) الاستقلال ـ الضبط (التحكم)

هو منح الطفل قدرًا من الحرية لينظم سلوكه، دون دفع السلوك للطفل فى اتجاهات محددة أو كف ميوله من خلال قواعد ونظم يطلب منه الالتزام بها ويشجع على ممارستها دون مراعاة لرغبات الطفل أو دون تزويده بمعلومات عن نتائج سلوكه.

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

يؤدى اتباع التحكم والسيطرة من قبل الوالدين، إلى الكف عن التعبير الصريح عن الرأى والتردد فى اتخاذ القرار وصعوبة معرفة الصواب والخطأ، وفى الأغلب تكون شخصية الطفل أميل إلى العصابية وعدم الاتزان الوجدانى مستقبلا.

(٣) الحماية الزائدة ـ الإهمال

هى المغالاة فى المحـافظة على الطفل والخوف عليـه لدرجة مـفرطة ليس فى أوقات المرض فـحسب بل فى أوقات التـغذية والنظافة واللعب وممارسـة المهام التى يكلف بها.

عيوب هذا الأسلوب :

للحـماية الزائدة مـضارها المتـمثلة فى خـشية الطفـل من اقتحـام المواقف، وانخفاض مـستوى الجرأة، وعدم الاعتـماد على النفس، كما أن للإهمال عـواقبه على الطفل مثل التـبلد وعدم الانتماء بالإضـافة إلى تكوين فكرة سيئـة عن الحياة الأسرية.

(٤) الديموقراطية ـ التسلط

البعد عن فرض النظام الصارم Firm Discipline على الطفل أو كـبح إرادته من قبل الوالدين مـعتمدين على سلطتـهما وقوتهمـا ومقيمين سلـوك الطفل وفقًا لمعاييـر مطلقة محـددة للسلوك ومنتظرين دائمًا الطاعـة من قبله عند فرض رأيهـما عليه، وإجباره على التصرف بما يرضى رغبتهما.

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

غالبًا ما يمارس الطفل نفس الأسلوب عندما يكبر، ويبعد عن التعبير عن رأيه وينخفض مستوى مفـهوم الذات لدى الذين يعاملون بهذا الأسلوب، بالإضافة إلى تقلب انفعالاتهم والعزلة.

(٥) التدليل ـ القسوة Cruelty

التراخى والتهاون فى معاملة الطفل وعدم توجيـهه لتحمل المسئوليات والمهام التى تتناسب ومـرحلته العمـرية، مع إتاحة إشـباع حاجـاته فى الوقت الذى يريده هو.

عيوب هذا الأسلوب :

مع التدليل يشعـر الطفل بالغرور، وإصابته بالإحباط لأتفـه المواقف الصعبة ومع القسوة قـد ينطوى على نفسه وينسـحب من المواقف الاجتماعيـة ويتولد لديه شعور بالنقص وشعور حاد بالذنب وكره السلطة والعدائية مع الأطفال الآخرين.

(٦) الإثابى ـ العقابى Parental Reward and Punishment

مايجنيه الطفل كمعزز لتقوى أو تبقى أو تكتسب سلوكيات معينة كالإثابة الأولية (طعام أو شراب . . .) أو الإثابة الموضوعية (لعب أو مال . . .) أو الإثابة النشاطية (الخروج والنزهة . . . .) أو الإثابة الاجتماعية (ابتسامة أو إيماءة . . . .) مقابل ما يوجهه الوالد من ألم جسمى أو نقد لفظى أو توبيخ أو استهجان أو تخفيض فى الامتيازات الممنوحة للطفل.

فعالية هذا الأسلوب :

هناك أدلة مؤداها أن الطفل يتعلم أسرع إذا تلقى كلا من الثواب والعقاب، فالإثابة تعلمه ما ينبغى أن يعلمه، والعقاب يعلمه مالا ينبغى أن يمارسه. وإحاطة الطفل بالنوعين لها فائدة أكبر عما لو اعتمد على الثواب فقط أو العقاب فقط.

(٧) التذبذب Irresolution ـ اتساق المعاملة

عدم ثبات الوالدين أوحيرتهما فى نظامهما الذى يتعاملان به مع الطفل فى المواقف نفسها وتناقض أسلوبهما عند مقارنة أسلوب معاملة كل منهما بالآخر أو داخل أسلوب الوالد الواحد تجاه نفس السلوك الصادر من الطفل أو شبيه هذا السلوك.

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

يجد الطفل صعوبة فى معرفة الإيجابيات والسلبيات، يكون غالبًا مترددًا ومتشائمًا ولايصلح للقيادة ومنخفض الاتزان الوجدانى، ويمارس السلوك ضد الاجتماعى.

(٨) الحزم ـ لامبالاة

إقامة ضبط متزن على الطفل يتضمن تنبيهه إلى أخطائه وحثه على الوصول إلى نماذج ناضجة من السلوك مع توضيح الأشكال السلوكية غير المقبولة فى جو من الحب وتقدير الرغبة بالإضافة إلى تشجيعه على التحاور وإبداء رؤيته.

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

التسيب فى أداء الأعمال، ممارسة التخريب وألعاب العنف. رفض النظام - ولايمنع الأطفال عند هذه المعاملة من الضبط الذاتى.

(٩) التفرقة ـ المساواة

التفضيل والاهتمام بأحد أو بعض الأبناء عن طريق الحب أو المساعدة والعطاء أو منح السلطة أو التمتع بمزايا دون اكتراث بمشاعر الأبناء الآخرين.

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

الغيرة والخوف من المستقبل والأنانية بالإضافة إلى فقدان الثقة بالآخرين.

(١٠) الاعتزاز (التقدير) ـ الاستهزاء (التحقير)

الثناء على الطفل وإظهاره بأنه محل إعجاب وتقدير مع البعد عن خداعه أو الاستخفاف بتصرفاته وأفعاله وقدراته وانفعالاته وإنجازاته.

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

انخفاض مستوى الثقة بالنفس وبالتالى انخفاض مفهوم الذات. وضعف الولاء للأسرة والشعور بالإحباط.

* * *

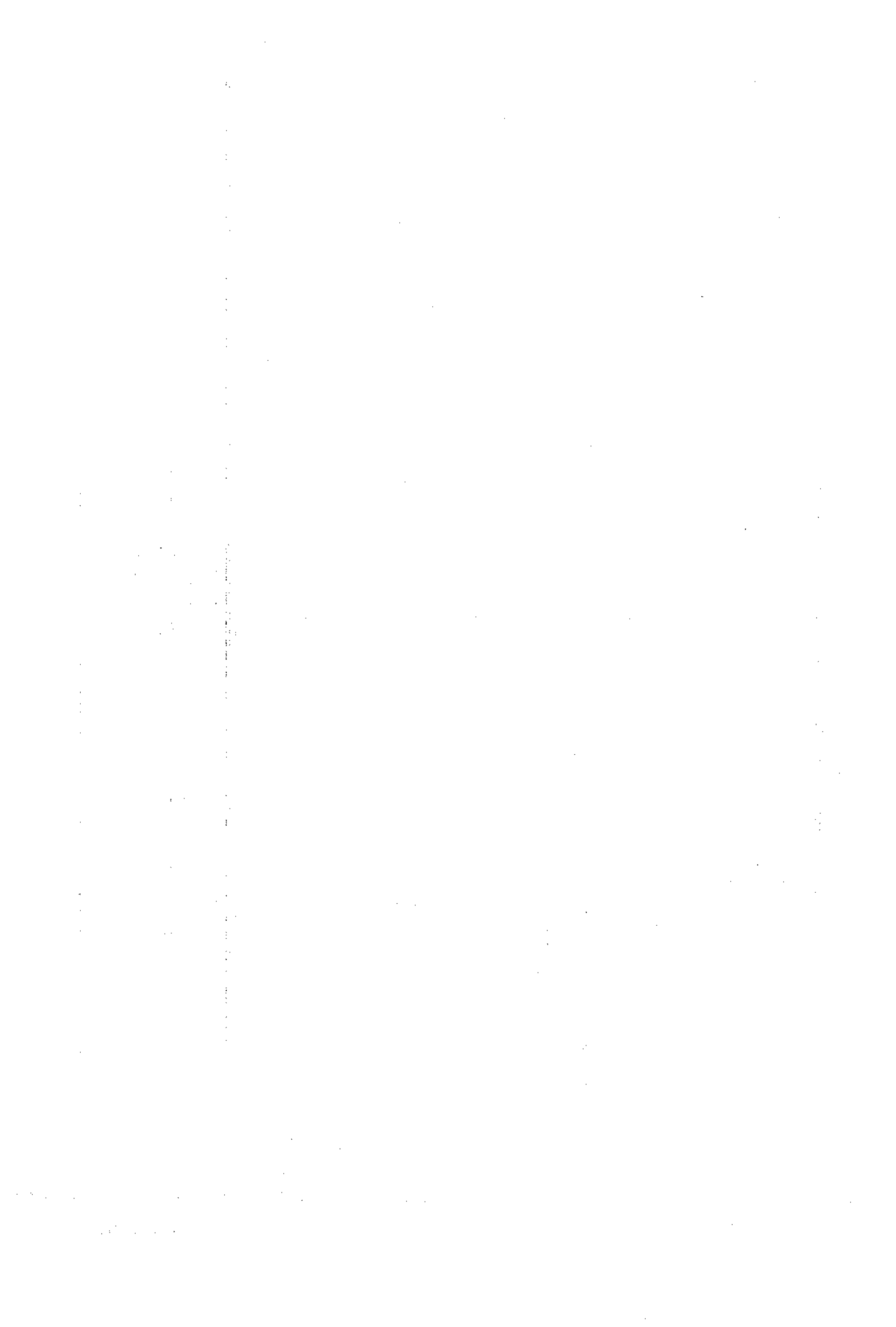




الفصل السادس

الوالدان كأجزاء من مشاكل تنشئة الأطفال وأجزاء من الحلول





أولا : إعطاء الطفل الانطلاقة الأولى :

ليس هناك ما يضير فى أننا نريد أن ندفع الطفل الدفعة الأولى، ومع هذا لن يفيد أن نكون آباء «مشيرين» أو أن نرغم الطفل على فعل شيء قبل أن يكون مستعدًا له، أو أن نغمره بالتعليمات خلال اليوم مما يقيد حرية الطفل وإحساسه بالحياة الهادئة. وبينما الآباء يكافحون فى هذه الورطة راغبين أن يعطوا طفلهم كل ميزة مشيرين إلى كل شيء أمامه، فمع ذلك لا يريدون أن يضغطوا عليه أو يدفعوه أكثر من اللازم، فلاتوجد ورطة حقيقية إذا وصل إلينا المعنى الحقيقى للانطلاقة الأولى.

إعطاء الانطلاقة الأولى يعنى ببساطة تعليم الطفل شيئًا قبل أن يتعلمه بنفسه عن طريق البيئة الطبيعية المحيطة به.

على سبيل المثال : فترة ما قبل المدرسة لاتعلم الطفل غالبًا القراءة أو الحساب أو الكتابة أو السباحة أو العزف على آلة موسيقية أو الأمور الاجتماعية، وتكوين الأصدقاء، والعثور على الصحبة الجيدة، أو الإنصات إلى المدرس والتوافق مع الآخرين.

ومع ذلك فالأطفال يكونون مستعدين نفسيًا وعقليًا للقراءة أو الموسيقا أو الحساب . . . إلخ. ولكى نستمتع بذلك فى سنوات ما قبل المدرسة فإننا نعطيهم الدفعة الأولى إذا بدأنا بتعليمهم فى هذه السن المبكرة «الانطلاقة الأولى» إن الطبيعة والبيئة المحيطة لا تسمح بتعليم الطفل ذلك فى الوقت الذى يكون فيه غير مستعد للتعلم والتلقين، ولأسباب معينة فهو ينتظر، إذن فالمهم هو ليس أن نجعل الطفل أرفع مقامًا وأعلى منزلةً من الأطفال الآخرين، بل نجعل حياته مليئة بالحرية والسعادة. لاتخف على طفلك من أن يلتحق مبكرًا بفصول تعليمية، لكن إذا لم يرق له ذلك بعد حضوره عددًا من المرات، فليس من العدل أن يستمر أو نرغمه على الحضور، ومن الأفضل إيجاد النشاطات التى تشعره بالمتعة والمعلم الذى يرتاح إليه. فالطفل سيتحدى نفسه ويحاول أن يحرز تقدمًا فى الأشياء الغامضة بالنسبة له ولن يكون هناك داع لأن ندفعه الآن بل على العكس ما سوف نفعله هو أن نحاول إخراجه من حمام السباحة أو إبعاده قليلا عن الكمبيوتر.

لايوجد شيء سليم أو غير سليم بخصوص توجيه الطفل وإرشاده وتعليمه القراءة في هذه السن الصغيرة، إن هذا يتوقف على رغبة الطفل واستعداده، فلايجب أن نمنع الطفل من تعليم القراءة أو السباحة إذا امتنع مرة عن قبولها فيجب البحث عن طريقة أكثر تشويقًا لذلك.

تقول إحدى الأمهات : لقد اعتقدت أن من المهم لطفلى أن يتعلم القراءة فى فترة ما قبل المدرسة لسببين: الأول : أنى ظننت أنه قد يستمتع بها عندما يصل إلى الدرجة التى يستخدمها كقراءة الكتب المحببة إليه، ثانيًا : إن ذلك قد يعطيه الانطلاقة الأولى فى المدرسة فيكون مستعداً بدرجة أكبر للتعليم عن أقرانه.

ومع ذلك فأنا أعلم أننى لو ألقيت إليه بمجموعة من الحروف ودربته عليها فسيصيبه ذلك بالملل، وبدلا من هذا فأنا أعلمه ذلك من خلال القصص وعندما أكون فى الحديقة أو أثناء اللعب سأفعل ذلك قليلا هنا وقليلا هناك، وأتوقف عندما يفقد الرغبة فى ذلك، ودائمًا ما أستمد الأشياء الطبيعية الممتعة ليتعلم بها أثناء القراءة، ويجب أن أتوقف أثناء القراءة وأسأله عن هذا الحرف وكيفية نطقه «هذا شيء عظيم برافو» هكذا نقول له إذا أجاب جيدًا، أو «إنها هـ» إذالم يعرف، ثم أستمر فى القراءة وأتوقف ثانية عند نفس الحرف أو حرف آخر وعندما يحرز تقدمًا فسوف يتعرف على الحروف فى الشوارع والحدائق وفى التلفزيون وبعد محاولة ربط الحروف بالكلمات المعروفة (ماما، بابا، لعبة . . .إلخ) سنجده يتمتع بمعرفتها وسيسأل إذا لم يعرف حرفًا يريد أن يعرفه، والشيء المهم هو ألا تتعجل أو تندفع لطلب شيء يفعله إلا إذا كان مستمتعًا بذلك أو نتوقف إذا فقد الرغبة.

إن هذه هى الإنطلاقة الأولى لأنها توسع مدارك الطفل وتثرى حياته، فليس من مصلحة الطفل إرغامه لأنه سوف يكره القراءة ويزيد ذلك سلوكه الاعتراضى للهروب منها.

ثانيا : أفضل التوقعات

إننا نريد لأطفالنا أن يكونوا أذكياء، وذوى دين، رياضيين، واجتماعيين، وكل هذا طبعًا شيء جميل، لكن يجب علينا أن نكون حريصين فى أن نتساءل ماذا نريد ؟ وماذا نتوقع، وماذا يطلب من طفلنا ؟ وهل هذا مفيد له أم لا ؟. معظم الآباء تصيبهم الحساسية بخصوص ضعف معين فيهم ويتوقعون (أو يأمرون) أطفالهم بأن يكونوا على قدرٍ من المهارة والقوة فيما افتقدوه. فعندما تكون سمينًا سوف تزداد حساسيتك بالنسبة لوزن طفلك، وماذا يأكل، أمّا إذا كنت من محبى الجلوس على المقاعد فسوف يدفعك هذا لأن تنتظر من الطفل ممارسات رياضية فوق العادة.

فلابد أن نكون على دراية بأن مشكلتنا تتضح فى مثل هذه المواقف، فليس من الضرورى أن يكون الطفل بطلا رياضيًا أو قويًا فوق العادة. ونحن نظل نعلّم أبناءنا فى هذا المجال لنساعدهم على التقدم، ويمكن أن يكون عندنا التوقعات ونساعد أطفالنا على تحقيقها، لكن يجب أن يكون هناك حدود لتلك التوقعات، ولايجب أن نصاب بالإحباط إذا لم تحدث، فيجب أن نساعد الطفل على التعلم بالطرق السليمة مع إحساسه بالاستمتاع بها بدلا من دفعه وإرغامه على كل فعل، والمزيد مما نريده.

ثالثا : المنافسة مع الآباء الآخرين

عندما نُرزَق بأول طفل فإننا نراقبه كظله ونقارن بينه وبين الأطفال الآخرين، وبيننا وبين الآباء الآخرين، بل ونشعر بالخوف والفزع عندما نرى غيرنا من الآباء الآخرين يفعلون أشياء قد تبدو مفيدة لانفعلها نحن ثم سرعان ما نكتشف كم من الحماقة أن نتنافس مع الآباء الآخرين.

إنك سترى الأطفال دائمًا أذكى من طفلك وأكثر طاعة ولايستخدمون تلك الكلمات الساذجة بل يتحدثون ثلاث لغات، أو يقومون بعمل العمليات الحسابية عندما يبلغون أربع سنوات، ولأنك تحكم على نفسك وعلى طفلك من هذا المنطلق وبهذه الطريقة فستخسر دائمًا.

وإذا رأيت أبًا لديه طريقة ناجحة لتعليم طفله السباحة فلتسأله عنها وتحاول تطبيقها فلن يجدى أن تشعر بالغيرة منهم.

إننا نتذكر مرات كثيرة قمنا فيها بالخروج مع عائلات أخرى رأينا فيها كيف أن الآباء فى منتهى الرقة عند إطعام أطفالهم، وقد أظهروا العديد من الطرق لجعل الطفل يضحك ويأكل كما لو كان هذا درسًا فى التربية للطفل، ونحن لانستطيع عمل شيء، فمن الطبيعى أن يحدث هذا الاضطراب مع الطفل الأول خلال السنة الأولى، ومن الممكن أن نراقب أسلوب الآباء الآخرين ونقتبس منهم الطريقة المثلى لتعليم الطفل القراءة أو السباحة أو التعرف على كيفية التغلب على المشاكل الخاصة بالأكل أو الذهاب إلى الفراش، لكن ليس من المفيد حقًّا أن نتبارى معهم وندفع بابننا إلى ذلك، فهذا يؤدى إلى أن نفقد متعة التربية، مع العلم بأن الشخص الذى ينصت ويراقب ويتعلم أذكى وأمهر من الذى يتحدث ويستعرض.

رابعا : علاقة الأبناء بأحد الأبوين

فى وقت معين نجد أن الطفل يبدو قريبًا من أحد الأبوين أكثر، وهذا يكون قاسيًا على الآخر، فعندما يولد أول طفل، فإن الزوجين يقرران أن أحدًا منهما سيتوقف عن العمل لرعايته - غالبًا ما تكون الأم - فسوف ترضعه وتعتنى به عناية كاملة، ومع هذا فإن الأب سيكون له وظيفة جديدة أو على الأقل سوف يزداد حمل المسئولية الملقاة على عاتقه أكثر من ذي قبل.

وبينما تلازم الأم بيتها فإن لديها وقتًا أطول (ومسئوليات أكبر) لطفلها وسيكون الترابط بينهما أسرع وسيكون اعتماد الطفل عليها فى كل أموره أكثر من أبيه، وسنجد الطفل نفسه فى حالة من الضيق عندما تترك أمه الغرفة أكثر من أن يفعل أبوه ذلك، وفى المساء نجد الأم تخبر الأب بكل أفعال الطفل الجديدة التى حدثت صباحًا، وهنا يشعر الأب بالغيرة من الوقت الذى تمضيه زوجته مع ابنه والعلاقة التى بينهما.

فيأتى واجب الأم لتكون حساسة تجاه وضع الأب واحتياجاته، كما يجب أن يدرك الأب أنه من الممكن أن يخصص وقتًا لطفله يقوى به علاقتهما (فى المساء أو أيام العطلات مثلا). ويجب أن يدرك أيضًا أن علاقته بطفله يمكن أن تكون قوية

ولكنها مختلفة عن علاقة الأم. قد يمكن للطفل أن يعتمد عليه فى بعض الأشياء ولكن اعتماده الأكثر يكون على والدته فى هذه السن.

وبعد ذلك، فالمهم هنا أن ينشأ الطفل فى أسرة قوية الروابط ويحصل على الرعاية والحنان الكافيين بغض النظر عمن يقوم بذلك، فالأبوان يجب أن يقررا معًا ما يجب أن يفعلا، ومن سيفعله ومتى سيشاركه الطرف الآخر فى المسئولية وبذلك يصبح لكل منهما وظيفة محددة تناسب التغيير الذى يحتاجه الأب أو الأم أو الطفل.

وبداية من السنة الثانية أو الثالثة يبدأ الطفل فى التعرف على جنس الأب أو الأم المشابه له فيبدأ الولد فى تقليد أباه أكثر من أمه فى اللبس، والرغبة فى الذهاب إلى العمل معه، فسيصعب على الأم (خاصة إذا جلست فى المنزل) أن ترعاه، فبعد أن كانت تعلمه كل شيء ويعتمد عليها فى كل ما يفعله من قبل تجده فى يوم ما يراقب أباه أكثر، ويريد أن يكون مثله، وبينما يكون الأب خارج المنزل معظم الوقت فقد يكون شيئًا خاصًا وفريدًا أن يراه معه فى المنزل وقد يتجه إليه أكثر عندما يكون الأب والأم معًا، وربما كان هذا قاسيًا على الأم التى ضحت بعملها وراحتها وهواياتها ومتعتها وعلاقاتها الاجتماعية خلال عامين كاملين للعناية بطفلها، وفى النهاية يكون هذا هو المقابل.

خلال هذا الوقت يأتى دور الأب فى أن يكون حساسًا لمشاعر الأم واحتياجها لمزيد من الترفيه والنشاطات الاجتماعية، وينبغى أن يناقشا معًا دور كل منهما، وأفضل ما يمكن تقديمه لطفلهما مع الامتنان والتقدير من كل منهما لأفعال الآخر بدلا من الغيرة والحقد.

أما الآن وبعد أن وجدنا أنه يمكن أن يمر على كليهما مرحلة العلاقة القوية بالطفل أكثر من الآخر، فالنظرة الأخيرة تعتمد على الحب والوقت والمجهود المبذول معه خلال حياته، ولايتوقف على كونك أباه أو أمه أو أنك تلازمه فى المنزل خلال الستة أشهر الأولى أو من يغذيه ومن يغير له الحفاضات والملابس.

الطفل يشبه أحد الوالدين :

إنه لمثير للدهشة أن تجد هذا الكم من الآباء يسألون نفس هذا السؤال، وأكثر إثارة للدهشة أن يصاب أحدهما بالإحباط عندما تكون الإجابة فى صالح الآخر،

ومن المضحك أن ترى رد فعل الآباء عندئذ وهم يضعون أنوفهم (عيونهم، شفاههم) بجانب الطفل ومحاولة إقناعك بشدة التقارب بينهما... «كيف تستطيع أن تقول ذلك؟ إن لها نفس ملامح الوجه، وأنفها فى وسط وجهها تمامًا مثلى لكن والدها أنفه معلقة هناك».... فبعض الآباء يأخذون هذا بجدية ويعتبرون أن الطفل الذى له ملامح من أحدهما أنه يحبه أكثر ويكون قريبًا منه أكثر بل ويميل إلى التشبه به دائمًا، وطبعًا هذا هراء.

من الطبيعى أن يشبه الطفل أبواه وبعض الملامح تكون مشتركة منهما معًا أو بينهما كلون الجلد مثلا لكنه فى النهاية يكون أكثر الشبه منهما معًا.

ليس عيبًا أن نسأل هذا السؤال (وسوف يفعله معظم الآباء) مادمنا لانردده أكثر من اللازم أو نجد فيه أى قدر من الأهمية، فالطفل الذى له ٤٧ وجه شبه من أمه مقابل ٢١ من أبيه لايعنى هذا أن يكون قريبًا منها أو يماثلها، فهناك أشياء كثيرة قد لانراها ولانستطيع مقارنتها مثل الطموح والشخصية وما إلى ذلك، أما شكل الأنف فحقيقة لايعنى شيئًا.

نحن نولد بچينات وراثية قد تنعكس فى المستقبل تأثيراتها على الحيوية أو العدوانية ولايجب أن ننسى تأثر الطفل بالبيئة المحيطة وبالأسرة وبكل الأحداث المتلاحقة منذ ولادته.

إن الطفل لم يولد مثل أبيه وأمه فكل الناس مختلفون، والناس المختلفون عبارة عن نتاج اثنين مختلفين أيضًا (بما تتحكم البيئة المحيطة فيهم) فمن الضرورى أن نتذكر هذا، فقد يورث أطفالنا هذا التفكير ويؤذيهم أن يلاحظوا الغيرة والتنافس بين أكثر اثنين يحبونهما فى هذا العالم.

قد يصبح السؤال هذا أقل أهمية عندما نعرف أن ملامح الطفل تتغير خلال الست سنوات الأولى، يقول الأب : لقد كان طفلى شديد الشبه بى حتى بلوغ عام، له نفس الوجه، ونفس القدم، ونفس اللون، وعندما تم أربع سنوات فقد أصبح نسخة طبق الأصل من زوجتى، وهذا شائع حدوثه، وكلما زاد نمو الطفل قلت التغيرات الطبيعية وتطورت التغيرات فى الشخصية، وفى معظم الأوقات نجد

الآباء يفاجأون بما يفعله أبناؤهم وقد يرونهم شخصيات مستقلة وفريدة ولايشبهون أى إنسان آخر.

فإذا وصل هذا المفهوم إلى أذهاننا وأدركنا أن اختلاف الطفل يحدد باختلاف شخصيته وطباعه وليس باختلاف أنفه، فسوف نتغلب على هذا الضيق الذى يصاحبنا (والأطفال أيضًا) عندما نسأل من يشبه الطفل أكثر.

سادسا : الندية بين الأشقاء Sibling Rivalries

إن هذا الموضوع يظهر على الأفق بمجرد ولادة الطفل الثانى فيفقد الطفل الأكبر كثيرًا من الأضواء المسلطة عليه، والأم تكون مشتتة ما بين الطفل الجديد وآثار الوضع، والأب أيضًا يود قضاء بعض الوقت مع المولود مما يُشعِر الطفل الأكبر بالغيرة من هذا الزائر الثقيل.

وهناك طرق كثيرة لمنع هذه الندية بين الأشقاء فقبل ولادة الطفل يجب أن نتحدث عنه وعن السعادة التى سيجلبها لأخيه الأكبر . . . «سوف يحبك كثيرًا، سوف نُحضر لعبًا كثيرة لتلعبا بها، إنك الآن ستكون الأخ الأكبر . . . إلخ». ونشركه فى تسمية المولود والعناية به ونوجه له أسئلة مثل «هل تساعدنى فى تغذيته وتحضر لى الببرونة، هل ستعلمه كيف يلعب باللعب» وكذا التحدث معه عن هذا المولود ونشعره برفسه داخل بطن أمه قائلين له «هذا هو أخوك» ولا نقول «ابن والديك أو أحدهما).

وعندما يولد الطفل يجب أن يأخذ الأب ابنه ليرى المولود الجديد ووالدته فى المستشفى، ومن الأفضل أن يكون فى انتظار الابن هدية باسم المولود الجديد، فسوف يؤدى ذلك إلى بداية من الروابط القوية بينهما، ونقول : «خالد، انظر ماذا أعدت ميرام لك؟ إنه شىء جميل حقًا أن يكون لك أخت تحبك لهذه الدرجة».

ومن الضرورى أيضًا أن يقضى الأب وقتًا أكثر مع طفله الأكبر، فيشعر الطفل أنه لايزال هناك أمل فى أن يحصل على الاهتمام، وعندما يكبر المولود تشجع الطفل الأكبر ونثنى عليه عندما يتصرف تصرفًا إيجابيًا تجاه الأصغر «خالد،

هل تستطيع أن تضحك أختك؟» فإذا فعل أو حاول فيجب الثناء عليه بشدة «كيف استطعت أن تفعل ذلك؟ أنا لم أستطع أبدًا، لابد أنها تحبك جدا، انظر كيف تراقبك، إنك فعلا أخ عظيم» فستجده بعد ذلك يستمتع باللعب معها وعندما تبدأ فى إصدار الأصوات تبين للولد كم هو ممتع أن يقلد صوتها ونصفق لها عندما تقلد أصواتنا، فينتج عن كل هذا كثير من الاهتمامات المشتركة والتقارب الملحوظ بينهما.

طبعًا سيأتى اليوم الذى ترى الطفل الأكبر (بالصدفة أو بغيرها) يطعن الطفل الأصغر بالسيف (اللعبة طبعًا) أو يدفعه ،أو أى تصرف سلبى من هذا القبيل، فالتعامل مع هذه المواقف يكون كالتعامل مع الغضب والعدوانية. كما سوف يتضح فيما بعد. وهذا ليس بالضرورة أن يكون نوعًا من الندية بين الأشقاء لكن إذا سمعت مرة قوله «إنها أخذت لعبتى» ولم يكن لعب بها فى هذه اللحظة فهذا من النديّة وهنا يجب أن يتعلم الطفل ـ بعد أن نتأكد أن لديه لعبًا أخرى كافية ـ المشاركة والعدل مع أخته بأن نقول : «حسنًا ما اللعب الذى تود أن تلعب بها ؟ إذن ميرام سوف تلعب بالباقى» وتُظهر كوالد بعض التصميم على أن تلعب هى باللعب التى لم يستخدمها فَيُشْعِره هذا أنه كما أن له الحق فى الاختيار واللعب كما يحلو له فليس هناك مانع من أن تشاركه أخته.

هناك مفهومان للتعامل مع مثل هذه المواقف التى يشعر فيها الطفل الأكبر أن الأصغر مفضل عنه، أولا : يمكن أن نربط بينهما بلعبة تجمعهما معًا فهذا يكسر الجمود الذى ربما يكون بينهما، وخاصة إذا استمتعنا معًا بهذه اللعبة، أما الثانى فيعتمد على أن تقوم بإشغال الطفل الأكبر . . . «خالد»، هل تريد أن تمر على صديقك عمرو؟ هل تريد أن تلعب بالطائرة؟ فلتذهب إلى منزل «طارق»، هذا لأن الطفلين لن يتمكنا من اللعب معًا بصفة دائمة فنحاول أن نلهى الطفل الأكبر بعمل شىء آخر يفضله.

سابعا : المشاركة فى المسئوليات بين الآباء

معظم الآباء يتحدثون عمن يفعل وماذا يفعل قبل ولادة أول طفل ولايتكلمون بعدذلك مرة أخرى، فلا أحد يستطيع أن يتخيل مدى صعوبة تربية الأطفال، والجمع بين العمل والأسرة. ثم إن الناس يتغيرون بمرور الوقت، فالاحتياجات تتغير، والمسئوليات أيضًا تزيد بدون أن ندرك ذلك، وبمرور السنين تجد لديك عددًا من الأطفال كل منهم فى حاجة إلى الذهاب إلى المدرسة والطبيب ولايمكنك أن تغلق باب المسئولية الساعة الخامسة مثلا.

يقول الأب : إنى أتساءل ماذا تفعل زوجتى خلال يومها، وأشعر بالغيرة من وجودها بالمنزل طوال اليوم بينما أواجه مشقات وأهوال الحياة خارجه، إنها لاتتعرض لهذا الضغط الفظيع الذى أتحمله من العمل، وذات يوم شاءت الظروف أن تحضر زوجتى حالة وفاة خارج المنزل وتتغيب طوال اليوم فقمت أنا بدورها في ملازمة المنزل وهنا شعرت أننى سوف ألقى حتفى، إنه لشىء مختلف تمامًاأن تتمتع بهذا الوقت الجميل مع الطفل فى المساء أو فى العطلات أو أن تقضى معه يوما كاملا، فلايوجد وقت للراحة أو للتفكير بدون إزعاج أو إطعام. . . وبعد أن رجعت أخبرتها أننى أكثر الأزواج تقديرًا وعرفانًا وامتنانًا لها.

لقد كان هذا درسًا مفيدًا، فمن الضرورى أن يستعرض أحد الأبوين إذا أمكن مسئوليات وتبعات الآخر قبل أن يشكو من الجزء الخاص به، وعلى العكس قد يرعب زوجته أن ترى حجم العمل الذى يقوم به وتشعر بالسعادة أنها ليست مكانه.

لذلك يجب على كل من الوالدين أن يقدر متاعب ومسئوليات الآخر ويحاولان التخفيف بعضهما عن بعض عندما يعانى أحدهما من الضيق أو الملل أو طلب المساعدة عند المرور بتلك الأوقات العصيبة.

الصياح والشجار أمام الأطفال

كلنا ينتابنا شعور بالغضب بعض الأوقات ونحتاج لتنفيس الغضب والجدال مع شريك الحياة. إن هذا طبيعى، وهذا إنسانى فى نفس الوقت، ولكن يصعب على الطفل جدًا أن يرى هذا، وهذان الشخصان هما كل العالم بالنسبة له هما أساس منزله . . . . أما أن يراهما يتشاجران فقد يعصف ذلك بعواطفه.

والمفهوم الأقرب أن تكون حساسًا لطفلك وتقلل الشجار قدر المستطاع فليست هذه الطريقة التى نعلمه بها كيفية مناقشة الأشياء وما الذى نفعله عندما نشعر بعدم الرضا، فإذا استشعرت مبادئ الغضب فمن الأفضل أن تبحث عن مكان آخر للجدل والشجار .هذا طبعًا شيء صعب لكن إذا نظرنا بحساسية إلى مدى تأثير هذا على طفلك فسوف تؤجل الغضب إلى مكان آخر ووقت آخر، أما إذا ازدادت الخلافات الزوجية كل يوم بكثرة فيصعب اللجوء إلى أخصائى فى الزواج لاستعادة السعادة الزوجية.

ثامنا : تأثير الانفصال والطلاق بين الوالدين

Separation and Divorce

إن هذا الموقف لايبعث على السعادة، وليس من السهل معرفة أى طريقة لإزالة آلامه، وكلنا نستطيع مع ذلك أن نقلل حدوثه قدر الإمكان. فإذا كان الآباء غير سعداء معًا ومختلفين فى الطباع فلن يكون هناك فائدة من الاستمرار. هذا بالنسبة للأطفال، فالشجار والجدال بينهم قد يكون أسوأ قدوة للطفل. إنه يصبح فى حالة من الضيق والحزن. ويؤدى ذلك إلى حدوث تنافس بين الأب والأم لكسب الطفل مما قد يجعله مدللا لدرجة الفساد، فلن يظهر له أى منهم بعض الصرامة والحزم فيفقد النظام الذى يجب أن يتبعه لينجح فى حياته.

وقد أثبتت البحوث أن تأثير الانفصال بين الأبوين أقل كثيراً من وجودهما بهذه الحالة السيئة معًا.

يمكن أن يكون هناك بعض المشاعر بين الأبوين، وبالطبع سيكون عند كل منهم أفكار للتعامل مع بعضهما البعض،ومع ذلك فيجب أن يكون هناك وقت للتحدث حول مسئولياتهما تجاه الطفل، إن الحديث ليس فقط لتوضيح الحقوق وترتيب المعيشة وحقوق الزيادة وتكلفة الملابس، إنما يجب على الآباء أن يوضحوا للطفل بطرق إيجابية إذا ما تأزم الأمر ماذا يحدث حوله ويؤكدوا على عواطفهم تجاهه، ويعطوه حرية الاختيار فى الإقامة مع أى منهما، وكذلك ما يريد فعله فى أيام العطلات . . . إلخ. ولا نتمني أن يصل الأمر إلي الانفصال فهو يحتاج رؤية أبويه معًا وهم متوادان قدر المستطاع، أما الآباء فيحتاجون إلى الكلام معًا عن طفلهم من وقت إلى آخر.

تاسعا : جليس الطفل :

إن معظم الآباء محـاطون بالعمل ومع ذلك يشعرون بالذنب تجاه عـدم قضاء الوقت الكافى مع أطفالهم وخاصة فى سنواتهم الأولى. ولايوجد أسـباب حقيقية وراء هذا الشعـور، فالآباء يجب أن يراعـوا اهتمـاماتهم واحـتياجـاتهم وفى نفس الوقت يراعـوا الالتزام تجـاه أطفالهم. ومن الأفـضل أن يكون الآباء مـستمـتعـين بالتزامهم هذا ولديهم الاسـتعداد لتغييـره، ليس هناك أى شىء سليم أو غير سليم بخصوص مربية فى المنزل أو جليسة أو بقاء الآباء فيه لتربية أبنائهم فالشىء الجيد أو السيئ يتوقف على نوع الشخص الموجود، وكيـفية العناية اليومية. وإذا أراد الآباء البقاء فـى المنزل فإن نوعية تلك العناية والرعـاية تكون أكثر أهميـة وأفضل من أى شخص آخر يقوم بها. وإذا كانت مسئولية الطفل الكاملة ملقاة على المربية فالآباء سيكونون مطالبـين بتحقيـق علاقة جيـدة مع أطفالهم واتخاذ القرارات بخـصوص نظامهم كما يجـب أن يظل لديهم وظيفة إيجابية فى التوجـيه والحوار مع المربية أو الجليس والتأكيـد على حصول الطفل على قدر من الوقت الممتع الذى يقـضيه مع والديه. كثير من الآباء يمكثون فى المنزل مع طفلهم ولكن لايجدون الوقت للكلام أو القراءة أو اللعب مـعهم فمعظم الوقت يضـيع فى احتياجات الطفـل - التغذية، تغيير الحفاضات . . . إلخ، إذا كان صغيرا.

وبعض الآباء يسود اعـتقاد فى أذهانهم بـشأن إبقاء الطفل أطول فـترة ممكنة بجانبهم، فهؤلاء مطالبون بتلبية جمـيع رغبات الطفل وحمايته والغيرة عليه من أى شىء، مثل هذا الأب لايساعد طفله بل يضره اجتماعيًا ونفسيًا ويحرمه من مشاركة زملائه وتكوين العلاقات والصداقات.

إن هؤلاء الآباء يحبـون أطفالهم بشـدة ولكنهم لايعلمون أن هناك فـترة من الوقت لايجب أن يظهـروا فيهـا هذا الحب. فالمهم هنـا ليس مقدار حـبك للطفل ولكن الآباء الذين يعرفون متى يلقون بالثناء على الطفل، ومـتى يعاقبونه لايحبون الطفل أقل بل هم ببساطة يعرفون ماذا يفعلون.

عاشرا : تفضيل الوالدين لأحد الأبناء :

كل الأطفال ليسوا سواء، فمنهم من يكون أكثر ذكاء وأكثر حساسية More Sensitive أو أكثر وسامة، ونحن ككثير من الآباء نجد هذه الصفات محببة إلينا وقد ننجذب إلى أحد الأبناء عن الآخرين. هذا خطأ كبير وقد يؤذى بقية الأطفال نفسيًا، فإذا عاملنا أحدًا منهم بصورة مختلفة، أو إذا بالغنا فى الثناء والاهتمام بأحد منهم وإهمال الآخرين فقد يؤدى ذلك إلى حدوث مشاكل بين الأطفال بعضهم وبعض بل وبين الأطفال وآبائهم.

عندما يجد الآباء أنفسهم متحيزين إلى أحد الأطفال يجب أن يتأكدوا من عدالتهم فى التعامل وتقسيم الوقت بينهم جميعًا. وفى معظم العائلات نجد أن هناك طفلا يعتبر خاصًا، لكن كل الأطفال لديك يعتبر لكلٍّ خصوصية بطرق مختلفة، إن المهم ليس أن تفضل أحدهم على الآخر لكن المهم أن تحب الجميع فإذا استطاعوا جميعًا أن يجذبوك نحوهم فى أوقات مختلفة فليس من الضرورى أن يكون أحدهم أكثر قليلا من الآخر. إن الوقت الذى يمضى فى اللعب والكلام ومداعبة طفلك هو الذى يقوى الروابط والانجذاب بين الطفل وأبويه، وهو الأكثر أهمية فى حياتهما بينما تقل عنه أهمية بقية المسئوليات الأخرى.

بعض الآباء يشعرون بالذنب وربما الغيرة من قوة علاقة الطفل بمربيته وتقول الأم : «إنه يجب أن أكون أنا. . . فأنا أمه» وعلى العكس يمكن أن نصاب بالإحباط إذا لم تستشعر العلاقة الطيبة بينهم، وقد نفكر فى إيجاد مربية أخرى. ومما لاشك فيه أن تقوية علاقتك مع الطفل سوف يغير كلا منكما وإذا لم تسمح الظروف بذلك فإنه كلما كانت العلاقة طيبة بين الطفل ومربيته ازدادت متعة الطفل ومعلوماته ونموه.

حادى عشر : حب الأطفال أكثر من اللازم :

كلا .. لايوجد حب أكثر من اللازم للطفل، ومع ذلك فهناك مشاكل تظهر على السطح تشبه الحب الزائد، بعض الآباء يدللون أطفالهم ويرفضون توبيخهم أو إجبارهم على نظام معين، وهذا ليس تعبيرا عن الحب فالحب هو أن تبذل الجهد الكافى فى الرعاية والتنظيم لطفلك، وكما نرى من بعضهم يهملون كل هذه الاهتمامات لكى يخصصوا وقتهم للبقاء مع الطفل فقط فيؤدى ذلك بالطفل لأن يظل طفلا للأبد. ويجب على الآباء أن يدركوا أنه سيأتى اليوم الذى يتخرج أبناؤهم فيه من الجامعة ويتزوجون وينجبون أطفالا بعيدًا جدًا عن أعينهم فنحن لايجب أن نتوقف عن حبهم ولكن يجب أن نحب أشياء أخرى وأشخاصًا آخرين أيضًا. وإلا أصبحنا معتمدين عاطفيًا عليهم بينما يقل اعتمادهم علينا بمرور الوقت.

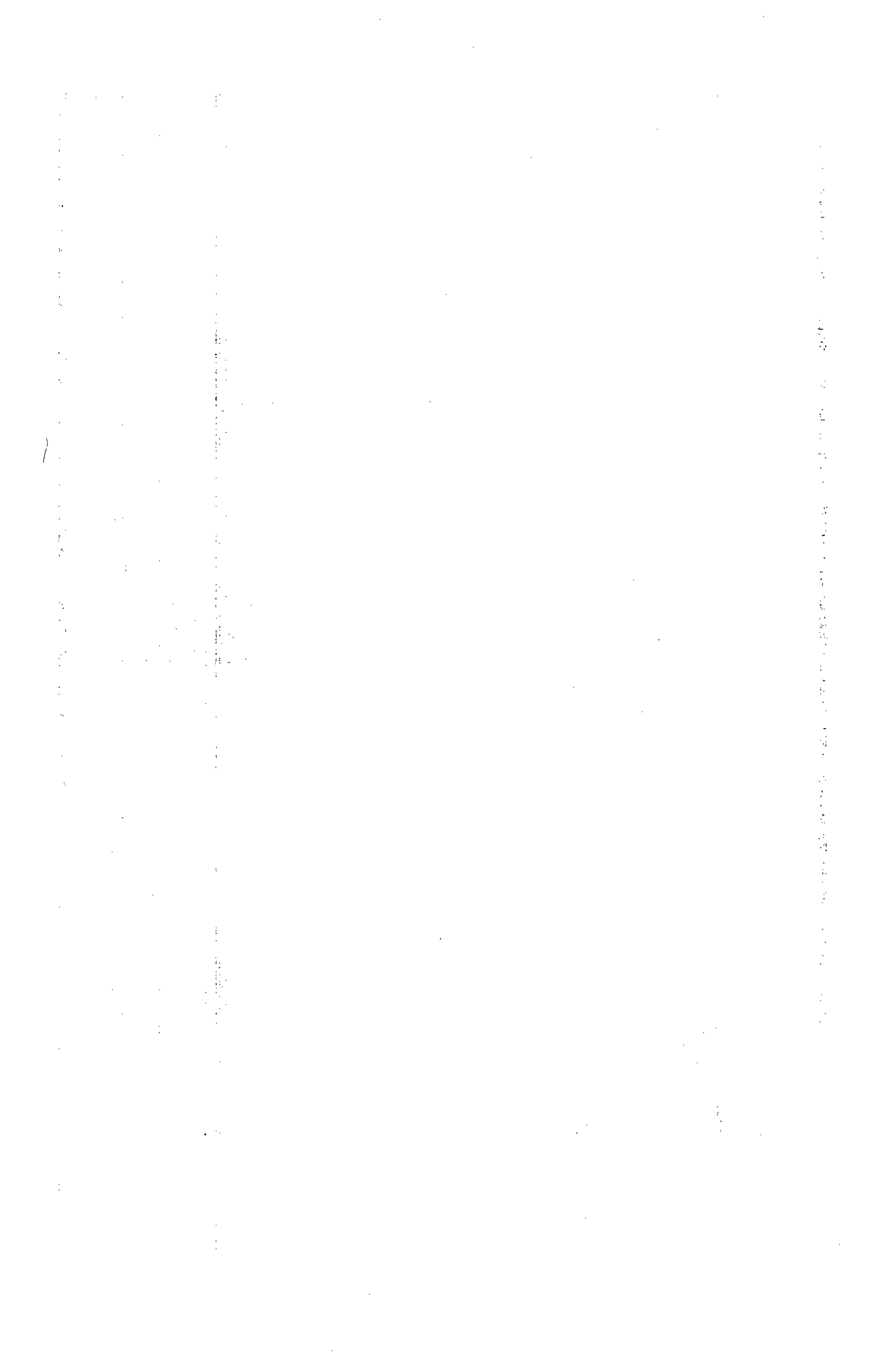




الفصل السابع

دور الوالدين في
تنشئة الأبناء على المبادئ





المبادئ المتناولة هنا عـامة «قواعـد سلوك الطفل»، وحدوثها ليس مـشروطًا بسوء سلوك الطفل، إنهـا تلك المبادئ التى يجب أن تنفذ بدقة لتـصل إلى العلاقة المثالية بين الآباء والأبناء.

ولذلك تعتبر هذه المبادئ مفيدة لتعليم معظم (أوكل) ما تود أن تعلمه للطفل مـثل الفضـولية أو الاسـتطلاع Curiosity والإبـداع Creativity والقـراءة وآداب المعاملة والحساسية، ومعرفة الأرقام والحروف والألوان . . . . إلخ. وتعليم الطفل مقـولة «لوسمـحت»، «شكرًا» تعليم أسمـاء الناس والملابس (بنطلون، قـميص، جزمة)، وتعليم بعض القـواعد اليسيرة الخاصـة بالمنزل، وتعليم كيف يلبس الطفل ملابسه بنفسه أو كيف يتصرف فى المسجد، كل هذا يمكن إحصاؤه وتحقيقه. وهنا سيكون حوارنا البسيط عن تعليم المبادئ.

أولا : استدلال الطفل عبر النموذج Modelling

إن أسرع طريقة لتعلـيم طفلك هى عمل نموذج له. لنوضح ذلك بمثال : إذا أراد طفلى لعبـة طفل آخر، فسأبحث عـن لعبة للبيع وسـأذهب معه لأشتـريها ثم نلعب بها أمام الطفل الآخـر ونقول : كم لعبتنا جمـيلة ومسلية، ثم نطلب منه أن نبدل لعبتنا بلعبته، وبهـذه الطريقة يتعلم الطفل كيف يتعامل مع هذا الموقف. وإذا طلبت منه كـتابه حـرف (ب) فأنا لاأعطيـه الورقة والقلم فـقط وإنما أرسم أمـامه الحرف وأطلب منه أن يقلد هذا الرسم بنفسـه، وبالطبع يتم ذلك مع التشجيع فى أول مرة.

إنه لمن العجب أن نتخيل مدى تعلم الأطفـال من النموذج. فأنا عندى جهاز كمبيوتر فى المنزل وطفلى الآن موقفه رافـض. ففى بادئ الأمر على تعليمه مفتاح (الدخـول)، (الخـروج) ثم (الصـعود والهـبـوط على الشـاشـة) ثم كـيف نضع الديسك، وكيف يشغله، وبعد ذلك عـاونه كيف يفرق (وأنت تمارس) بين البرامج المعدة إذا كـانت فعـلا متـعلقة بشىء من الأشـياء المشـوق بها، أو المهـارات حتى المعقدة، إن ذلك أكثـر تأثيرًا، لأن الطفل أو حتى الكبار يتعلمـون ببطء وبكثير من الأخطاء إذا تم فقط تـوضيح كيـفية عـمل ذلك، فالتـمثيل والـدلالة أسرع طريق للتعليم.

ثانيا : زيادة قدرة الطفل العملية لتوجيهه

زيادة قـدرة الطفل وتسـريعهـا هى طريقـة أخرى من طرق توجـيـه وتعليم الطفل، مـثال ذلك إذا أردنا من الطفل إحـضار «معطف» من بين المـلابس، ففى بادئ الأمر نجعل المعطف مكانه واضحـا وفي مكان ظاهر عن بقية الملابس أو حتى نبعد كل الملابس عنه حـتى يُختار الاختيار الصحـيح ثم نعيد الكرة مع وضع شيء آخر بجانب المعطف وليكن الحذاء ثم نضع شيئين ثم ثلاثة فأربعة وهكذا.

عمومًا علينا أن نجعل الموضوع سهلا فى بادئ الأمر بتـوفير مساعدة خارجية ثم نخفف هذه المساعدة، فإذا لم يستطع الطفل مثلا إيجاد حرف (B) فمن الممكن أن أجعله الحرف الوحيد، الموجود، وأشير إليه أيضًا أو أجعله أكبر وأظهر من بقية الحروف فإذا عـثر الطفل عليه أربع أو خـمس مرات بالمساعدة فـأنا أقلل من حجم المساعدة تدريجيًا حـتى يتمكن من العثور على الحروف بصورة طبيـعية من بين بقية الحروف المتشابهة.

وفي بعض الأحيـان لايجوز للمسـاعدة أن تكون واضحـة، فإذا أراد الطفل فتح شنطة الأوراق فـيكفى أن نقول له «اضـغط على الذهبى» وإذا ألقى بالملابس المتسخة فنقول له «أرجوك فى مكان غـسيل». ربما يتطلب الأمر مجرد الإشارة إلى الخطأ إذا لم يغسل يديه بعد خروجه من دورة المياه.

وأحيانًا يمكن للنموذج نفسه أن يسـتخدم فى زيادة القدرة . . . مثلا إذا كان ابنى يحب الـديناصـورات فـإننا نشـتـرى بعض الكـتب والصـور ونقص صـورة الديناصورات وأسأله : ما هذا ؟

وبالطبع فـسـوف لايتذكـر، ولذلك سـوف أسـاعده قـائلا أنه (الديناصـور العملاق) وإذا ظهر هـذا فى قصة أخرى ولم يتذكر فأنا أكـتفى هذه المرة بأن أقول «إنه العملاق» ثم يكمل هذا الباقى وهكذا حتى بمجرد ذكر أول حرف «د.د.د..» سيـتعرف عليـه بنفسه وبسـرعة. وهناك عدد لانـهـائى من الطرق للمسـاعدة على (زيادة القدرة) للطفـل، وتقريبًا كلهم يعلمـون بهذه الطريقـة مثل ارتداء الملابس، السباحة، الرياضة، الكلام، المشاركة، الأدب، وهكذا . . . . فعند مساعدة الطفل لارتداء البنطلون نكتفى أولا بأن يغـلق السوستة، بنفـسه ثم نترك له فيـما بعد أن

يرفع البنطلون ثم يغلق السوستة، وفى مرات تالية وعندما يصبح ذلك سهلا نتركه يدخل قدميه داخل البنطلون ثم يرفعه ثم يغلق السوستة وهكذا نقلل تدريجيًا من حجم المساعدة (زيادة القدرة) حتى يستغنى عنا تمامًا.

يجب على الآباء أن يحذروا من تعليم الطفل أى شيء لم تصل إليه قدرته بعد وإلا أصبحت العملية معقدة ومقززة وتأتى بنتائج سلبية. وكمثال فإن تزرير الزراير من أصعب عمليات ارتداء الملابس بالنسبة للطفل ولايجب أن يتعلمها حتى يتقن عملية اللبس كاملة بغض النظر عن أسلوب التعليم هذا، فإذا لم يكن الطفل مهيأ عضليا ونفسيًا لذلك فلن يتعلمها.

ومع ذلك إذا لم يكن الطفل مستعدًا للتعليم الآن فلايعنى هذا أن نتوقف عن المساعدة. وكمثال فإذا لم يكن الطفل قادرًا على اللبس بنفسه فلنجرب خلع الملابس أولا فهى أسهل، ثم نستخدم بعد ذلك فكرة تقليل المساعدة فنقوم بخلع كل ملابسه ونرفع فانلته إلى أعلى رأسه ونتركه أيضًا ليخلع قميصه ثم نخرج يدا واحدة ونتركه يخرج الأخرى ثم يخلع القميص. وباستمرار هذه الخطوات البسيطة يمكن تعلمه كيف يخلع قميصه، بنطلونه، شرابه، حذاءه، ويضعها فى المكان المخصص لذلك، وفى كل مراحل زيادة القدرة فإن الطفل يجب تشجيعه عند عمل الصواب (حتى إذا تم ذلك بمساعدتك) وإذا حدث وأخطأ مرتين فلابد من زيادة حجم المساعدة.

ثالثا : تقسيم طريق الوصول إلى الهدف :

المقصود هنا ببساطة تجزئة الهدف إلى خطوات صغيرة، وتعلم الطفل خطوة واحدة كل مدة زمنية فمن المستحيل أن نبلغ هذا الهدف مرة واحدة. فكتابة الحرف (هـ)، وإيجاد مكان الحديقة، ومعرفة رقم التليفون أو العنوان (ومهارات أخرى كثيرة) يمكن تعليمها إذا تمت تجزئتها والتعامل مع كل جزء على حدة، فمثلا لتعلم ربط رباط الحذاء يمكن أن تعمل الرباط كله إلا الجزء الأخير نتركه للطفل كى يحزم العقدة، ومرحليا أجعله يضع دائرة تحت الثانية ثم يخبرنا، وبعد ذلك أجعله يلف الدائرتين بنفسه ثم يضع واحدة تحت الأخرى ثم يشد وهكذا وبنفس الطريقة يمكن تعليم كتابه حرف (A) فيمكن أن يرسم كله عدا الخط الأوسط نتركه له

ليرسمه فإذا تحـقق ذلك نترك خطين لكى يرسمهما بنفسـه وهكذا. أو نستبدل هذا بأن نرسم الحـرف بالنقط مع تقليل عـدد النقط بالتـدريج حـتى يرسمـه بدون أى نقط.



ولتعليم الطفل كـيفية الذهاب للحـديقة أو المدرسة أو لبيت أحـد أصدقائه، نسير مـعه فى الطريق عدة مرات ونسأله أى طريق نسلك عندمـا يكون هناك عمارة واحدة فقط قبل المكان، ثم نتوقف قبل المكان بعمارتين ونسأل ثم ثلاثة وتسأل عند كل عمارة فإذا أخطأ فى أى مكان ندله طبعًـا على الطريق الصحيح بعد ذلك نسأله عند نفس المكان فى أيام أخـرى فسيكون قـد تدرب بالطبع على الطريق الصـحيح وهكذا نزيد إلى أربع عمارات تدريجيًا حتى ينتهى الطريق.

رابعا : حب الأطفال لاهتمام وانتباه الوالدين :

إن المتعة الرئيسية للأطفال بين ٦ أشهر و٦ سنين هى جذب انتباه والديهم. ويفعل الأطفال أى شىء للحصول على اهتمام الوالدين، وقد يتوسل الأطفال قائلين: من فضلك يا بابا هيا نلعب، أو بتخبئة الألعاب، الطعام، أو إخفاء الحذاء الذى قد تبحث عنه الأم، وقد يغفو إلى حضنك ويمطرك بوابل من القبلات.

وقد يصرخ ويغضب ويجذبك إلى غرفة اللعب لكى يحظى باهتمام شخص له. وقد يحاول الأطفال أن يقولوا أى شىء وكل شىء ابتداء من «أنا حزين جدًا» إلى أن يصل إلى الاقتراحات مثل القيام بالألعاب المفضلة لك بقوله «هيا نلعب شطرنج» وبكثير من الطرق... إنه وقت جميل جدًا يعتمد الأطفال علينا فيه ولايخفون عنا ذلك، وعلى هذا فإن حبنا واهتمامنا ومساعدتنا لأطفالنا من السهل تحقيقها لأن الأطفال دائمًا وأبدًا يطلبون حبنا ورعايتنا، إنك سوف تحب هذه الفترة (عادة) أنك سوف تشعر بارتياح تجاه هذا الطفل. عمومًا فإن الأطفال سيفعلون كل ما فى وسعهم لكى يحصلوا على مزيد من الاهتمام والرعاية.

إنهم يحبون هذا الاهتمام جدًا، ولهذا عندما تكون الطفلة قريبة وتسأل عنا لكى نرعاها فإذا بنا نذهب إليها بسرعة شديدة، فماذا سوف تفعل عندما تكون وحيدة وتحتاج إلى جليس، سوف تصرخ بالطبع ويزداد صراخها ارتفاعًا إذا لم نذهب إليها مسرعين فى الوقت المناسب، وأخيرًا ربما تقوم بالدبدبة بقدميها وإلقاء اللعب إذا تهاونا ولم نذهب.

وعلى الجانب الآخر إذا لاحظت طفلك يقوم بمشاركة طفل آخر نفس اللعبة وذهبت إليه وقلت له «هشام إنى فخور بك جدًا لقد سمحت لصديقك أن يشاركك فى اللعب بلعبتك وهذا ما يفعله الكبار» ومنذ ذلك سيرغب دائمًا فى أن يشاركه أحد أثناء لعبه (وقد يعرض دائمًا على أصدقائه مشاركته اللعب) وبعد فترة فإنه باستمرار يمدح الأشياء الخاصة التى يفعلها. إنك سوف تجعله يأتى إليك مسرعًا فى المطبخ ويقول: انظرى أمى لقد سمحت ليسرا بمشاركتى فى ألعابى، إنه بدأ بتخزين هذا فى داخله ويتعلم أن هذا الفعل جيد وصحيح ويستحق عليه الثناء.

ومع ذلك لابد من ملاحظة مدى أهمية المرح والثناء فى أن الطفل لايستطيع أن يفرق بين العادة السيئة والعادة الصحيحة إلا إذا حظى باهتمام منا.

إنهـا أساليب سـوف تقوى وتعـضد فـى أى نوع من السلوكيـات الإنسانيـة المرغوبة، إن الآباء الجيـدين يمرون عما نحن بصـدده الآن من المرح والاهتمام إلى الأشياء الجيدة التى يفعلها الأطفال، بينما يتأكدون لعدم مجاوزتهم للحد الأدنى من المدح والاهتمـام عندما يتصـرف الأطفال تصرفات غـير مقـبولة وغير مـألوفة على الإطلاق. بعض الآباء لديهم فتور لإظهار مشاعرهم ونادرًا ما يستخدمون الثناء لأى شخص، ولابد من تشجيعهـم ليمارسوا المدح عندما يكونون مع الطفل، إنه لشىء جميل أن يأتى المدح بثماره «بأن يقوم الطفل بدوره بالسؤال عنك أكثر . . . ويسمع لك أكثـر وينادى عليك أكثر»، هؤلاء الآباء طبـيعيًا سـوف يجدون أنفسهم سـريعًا يستخدمون الثناء والاهتمـام فى كل مكان وبطرق متعددة وجديدة فى كل المجالات المختلفة المتعلقة بالطفل.

عندما يسـتخدم الثناء بكثـرة نجد مشاكل سلوكـية أقل، وعلى سبـيل المثال، المشـاجرات، التـخريـب، . . . . إلخ، إن من السهل عندمـا يكون البـيت مملوءًا بالحب والدفء أن يكون غياب هذا الحب والمدح مضايقًا للإنسان بدرجة كبيرة، إنه يصبح أكـثر سهـولة لكى نتعامل مع غـضب الأطفال وأخطائهم، لأن إظهـار عدم الرضا والتوقفـ أثناء اللعب أو أثناء المحادثة، بغـير الدفء المحسوس فى عينى الأب والحنان المنبعث فى صوت وشكل الأم.

وليس من معـادل للحب والرعاية التـى اعتاد الأطفـال أن يحصلوا عليـها. وسوف يتـوقف الطفل بسرعـة لفعل الأشيـاء التى تؤدى إلى عدم رضـاك أو عدم إظهارك للحب. وباختـصار فإن السخاء غـالبًا فى استخدام الثناء والاهتـمام يجعل طلباتك ورغباتك أكثر تأثيرًا ويبعد بنا عن اللجوء للعقاب إلى حد كبير.

إن أهمية الثناء وغيره يؤدى إلى التأكيد عليها فإنها تجعل التعلم متعة، وبدونه سيكون هـناك حافز ضـعيف للطفل كى يـتعلم ما نود أن نـعلمه إياه، وبه يشـعر الطفل بالراحة والأمان تجاه ما يحب أن يفعله فيستمتع بالتعليم ويحاول ذلك بجدية فيتحول العـمل إلى متعة إذا شاركناه فى العمل (الاهتمام) بدلا من مـجرد التوجيه

بالكلام (أو الانتظار أن يفعل ذلك بنفسه). إن بعض الآباء لايأخذون الوقت الكافى فى المشاركة والاهتمام والتشجيع لأطفالهم وملاحظة مجهوداتهم، وكل تقدم يتم إحرازه، والنتيجة أن الطفل لن يشارك ولن يتقدم.

خامسا : استخدام التغذية الراجعة Feedback

التغذية الراجعة هى خطوة أساسية فى التعلم. إن التغذية الراجعة يستدل الطفل منها على أن مايفعله صحيح، أو يمكن أن يكون أصح، والتغذية الراجعة تعنى أننا نقوم بعمل تقييم شامل وتصحيح لسلوك الطفل إذا احتاج الأمر، فإذا كان سليمًا نقول للطفل : (مافيش مانع ـ هذا صحيح ـ استمر) وإذا لم يكن سليمًا تمامًا فإننا نقول (تقريبًا هذا جيد، ولكننا نرجح الأفضل ـ لقد اقتربت ولكن دعنا نحاول مرة أخرى).

والتغذية الراجعة يجب أن تكون على علاقة بالسلوك ـ سليم أو غير سليم، فالأمر ليس تعليقًا أو نقدًا للطفل ولكن لسلوكه، فإننا نقول إن السلوك كان خطأ ولا نقول أن الطفل كان خطأ. إذًا فإننا نركز على السلوك لسببين : الأول أنه يمكن تحسين السلوك والتغذية الراجعة، والثناء سوف يساعدنا على ذلك، والسبب الثانى أننا لانريد أن نعطى انطباعًا للطفل أنه سيئ وغبى وما شابه ذلك. إن السلوك هذا يمكن أن يكون سليمًا أو غير سليم لكننا لانريد لسلوك غير صحيح متعلق بجانب واحد أن يلقى بظلال قاتم على بقية سلوكيات الطفل. والتغذية الراجعة دائمًا مفيدة وخاصة إذا كان الطفل عنده بعض المشاكل، إذا كان مثلا ليس لطيفًا مع أصدقائه فإن التغذية الراجعة تكون على كثير من الأشياء السليمة وغير السليمة التى يفعلها. فيقول الأب : «أنا أعجبت بالطريقة التى اختبأت بها وأنت تلعب الاستغماية» أعتقد أن طارق بكى لأنك دفعته بشده لذلك دعنا نذهب معًا للاعتذار». وبمقدار تقدم الطفل فى مهارة أو فى سلوك معين كالرياضة أو الأناقة يتطلب ذلك التقليل من التغذية الراجعة، فإنها تكون مفيدة عندما يبدأ الطفل فى تعلم شىء جديد أو تعلم شىء لايجب أن يفعله (مثل الغضب أو العدوانية). وعندما يكون الطفل فى مرحلة التعلم فإن التغذية الراجعة سوف تعوده إلى أسرع

طريقة لذلك وفى نفس الـوقت فإنه سوف يقلل من التـعقيد عـندما لايتكرر نفس الخطأ مرات عـديدة، وأخيرًا فإن التـغذية الراجعة يجب أن تكون مـقرونة بالثناء. وعندما يتحسن أداء الطفل.

إنه ليس كافـيًا أن نقول : «لقد فـعلت ذلك بطريقة سليمة» إنه لـقول جاف أليس كذلك ؟ إنه يمكن أن يفعل ذلـك بصورة صحيحة ولكن لن يفـعله مرة ثانية ولكن إذا أضفنا الثناء «لقـد فعلت ذلك عن جدارة إن هذا رائع» فإن هذا سيـحثه فعلا على المزيد وسـيشعر بتحسن ويحـاول بجدية أكثر، لذلك ستكون هناك مـتعة أكثر فى الأداء.

سادسا : ماذا يخبرنا الطفل بخصوص مشكلاته

إن معظم ما يفعله الطفل ـ سيئ أو جـيد ـ هو الاتصال وتبليغك بشىء ما. لذلك يجب أن تصغى إلى مـا يخبره الطفل ومن الضرورى أن نفـهم لماذا يتصرف الطفل هكذا ونحاول تعليمه الطرق الصحيحة لما يريد أن يفعله.

هناك أسباب عديدة للتـصرفات السيئة،ولكن سبـبين فقط يجب أن تنظر لهما نظرة خاصة (وقد نوقشت بقية الأسباب من قبل).

أولا : إن الطفل سيحاول بشتى الطرق ليجد طريقة، وهذا لايعنى أنه يندس فيما لايعنيـه وإنما يحاول أن يتعلم طبيعة الأشـياء وكيفية الحصـول عليها. فكل ما يحـتاجـه فى ذلك الوقت هو الاهتمـام، وأن يجلس أحـد بجانبـه ليلعب معـه أو يجلس بجانبـه ويمسك بيده عندمـا يشاهد التلفزيـون أو يذهب للنوم. إن الأطفال فى الحقيقة سوف يتحكمون برغباتهم فى كثير من أوقاتنا مع زيادة الاهتمام بهم فى كل لحظة، ففى بعض الأوقـات يمكن أن نفعل أشـياء معـهم أو قد لايكون عندنا الوقت أو الجهـد لذلك، وإذا أقدم الطفـل على عمل شىء جـديد بطريقتـه، فإنه يمكن أن يصرخ أو يـبكى أو يضرب أى شىء إذا لم يحصل على مـا يريد وبنفس السرعة التى يريدها، فإنه يمكن أن يلقى بالزهرية أو يكسـر اللعبة أو يقذف الطعام أو الحذاء ولايعلم أن هذه الزهرية قيمة وإنك قد تفضل أن يكسر شيئًا أرخص، أو يقفز عليك ويمسك برأسك أو يضع أصبـعه فى أذنك أو أنفك أو فمك إذا تجرأت وكنت مشغولا عنه.

إنه عادة من السهل أن تعرف ماذا يريد الطفل إذا أخذت الوقت اللازم لملاحظته والاستماع إليه، فإنه سيقوم هو بذلك فمثلا يقول «دعنا نلعب» ويأخذك إلى اللعب وسيضحك عندما تشاركه اللعب.

إنه سوف يساعدك على فهم ما يقصده وستكون رسالته لذلك، (الابتسام أو الصراخ أو الرفس .... إلخ). واضحة جدًا.

المشكلة هنا أنه كلما ازداد تطرف السلوك يزداد معه مقدار الاهتمام والرعاية، فمن الصعب عدم ملاحظته (وخلال السنتين الأولين تكون فى منتهى الحرص) فالطفل تعلم أن يبكى أو يصرخ ليحصل على الخدمات وبسرعة ويتعلم أن هناك طرقا أكثر تأثيرًا (الغضب، العدوانية، الاحتجاج ... إلخ) لجذب الانتباه.

ثانيًا : للأطفال أن يتجنبوا عمل شيء لايرغبون فى عمله مثل الذهاب للنوم، ارتداء الملابس، أخذ الدواء، الأكل وهم يلعبون، فستكون المحاولة ببعض من سوء السلوك للابتعاد عن ذلك. أو أكثر من ذلك فيتظاهرون بعدم وجودهم أو يختبئون أو مجرد أن يديروا رءوسهم بحيث إنك لاتستطيع أن ترى الطفل وعيناك إلى عينيه عندما تريد أن تحدثه إنه لشيء مهم فهم رغبات الطفل لأن الأسباب لهذا السلوك سوف تحدد كيفية التعامل، وعامة إذا فهمنا لماذا يفعل الطفل ذلك فإننا يمكن أن نتوقع أسوأ السلوك الذى سوف ينتهى إليه، ويمكن أن نعلمه السلوك الصحيح. لكننا نفعل هذا فقط إذا شعرنا بما يريده.

إذا كان الطفل يريد الاهتمام أو الانتباه فيجب أن نكون حريصين على ألا نبدأ اللعب أو المناقشة أو احتضانه إذا تصرف بسوء سلوك ليحصل عليه، وإذا كان يحاول تجنب شيء ـ ارتداء الجاكيت أو الجزمة، الذهاب إلى النوم فإنه سيكون من الخطأ أن نهمله لأن الإهمال يولد الغضب (فسوف لايذهب إلى النوم أو لن يرتدى الجاكيت). إذا كنا لانعلم مايريده الطفل فسوف لانعرف ماذا يمكن أن نفعل حيال سوء سلوكه سواء أن نهمله وأن نهتم به، وأكثر من ذلك أننا لايمكن أن نعلمه الطريقة الصحيحة للتعامل مع الموقف إذا كنا نعرف ما يريد الطفل مثل الطريقة الصحيحة لكى نجذب انتباهه أو أن يكون بها صداقات.

سابعا : عقاب الأطفال Punishment

هل العقاب ضرورى ؟ أحد الأصابع للطفل دخل فى عينى والآخر سبب خدشًا مؤلمًا فبدون تفكير قمت بصفعه على يديه صائحًا فيه. كلا. فبكى . . . لقد فزعت . . . هكذا قالت الأم. إنها أول مرة أضرب وبدأ قلبى يرتعد خوفًا وبعد تلك اللحظة قمت بتجميع شتات نفسى موضحة له لما لماذا لايجب أن يفعل ذلك وما هى الطريقة الصحيحة للعب.

وفى الساعة الواحدة صباحًا كنت فى فراشى أحملق فى سقف الحجرة يتملكني الضيق فلايجب أن يكون هذا هو الأسلوب المناسب لمعاملة الطفل. إنه حدث فجأة وكان قلقى على مدى سرعة حدوثه وما قد يعنى هذا له، المهم أننى كنت قادرة على التراجع والتفكير فيما سأقوله لأى أم أخرى فهل ذلك وهذا هو ما كنت سأقوله، إنك لست شريرة . . إنك لم تؤذى أحدًا، ذلك لم يكن تعسفًا أو استبدادًا ـ فالطفل قام بفعل سيئ بسيط، وكان هناك زيادة فى رد فعلك.

إن هذا سوف لايترك صدمة على الطفل وعلى علاقتكم إلا إذا حدث هذا كثيرًا أو لأسباب خاطئة.

إذًا المهم ما الذى نتعلمه من هذا ؟، لايجب أن يكون العقاب باندفاع، وإذاكان لابد منه فإنه يجب أن يكون بالأسلوب الصحيح. فهناك أسلوب صحيح وآخر غير صحيح، واستخدامه بالطريقة غير الصحيحة. قد يسبب مشاكل خطيرة للطفل بمرور الوقت.

وفعل هذا باندفاع هو إحدى الطرق الخاطئة. وهناك طرق أخرى فإذا تم ذلك بالطريقة الصحيحة المعتدلة فإن التأثير سيكون إيجابيًا.

ليس المجال هنا للحديث عن صحة أو خطأ استخدام العقاب، إنها قضية أدبية وليست عملية بالدرجة الأولى. أولا من المهم أن نفهم ما هو العقاب وكيف يكون عقابا؟ ومتى يكون سوء تصرف؟ وما هى الطريقة الصحيحة ؟ وغير الصحيحة لاستخدام العقاب؟.

١ ـ ما هو العقاب (آثار استخدامه)؟

العقاب هو أى رد فعل سلبى يتبع أى سوء سلوك فيقلل من حدوثه.

أولا : رد فعل الآباء لابد أن يكون سلبيًا بالرغم من وضوح الخطأ وغالبًا ما يعلم الآباء ما يود أطفالهم عمله وما لايودون عمله. لكن يجب أن نضع فى اعتبارنا أن كل مشكلة من هذا العقاب لابد أن تتضمن اهتماما ورعاية. ولبعض الأطفال يكون الاهتمام إيجابيًا حتى لو كان كله بالسلب وعدم الاكتراث، هذا خاص بالفعل الذى يحصل على قدر كبير من الرعاية والاهتمام من الآباء (يمكن أن يكون الآباء يعملون جاهدين طوال اليوم. ربما يشعرون أن الطفل يشعر بالتسلية بنفسه فى هذه الحالة والحالة الأخرى الطفل يتمتع بأى اهتمام يمكن أن يحصل عليه حتى البكاء والصراخ وحتى العقاب (الاهتمام السلبى). بعض الآباء الآخرين يجمعون بين رد الفعل الإيجابى والسلبى تجاه سوء السلوك. إنهم يمكن أن ينشغلوا فى مناقشة طويلة شاعرين بالذنب ومحاولين راحة الطفل بعد عقابه مباشرة (أو إرساله إلى غرفته مع لعبه قائلين بصوت هادئ وبنعومة. لا يا طفلى لايمكن أن تفعل ذلك). وباختصار إذا كان العقاب مستخدمًا فيجب أن يكون رد الفعل سلبيًا وبدون اهتمام إيجابى مثلا، ومحاولة التخفيف أو التهيئة أو الدخول فى مناقشة مطولة بعد ذلك.

ومن غير الممكن أن نلقن الطفل أكثر من درس فى آن واحد فيجب أن تكون الرسالة واضحة ومختصرة قدر الإمكان. وأحد أشهر أنواع العقاب هو التوبيخ فهو غالبًا مؤثر ولكن نشاهد معظم الآباء يستخدمونه بطريقة غير صحيحة، ومثال ذلك بعضهم يقول : «لاتفعل هذا» وهو بعيد عنه، وهنا الخطأ لأنه ليس سلبيًا فتتكرر هذه الجملة للطفل أكثر من مرة وأمه بعيدة عنه فى المطبخ فيستخدم الطفل نفس الخطأ ليحصل على انتباه والدته.

وهناك خطأ آخر مشترك للآباء عندما يكونون فى أشد الضيق من فعلة أبنائهم نجدهم يتحولون إلى تخفيف الفعلة واحتضان الطفل ومحاولة إهمال ما قد حدث بل واللعب معهم وإلقاء ما حدث وراء ظهورهم. فهذه رسالة معقدة لأن الثواب تم عندما حدث سوء سلوك.

إن أكثر الطرق تأثيرًا هو جذب الطفل فى التو واللحظة تجاهك وتوجيه نظره إليه مباشرة وقول «لا» بصوت صارم وبدون صراخ، ودعه يذهب ثم ابدأ فى عمل شىء آخر بدونه ساعتين مثلا، بدون أمور للاندماج معه، وبدون نكد، أو ترفيه.

ثانيا : العقاب هو أهم نوع من أنواع رد الفعل السلبى فإنه لايعنى بالضرورة الضرب أو حتى الصياح فإن النظر شزرًا أو عدم الرضا أو التوبيخ و«لا» ليس أقل من الضرب على اليدين عقابًا، لكن بعض الأطفال يضايقهم جداً أسلوب التوبيخ عندما يكون علنًا ـ أى أمام الآخرين أو أمام أصدقائهم ـ كثير من الأطفال تتحطم قلوبهم عند ظهور عدم الرضا عنهم من الوالدين، إنهم يتضايقون كثيرًا أن نأخذ أى لعبة بعيدًا عنهم، أو أن نخرجهم من الحديقة أو نرفض أن نلعب معهم أو أن يلعبوا مع أصدقائهم. كل هذه أنواع من العقاب ولا نحتاج بالضرورة لاستجلاب الضرب. إن التوبيخ له تأثير كبير على الطفل أكثر بكثير مما نظن وعادة ما نحتاجه بشدة إذا تم بالطريقة الصحيحة، إن معظم الأطفال تصل إليهم الرسالة إذا تم جذبهم من كلتا ذراعيهم نحوك وبسرعة وبصرامة قائلا : «لاتضرب أختك» مظهرا على وجهك وتصرفاتك كل الشدة والجدية.

ثالثًا : العقاب لابد أن يتبع سوء السلوك فورًا، فلا يجب الانتظار أو التأخير، فإن الأطفال سيتأكدون من أن مافعلوه قبل العقاب مباشرة شيء سيئ، فإذا تأخرنا ولو دقائق فإننا نسمح بأن يفعلوا شيئًا آخر قبل العقاب بالمعارضة ويظنون أنهم يعاقبون عليه. ونفترض أن الطفل يشارك أصدقاءه اللعب أو حتى يلعب مع نفسه ثم أنت تحضر قائلا بصوت غليظ «ممنوع الضرب» فإنه سوف يتوقف عن اللعب ومع هذا لم يكن هذا ما أنت تقصد أن تعاقبه عليه.

إنها تعتبر رسالة مختلطة ومعقدة، فليعرف الطفل لماذا تفعل ذلك الآن وما هو الخطأ الذى ارتكبه ومتى ؟ وبالرغم من نيتك الحسنة فإن العقاب إذا لم يتم فى الحال فمن المحتمل أن يشكل صدمة. ولايجب فقط أن يتبع العقاب السلوك غير السليم ولكنه يجب أن يحدث فقط عند حدوث هذا السلوك، وليس لنا أن نتصرف باندفاع ولايجب أن نتأخر فى رد الفعل، فإذا كنا فى حالة مزاجية سيئة أو مشغولين أو متضايقين بسبب ما من الطفل فلا نبعد هذا عن الطفل. فالطفل لا يعلم ما الخطأ الذى فعله وجعلك فى هذه الحال السيئة فإننا يجب أن نتأكد تماما من أننا نربط العقاب بسوء السلوك لكى يفهم الطفل على ماذا يعاقب.

رابعًا : العقاب يجب أن يتبع سوء السلوك دائما، فلاشىء يمكن أن يكون أسوأ من أن تعاقب فى مناسبة ولا تعاقب عند حدوث نفس السبب فى مناسبة

أخرى، فـإن الرسالة هنا تكون مشـوهة للطفل، لأنه يود أن يعلم إن كان تصـرفه سليمًا أم لا.

خامسًا : مـعدل أو مـقـدار العـقاب يجـب أن يقل بمرور الوقت ،إذا لم يحدث ذلك فإنه سـيكون خطأ كبيرا، وهذا لايعنى اختـفاء هذا السلوك السيئ إلى الأبد ففى أول مرة تعاقب فيها الطفل اعتبرها هى الحالة الحقيقية فإذا عوقب الطفل بالضرب مـرتين أو ثلاثا فى اليـوم فإننا نعاقـبه مـرة واحدة فقط فـى اليوم أو أقل ونستمر فى التقليل.

سادسًا: التحذير يجب أن يكون دائمًـا مستخدمًـا فى مرحلتين. الأولي : بأن نقول: «يجب أن نغلق التلفزيون بعد خـمس دقائق» فأنت تسمح بذلك للطفل أن يجهـز نفسه للتـغير القـادم فى نشاطه. وفى بعض الأحـيان فهـذا وحده يمنع الغضب، الثانية : بأن تحذر بمعنى «إذا لـم تذهب إلى الـسرير حالا سأعد من واحد إلى ثلاثة ثم سأحمـلك ولن نقرأ القصة» ثم تنفذ، لأنـه يجب أن يعرف أنه سوف يحدث بغض النظر عن أى شيء. عندها يتعلم الطفل هذا، وقليلا ما سوف تقابل غضبـه. وباختصار فإن الـتحذير يؤدى إلى منع الغضب والاعـتراض وسوف يقلل من حاجتنا إلى المتابعة.

٢ ـ منع الآثار الجانبية السلبية للعقاب

مفهوم العقاب بالطبع سوف يساعدنا لأن نفعله بالطريقة الصحيحة وأكثر من ذلك فهـناك خطر كبـير لاستـخدامـه ولانستطيع أن نجـزم بأنه فقط يحـجم سلوك الطفل.

إننا يجب أن نهتم بتعليـمه السلوك السليم والأشياء الجديدة مع المعـاقبة على الأشياء السيـئة، ويجب أيضًا أن نعلم الطفل قليلا من التحكم فى نـفسه فلايجب أن نتبع العـقاب بصورة مسـتديمة فى مواجـهة سوء السلوك فهناك بعض الـقواعد البسيطة التى سوف نتبعها لمعرفة الطرق الصحيحة للعقاب :

(١) يجب أن نتأكـد دائمًا من وجـود ثلاث مرات على الأقل من الثناء كـما هو من العقاب، فلا ندع العقاب يسيطر على علاقتنا مع الطفل، ولايجب أن يتعلم منا الطفل هذا بل يجب أن يتلـقى منا الحب والحنان والرعاية، وهذا هو مـا يجب أن يسيطر على علاقتنا معه، ومع ذلك فهـذا يعنى أننا عندما نستخدم العقاب يجب أن نبحث (فى مناسبات أخرى بالطبع) عن أشياء أخرى جيدة لنثنى عليها.

(٢) يجب ألا نستخدم العقاب فقط بل يجب أيضًا أن نعلم الطفل الطريقة الصحيحة فى التعامل، فلايجدى العقاب حينئذ إذا لم نستبدله بالطريقة الصحيحة، إذن يجب أن نعلمه طرقًا أخرى صحيحة فى التعامل مع المواقف.

(٣) نحن دائمًا نقول «كلا» كرسالة، وهذه تعنى الضرب عندما نعاقب وهذا مهم لسببين :

الأول : أن هذا يجعل الرسالة واضحة لذلك فالطفل يعلم جيدًا ما هو السلوك المفروض.

الثانى : أنك تعرف الأمر الفعلى بعقاب معين تستخدمه وتجعل هذا الأمر أكثر تأثيرًا، فبهذه الطريقة يمكننا التحكم فى سوء السلوك.

(٤) إننا نستخدم أقل نوع من أنواع العقاب يمكن أن يكون معقولا ومقبولا فلا حاجة لاستخدام الديناميت إذا كانت هناك آلة تكسير. إن الخطر الحقيقى هنا هو أننا بسهولة يمكن أن نعاقب وأن ذلك يتم بسرعة، فإذا انطلق طفلى إلى الشارع بعد ما قمت بالتنبيه ألا يفعل هذا فسوف أقوم بضربه على مؤخرته لأننى أشعر أن هذا الخطر يجب أن أسيطر عليه بسرعة.

والخطر هو أننا نصبح فى حرج من مدى تأثير هذه الضربة عليه ونبدأ فى استخدامها بكثرة. ومثل هذا العقاب (الضرب الخاص) يجب أن ندخره للمواقف الطارئة لأن الطفل يعتاد عليه إذا استخدم بكثرة، ويبدأ فى فقد تأثيره. وأكثر من ذلك فإن هناك طرقًا كثيرة للعقاب على السلوك السيئ إذا بحثنا جيدًا.

٣ ـ الأثر الإيجابى للعقاب

إذا استخدم العقاب بطريقة صحيحة مع مراعاة كل الاحتياجات الموضحة سابقًا، فلن نتجنب بذلك أى آثار سلبية تقع على الطفل فحسب (هذا من وجهة النظر العاطفية) بل وسيتبع ذلك إيجابيات كثيرة نافعة. لقد أظهرت الأبحاث أن العقاب يجعل هناك بريقًا وتأثيرًا للثناء، فإذا لم يعاقب الطفل على التصرفات الخاطئة فلن يصبح هناك معنى للثناء وسيعتاد عليه، وسنضطر إلى الأشياء الصناعية للوصول إلى هذا المعنى من نقود ولعب ونقود أكثر ولعب أكثر تكلفة، وفى المقابل إذا عوقب الطفل فإنه سيتعلم كيف يقدر الثناء!

والفائدة الثانية للعقاب هى زيادة الاهتمام بالسلـوك الاجتماعى. فبعد العقاب سوف تجد أن السلوك غيـر السوى لاينقص فحسب بل سيصبح الطفل أكـثر انتباهًا واستمتاعًا ومراقبة لك وسيـكون عنده سلوك اجتماعى إيجابى كرغبته فى أن يكون بجانبك ويتحدث إليك ويثبت وجوده.

نحن فى الحقيقة لانعرف السـبب ربما لأن العقاب يظهر بعض اهتمامنا أو أننا نهـدف إلى تعليمـه ومسـاعـدته ومراقـبة مـا يقوله، أو ربمـا يكون الطفل إيجابيًـا واجتماعيًا لكى يمنع حدوث أى عقاب آخر، ومهما كان السبب فإن هناك دائرة ما محسوسة بجانب تقويم السلوك السيئ.

ثالثا : إن ذلك يعطى الطفل الإحسـاس بالعالم الخارجى وكـيفية التـعامل معه بدلا من عـزلته عنه، حتى فى حياة الطفل الصـغير قد يحدث العـقاب بصورة طبـيعيـة لأنه يتعـامل مع أصدقـاء كثـيرين، قـد يضربونه أو يتـجاهلونه أو حـتى لايستجيبون لرغباته، كل هذا يعتبر نوعًا من أنواع العقاب يستحيل تجنبه، لذلك فإن الطفل لن يسـتطيع التـعامل مع تلـك المشاكل إذا أسـرفنا فى تدليله وحـمايتـه أو أسرفنا فى عزله عن ذلك.

ثامنا :الاستمتاع مع الطفل

فى هذه الأيام تجـد فى أكـثر العـائلات ينهـمك الآباء بالعـمل، أو يحـدث الانفصال بين الـزوجين أو الطلاق الشائع حدوثه، ويترتـب على ذلك وجود أحد الأبوين فقط فى المنزل مما يؤدى بالأطفال إلى عدم وجودهم مع آبائهم خلال اليوم فإذا حـدث وكانوا مـعًا فإن أحـدًا منهم غالبًـا ما يكون متـعبًا ومنـهكًا من أحداث العمل، وفى أكـثر العائلات لايشـعر الآباء والأطفال بالمتـعة معًا فـمن الصعب أن يجـدوا الوقت المناسب لذلك، إنه الوقت الذى يحـتـاج فيـه الآباء للراحـة، ولن يمكنهم من مشاهدة ومتابعة تقدم أطفـالهم حتى ينتهى بهم الأمر إلى مجرد الكلام للطفل وليس الكلام معه.

إن القضيـة المهمة ليست مـقدار الوقت الذى نقضيـه مع الطفل ولكن فائدة الوقت الذى نقضيـه معه. إن التعب والإعياء يسـتبد بنا ويأخذ الكثيـر من جهدنا، وفى المقابل يعود ذلك على الوقت المخصص للطفل واللعب معه ورعايته.

هناك حل وحيد للتغلب على مشكلة التوفيق فى الأوقات بين الطفل وأبويه وهو حدوث الاستمتاع بينهم.

فإذا شعرنا بذلك نحن أيضًا فسوف لايبدو هذا مثل العمل، وسيكون من السهل الاستمرار فيه، وإذا حدث هذا الاستمتاع للآباء والأطفال معًا فسوف يجد الآباء الوقت الكافى لأنفسهم بدون القلق على علاقتهم مع الطفل أو رعايتهم، فمن الممكن أن نقرأ القصص التى تستهوينا ومحاولة جعلها مسلية للطفل أو نلعب الألعاب الرياضية الذهنية التى نحبها والمحافظة على رعايتنا له.

ونستطيع أن نبدأ قصة ما ونطلب من الطفل أن يكملها ونشغل أنفسنا قليلا حتى ينتهى، أو ندغدغ بعضنا البعض، أو نقذف الأحجار فى البحيرة أو نلعب الاستغماية أو نلعب ألعاب الكمبيوتر، أو ندعون الأطفال الباقين لمباراة فى كرة القدم معنا.

الهدف هنا أنه يمكن أن نجد أشياء كثيرة للاستمتاع بها معًا إذا بذلنا مجهودًا فى ذلك، وهذا يتطلب منا أن نغلق التلفزيون لفترة ونترك المقاعد، عند ذلك فسوف تتطلع إلى ذلك الوقت الذى تقضيه مع طفلك هاربًا من الضغط طوال اليوم. وسوف تلاحظ تغير طفلك وتقدمه فى كثير من المجالات، فالطفل سوف ينتظر قدومك إلى المنزل فى نهاية اليوم بفارغ الصبر ويجرى قافزًا على يديك بمجرد سماع وقع أقدامك أو صوت السيارة.

إن العلاقة الطيبة مع الطفل تعنى الكثير، وإذا لم تستمتع مع طفلك فأنت لاتستطيع أن تقدم له ما يطلبه إن هناك أشياء حولنا أهم وأثمن من أن تحب أو تكون محبوبًا من طفلك ولكن هذا لايأتى فجأة.

ولابد من التمهل والانتظار، فالعلاقة الجيدة لابد لها من تمضية الوقت معًا والرعاية والمتعة، ولايعنى أننا أبواه أن علينا علينا أن نضع الأكل على المنضدة أو نضع قميصه فى شنطته أو نغطيه أثناء النوم، ولكن يتأتى ذلك بالتعليم والقرب منه والتحدث معه والثناء عليه واللعب والضحك أو حتى النظام، وهكذا تكون الرعاية الحقيقية وهكذا نصنع من أنفسنا والدين.

تاسعا : الثواب أو الرشوة Rewards or Bribes للأطفال :

بعض الناس يعتقدون أن الثواب معناه الرشوة، فهذه أم تقول : «بعد ذهابك للسرير سوف أعطى لك بعض الحلوى». . . . هذا من الممكن أن يؤدى بالطفل إلى اعتياده على الثواب وانتظاره عند عمل أى شىء. فمن الأفضل دائمًا. عدم اللجوء إلى الثواب المادى مادام بإمكاننا أن نستغنى عنه.

ومن ناحية أخرى ففى بعض الأحيان نجد أن لاشىء آخر سوف يجدى مع هذا من قول أو عمل لمساعدة الطفل، فتفرض علينا الظروف المحيطة هنا أن نلجأ إلى الثواب المادى لعمل ذلك.

ففى الحقيقة أن هذا أسلوب مؤثر ويجعل الطفل يفعل مالا يود أن يفعله وبدون اعتراض أو شجار، ولكن بمنتهى الرضا، وذلك إذا كان الثواب مجزيًا.

إذن فالقضية ليست فى إمكانية استخدامه ولكن فى وقت استخدامه، فإن كان السلوك مهما.ولا نجد طريقًا آخر للتشجيع على فعله فليس هناك حرج من استخدام الثواب ولكن بالطريق الصحيح.

هذا ابن فى الثالثة من عمره، وقد اعتاد أن يكره الذهاب إلى دورة المياه حتى وهو فى أمس الحاجة لذلك ،ولن يذهب لمدة ساعات طويلة ثم يضطر إلى التبول فى ثيابه، إنه يعلم أن ذلك ما يؤديه، ولكن لن يفلح معه التشجيع أو النموذج أو الثناء لكى يقنعه. وفى آخر الأيام ومن دافع القلق تجاه موقفه ، قام الأب بتجهيز مفاجأة له إذا ذهب إلى دورة المياه، إن الطفل تردد للحظة ثم سأل ما هى المفاجأة [عندئذ علمت أنه وقع فى يدى] وبدأت تشغل تفكره، وفى اليوم التالى عندما سأل إذا ذهبت إلى دورة المياه هل يمكن أن أحصل على الهدية، وأكد الأب له ذلك وأظهرها له فعلا موضحًا سهولة أن يحصل عليها. ولكى يجعله يعتاد على ذلك وينقل إليه الإحساس بالراحة عندما يفعل ذلك فلم يتوقف الأب عن الثواب من أول مرة ولكن اشترى أربع أو خمس لعب ثمينة وأعطى له واحدة كل يوم طبعًا يهتم فيه بالذهاب إلى دورة المياه ثم بعد أن أصبح ذلك سهلا ومريحًا له. يقول الأب : بدأت أغير فى الأسلوب «سوف أقدم لك اللعبة غدًا أنا لا أملك واحدة الآن» ثم بدأ يؤخر الهدية لتكون كل ثلاثة أيام حتى تنتهى تمامًا [مع مراعاة

استخدام الثناء عند ذهابه كل مرة] إنه سوف يتوقف عن السؤال عن اللعبة وسيستمر فى الذهاب إلى دورة المياه بصورة طبيعية. يقول الأب : إن كل هذه العملية استغرقت حوالى أسبوعين [وكلفتنى خمس أو ست لعب] والآن قد انتهت إلى الأبد مشكلة ذهابه إلى دورة المياه. ويضيف الأب : أنا لم أكن أؤيد فكرة الدفع له بهدايا لكى يذهب إلى دورة المياه ولكن قلقى حيال هذا الموقف جعلنى أفعل ذلك وأسعد به لأنه وضح تأثيره وأصبح لدى سلاح استخدمه إذا أعيتنى الحيل [بدون إرغامه على ذلك أو مضايقته أو جعل الذهاب إلى دورة المياه عملية منفرة له].

والأهم من ذلك هو الثناء عليه بعد الذهاب إلى دورة المياه وبعد أن تنتهى عملية الثواب الأمر روتينى يكون من السهل الامتناع نهائيًا عن هذا الجزاء المادى.

ومن المعتاد أن هذا الثواب المادى ليس ضروريًا فيجب ألا أن يستخدم هذا الأسلوب ليصبح عادة عند الطفل ونستخدمه لكى نجعله يفعل أى شىء وكل شيء آنذاك سوف تجعله صعب الانقياد إذا لم تكافئه على تعاونه. ومع ذلك فإننا يجب أن نستخدم الثواب عندما لانجد شيئًا آخر غيره [عندما يعجز العقاب].

عاشرا : إعطاء الطفل حق الاختيار

عادة ما نرفض السلوك الاعتراضى أو الغاضب أو العدوانى إذا أعطينا الطفل حق الاختيار. إذا أردنا أن يرتدى الطفل قميصًا بكم طويل وقلنا له «ارتد هذا القميص» فإنه من المحتمل أن يعترض أو يتلكع أو يرفض، مع ذلك إذا قلنا «هل تريد ارتداء هذا القميص أو ذاك» فلن يكن هناك اعتراض لأن يختار. وبنفس الطريقة إذا أردنا الذهاب إلى السوق فلن نسأل الطفل إذا كان سيحضر معنا أو يجلس بمفرده فى المنزل، إنما نسأله إذا كان يريد أن يشترى بعض الحلوى أو يرفع عربة الشراء أو يركب فيها أو يحمل لنا المشتريات معاونا.

وإذا حان الوقت لغلق التلفزيون، يجب أن نسأله إذا كان يريد أن يغلقه هو بنفسه أو أن أغلقه أنا، فإن كان يرى هو فإن أمامه دقيقتين من الآن وهكذا.

هذا بالتأكيد لايمنع كل الاعتراض ولكنه يمنع كثيرًا منه، فإن الأطفال يحبون أن يتحكموا فى فعل الأشياء بأنفسهم ولايجب أن نجعل هذا سبب مشكلة.

الحياة الجيدة أنا لست متأكد ما هى، ولكنى أعلم أن كل الناس يريدون قدراً كبيراً منها، وإن ذلك له علاقة بالحرية والكرامة وإتاحة الفرصة والتعلم والتقدم ولكن صعب أن تعرف ذلك بالتحديد فكل حياتى وحياة طفلى جيدة؟ وكيف نستطيع أن نحسنها؟ إنك لايجب أن تعلم كيف تقيمه لكى تحصل على قدر أكبر من الحياة الجيدة. إن أفضل طريقة لفهم ماذا يفعل شخص آخر هو أن تفعل ذلك معه، ولذلك أنا أعيش [يوم من الحياة مع طفلى]. وكمثال [باسم] يبلغ من العمر سنتين لايستطيع الكلام حتى الآن أو فهم أكثر ما نقوله له وأيضًا قليل المشاركة الاجتماعية ولا يلعب بالطريقة الصحيحة التى يكون عليها الأطفال فى مثل سنه.

الأسرة أحضرت له كثيراً من اللعب ولكن معظمها كانت خاصة لأخيه الأكبر وفى الحقيقة لم يكن باسم يلعب بكثرة اللعب والقليل منها الذى كان يحبه محطم تمامًا الآن. باسم يفعل أشياء كثيرة غير صحيحة كإلقاء اللعب والصياح وضرب الناس، والآن لا يستطيع الكلام فلا أستطيع أنا أيضًا وإذا عوقب سأعاقب أنا وكل شىء يحدث له يزعجنى.

الحرص اليومى هو أقل ما يقال. وبسرعة من الواضح أن كل الحب والرعاية والاهتمام من الآباء لايزال يعطى مقداراً ضئيلا من وجوده فى حياة الطفل. وفى الصباح وأثناء لعبه مع أخيه لعبة السيف طعنه باسم وقد رأت والدته الطعنة الشديدة فقط فقامت بتوبيخه هو وأخيه ولم نستطع الدفاع عن أنفسنا تجاه عدم العدالة، فقط قمنا بإلقاء اللعبة والتشاجر بعضنا مع بعض، ولكن أمنا لم تفهم أن هذه ليست الطريقة الوحيدة للمخاطبة والتعبير عن خطئنا وربما ترك ذلك بعض الحقد.

هناك كثيرمن الناس مسئولون عن الأطفال خلال اليوم. الأم ـ الأب ـ الأقارب ـ جليسة الأطفال ـ الجيران. فسيجعلنا ذلك نشعر أننا لانعرف أحدًا منهم جيدًا ولانشعر بالقرب من شخص معين. وفى المساء عند مقابلة والدى باسم لمناقشة كيف تكون حياته جيدة وقررنا أن نبحث عن لعب ونشاطات مسلية تعنى شيئًا لماجد بدلا من اللعب القديمة التى كان يستعملها أخوه.

لقد قررنا أن يكون الأشخاص المسئولون عن ماجد محدودين جدًا طوال اليوم فذلك سوف يجعلهم يعرفون ويهتمون بعضهم ببعض، وقد قررنا أن نقضى

وقتًا أطول فى الحديث معهم موضحين لهم ما هى الكلمات والتعبيرات التى يمكن أن يستخدمها للتعبير عن حاجته.

إن الرسالة الموجهة هنا مهمة جدًا ومطبقة على كل طفل وكل والدين، ومن الممكن أن يحلوا محل أطفالهم ويتعايشوا مع مطالبهم طوال اليوم، وما الأشياء التى يستمتعون بها لتصل بهم إلى كيفية قضاء يوم سعيد، وبذلك نكون قد حققنا لكل منا الحياة الجيدة.

حادى عشر: تعلم الصفات الخلقية والقيم

نحن جميعًا نود أن يفرق أطفالنا بين الصواب والخطأ، ونحن نريد منهم أن يمارسوا المشاعر الحية والأمانة ومساعدة الآخرين، لكن كيف يمكن تعليم ذلك. التعليمات فقط ليست كافية فذلك التوضيح البسيط بين الخطأ والصواب ليس مؤثرًا، فمن الأفضل للطفل أن يوجه نحو الصفات الأدبية ويبقى فقط كيف يتعلمها.

عندما يبدأ الطفل فى كتابة حرف (A) لأول مرة يجب أن أقول له «هذا صواب إنك فى منتهى الذكاء» أنا لست أثنى عليه فقط، وليس هذا بمعنى أننى أشجعه أو أريد منه أن يفعل ذلك مرات عديدة، ولكن إنى فرحت بالتأكيد وأعطيت انطباعًا على أن الذكاء شىء جيد، وبعد استخدام تلك الكلمة مرات قليلة ستجد لها صدى فى نفسه بعد أن أقوم باستخدام نفس الكلمة فى مواقف أخرى مشابهة، . وبذلك أكون قد علمته إحدى القيم، وبنفس الطريقة يمكن أن أحدثه عن المشاركة والمساعدة.

إذا كنا نشجعه على سلوك معين ونثنى عليه وفى نفس الوقت نضع تعريف هذا السلوك فإنه سوف يحس تلك الكلمات ومعناها ويقدر فعلها، وبنفس الطريقة يمكن أن نعلم الطفل أنواع السلوك الذى لانود أن يفعله بتعريف هذا السلوك بدلا من التوبيخ وما شابه ذلك، وعلى سبيل المثال إن «والدة مازن اتصلت لتسأل عما إذا كان عندنا المضرب الخاص به لقد قلت لى يا خالد إنك قد وجدت هذا المضرب فى الشارع أهذا ما حدث حقًا، وإذا لم تقل لى الحقيقية فإن هذا [كذب] والكذب خطأ فادح والآن انصرف إلى غرفتك» ونحن نستطيع أن نفعل ذلك بالتعليق على

سلوك الطفل «انظر ماذا يفعل هذا الوالد إنه ينفخ فقاعات الهواء فى رأس ابنه قائلا : إن هذا معناه أن مازن سوف يظل حزينًا ووالدته غاضبة . . . .».

وبنفس الطريقة يمكن أن نعلم أطفالنا الكثير من الصواب والخطأ بملاحظة لأمثلة من تصرفات الأطفال الآخرين، فكلما كثرت الأمثلة ازداد فهمه للخطأ والصواب. بنفس الطريقة أيضًا يمكن تعليمه الفرق بين الرغبة فى الصداقة وعدم الرغبة فيها. وكذلك الأمانة والخيانة، وكذا الحنان والقسوة والحب والكراهية ومع أن هذه المفاهيم ستأخذ طريقها عبر السنين لكن لابد للطفل أن يتلقى مبادئها منذ الصغر.

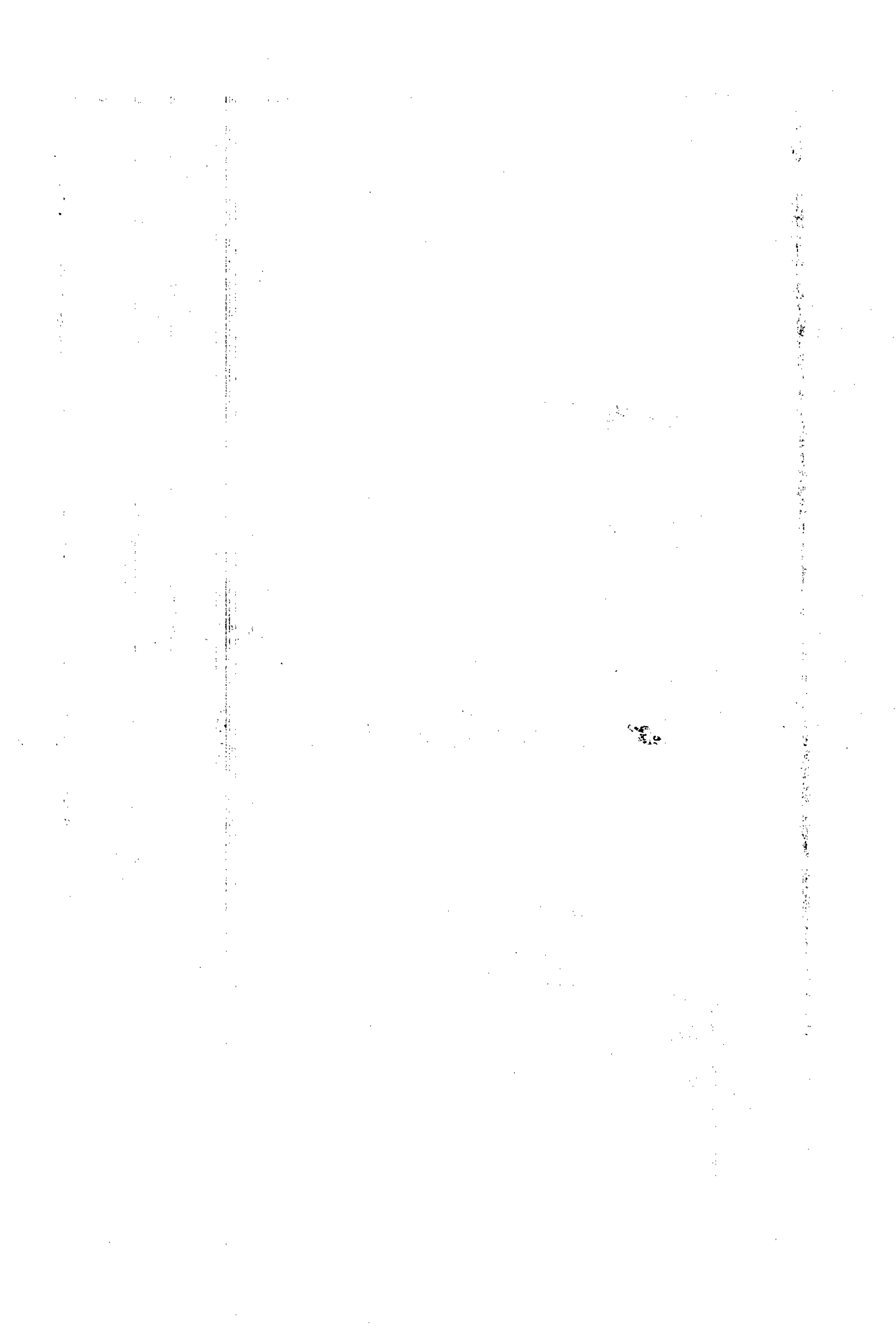
وواحد من أهم الأسلحة المستخدمة لتعليم الأدب والأخلاق والقيم طبعًا هو النموذج، فإن الطفل يميل إلى أن يتعلم طريقة تعبير وسلوك وشكل والديه، فإنه لن يفيد أن نقول للطفل أن القسم أو الحلف سيئ بينما كلامك كله يحتوى على الحلف واليمين، إن الطفل لن يعرف الخطأ من الصواب إذا قلت له لاتكذب ثم يسمع والدته تقول لشخص على التليفون أن والده مريض أو غير موجود بالمنزل بينما والده يجلس بجواره، إن الطفل لايستطيع أن يجرد كيف يعاكس سلوكناأو أمرنا وسوف يربكه ذلك. وقد يتعلم أن يعطى لنفسه بعض الاستثناءات فى القاعدة كلما احتاج، ولذلك فإن سلوك الآباء لابد أن يكون على وتيرة واحدة مع أوامرهم، وإذا لم يحدث ذلك واختلف السلوك عن الأمر أو العكس فلن يمكن للطفل أن يفرق بين الخطأ والصواب.



الفصل الثامن

دور الوالدين فى مواجهة مشكلات أطفالهم أثناء التنشئة





قبل الحديث عن الطباع المختلفة للأطفال، التى تشغل بال معظم الآباء يجب أن نقول لهم أن الأطفال يكتسبون كثيرًا من العادات والسلوكيات خلال الخمس أو الست سنوات الأولى من عمرهم، وهذا ليس غير طبيعى، بل سيكون هكذا إن لم يظهر علي هذا النحو، ولقد سمعنا جميعًا عن النشاط الشائع فى الأربع سنوات الأولى ثم فترة الاعتراض والغضب، التى تلى ذلك كتطور لسلوك الطفل، فلاضرر فى كل ذلك، أما مايستحق القلق فهو ما إذا استمرت أى فترة مدة طويلة، وفى هذا الجزء سوف نصف كل سلوك ومدى الوقت الطبيعى له وما إذا كان الوقت قد طال أم لا أو أصبحت هناك مشكلة أم لا. وسوف نتعرض بالذكر إلى اختلافات سلوك الطفل وكيفية التعامل معها بالطرق الفعالة.

البداية ستكون من مشاكل الطفولة المبكرة (مثل : البكاء، التغذية، النوم) ثم التطرق إلى الفترة من أربع إلى ست سنوات (مثل : عدم الاستجابة، والعدوانية، ومشاكل الكلام)، ثم نتتبع مراحل تطور سلوك الطفل تدريجيًا.

إذا كان اهتمامك ينصب على أفعال الطفل فتأكد أنك لن تتركه بمفرده وكما هو موضح بالجدول القادم الذى يبين قلق الأمهات بخصوص المشاكل الخاصة بسلوك الطفل نجد أن ٨٠٪ من الأمهات يهتمون بنقطة معينة وهى الغضب عند الأطفال الصغار و٦٠٪ من الأمهات يصيبهم الضيق بسبب عدم استجابة ومشاركة أبنائهم، واثنتين من كل ثلاث أمهات يشكين من متاعب النوم والكوابيس وصعوبة الذهاب إلى النوم والمشى أثناء النوم والضيق عندما يترك أحد الأبوين فراش نومهم .... إلخ.

وتقريبًا نصف نسبة الأمهات يهتممن بمدى النشاط الزائد Hyperactivity عند الأطفال وعدم مقدرتهم من على الجلوس فى سكون لبضع دقائق.

كما أن ٤٣٪ من الأمهات يقلقن على خوف الأطفال وتستمر الإحصائيات التى حسبت كما سيتضح فيما بعد على أطفال ابتداء من ٢١ شهر حتى ١١ سنة. هذه الإحصائيات لايجب أن تخيفك، بل على العكس إنها تظهر مدى شيوع هذه الحالات فى مراحل التطور الطبيعى، كما تظهر أن هناك صورًا من التطور يمكن لمعظم الأطفال أن يكبروا بدون الدخول فيها. ويجب أن تعلم أن السلوك الذى

أنت قلق بشـأنه يحدث بكثـرة عند الأطفـال ولن يجعلك تشـعر أن حـالة طفلك فريدة.

كثير من الآباء لديهم هذه النظرة (غير الحقيقية) لمثالية الطفل التى لايمكن أن يصل إليـها، لذلـك فإننا نلاحظ هذه الانـحرافـات عن المثـالية، والأرقـام التى فى الجدول القادم لاتعكس المؤشر الحقيقى لمشاكل الأطفال ولكن تمثل مدى قلق وفزع الأمهات وحساسيتهن تجـاه أدق الأمور، كما تخبرنا عن تطور الطفل كى نصبح فى النهاية واقـعيين وأقل حسـاسية تجاه حـيود الطفل عن المثالية، إننا يجب أن نـتذكر بينما يـكون الطفل فى حالة سلوكـية سيـئة فإنـه فى الحقيـقة يقع فى ذلك لفـترة بسيطة، ومعظم الوقت نكون مأثورين بتعبيرات الأطفال الممتعة، فكم من الممتع أن تشعـر أنك جعلتهم يـضحكون أو يقبلونك أو يحـتضنونك وكـيف تشع وجوههم مضيئة عندما ترتسم الابتسامة عند رؤية (الأم) أو (الأب) فجأة.

وهناك ملاحظة أخرى توجب الراحة مع الاسـتثناء لبعض الحالات، هى أن هذه الطباع الغريبـة للطفل لايجب أن تؤدى إلى سوء تصرفاته أو سلوكه فـيما بعد فالخوف ومشاكل النوم وصـعوبة الذهاب إلى دورة المياه، من المشكلات التى نراها فى الطفولة، ولايعنى أنها سـوف تستمر فيمـا بعد أو حتى سوف يصحبـها مشاكل أخرى اجتمـاعية أو عاطفية فى العـمل أو فى المدرسة، بل بالعكس إنها تقل بدون أى تدخل باستثناء النشاط الزائد الشـائع فى سن ٤ سنوات والذى يجب أن يختفى عند ست سنوات ونصف تقريبًـا، وأيضًا السلوك غيـر الاجتماعى مـثل الغضب - والعدوانـية - والاعتـراض، إنه بمرور الوقت يجب أن يخـتفى، وأحيـانًا يمكن أن يكون لها تأثير على النمـو وعلى كثير من العلاقات فى المدرسة وعـلاقات الصداقة والعلاقة الأسرية ... إلخ.

جدول (١)

يوضح النسب المئوية للأمهات المنزعجات تجاه المشاكل الخاصة بأطفالهن

السلوك المشكل	النسبة المئوية للأطفال
الغضب	٨٠
مشاكل النوم ـ الذهاب للنوم ـ الكوابيس ـ الأرق	٦٨
عدم الاستجابة	٦٠
النشاط الزائد	٤٩
الخوف	٤٣
صعوبة الذهاب لدورة المياه	٤٣
مشاكل التغذية	٣٧
عدم الارتياح	٣٠
مص الأصابع	٢٧
العض	١٦
الانتباه للمصدر	١٦
مشكلة التسنين (اللثة)	١٤
الحركات اللاإرادية واللزمات	١٢
المضغ (الاجترار) أو العض داخل الفم	١١
الخجل	أقل من ١٠
الحياء	أقل من ١٠
سرعة التهيج (الانفعال)	أقل من ١٠

أولا : مشكلات الأكل Eating Problems

وبالتأكيد سوف يكون الاهتمام الأول بطفلك بخصوص الطعام والأمر يبدأ فى اليوم الأول عندما نكون منتظرين بشغف كيف سيأخذ الطفل الثدى أو الزجاجة، وتتساءل الأم : «هل تأخذ الطفلة كفايتها» «هل الطفل يشرب كثيرًا». لماذا هذه الطفلة لاتأخذ الثدى ؟. وتحاول الأم التى ترفض ابنتها أن تأخذ ثديها جاهدة . . . وهنا تظهر العقبة الأولى. وتعاود الأم أسئلتها «هل هى تكرهنى» «هناك شيء خطأ بى» «يا إلهى ماذا سأفعل» حتى ولو شرحت الممرضة أو الصديقات أن هذا عام وأنها من الممكن أن تستغرق يومًا أو يومين، وأنه لا يوجد مخاطرة على الطفل، وأن هذا الموضوع بسيط لحين اتخاذ الوضع الصحيح لفم الطفل والثدى. وما هى إلا دقائق أو ساعات قليلة ويتخذ الرضيع الوضع الصحيح، وهكذا تشعر الأم بالفخر عند رعاية طفلها.

ولاتعجب فى أننا نسرف فى أحاسيسنا وعنايتنا وإشفاقنا على الإطعام للصغار وهذا الاهتمام سوف يستمر عبر السنوات، بالرغم من أن النتيجة ربما تتغير، إننا شغوفون بمعرفة دور الطعام فى مستوى النشاط، الصحة والرؤية، المزاج، هل الطفل يأكل كثيرًا أو لايأكل. هل هو سمين جدًا أو نحيف جدًا، مع إحاطته بالرعاية. ويعطى مجتمعنا رعاية بالغة بالطعام. وليس غريبًا أننا نعطى اهتمامًا مبكرًا لكبر أو صغر حجم أطفالنا وكم ونوعية ما يأكلونه.

وعندما يكون اهتمامنا الأول للإطعام خطوة للأمام يكون بالطبع به بعض التطرف وتبين الإحصاءات أن من ٨٠ ـ ٨٥٪ من الأطفال زائدى الوزن يستمرون زائدى الوزن حتى يصبحوا فى سن ١٢ سنة، وهناك تزايد فى مشكلات زيادة الوزن وعواقبها النفسية والاجتماعية على الأطفال.

وسوف نبدأ ببعض اهتمامات الوالدين بشأن الإطعام فى مرحلة الطفولة :

١ ـ مرحلة الإطعام خلال السنة الأولى :

يقوم الطفل فى مرحلة المهد بانعكاسات وضعية خاطئة. وتسيطر الانعكاسات عندما يلمس خد الطفل أى شيء، ويقلب الطفل فمه تجاهها. ونحن نذكرها هنا لأنها تساعد على تدارك أخطاء عامة تحدث فى الرضاعة الأساسية بالثدى. ففى

بعض الأوقات نجد الأم أو الممرضة تضع يدها على خـد الطفل لترشده تجاه الثدى (أو الزجاجة) وبالـطبع يدير الطفل رأسه وفمه ناحـية اليد وكأنها الـثدى تمامًا. فى الوقت الذى يجب أن يلمس الثدى خد الطفل، ويقـوى الانعكاس الخاطىء عندما يكون الطفل جائـعًا ويضعف عندمـا يكون غير جـائع، ولاتنس أنه من الممكن أن يكون الطفل كسولا نتيجة المسكنات التى تأخذها الأم أثناء الولادة التى تستغرق أيامًا عديدة، وهذا بالتـأكيد واحد من الأسـباب المفسـرة لماذا أطفال كثيـرون لايأخذون الثدى فورًا ؟ وانعكاسات الرضاعة تظهر جليًا فى الأطفال حديثى الولادة.

والأطفال حديثو الولادة يقـومون بمص أى شىء يوضع فى الفم ويبدو أنهم يستمتعون بالمص حتى عندما لايكون هناك طعام، ورغبة المص تبقى قوية لمدة ١٢ ـ ١٥ شـهـرًا وفى بعـض الأحـيـان من ٢ ـ ٣ سـنوات، يعـوضـهـا الثـدى، أو الزجـاجة، أو الأصابع.

والجوع، والشهـية تضعف أثناء السـبعة أو العشرة أيـام الأولى. ومؤشرات الجوع تكون منتظمة من اثنين إلى ثلاثة أسابيع من الـعمر، ويبدأ الطفل فى الجوع أكثر من العادة، ومع مرور أربعة أسـابيع يكون هناك انتظام للحاجة إلى الطعام كل ثلاث ساعات وهكذا.

وتقوى الشهيـة وخاصة بين أربعة إلى اثنى عشر أسـبوعًا. وهناك أيام يأخذ الطفل فيها أكثر مما يحتاج جسمه، وبانتظام مستمر وفى السنة الأولى من العمر يبدأ الجوع فى الانتظام، وعامة تتميز السنة الأولى بسرعة النمو وانتظام الصحة والشهية وفى السنة الثانية تبدو الشهية أكثر وضوحًا.

والإطعام بالثدى بعكس الـزجاجة، وتقترح أغلب البـحوث أن لبن الثدى هو الطعام المفـضل للأطفال. والأطفال الذيـن يرضعون بواسطة الثـدى لايعانون من مشاكل المعدة. فلبن الثدى يمدهم بمناعة من التلوث.

ومميزات الإطعام عن طريق الثدى ليست حقيقة بهذه العظمة، فلقد وجد أن ٣٧٪ من الرضع عن طريق الزجاجة يعانون من نفس الأشيـاء. ويعتبر التلوث عامًا فى السنة الأولى. وكل هذه التلوثات هى فى الحـقيقـة تعالج بسهـولة ومبكرًا عن طريق الطبيب وأحيانا الأم.

وبينما يعـتبر الإطعـام عن طريق الثدى مصـدرًا من مصادر الرضـا والراحة لبعض الأمـهات، يعـتبر مـشكلة بالنسبـة للبعض الآخـر. فربما يتسـرب اللبن عند

الإطعام وتبدو الملابس المبللة أو الفراش المبلل. وربما بعض الآباء يعترضون لأنهم يريدون أن يشاركوا فى إطعام الأطفال، وربما يؤلم الثدى الأم، أو يتورم وينتفخ وربما لاتستطيع الأم العاملة أن ترضع طفلها عن طريق الثدى، والأفظع أنها ربما تشعر أن «الأمومة» ربما تتعارض مع «المستقبل فى العمل».

وعموماً فالإطعام عن طريق الثدى أفضل كثيراً للأطفال من الإطعام عن طريق الزجاجة. ليس لأنه طبيعى فقط، بل لأنه مميز بكثير من المناعة ضد التلوث، وأقل ما يقال أن المزايا ليست غامرة وهى مستمرة فى التناقص، لأن الغذاء البديل للبن الأم يتحسن ويبقى العامل المقرر لذلك عاطفياً فى بعض الأسر.

ومع ذلك فالعائلات العاديات، ترى أن جمع الرضاعة الطبيعية والرضاعة الصناعية أفيد وأقنع أسلوب للرضاعة، فالأم يمكن أن ترضع إذا كان متاحاً لها أن تفعل ذلك، وقد يوضع لبن الثدى فى زجاجة للأب لإرضاع الطفل، وأيضاً قد يستخدم اللبن البديل عندما يكون الوقت قصيراً، وفى أى الحالات ليس هناك سبب للشعور بالذنب أو التأنيب، فالملايين من الأطفال يتم تبنيهم كل عام، والعديد من الأمهات قد لايستطعن طبيًا أن يرضعن بالثدى لسبب أو لآخر، ورغم ذلك فأبناؤهن من الأطفال يبدو عليهم النمو الصحى والسعادة مثلهم مثل الأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية.

ولاتدع أحدا يخبرك أن الصلة أو الارتباط يتناقص إذا لم يكن هناك رضاعة طبيعية، فمثل هذا الارتباط العاطفى يأتى إذا حمل أحد الطفل أو احتضنه أو غنى له أو أحبه أو هدهد له أو اعتنى به ناظراً فى عينيه بحب أثناء إطعامه، وهذا لايأتى من الثدى. وإذا كانت الرضاعة الطبيعية متاحة للأم فإنها لابد أن تتداخل مع الحب والرعاية وتلاقى العيون بالدفء.

٢ ـ بعض الخدع لتقديم الثدي:

العديد من الأطفال الرضع لايقبلون على الثدى بطريقة مباشرة. وفى إحدى الدراسات وجد أن ٤٠٪ من الأطفال حديثى الولادة يحتاجون إلى مساعدة كبيرة عندما يرضعون من الثدى لأنهم يصابون بالإرهاق ومن ثم عدم الاهتمام عندما يقدم لهم.

إن جوع الطفل قد يكون متأثراً بالمخدر الذى يعطى للأم أثناء المخاض. الذى قد يأخـذ وقتًا، ولذلك فـجوع الطفل قد يتـرتب عليه بعض الصعـوبات، مثل أن يحصل أو يحتفظ بالحلمة فى فمه وقد يأخـذ وقتًا حتى يجد وضعًا مريحًا لكل من الأم والطفل. ولهـذا إذا كـان لدى طفلك بعض مـشكلات الرضاعـة فى البـداية فاستريحى فهذاشائع جدًا.

وهناك بعض الأشياء يجب أن تقومى بها فى البداية.

أولا : بالطبع لابد أن تبحث الأم عن وضع مـريح. إن وضع الجلوس يبدو أكثر شـعبية بين الأمـهات، فجربى الجلوس علـى السرير مع وضع مخدات كـبيرة خلف الرأس والظهر. وضـعى وسادة فى حـجرك والطفل فوق الوسـادة وارفعى ركـبتـيك لكى تقـربى الطفل، وانحنى إلى الأمـام لكى تجـعلى الثدى أقـرب إلى الطفل، فـإذا فعلت ذلك عـدة مرات فسـتجـدين الوضع المحبب والمكان المـفضل للرضاعة.

ثانيًا : حـركى حلمة ثديك ناحـية فم الطفل ولكن احـذرى أن تلمس يدك خده أثناء ذلك حتى لايتجه فمه إلى يدك تاركًا الحلمة.

ثالثـا : قد يكون الأمـر محـبطًا للطفل حتى يتـعلم أنه لابد أن يأخـذ الجزء المحيط بالحلمة كله فى فمه، فقد تسـاعد الأم بأن تحرك الحلمة ببطء فى شفتيه إلى أعلى وإلى أسفل لكى تغيظ الطفل فيفتح فمه أكثر لتناول هذه المنطقة.

رابعًا : يمـكن للأم أن تجلب القليل من اللبن من ثديها وتضـع الثدى وهذه القطرات من اللبن بين شفاه الطفل. معظم اللبن سيزيد من اهتمام الطفل، وهكذا بالطبع سيركز الطفل على الثدى ومن هنا تظهر حاسة التذوق.

خامـسًا : ومن الإحبـاطات الشائعة للأطفـال حديثى الولادة أثناء الرضـاعة الطبيـعيـة، أن الطفل لايستطيع التنفس لأن أنـفه يدفن فى الثدى. ولـذلك فإنك تستطيعين أن تضغطى على الثدى لإبعاده عن أنف الطـفل، أو تقربى ساقيه فيأخذ الطفل وضعًا يعطى أنفـه الحرية، وأخيرًا فى بعض الأحيـان لايستطيع الطفل أخذ الثدى إلى فمـه لكون الثدى ممتلئًا وصلبًا فعلى الأم نقـل أو تفريغ بعض اللبن قبل إطعام الطفل.

٣ ـ الفطام Weaning from the breast

فى أمـريكا الشمـالية هـناك عادة فطام الطفل من الـثدى فـيمـا بين الشهـر السادس والثـامن، فالفطام المبكر عـادة يمثل صـعوبات بالنسبـة للطفل. ومع هذا فالفطام المتأخر فى أثناء الستة أشهر الثانية من النمو قد يسبب بعض الصعوبات مثل التعود على الأكل وفقدان الوزن والجـفاف. إن أفضل طريقة لمنع هذه المشاكل هى فطامه بعد حولين أو تبادل الثدى بالزجـاجة أو بأى طريقة للإطعام فى أثناء الأربعة أشهر الأولى من العـمر فقط، لكى يتعود الطفل علـى هذه الوسائل. وفى معظم التـوصيـات يجب أن تبـدأ هذا عندمـا أن يبلغ الطفل شـهـرين. إذًا مـهدى كـأم لاستـخدام الزجاجة، وعـودى الطفل على تناولها مبكرًا فـلن يكون هناك مشكلة عندما تقررين فـطام الطفل من الثدى. على الأم أن تفعل هذا متى تشـاء من عمر الطفل تدريجيًا لإحلال وجبته من الثدى بالزجاجة أو الطعام.

إذا لم يتناول الطفل الزجاجة مـباشرة جربى عددًا من الحلمات فـالكثير من الأطفال لايحبـون حجمًا واحدًا معـينًا. بالإضافة إلى هذا افحصى الفتـحات حتى ترى تدفق اللبن منها سريعًا جدًا أو بطيئًا جدًا، ويكون هذا حقيقيًا خاصة للأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية، وإذا كانت فتحة الزجاجة ضيقة فقد يتضايق الطفل بالطبع لأنه سـيظل جـائعًا. ونسـتطيع أن نعـوض هذا بوضع اللبن فى كـوب مع الأطفال الأكبر، وعمومًا من المـمكن وضع لبن الثدى فى زجاجة حتى نستطيع أن نعود الطفـل على الرضاعة بواسطة الـزجاجة. وفى الأطفـال فوق التـسعة أشـهر يكون من الأفضل أن ندعهم يمسكون الزجاجة أو الكوب.

٤ ـ متطلبات ضد برنامج التغذية

والوالدان اللذان يطعمان أطفالهما سـوف يجدان أن الطفل سيظهر برنامجًا (نظامـا) بطريقة أو بأخـرى، وهذا البرنامج ربما يبـدأ الساعـة ٨ صباحـًا فى يوم، والساعة ٥ صباحًا فى يوم آخر، إنه من الصـعب لتدبير أعمال المنزل أن تلتزم بهذا الروتين الذى يتغير كل يوم.

وفى الشهر الأول من العـمر فإن أغلب الأطفال سوف يـكونون برنامجًا لمدة ٤ ساعات، يبدأ فى نفس الوقت كل يوم ويكون هذا ملائمًا فى بيوت كثيرة.

ويجب على الفرد أن يضع فى ذهنه أن بعض الأطفال سوف يكونون غير سعداء بهذه الفترة الفاصلة، وربما يحتاجون وجبات صغيرة من وقت إلى آخر، ويجب أن يكون الوالدان مستعدين ليتكيفوا ويتغيروا عند الحاجة. وهناك مظهر آخر من المتطلبات ضد برنامج التغذية وكمية أكل الأطفال. فمعظم البحوث تقترح أن نتركهم يأكلون بقدر ما يريدون. فإطعام الأطفال عن طريق الثدى يمكن أن يتغير ويزداد فى أوقات مختلفة، ففى بعض الأوقات يأخذون ١٥ جرامًا، وفى وقت آخر اثنين وقية فقط. وباستخدام الثدى أو الزجاجة يجب ألا يحاول المرء الضغط على الطفل لأن شهيته سوف تتغير، وهذا أمر طبيعى جدًا. وإذا شعرت الأم برغبة الطفل للرضاعة كل ساعتين فمن المفيد استشارة الطبيب.

٥ ـ الأغذية الجامدة (الصلبة)

فى الشهور القليلة الأولى سوف يدفع الطفل لسانه للخارج تجاه الطعام الجامد، فى الشهور الثلاثة أو الأربعة التالية سيحدث تغيير فسيدخل اللسان الطعام داخل الفم وبالتدريج، إن هذا وقت مناسب لممارسات التذوق الأولى للأطعمة الجامدة. فالخضروات الطازجة واللحوم غالبًا ما تستخدم أولا، يتبعها الحبوب والجبن الأبيض وقطع الموز وفواكه أخرى وعصير مصفى، وغالبًا أى شىء يمكن أن يوضع فى مزيج، ويمكن أن يكون ذلك خلال وجبة المساء عندما تزيد فعالية الأطفال على الاندفاع والمرح، وعندما يقبل الطعام الخفيف مرة سيصبح بعد ذلك أى طعام خفيف (طرى أو لين) مقبولا لديه، والأطعمة الناعمة التى تتطلب مضغًا يمكن أن تقدم مبكرًا عن ٧ أو ٨ أشهر حتى ولو لم تظهر أى أسنان، فسوف يبلعها الطفل ويكون هذا تدريبًا جيدًا للمضغ.

وعندما يقبل الطفل هذا الأكل الخفيف فقد لايقبل الزجاجة كما كان، فمذاق الأطعمة الجامدة أفضل ومتعة اللعب بها أكثر، فالطفل يستطيع أن يلفظها أو يضعها على وجهه أو على شعره ويديرها بأصابعه، وقد يضرب الطبق ليرى الطعام يطير ويسقط على الأرض وهو مالا يستطيع أن يفعله بالزجاجة أو اللبن.

والأطفال الطبيعيون ما بين ٩ و ١٠ أشهر يضعون أى شىء فى أفواههم، ومن ١٠ أشهر إلى ٤ سنوات ستجد أعقاب السجائر وطلاء الأظافر والدواء وكلها

أشياء غير معروفة لهم أسفل الأغطية وتحت الوسائد، وهنا يجب على الوالدين أن يشرفوا على أبنائهم بصفة دائمة. بعد ٤ سنوات، لايُقدم الطفل على هذه الأفعال بعد ذلك لأنها يجب أن تتوقف، والخطر يكون جسيمًا إذا لعب الطفل بالعقاقير الطبية السامة، وهنا يصبح العقاب (الضرب) جزءًا من المعاملة.

وتنخفض الشهية وتصبح غير منتظمة فى السبعة إلى العشرة أيام الأولى، وربما يفقد المولود حديثًا ١٠٪ من وزنه فى الأسبوعين الأول والثانى، ويصبح الجوع متعلقًا بالحيوية، أما المرحلة ما بين السنة الأولى والخامسة فيكون النمو فيها بطيئًا حتى يصبح ٢ كيلو جرام زيادة فى وزنه كل عام، وقد تمر شهور بدون زيادة فى الوزن، ويحتاج الطفل طعامًا أقل وتقل شهيته ويزداد معها مخاوف وقلق الآباء، وقد تظهر بوضوح قدرتنا على عدم إطعام الطفل، ولكن لايوجد شىء خطأ فى ذلك، فاحتياج الجسم يصبح قليلا لأنه يكون بطىء النمو ويظهر ذلك فى أن الطفل يأكل ربما مرة واحدة فى اليوم، ولكن يعوض ذلك بأن يأكل كثيرًا خلال الوجبة. وإذا ازداد نقص وزن طفلك وشحوب لونه فإن الروشتة من الطبيب ستساعد على تهدئتك.

إن الإجبار على الأكل عادة يكون غير ضرورى وغير مؤثر، إلا إذا لاحظنا أن الطفل جوعان فعلا ويظهر هذا بتوقفه عن اللعب وظهور الجوع عليه فالأطفال يحبون اللعب ويكرهون أى شىء يعطلهم عن ذلك، فإذا استمرت فترة لعبه مدة وأخرته عن العشاء يجب تحذيره «يجب أن تأكل بعد ٥ دقائق» ثم إجباره على الطعام ونأخذ منه اللعب إذا استدعى الأمر ذلك.

٦ـ ماذا نفعل عند حدوث مشكلة فقد الشهية :

نادرًا ما يفقد الطفل ما دون الست سنوات شهيته، والطفل فاقد الشهية من الصعب إرضاعه ليتقبل الطعام، فهو يحب بعض الأطعمة ويرفض البعض الآخر وعندما يسبب ذلك فقد الوزن فهنا تبدأ المشكلة.

وكثير من الناس يشيرون إلى أن فقد الشهية ما هو إلا خوف حقيقى من الطعام، وغالبًا ما يبدأ عند الأطفال البالغين من العمر ١٢ سنة. وفى هذه الحالات النادرة يكون بسبب مرض ما، وهناك بعض الطرق التى تفتح شهية الطفل وتجعل

وقت الوجبة أكثر متعة، فإذا كان الطفل يكره نوعًا من الطعام فعلينا أن نبدله بنوع آخر لكى نجعل الطعام تجربة ممتعة بالنسبة له، فالبيئة المحيطة به ووقت تناول الطعام يجب أن يُشعراه بالسعادة كما يجب ألا يجبرالطفل على أكل جميع ما يوضع أمامه وتترك له الحرية فى اختيار طعامه، ثم من الأفضل ألا يناقش الآباء الأطعمة التى يكرهونها أمام الأطفال.

٧ـ شراهة الطعام :

واحد من كل خمسة يعانون من زيادة الوزن تقريبًا. ونجد ذلك فى النساء مرتين أكثر من الرجال. ويمثل هذا الخطر الأول على الصحة وغالبًا ما يبدأ فى الطفولة، ولقد أثبتت الأبحاث التى تتعلق بنمو الجسم أن وزن الجسم لايتعلق بكمية السعرات الحرارية التى يتناولها، ويجب أن نعرف ما هى الأسباب التى تؤدى إلى ذلك.

٨ ـ أسباب زيادة الوزن :

هناك عوامل عديدة لذلك، مثل الناحية النفسية والنشاط الجسمانى وعادات الطعام الموروثة، إن الوراثة تعطينا الحجم وبناء الجسم. والناحية النفسية تمدنا بالسرعة التى نأكل بها، والنشاط الجسمانى يحدد عدد وكمية السعرات المحترقة أثناء اليوم وعادات الطعام تحدد كمية المأكولات التى نتناولها ومتى نتناولها.

وفى الأطفال نجد أن شراهة الطعام لايزداد بها وزن الجسم فقط ولكن حجمه أيضًا، فكمية السعرات التى تسبب التخمة تزداد عندما يصل الطفل ١٢ سنة (وربما قبل ذلك) ولهذا فإن من الصعوبة أن يفقد (أو يكتسب) الطفل كمية كبيرة من الوزن بعد ١٢ سنة. إن ٨٠٪ من الأطفال المصابين بالتخمة يظلّون هكذا بعد أن يكبروا.

بعض الآباء يعتقدون اعتقادًا خاطئًا فى عدم أهمية مستوى نشاط الطفل، لأن التمرينات تستهلك قدرًا ضئيلا من الطاقة كما أن شهية الطفل تزيد كلما زاد نشاطه. وفى الحقيقة أن الطفل الزائد الوزن (من ٦ ـ ٨ سنوات) يعانى أيضًامن قلة الحركة مقارنة بالطفل ذى الحجم الطبيعى، كما أن تقليل مستوى نشاط الطفل لايقلل من كمية الطعام التى يتناولها الطفل الشره.

وبالطبع لابد من وجود مشكلات نفسيـة لدى الطفل السمين فهو دائمًا يرى فى نفسه قبح الشكل وعدم الصلاحية الاجتماعية، وعدم ملاءمته كصديق لأحد.

وفى النهايـة يجب أن نوضح أن عددًا ضئـيلا جدًا من الأطـفال يصبـحون سمانًا مالم يكن أحـد والديهم سمينًا، كما أن ١٠٪ من الأطفال المصـابين بالتخمة يكون والديهم من ذوى الحجم الطبيعى، وقد ترتفع إلى ٥٠٪ عندما يكون أحدهم سمـينًا، وتصل إلى ٨٠٪ إذا كان كلاهمـا سمينًا، وعلى أى حال نجـد أن القدوة والمثل للطفل فى الآباء يلعبان دورًا كبيرًا فى التحكم الغذائى لديه.

٩ـ متى تكون المشكلة ...؟!

لايجب أن يهتم الآباء بوزن أطفالهم إلا بعـد أربع أو خمس سنوات، فكثير من المواليد يبدون وكأنـهم زائدو الوزن، وينعكس ذلك بعد بلوغهم ثلاث أو أربع سنوات. ولقد أثبتت البحوث أن مشاكل الوزن المتعلقة بالطفولة تكون من الخامسة إلى السـابعة من العـمر، وفـى هذه الفتـرة يجب أن نضع أعـيننا على وزن الطفل ونزنه باستـمرار. فهناك دائمًـا وزن معين يعـتبر طبـيعيًـا، وقد يختلف ذلك طبـقًا لتكوين الطفل الجسمانى أى إذا كان عريض المنكبين مثلا.

وإذا كان الطـفل فى هذه السن أو أكبـر قليلا لايزيد وزنه عن الوزن المثـالى بنسبـة ٢٠٪ فيجب أن يـتعامل الآباء مع هذه المشكلة. كـما أن هذا يتـضح بشدة ويبدو مشكلة فى وزن الطفل بسـبب قلة مستوى نشاطه الملحوظ وتجـنبه لأصدقائه ربما بسبب الأسماء التى يطلقونها عليه.

كما يجب التأكيد على أنه من الخطر الانتظار حتى تتفاقم مشكلة زيادة الوزن التى تحدث نتيجة التغذية الجيدة وقلةالتمرينات الرياضية.

إن الإستراتيجية التى نتبعهـا تصلح للأطفال ابتداء من سن الخامسة. وأخيرًا يجب أن نشيـر إلى أنه من النادر أن يصبح الطفل سـمينًا بعـد سن الثانية عـشرة. لذلك فـإن الآباء يجب أن يشعـروا بالفـخر إذا اسـتطاعوا أن يحـافظوا على وزن طفلهم الطبيعى خلال تلك السنوات السبع (من سن الخامسة حتى الثانية عشرة).

وهناك أشياء يجب ألا نفعلها إذا كان الطفل لديه زيادة فى الوزن:

(١) يجب ألا نترك الطفل حتى يشتد جوعه.

(٢) يجب ألا نجعل من موضوع الطعام قضية أخلاقية فنقوم بلوم الطفل وإحراجه ونقوم بمراقبته باستمرار.

(٣) لانتوقع من الأطفال أن يفعلوا شيئًا لانفعله نحن. ولانتوقع أنهم سيرفضون غالبًا تناول نوع من أنواع الطعام نتناولها نحن الكبار.

(٤) لاتصبح متحمسا أكثر من اللازم، فإن هذا تغيير يعترض الطفل دائمًا.

(٥) يجب ألا يأتى ذكر استخدام فاتحات الشهية بتاتًا إذا لم يكن هناك مشكلة صحية تتعلق بالوزن.

(٦) أخيرًا فالتوبيخ ليس له تأثير على الوزن إطلاقا ولكنه يهدف إلى تحويل انتباه الطفل لما فيه مصلحته ويشعره بمسئوليته.

١٠ ـ كيفية تحاشى الزيادة فى وزن الطفل وكيفية معالجة ذلك :

من السهل علينا أن نتعامل مع عادات الطعام بالنسبة للأطفال، بعكس الكبار لأننا ببساطة يمكن أن نتحكم فى نوعية وكمية الأكل المقدم للطفل، ومع ذلك فإن الآباء الذين يعانون من السمنة نجدهم غير قادرين على ضبط النظام الغذائى لأطفالهم.

أولا : على الآباء أن يتفهموا أن وزن الطفل يجب أن يقاس خلال السنوات الأولى من العمر لتحاشى السمنة فيما بعد وليكون من السهل التحكم فيه.

ثانيًا : يجب على الآباء أن يتخلصوا من الحكمة القائلة «أن الطفل السمين هو الطفل السليم»، فكثير من العائلات يشجعون أطفالهم على إنهاء طعامهم، ويسعدهم أن يطلب الطفل زيادة من الطعام «هل تريد طبقًا آخر من الإسباجتى؟» إذن سأحضر لك بعض الحلوى «هل أملؤه لك مرة أخرى».

ثالثًا : يجب أن نتعامل مع الوجبات الخفيفة بحكمة، فليس هناك ضرر من تقديمها، ولكن يجب التأكد من نوعية ما نقدمه خلالها وتكون بسيطة مثل البطاطس المحمرة.

رابعًا : تخصيص مكان واحد للأكل (ليس أمام التلفزيون) فيمكن أن يأكل الطفل كل ما يريده ولكن على مائدة الطعام. بهذه الطريقة نجعل الطعام يتنافس مع الأفعال الأخرى المفضلة للطفل بدلا من أن يقوم الطفل بشيئين فى وقت واحد فقد يصبح هذا عادة عند الطفل. وقد تعنى مشاهدة التلفزيون إحضار أى شىء للأكل.

خامسًا : إن الأشخاص الزائدى الوزن غالبًا ما يكون أكلهم بسبب شعورهم بالسعادة أو بالحزن، إذن فالأكل بالنسبة لزائدى الوزن يرتبط بالحالة النفسية لديهم. نحن لاننقل هذا الشعور كمثال لأطفالنا فقط، ولكننا نفترض أن الطعام ساعدنا خلال الأوقات العصيبة، لذلك فنحن نقدم الطعام للطفل عندما يشعر بإحباط، ولا مانع من كوب من االليمون إذا تعرض الطفل للأذى من طفل آخر. إن الطعام يجب أن يقدم بانتظام ولايجب أن يعتمد على المزاج أو يقدم تبعًا لظروف نفسية فقد يتحول هذا إلى عادة من الصعب التخلص منها.

سادسًا : الأكل ببطء وبهدوء، وننتظر من الطفل أن يفعل نفس الشىء. فإذا ازدادت سرعة أكله أكثر من اللازم فإن الإشارات الفسيولوجية ستستغرق وقتًا أطول لكى تذهب من المعدة إلى المخ لتخبرك بأنك قد شبعت. لذلك فسوف تأكل طعامًا أكثر من احتياجك، ولن يستطيع المخ أن يخبرك أن معدتك قد امتلأت. فالجوع يظهر على هيئة تقلصات عضلية فى المعدة، وهذه التقلصات أو الانقباضات لاتهدأ بمجرد أن يوضع الطعام فى الفم، فالطعام لابد أن يعد للهضم وبعد دقائق سيؤثر على الجوع. والأكل ببطء يسمح للمعدة والمخ أن يستوعبا كمية الطعام الذى تم أكله بالفعل ومدى امتلاء المعدة.

سابعًا : لاتتسوق لشراء الطعام وأنت جائع، تسوق وأنت شبعان، وخاصة إذا كان معك طفلك. فإن كان كل منكما شبعان فلن يغريك وجود حلوى أو طعام مملح أو نشويات.

ثامنًا : اكتب قائمة للأطعمة التى تريد أن تشتريها قبل ذهابك للتسوق واشتر فقط ما كتب بالقائمة.

تاسعا : تأكد أن طفلك ينال بعض التمرينات الرياضية كل يوم. وهذا لايمثل مشكلة مع معظم الأطفال لأن اللعب مع الأطفال أو الذهاب إلى الروضة

«ما قبل المدرسة» يهتم بذلك جيدًا. ولكن الأطفال الزائدى الوزن قد لايشاركون وقد يصابون بالإرهاق بسهولة، وإذا كان الأمر هكذا، إذن فنحن الآباء والأمهات يجب أن نزيد للأطفال مهام رياضية فنستطيع مثلا أن نذهب للتريض مساء كل يوم بعد العمل مع طفلنا، ويمكن أن نذهب إلى السوق لمشاهدة المحلات أو التفرج عليها، ويمكن أن نقوم بتعليق سلة ونلعب كرة السلة معًا فى مكان مناسب، وبالطبع من الصعب حقيقة أن نجد طرقًا للتمرينات كل يوم، وأن نجد أنشطة يتمتع بها الطفل وأبواه معًا، . والمشكلة دائمًا تكون من ناحية الآباء الذين يكون من الصعب أخذهم من عملهم أو بعيدًا عن التلفزيون أو الكمبيوتر، فمفتاح التمرينات هو أن نؤدى شيئًا ممتعًا ولانقول أنك يجب أن تمشى ميلين مثلا. فالتمرينات يمكن أن تكون أبسط من ذلك بكثير بشرط أن تترك الطفل ينطلق. وعلى الآباء اكتشاف اللعبة المحببة لدى أطفالهم.

وهناك شيء أخير عن التمرينات، وهو أنه يجب عدم إجبار الطفل على القيام بها إذا كان متعبًا، أما الأطفال الزائدو الوزن فنجد أنه من الصعب عليهم أداء أى تمارين، لدرجة أنهم إذا بدءوا فى أى تمرين لايلبثون أن يشعروا بالتعب والإرهاق.

عاشرًا : وفى النهاية حين يحين وفت الوجبات، لاتستخدمى الطعام السريع لفترة طويلة لأنها عملية وسهلة، ولكن جهزى أطعمة أساسية (كالخضار والدجاج واللحم المشوى) فى طريقة لذيذة، لأنه ليس فقط الأطعمة السريعة هى اللذيذة، ولكن الأساس هنا هو تقديم طعام عادى بطعم لذيذ، وخاصة لمن يهتمون بالسعرات الحرارية الموجودة فى الأطعمة لأطفالهم.

وفى أثناء إعداد الوجبات لابد أن نهتم بالبروتينات ونجعل الطفل يتناول المناسب منها. ولا مانع من تقديم الأطعمة التى لايفضلها الطفل عندما يكون جائعًا.

ثانيا : البكاء ونوبات الغضب والانفعال

إن البكاء ونوبات الغضب غالبًا ما يكون لهـا سبب وجيه، لذلك فعلى الآباء أن يكون لهم رد فعل دائم تجاه ذلك فنحن نقفز مسرعين عندما نسمع بكاء الطفل لأن هذا يدل بالتأكيد على أن هناك شيئًا ما قد حدث ولابد لنا أن نساعده فورًا، فالاستجابة لصراخ الطفل شيء أساسى بالنسبة لنا، بسبب حبنا الكبير للطفل، ولكن بمرور الوقت قد يبكى الطفل لا لأنه فى حاجة إلى شيء ولكن لأنه قد يريد مكرونة أو فولا بدلا من الأرز، أو يريد أن يلعب مع والده مع أنه مشغول فى عمله.

إذن لابد أن يأتى وقت للآباء لكى يتجاهلوا صراخ الطفل. فتحاول الأم أن تجلس فى حجرة بعيدة قليلا وتترك الطفل يبكى قليلا لرغبته مثلا فى النوم معها وهذا سيكون اختبارًا لقدرة هذه الأم وصلابتها. فالطفل يبكى لأنه يعرف أن أمه أو أباه سوف يأتى، ولهذا إن لم يتحقق ذلك قد يزيد الطفل من بكائه وصراخه، وقد يبدأ فى فعل أشياء أخرى مثل رمى الأشياء على الأرض.

وإذا فشلت فى أن تقاوم بكاء الطفل فإن البكاء والصراخ سيكون حولك طوال اليوم وفى كل دقيقة. ولاعجب من أن الدراسات أثبتت أن ٨٠٪ من الآباء يهتمون ببكاء الطفل.

عند الأطفال حديثى الولادة يستغرق وقت البكاء من ساعة إلى ٤ ساعات يوميًا، وبالتأكيد يزداد أثناء الستة أسابيع الأولى من العمر وحتى الأسبوع الثامن لأنها فترة البكاء الطبيعى فالطفل يبكى لأنه جائع أو مبتل أو نائم فى وضع غير مريح... إلخ، وقد يبكى الطفل حوالى ١٢ مرة يوميًا مع العلم أن هناك فروقًا بين طفل وآخر.

فعندما يبكى الطفل لابد أن نقفز إليه ولانتجاهل بكاءه على الأقل فى السنة الأولى من عمره، وكلما حملنا الطفل واعتنينا به نقص بكاءه. فقد أثبتت الدراسات أن حمل الطفل أربع ساعات كحد أدنى ينقص بكاءه إلى النصف تقريبًا.

وبمرور الوقت يتناقص البكاء بعد شهرين أو ثلاثة من الولادة ويصبح حوالى ٤مرات يوميًا فقط. وبعد عام يبكى الطفل ليس لتعب جسمانى أو عضوى ولكن

الأكثرية تكون لأسباب بيئية، كرؤيته لأغراب فى ميعاد نومه أو لأنه يفضل أنواعًا معينة من الطعام. وفى السادسة من العمر نجد أن ١٨٪ فقط من الأطفال يكون أكثر من مرتين أو ثلاث كل أسبوع.

وبينما يتناقص البكاء فإن نوبات الغضب تبدأ فى الظهور حتى قبل أن يبلغ ثمانية أشهر من العمر، رغم أنه فى هذه السن قد يكون البكاء مناسبًا وذا قيمة، فهو يحدث عندما يكون الطفل قد ناله أذى، مثلما يكون خائفًا أو فى حاجة إلى شىء، أما نوبات الانفعال فتبدأ كعامل جذب أعلى من البكاء، فقد يشنج الطفل جسمه ويحبس أنفاسه أو يضرب رجليه فى الأرض ويتطور الانفعال فيقوم بإلقاء الأشياء والضرب أو الوقوع على الأرض.

ونوبات الغضب بالتحديد هى محاولة الطفل لأن يجد وسيلة أو مخرجًا، ويقوم بها كل الأطفال، ورغم هذا فإنه قد يأخذ أشكالا متعددة مع أطفال مختلفين، وهو طبيعى جدًا وشائع. ومع كل فإننا فى العام الأول نقفز مع أقل صرخة بل وقد نقفز لمجرد تخيلنا سماع صرخة من الطفل.

فالطفل فى أول عمره يتعامل معاملة خاصة من الآباء. فهم فى خدمته باستمرار. والأم تقدم الإفطار له فى السرير، وقبل حتى أن يطلبه يكون قد توافر، والطفل يتعود على هذه المعاملة الحسنة، وإذا وضعت نفسك مكانه فماذا ستفعل لو تعودت أن تقوم الخادمة بكل شىء لراحتك ثم فجأة تدق لها الجرس ولاتحضر لتلبى رغباتك، فإنك سوف تصرخ فى وجهها. هكذا الطفل يعتبر أنك العبد وهو السيد، وفى وقت ما لابد للطفل أن يتعلم أن هذه العبودية ستتلاشى وأنه لايمكن أن ينال كل ما يريد.

١ ـ متى يتحول البكاء والغضب إلى مشكلة ؟

إن البكاء والغضب شيئان طبيعيان عند كل طفل. وهذا السلوك لايكون شاذًا أو يمثل مشكلة، ولكن المسألة هى أنه لابد أن يتناقص بمرور الوقت. وتصبح نوبات الغضب مشكلة إذا لم يحدث هذا، وإذا استمر مدة أطول من اللازم. فإذا استمر الآباء فى تلبية طلبات أطفالهم عند أقل انفعال فإن نوبات الغضب لدى الطفل سوف تزداد وسيصبح نموذجًا للطفل المتسلط، وسيظهر هذا أثناء تعامله مع

الآخرين (المدرسين والأغـراب أيضًا). وهذا ما يؤدى إلى عدة صعوبات ستواجه الطفل فى المدرسة. وسيقل تعلم الطفل لأى شيء عن التفاعلات الاجتماعية السوية مثل المشاركة،الأخذ والعطاء، والتعاون والاندماج مع الآخرين، أو حتى أسلوبه فى المطالبة بشيء.

والخلاصة أنك لاتستطيع أن تمنع انفعال الطفل، ولكن كيف نتعامل معه وكيف تعتزم داخليا على ألا تستمر فى تلبية رغباته؟ هذا هو ما سوف نتحدث عنه.

٢ ـ كيف نتعامل مع البكاء ونوبات الغضب والانفعال ؟

يجب ألا نقلق بسبب البكاء خلال العام الأول من عمر الطفل. ولكن بعد ذلك يجب أن نميز بين البكاء الحقيقى والبكاء الاستغلالى. فمعظم الآباء قادرون على أن يفرقوا بينهما فى نقطة ما أحيانًا فى الستة أشهر الأولى وأحيانًا بين ١٢، ١٥ شهرًا. وإذا كنت غير متأكد اذهب للطفل وتفحص إذا ما كان محتاجًا لأى شيء. أما إذا اتضح أن البكاء استغلالى فهناك العديد من الأشياء يجب القيام بها للتأكد من أن هذا لن يدوم طويلا :

(١) لابد أن نتأكد من أن نوبة الغضب لاتهدف لأن تكون وسيلة لتحقيق رغباته، وهذا يعنى طبعًا أنه لابد أن نعرف بالقطع لماذا تأتى نوبة انفعال الطفل. فإن عرفت أن الطفل يريد شيئًا كمشاهدة برنامج تليفزيونى، أو تناول حلوى أو أن يذهب إلى اللعب فلابد أن تتجاهله لأن تجاهل الطفل هنا سيكون مؤثرًا. فتجاهله يؤكد أنه لن يحصل على كل ما يريد وأن هذا الغضب لن يجدى أو يفيد.. ولكن من ناحية أخرى إذا كان الطفل يحاول تجنب شيء ما مثل أن يذهب إلى النوم أو يأكل بالمعلقة فإن تجاهله يكون أسوأ شيء يمكن فعله، فإذا تجاهلته فسيشعر أنه ليس مطالبًا بترتيب لعبه مثلا أو الذهاب إلى النوم فى وقت معين، وتكون هنا نوبات غضب الطفل ناجحة لأنه قد نال ما يريد.

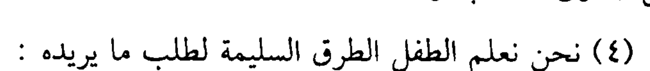
لاتستمع لأحد يقول لك أنه يجب تجاهل الطفل باستمرار عندما يغضب لأن هذا اقتراح شائع بين الآباء، فإن البحوث الحديثة توضح أن هذا خطأ، لأنها بشكل أو بآخر تبين للطفل أن نوبات الغضب قد تفيد أحيانًا.

أثناء الغضب يجب أن تتفاهم وتتناقش مع الطفل فيجب أن تحاول إقناعه مثلا بسبب عدم تناول الحلوى الآن، ولماذا لايمكن أن يشترى كل اللعب التى فى المتجر.

(٢) التقليل من الحوار أو المناقشة خلال الغضب :

لايجب أن نوضح أو نشرح خلال الغضب لماذا يجب ألا يأكل الحلوى الآن، كل الأطفال يتطلعون إلى الرعاية والاهتمام من آبائهم لكننا يجب ألا نجعل هذا هو السبب فى الغضب بحيث يصبح وسيلة للحصول على الاهتمام، إننا يمكن أن نناقش ونشرح لماذا يجب أن يذهب إلى الفراش الآن ولكن قبل أن تنتابه حالة الغضب.

(٣) عندما يحل بنا التعب ونكون فى حالة من الضيق والضغط العصبى فإننا قد نلبى طلب الطفل من أول سؤال هاربين من التعامل مع الغضب، لذلك سوف يتعلم الطفل جدوى الغضب وفائدة استخدامه.



(٤) نحن نعلم الطفل الطرق السليمة لطلب ما يريده :

إننا يجب أن نعلم الطفل كيف ومتى يشارك، يأخذ دوره، فإذا أراد لعبة يلعب بها طفل آخر فيجب أن يبدل معه لعبة أخرى مفضلة لديه ويجب تعليم هذا فى مواقف كثيرة ولاتترك الغضب يتسلل إلى طريقة عرض طلباته.

(٥) التطلع إلى الأشياء الجيدة التى يفعلها الطفل والثناء عليها. والتعامل مع الغضب يجب أن يبدأ من أول ملاحظتك لحدوثه، لكننا لانود أن تسوء العلاقة بيننا وبين أطفالنا، لذلك فإننا نبذل مجهودًا خاصًا لتحديد ما هى الأشياء الجميلة التى يفعلها الطفل ونثنى عليها، أما يمكن أن نقضى معه وقتًا أطول فى اللعب فبذلك يتعلم الطفل أنه ليس بالطفل السيىء. إنها مجرد لحظات يظهر فيها هذا

السلوك الذى لانحبه، وبهذا يكتسب الطفل الثقة ويسهل التعامل مع تلك المشكلة.

(٦) بينما يتم التعامل مع الغضب لايجب التطرق إلى أى مشكلة أخرى، فإذا غضب الطفل فى المتوسط مرة واحدة أو أكثر خلال اليوم فلاينبغى أن نحيّل بقية يومه إلى مضايقات وأحزان بتعليمه أشياء أخرى لايود فعلها مثل تدريبات التواليت أو روتين ما قبل النوم، فمن الممكن أن نبدأ فى هذا بعد التأكد من إحرازنا تقدمًا كبيراً فى مشكلة الغضب.

(٧) النكد والعار وإساءة التحكم يجب ألا يكون لهم مكان فى التعامل مع الغضب.

مثل هذه الأمور ليست مؤثرة بشدة ولكنها قد تعوق التقدير فى معالجة الغضب. لأنك بهذه الأمور تظهر للطفل كيفية تعاملك مع الناس الآخرين، كما أنك أيضًا تعلمه طرقًا جديدة للغضب بل وتشجع على فعل ذلك.

ثالثا : عادة مص الأصابع Thumbsucking

كثير من الآباء يهتمون بتلك المشكلة لدى أبنائهم. فحوالى واحد من كل تسعة آباء يشكون من هذه المشكلة، وقد تناول العديد من الكتاب هذه المشكلة واشاروا إلى أنها مرتبطة بأشياء متعددة فى حياة الطفل بداية من عدم إحساس الطفل بالآمان إلى ارتباطها بمشكلات الأسنان والفم.

ولكن بنظرة موضوعية سنجد أن عادة مص الأصابع لايوجد فيها ما يُقلق. فهى سوف تختفى تدريجيًا ومن تلقاء نفسها بدون ترك أى آثار جانبية، ويمكن أن نتعرف على هذه المشكلة وأحداثها ومعدلاتها وأسباب حدوثها خلال الأربعة أشهر الأولى من حياة الطفل. فإن عادة مص الأصابع هى الطريقة الوحيدة التى يشير بها الطفل إلى أنه فى حاجة إلى الطعام، وهى تستمر طوال السنة الأولى. ويمكننا القول بأن الأطفال يستمتعون بهذه العادة حتى إن لم تكن مرتبطة بحاجة الطفل إلى الطعام. فقد يقوم الطفل أحيانًا بامتصاص أصبعك أنت أو أى شىء آخر ولايعنيه إذا كان هذا الشىء لكبير أم صغير، لزجًا أم صلبًا، المهم هو أى شىء يكون قريبًا من فمه. وسوف يظل الفم هو المصدر السحرى لإسعاد الطفل طوال

حياته فقد اعتاد على تناول الأطعمة من خلاله وكذلك يقوم بقرض أظافره من خلاله.



وعادة ما تبدأ عادة مص الأصابع فى الشهور الأولى المبكرة من عمر الطفل، وأحيانا مع بداية مرحلة التسنين، وعادة مص الأصابع تبلغ ذروتها فى حوالى ١٨ ـ ٢٠ شهراً الأولى من عمر الطفل، وهناك نسب عالية تؤكد تكرارها والفترات الطويلة التى تستمر فيها. وبعض الأطفال قد يستمرون ساعات طويلة وأصابعهم داخل أفواههم سواء كانوا بمفردهم أو عند مشاهدتهم لأطفال آخرين وهم يلعبون.

والطبيعى أن تختفى هذه العادة فى العام الثانى أو الثالث، ولكننا قد نجدها تستمر حتى العام الخامس أو السادس. وحوالى ٢٩٪ من الأطفال تستمر هذه العادة بعد سن الثالثة. ولكن هناك حالات نادرة تستمر إلى عمر أكبر. وأحيانًا تكون عادة مص الأصابع مرتبطة بالنوم، فالعديد من الأطفال قد يقومون بهذه العادة عندما يرغبون فى النوم أو وهم نائمون بالفعل، والبعض يقول إن هذه الحالة ترتبط لدى الطفل بالتوتر وعدم الأمان ولكن كل هذه الأفكار ثبت عدم صحتها إلى حدما فى بعض البحوث..

١ ـ الآثار الجانبية لمشكلة مص الأصابع :

هناك العديد من المشكلات التى تسببها عادة مص الأصابع فهى قد تسبب عدم انتظام الأسنان أو تتسبب فى انتقال الأمراض المعدية إلى الطفل، وكذلك اضطرابات المعدة، وفى حالات نادرة تكون خلف ممارسة العادة السرية فيما بعد.

ولكن من الممكن تلاشى انتقال الأمراض والاضطرابات التى قد تحدث للمعدة عن طريق تنظيف الطفل بصفة مستمرة لمنع دخول أى أشياء ضارة إلى فمه.

وعادة امتصاص الأصابع تسبب تشويه شكل الفم، لأن الطفل يقوم بضغط قوى أثناء عملية المص، وهذا يؤدى أيضًا إلى تورم الإبهام كما أن هذا الإصبع يكون معرضًا للتلوث بسبب وضعه فى الفم وابتلاله.

وبما أن هذه العادة لاتستمر غالبًا لما فوق الثلاث سنوات، إذن فإنها لن تؤثر على الأسنان المستديمة، ولكن يكون لها تأثير على سقف الحلق والأسنان إذا استمرت لما بعد الثالثة. وفى هذه الحالة يمكن اللجوء إلى طبيب أسنان للحصول على النصائح المفيدة لحل هذه المشكلة وعلاجها.

وتصبح هذه العادة مشكلة وغير مرغوب فيها فى ثلاث حالات :

أولا : إذا استمرت إلى ما بعد سن السادسة.

ثانيًا : إذا أخبرنا الطبيب أن لها آثارًا جانبية على أسنان الطفل.

ثالثًا : إذا مارسها الطفل بعد العام الثالث بشكل مبالغ فيه لدرجة الاستغناء عن اللعب بسببها، عندئذ يجب التعامل معها كمشكلة.

٢ ـ كيفية التعامل مع مشكلة مص الأصابع :

الطريقة الشائعة للتعامل مع هذه المشكلة هى أن تنهى الطفل بقولك «لاتمص أصبعك» أو أن تشغل الطفل بشىء آخر كاللعب، ولكن هذا يتطلب أن ترافق الطفل كظله حتى تكون مستعدًا للإمساك بذراعه لمنع وصول أصبعه إلى فمه. ويجب أن يكون هذا برقة وبدون أى عنف أو صراخ، ولكن يكون هذا بمنتهى البساطة.

وهناك بديل آخر لذلك وهو أن نضع شيئًا ذا طعم منفر على أصبع الطفل ولكن هناك بعض المتخصصين يرفضون ذلك لأنه يكون قاسيًا جدًا وقد يؤدى إلى نتائج عكسية لدى الطفل، وقد يؤدى إلى غضب الطفل. ولكن من الممكن القيام بذلك عندما يكون الطفل نائمًا فهو لن يدرك أنك أنت الذى فعلت ذلك. وبهذه الطريقة سيجد الطفل أن طعم أصبعه منفر ولم يعد مصدر لذة له.

وهناك بديل ثالث لحل هذه المشكلة ينصح به أطباء الأسنان وهى خياطة كم الطفل لفترة من الوقت، أو نقوم بإلباسه قفازات بدون أصابع. وهذا الإجراء يؤتى نتائج جيدة إذا تم استخدامه فى المراحل الأولى من بداية هذه العادة.

وآخر إجراء يمكن القيام به هو أن نقوم بإغراء الطفل بالمكافآت، وفى البداية يمكن أن تقدم لـه هذه المكافأة بعد ١٥ دقيقة فقط لو أن الطفل توقف عن مص أصبعـه لهذه الفترة، وبالتدريج يمكن أن تصبح ٣٠ دقيقة ثم ساعة ثم ساعتين ... إلخ. وسوف يجد الطفل نفسه يُمنح بسخاء كلما زادت الفترة التى يمتنع فيها عن امتصاص أصبعه، ويمكن أن نقول للطفل «يمكنك مص أصبعك فى حجرتك فقط» فى الوقت الذى يهيأ له كثير من الوسائل الترفيهية خارج حجرته.

وينصح أطباء الأسنان بضرورة وضع شىء ما خلف الأسنان يمنع وصول إصبع الطفل إلى سقف الحلق. ويتم هذا الإجراء إذا استمرت تلك العادة إلى ما بعد سن الثامنة أو التاسعة من العمر.

رابعا : مشكلات الكلام Speech

يأخذ الكلام عند الأطفال فترة من الوقت حتى يتحسن، وفى خلال هذه الفترة يصدر منهم العديد من الأخطاء، فكل الأطفال فى بداية تعلمهم الكلام يتعلمون أثناء نطق الكلام فى بعض المواقف. وكذلك أحيانًا لايستطيع الطفل نطق بعض كلمات معينة ويتعلثم أثناء نطقها بدون وجود مواقف. ولكن مع الوقت سوف يتعلم الطفل الكلام. ويمكن القول بأن الأخطاء التى تصدر من الأطفال هى بداية الطريق للتحسن وتعلم اللغة العادية حيث إنهم مع الوقت ينضجون فسيولوجيا وعقليًا وعندئذ يبدءون فى التحسن وتتسع ثروتهم اللغوية. أن ما يقارب ٩٥٪ من أطفالنا لايمثل الكلام أى مشكلة لهم. فهم فى البداية يتعلمون

ويقهقهون وينطقون الكثير من الحروف بطريقة خطأ، فقد يتركون بعض المقاطع فى الكلمة التى ينطقونها، أى يمكن القول أنهم يقضون على اللغة أثناء نطقهم، ولكن فى الحقيقة هذه الأشياء تعتبر طبيعية لوصول الطفل إلى مرحلة التحسن والتمكن من اللغة. ويجب علينا أن نشجعهم على استخدام اللغة المهذبة بأن نقول لهم «عندما تريد شيئًا يجب أن تقول من فضلك». ويجب أن نعلمهم الكلمات الجيدة ونشجعهم على الحديث. وسوف نلقى نظرة على الصعوبات التى تقابل الطفل فى الكلام، وكل مشكلة سوف نتناولها بمفردها حتى نستطيع التمييز بين ما يمثل مشكلة أو لايمثل وكيفية التغلب على هذه الصعوبات.

١ ـ التهتهة Stuttering

هى تقطع أثناء الكلام يصدر من الفرد عند النطق، فالطفل ربما يتوقف عند كلمة واحدة ويكررها أكثر من مرة ولايستطيع نطقها، أو قد يتردد عند نطق كل كلمة، وكذلك لايستطيع نطق بعض الأحرف أو يكرر بعض الحروف أكثر من مرة بطريقة لافتة للنظر.

والتهتهة يمكن أن تزداد عندما يكون الطفل قلقًا، متعبًا، خائفًا أو واقعًا تحت ضغط أو اضطراب معين. ويمكن القول أن التهتهة تحدث بين العام الثانى والرابع من عمر الطفل وتزول بعد ذلك. فقد أوضحت بعض الدراسات التى أجريت على ٢٠٠ طفل من الأطفال الطبيعيين فيما بين الثانية والرابعة، أن كل واحد منهم تصدر عنه التهتهة عند نطق كلمة بها أربعة حروف، ومثال لذلك عند نطق كلمة «ماما» فهو يقول «م.م. ماما».

وبالرغم من أن هذا هو السلوك الشائع فى مرحلة الطفولة، فهناك حوالى ١٪ من الأطفال يستمرون فى عملية التهتهة إلى ما بعد سن العاشرة.

٢ ـ متى تصبح التهتهة مشكلة ؟

إن الأطفال ما بين العام الثانى والرابع يحبون استخدام الكلمات الجديدة لكى تنمو قدراتهم اللغوية. ففى سن ٣٦ شهرًا يكون متوسط عدد الكلمات المستخدمة لدى كل منهم حوالى ١٥٠٠٠ يوميًا، وهذه المرحلة تشبه انفجار السد. وفى نفس هذه المرحلة قد تكون التهتهة فى الكلمة المكونة من ٤ حروف، وقد

يكون هناك العديد من التكرارات فى الكلمة الواحدة بطريقة لايمكن قصدها. وهنا نجد أن الآباء لايلقون بالا ولا يعتبرون هذه مشكلة.

ويجب أن نضع فى الاعتبار أن التهتهة لايجب أن نعتبرها مشكلة إلا حينما يصل الطفل إلى عامه الخامس على الأقل، وتصدر منه فى هذه الفترة حوالى عشر أو ربما ١٠٠٠ تهتهة فى اليوم، وفى فترة ممتدة من الوقت (حوالى ٦ شهور متتابعة).

وقد تكون مشكلة التهتهة مقصورة على مواقف أو كلمات معينة أو أماكن أو أشخاص معينين، فعلى سبيل المثال: الطفل الخائف من المدرسة أو الذى يخاف المدرس، إنه قد يكون طليق اللسان فى معظم الأوقات ولكنه يبدأ فى التهتهة عندما يتعرض لمثل هذه المواقف.

٣ ـ كيفية التعامل مع مشكلة التهتهة:

يجب ألا نعطى التهتهة اهتمامًا كبيرًا وخاصة عند الأطفال الصغار، فذلك يجعل الأطفال أكثر ترددًا وقلقًا وخوفًا من حدوث التهتهة. فالطريقة المثلى للتعامل مع هذه المشكلة هى ألا نعطى اهتماما حتى يصل الطفل إلى العام الخامس. مع وجوب معرفة أنه ليس هناك علاقة بين التهتهة ودرجة ذكاء الطفل.

فالتهتهة لاتعنى بأى طريقة أن الطفل غير طبيعى أو أقل منزلة عن غيره من الأطفال، وإنى أؤكد على ذلك لا لنجعلك تشعر بالراحة، ولكن على أمل أن نجعلك لاتلفت نظر طفلك لحدة المشكلة، وإلا فسوف يتجه كل انتباهه لها، وذلك يجعل الطفل قلقًا وأكثر ترديدًا لكثير من الكلمات والتهتهة فيها مما يجعله يشعر بالدونية.

وسوف أعطى مثال لأوضح به كيف يحدث ذلك، فهناك حالة تخص طفلا يدعى «رضا» ويعد من الأطفال المتحدثين من الدرجة الأولى، وقد فاز فى العديد من مسابقات الكلام، ثم تم نقله إلى مدرسة أخرى وقد تم إجراء اختبار المقابلة له، وعندما تمت مقابلته بمن تجرى له الاختبار قالت له «إنك تتهته».

الطبيعى أن معظم الأطفال سوف يتلجلجون إذا قلت لهم «إنى أسجل لكم أحاديثكم» وخاصة إن هذا مهم جدًا وبمثابة تقييم لقدرتهم على التحدث. لهذا فإن رضا كان قلقًا كمعظم الأطفال، وقد أساءت هذه المعلمة المبتدئة توجيه الطفل الذى

كان متحدثًا لبقًا. ولسوء الحظ أن رضـا قد حفظ نصائح المعلمة عن ظهر قلب فقد قالت له : «تحدث ببطء لكى تدرك أخطاءك وتتحكم فيها».

وقبل بلوغ الطفل عامـه الخامس يجب أن نتركه يتهـته، و ٩٩٪من الأطفال سوف يجتـازون هذه المرحلة ببساطة، ولكن هذا لايعنى أننا يجـب ألا نتحدث إلى خبراء اللغة أو الأطباء النفسيـين بخصوص ذلك، فمساعدة الطفل يجب أن تتم فى مرحلة مبكرة لضمان نجاحها.

ولو أنه بعد العام الخامس وُجد أن التهتـهة مشكلة لاتزال قائمة، وإذا كانت هذه المشكلة مرتبطة بالمواقف المخـيفة والأحداث المحبطة أو كـانت مرتبطة بحروف أو كلمات معينة فيجب استشارة الأخصائى النفسى فى هذه الحالة.

أما آثار التهتـهة فهى سيئة، كأن يشعـر الطفل بعدم الطمأنينة فى المدرسة أو لايرغب فى المشاركة فى الأنشـطة المدرسية ويتجنب التحـدث إلى أى شخص منعا للحرج. ونتيجـة لذلك فهو يحرص على عدم تكوين صداقـات وربما يكون محبطًا بصورة دائمة. وقد تزول هذه الآثار كلما كان علاج المشكلة سريعًا.

إن إجراءات العلاج التى أثبتت نجـاحها فى الجدول القادم، ورغم ورود هذه النتائج فى كثـير من البحوث إلا أننا يجب ألا نطلع عليـها بمفردنا ولابد من تدخل الأخصائى النفسى لتوضيح هذه النتائج.

٤ ـ تأخير عملية الكلام :

العديد من الآباء يصبحون قلقين بشأن الـفترة التى يجب أن يبدأ فيها طفلهم فى الكلام. فالبعض يحاولون دفع أطفـالهم للتحدث مبكرًا، لأن هذا بالطبع يعنى لهم أن ابنهم يتـمتع بالذكاء ويطلبـون العون من الله إذا جاءت مـرحلة الكلام عند طفلهم متـأخرة فهـذا يعنى لهم أن طفلهم سيكون مـتخلفًا أوبلـيدًا، وبالطبع هذه الفكرة خـاطئة. والجـدول بعـد القادم يوضح العـديد من الأسـاسيـات فى تطور الكلام. ولكن فى الحقيقة أن هذه الأساسيات نسبية نوعًا ما، وقد تظهر عند بعض الأطفال مـبكرًا وقد تظهر على البعـض الآخر متأخـرة وهذا لايعنى أن الطفل حاد الذكاء وبطىء الفهم.

جدول (٢)

يوضح العلاج الأكثر شيوعًا لمشكلة التهتهة

(١) تأخير الاستماع للكلام المسترجع :	ويحدث عن طريق استرجاع حديث الفرد بالاستماع إليه عن طريق السماعات (الهدفون) وبذلك يمكن سماع الجمل الصحيحة بسرعة بطيئة وبتفسير نطق كل كلمة فذلك يمكن أن يعالج التهتهة بطريقة سريعة.
(٢) استخدام جهاز المترونوم Metronome :	فيمكن للطفل أن يتحدث أثناء ضربات هذا الجهاز. وهذا الجهاز يمكن من خلاله إعطاء مقياس كامل لعدد التهتهات التى تصدر من الأفراد، ويقيس مقدار الطلاقة فى التحدث.
(٣) المتابعة :	يمكن تجنب التهتهة عندما يسأل الفرد أن يعيد قطعة مقروءة بواسطة فرد آخر. فى هذه الحالة يمارس الحديث المطلق بطريقة طبيعية.
(٤) التحكم الذاتى :	هذه العملية تعتبر عملية جديدة نوعًا ما. ولكنها منتشرة فى التعامل مع التهتهة فيجب تعليم الطفل ما هى المواقف التى تؤدى إلى تهتهته. وبذلك فسيحاول الطفل التغلب على هذه المواقف والتعامل بهدوء مع التوتر المؤدى إلى التهتهة. فمثلا عليه أن يتوقف عن الكلام لمدة دقيقة ثم يلتقط أنفاسه ببطء وبعمق ويرتب الكلمات قبل النطق بها، معتنيًا بالكلمات الأولى فى الجمل. كما أن عليه أن يتحدث لفترات قصيرة. ويتدرب على ذلك فى مواقف مختلفة.

جدول (٣)

يوضح تطور الكلام عند الطفل

٣ ـ ٦ أشهر	* المناغاة ـ تعليم غالبية الأصوات المتحركة.
٦ ـ ٩ أشهر	* يمتلك ١٢ صوتًا ـ ويستخدم معظم الأصوات المتحركة وربما تقليد صوت أو صوتين.
١٤ ـ ١٥ شهرًا	* يمتلك ٣ كلمات. ويستعمل ١٨ صوتًا أو أكثر ويكرر الأصوات، ويقلد بسهولة.
٢٤ شهرًا	* يمتلك من ٢٥٠ إلى ٣٠٠ كلمة. يستعمل ٢٢ صوتًا مختلفة. ويستخدم حوالى ٧٥ كلمة فى الساعة أثناء اللعب الحر، ويستعمل من ٢ : ٣ جمل مثل (أنا أريد الطعام) ويستخدم بعض الضمائر.
٣٦ شهرًا	* يستعمل ٩٠٠ كلمة فى جمل بسيطة، يمكن أن يعيد رقمين أو ثلاثة من الذاكرة ويسأل أسئلة ويبدأ فى سرد قصص.
٤٨ شهرًا	* يستعمل ١٥٠٠ كلمة فى جمل بمعدل ٥ كلمات فى الجملة بمتوسط ٤٠٠ كلمة فى الساعة، يعد إلى ٣ ويسمى الألوان، ينسج قصصًا خيالية، والأسئلة تبلغ ذروتها، ويغنى الأغانى، ويعيد الأرقام من الذاكرة.

٥ ـ تعريف عملية تأخير الكلام :

كل هذه العمليات التى يقابلها الطفل أقل أهمية من مشاهدة الاتجاه العام فى التحسن فى عملية الكلام. ففى أثناء الخمسة عشر شهرًا الأولى يجب عليك ملاحظة الزيادة فى كمية الكلمات أو الأصوات المختلفة التى يستخدمها الطفل وفيما بين ١٥ ـ ٤٨ شهرًا يجب عليك أن تساعده فى اتساع عدد الكلمات وفى

طول الجمل التى يستعملها. سواء استخدم ٢٥ كلمة أو ٢٥ كلمة فى العامين الأولين من حياته. ولكن الذى يعنينا هو هل كلام الطفل يتحسن بمرور الوقت، هل هو يستخدم العديد والعديد من الأصوات من الكلمات أو يستخدم جملا أطول، فإذا وجدت الطفل يتحسن تدريجيًا عندئذ يجب ألا تقلق، فقط يمكن أن تقلق إلى حد ما عندما يبطىء هذا التقدم أو يتوقف لفترة طويلة من الزمن، فيجب أن تهتم بهذا الشأن لاحتمال تأخر مرحلة الكلام.

ووجهة النظر فى هذا الشأن أنه نادرًا ما يحدث تأخر فى مرحلة الكلام عند الأطفال. فقد أثبتت الدراسات أن حوالى ٩٩,٨٪ من الأطفال لن يتعرضوا للتأخر فى الكلام فحوالى اثنين من كل ألف طفل يتعرضون لذلك، وعادة الغالبية العظمى من الأطفال تتقدم بسرعة وإن تأخرت بعض الشهور ولكنهم سوف يتعلمون كيفية الكلام وسوف يصبحون طبيعيين بشتى المقاييس.

٦ ـ متى يصبح التأخر فى الكلام مشكلة :

بصفة عامة هناك ملحوظتان كبيرتان على تأخر مرحلة الكلام عند الطفل :

أولا : العملية الأساسية توضح أن مشكلة تأخر الكلام يجب أن تناقش عندما يبدأ الطفل فى استخدام الكلمات عامة، ولو أن الطفل لم يستخدم خمس كلمات على الأقل عندما يبلغ ٢٤ شهرًا. فيجب أن يبدأ برنامج تعليم الكلام.

ثانيا : لو أن الطفل مر بعام آخر دون كلام، فيجب عليك استشارة المتخصصن، فالعديد من الأطفال يبدءون فى استخدام أول كلماتهم ما بين ١٤ : ١٥ شهرًا. وفى سن سنتين يستخدم الأطفال الكلمات بانتظام.

وعمومًا : فإن بعض حالات تأخر الكلام تكون نادرة الحدوث، وغالبًا إذا بدأ الطفل فى ترديد بعض الكلمات فسوف يتخطى العقبة الأولى وسوف يستمر فى إحراز التقدم، وفى بعض الحالات قد نجد معدلات بطيئة من التقدم (على سبيل المثال عندما يكون هناك فقدان فى السمع أو إعاقة أى خلل فى المخ). أو قد يكون بسبب نقص فى القدرات اللغوية، وعلى أى حال لو أن الطفل بلغ ١٢ شهرًا بدون إحراز أى تقدم لغوى، فيجب اللجوء إلى الأخصائيين لطلب العون.

٧ ـ ماذا يجب عمله لجعل عملية الكلام عملية ناجحة تمامًا :

إنه من المهم أن تعرف أن (الطفل الوحيد) الذى ليس له إخوة أو أخوات والذى يأخذ الكثير من اهتمام الكبار ويحتك بهم، كثيراً مايصبح ماهرًا فى عملية الكلام.

وهناك بعض النماذج التى تعتبر بدون شك أشياء مهمة يمكن أن نزودك بها إن أفضل طريقة لتشجيع الطفل على الكلام هى التحدث الكثير معه أو أن نعطيه الفرصة لكى يتكلم، وبأصوات سهلة ومفهومة، ولكن نجد أن الطفل تحدث معظم الوقت بينما الآباء لايستمعون إليه (فهم يقولون أشياء أخرى ويتحدثون إلى أفراد آخرين). وقد يقاطعون الطفل قبل استكمال حديثه. أو قد يعطونه إجابات غير كافية لأسئلته، وذلك لأنهم قد يكونون ذاهبين إلى أماكن أخرى أو يفعلون أشياء أخرى، بالإضافة إلى أن الآباء قد يقدمون معظم الخدمات للطفل قبل أن يطلب ذلك. ربما لأنهم عادة ما يعلمون بما يفكر فيه الطفل أو ما يريده (مثال : يقولون له أنت جائع)، أو قد يعلمون أنه يريد مساعدة (فيقولون : أنا سأساعدك). ولكن نتيجة ذلك لاتتاح لديه الفرصة ليتكلم ليحصل على ما يريد، فكلامه يُتجاهل، والفرص التى يستطيع فيها الحديث قليلة (فلا تكون هناك فرصة لممارسة الكلمات أو التركيبات اللغوية الجديدة).

فلو أننا بدلا من ذلك استطعنا أن ندربه على النقاش كل يوم، ونستمع إليه ونعطيه الفرصة لاستكمال حديثه، ونترك له الفرصة لإلقاء الأسئلة، وننصت إلى ما يقوله الطفل، عندئذ سوف نمده بالكثير من الاهتمام لحديثه وإلى استخدامه نماذج جديدة من الكلمات، مما يعطيه الفرصة لممارسة التحدث والتدريب عليه. ويجب أن نمدح الطفل على أى نطق يصدر منه ونشجعه على وضع الكلمات فى جمل، وبهذه الطريقة فإننا لانقدم دوافع مطمئنة فقط للطفل ولكننا نساعده أيضًا على التقدم فى تشكيل وإخراج الجمل الجيدة.

ولو أن الطفل لم يستطع الكلام حتى عامه الثانى ففى هذه الحالة يمكن اعتبارها مشكلة، ولسوء الحظ فإن العديد من المتخصصين بالأطفال وعلماء النفس لم يتخذوا الموضوع بجدية، وقد يتأخرون فى ضوء هذه الحالات، ولاأستطيع أن

أحصى لك عدد الآباء الذين واجهوا هذه المشكلة وقد قيل لهم أن طفلهم لم يستطع تجنبها، وقد واجهوا التشخيص البشع بأن طفلهم سوف يكون معاقًا اجتماعيًا وربما عقليًا.

والحقيقة لو أن علماء الكلام بدءوا فى التعامل مع هذه المشكلة مبكرًا فسوف يمكن للطفل أن يتقدم ويصل إلى المرحلة الطبيعية، ولكن لو تأخرنا عامًا بعد هذه السن فسوف تصبح المشكلة حقيقية ولن نستطيع التغلب عليها.

خامسا: الخوف

معظم الأطفال لهم مخاوف كثيرة، وحوالى ٤٣٪ من الآباء يهتمون بهذه المشكلة لأن أولادهم يعانون منها. ولكن نجد أن معظم هذه المخاوف تختفى وتحل محلها مخاوف أخرى، وكلما كبر الطفل فإن خياله وتفكيره ينموان فتتولد مخاوف أخرى جديدة، وتختفى غيرها، ويبقى البعض منها.

فكلما نما الطفل يكتشف أن الكلب يمكن أن يعض ويؤذى، أو يمكن أن يتعثر فى الظلام ويقع، أو أنه لايمكن أن يتنفس تحت الماء، أو أنه يوجد مخلوق غريب بثلاثة عيون أو مصاص للدماء يأتى له فى حلمه.

ويبدو هذا قريبًا جدًا من الحقيقة عند الأطفال الصغار، وعندما يزداد نموهم أكثر يكتشفون مع ذلك أن الظلام لايحضر الوحوش ويزداد قربهم من الماء والحيوانات. ويبدأ الطفل فى تحديدما يجب أن يخاف منه. وبما أن الخوف مشترك عند الأطفال نجد أن (الفوبيا Phobia) ليست كذلك وهى أكثر بكثير من الخوف، والطفولة الطبيعية تتغلب على الخوف بمرور الوقت، أما إذا استمر الخوف أو ازداد فى القوة والرعب والهلع من ريشة تطير مثلا فهذه هى الفوبيا، ومع أن الفوبيا تكون نادرة فى الأطفال لكن متى تحدث لهم فهى تترك آثارًا جانبية. ومثال ذلك الطفل الذى يخاف من الماء ويرفض أن يشارك الأطفال ألعاب الماء بل ويرفض الاقتراب من حمام السباحة مما يجعله أضحوكة.

ومع ذلك (فالفوبيا) يسهل علاجها وخاصة فى الأطفال الصغار ومثال ذلك الطفل الذى زادت عنده تلك المشكلة بسبب المستشفيات والأطباء، فعندما وصل الطفل عمر ثلاث سنوات كسرت قدمه. وفى المستشفى كان يجب أن يمدوا قدمه

باستقـامه ليتأكدوا مـن سلامة العظام ثم تجبيـسها وهكذا. كل هذا كان مـفيدًا في الأسـابيع الأولى. وتقـول الأم : ولايمكن أن أنسى أول مـابدءوا في مـد قدمـه باستقامة. بعد أن رأته الممرضة في غـرفة الطوارئ، أخذته وتقدمت به قبل جميع المرضى المنتظرين منذ سـاعات (وعلمت حينئـذ أننا في مأزق)، وسـألنا الطبيب أن نمسك بذراعـيه لأسفـل جيدًا، وبدأ الـطبيب يشـد هنا ويضغط هناك بينمـا طفلي يتمـزق من الصراخ والألم. وكنت أعلم أنه لايوجد أي فـائدة من أن يري الدموع والعذاب على وجه أبيه. وتسـتكمل الأم حديثها : ومنذ ذلك الوقت وهذا الطفل أصبح مريضًا بالفوبيَا من الممرضات والأطباء والمستشفيات وغرف الطوارئ، وحتى هذه الملابس البـيضــاء. ولقد اعتـقدنا أننا لـن نستطيع أبدا التـغلب على هذا وكنا متأكدين أن مثل هذه العملية سوف تترك آثارًا من الخوف والرعب في نفسه. ولكن هذا لم يحـدث. وتلا ذلك كـثيـر من العـمليـات والعـلاقات مع الأطـباء خـارج المستشفى مع اختفاء الخوف.

وبعد أربعـة أشهـر من خروجنا كان لابـد من دخوله المستـشفى مـرة أخرى كرهًا. وذلك ليرى أمه وأخته المولودة الجديدة. ولكن عندما حان موعد عودتنا إلى المنزل كان في أشد الحزن لتركه أمه في هذه (المستشفى).

ولكننا وجـدنا أن هذه الحالة أصبـحت أزمة مع ضـيق في النفس عند ذهابنا مرة أخرى لتلك المستشفى لدرجـة أن اضطر الأطباء إلى إعطائه دواء ليساعده على التنفس.

١ ـ ما هو الخوف وما هي الفوبيا ؟

إن الطفل بصفة عامة يكون خائفًا من أي شيء فيبدي رد فعل انفعالي تجاهه ويحاول تجـنبه. كل الأطفـال تخاف من أشـياء وتظهـر عليهم صـور مختلـفة من الخـوف. الأطفال الرضع تظهـر عليهـم علامـات فزع مـثل أن يغمـضوا أعـينهم وينتصب قوامهم وظهرهم ويحتـمل أن يبكوا وذلك عند سماع صوت عالٍ أو رؤية ضوء مـفاجئ. أمـا الأطفال الأكـبر سنًا فـيظهرون ذلك بالخـجل والجبن أو البكاء والاختفاء وراء آبائهم.

مثل هذا الخوف يكون طبيعيًا ولا خوف على الأطفال من المرور بمثل هذه التجارب حتى يتفهموا هذه الأشياء التى تخيفهم، وهذا الخوف يتغير بمرور الوقت وكل خوف يجب أن يقلل من نفسه بالتدريج ويضمحل بمرور الوقت.

عند سن الثمانية أشهر يبدأ الخوف من الغرباء، ويظل هذا الخوف حتى يتم الطفل الثلاث سنوات، والطفل بعد هذا العمر إذا خاف من الغرباء ولايتحدث إليهم ولايقترب منهم مهما حاولنا فى وجود أبويه فهنا تكون المشكلة.

وإذا زاد الخوف بمرور الوقت يجب علينا أن نتيقن أننا أمام مشكلة أما إذا زاد الخوف بصورة كبيرة يصل إلى درجة الهلع فنسميه هنا (فوبيا).

وقد يسمى الخوف (فوبيا) عندما يخاف الطفل من موقف معين لايستدعى كل هذا الخوف أولا يستحق خوفًا على الإطلاق، كأن يسير الطفل بعيدًا عن طريقه بعمارتين ليتجنب المرور بجانب الكلب المربوط فى الحديقة أو خلف السور. هذا طبعًا غير معقول، أما إذا كان الكلب يجرى وراءه وهو يظهر له أسنانه فهذا الموقف يستحق الخوف فعلا.

كلنا نخاف ولكن معظم الناس لايمثل الخوف لهم أى مشكلة، فكلنا نخاف من الثعابين، والطائرات، والارتفاعات والعقارب وهذا كله بالطبع خوف طبيعى ولايتعارض مع حياتنا اليومية فيمكن للطفل أن يكون خائفًا من الثعابين لكن نادرًا ما يقابلها.

أحيانا يكون الخوف غير معقول، فالطفل يخاف من المدرسة جدا، ويرفض الذهاب ويجرى ويدعى المرض ويقف وحيدًا داخل المدرسة، وهناك طفل يخاف من القذارة والجراثيم ويقضى وقته فى الاغتسال بدلا من اللعب. وهناك طفل يخاف من المرض.

وإذا كان الخوف يزداد سوءًا بدلا من أن يقل بمرور الوقت فهنا نسمى هذا الخوف (فوبيا).

شىء طبيعى أن يكون الخوف داخل كل طفل. وقد تلقينا تقارير من الآباء نصفهم يشكو من أن أطفالهم عندهم عدة أنواع من الخوف فى مراحل الطفولة المبكرة وتستمر حتى سن ١٢ عامًا.

وفى مرحلة المهد (حتى سن ستة أشهر) يخاف الأطفال من أى صوت أو حركة مفاجئة. ثم بدءا من ٨ أشهر يتكون عند الأطفال الخوف من الناس، أما ما بين ٩ إلى ٢٤ شهرًا فإن الخوف الشائع يكون فى البعد عن الآباء، أو الاختفاء بالملابس، وفى هذه السن يبدأ انزعاج الطفل من الحفاضات المبللة أو غير الناعمة، ويبدأ الآباء فى وضعهم فى الفراش بينما هم لم يناموا بعد. وما بين ٢٤ ـ ٤٨ شهرًا يأتى خوف الأطفال من الأسباب التخيلية الوهمية أكبر من الأسباب الواقعية.

ومن أكثر أنواع الخوف شيوعًا هو الظلام والمخلوقات الوهمية والكلاب والوحدة ولاتندهش إذا رأيت الطفل يتخيل نفسه ذا ثلاث عيون أو يأخذ شكل مخلوق متوحش.

وخلال السنة الخامسة أو السادسة فإن الخوف الشائع يكون من المدرس، والمرض، والنار، والرعد، والبرق، والحشرات والقذارة.

وهناك أنواع كثيرة من الخوف تختفى بسرعة، وهناك أنواع أخرى قد تظل مع الطفل. لذلك يجب العلاج غير الآجل. ويتم نجاح عملية التداخل والتعامل مع مصدر الخوف بعناية فى أكثر من ٨٠٪ من الأطفال المصابين بالفوبيا. وكانت نتيجة العلاج طيبة جدًا.

٢ ـ لماذا تتطور هذه الأنواع من الخوف ؟

التجارب السابقة التى قام بها Pavlov أوضحت أن معظم الطرق لهذا التطور من خلال الاقتران. فمثلا إذا أعقبنا كل جرس يسمعه حيوان معين بصدمة كهربية، نجد أن الحيوان بعد فترة يفزع من صوت الجرس. وبنفس الطريقة إذا دأب الآباء على ترك أطفالهم فى الظلام فإن الطفل سيفزع بمجرد وضعه فى الفراش لأن هذا مصحوب دائمًا بتركه وحيدًا فى الظلام.

وهناك طرق أخرى لتطور حالات الخوف والفوبيا وبعضها يكون مزمنًا. وكما نتعلم القيم والأدب والمثل العليا من الآباء والأصدقاء فيمكن أيضًا تعلم الخوف عن طريقهم. فنحن نرى ونسمع ونقرأ عن الحوادث السيئة التى تحدث فى حمامات السباحة، فهناك من غرق أو أصيب أثناء اللعب، فالأطفال يرون ردود

أفعالنا تجاه هذه الأخبار ويلتقطون قلقنا من طريقة تحذيرنا الدائم لهم. فإذا رأى الطفل والدته تضع أصبع قدمها فى الماء ثم ترجع وهى ترتعش من الخوف قائلة «مش ممكن» فلن يسعى الطفل أبدًا بالقفز فى المياه.

والمطلوب هنا :

أولا : عدم مناقشة الحوادث المفزعة أمام الأطفال.

ثانيًا : عدم إظهار الخوف أمامهم من أى شىء على قدر المستطاع.

٣ ـ كيفية التعامل مع الخوف :

لكى نتعامل مع الخوف بالطريقة الصحيحة يجب أن نفرق بين نوعين من الخوف :

أولا : أن هناك نوعًا من الخوف يكون عارضًا ووقتيًا مثل الاستيقاظ على الكوابيس أثناء الليل.

ثانيًا : الخوف الذى يؤرقنا ويستمر معنا، فإن الخوف الذى يستمر ويزداد مع نمو الطفل سيكون له أسوأ الأثر على الطفل.

ففى الحالة الأولى : الخوف وقتى : يجب أن يكون رد فعلنا مريحًا للغاية ومهدئًا لروع الطفل، فإذا خاف الطفل من الكوابيس أو العواصف فإن هذا الخوف سيمر بسلام، لكن السؤال هنا: ماذا يجب أن نفعل فى هذه اللحظة ؟. فهذا ليس عذرًا للآباء أن يقولوا هنا «سوف يفهم إذا تركناه وشأنه» ومع أن هذا يكون منطقيًا لنا ويكون عكس ذلك بالنسبة للطفل فالطفل يكون خائفًا حقيقة. لذلك من الممكن أن نجلس مع الطفل ونحتضنه ونتكلم معه أو نقرأ له قصة مضحكة ومسلية.

أما النوع الآخر من الخوف فهناك أسلوب يتبع معه، يعتمد على تقسيم الخوف إلى أقسام والتغلب على كل جزء على حدة. فنبدأ بأقل المواقف وأخفها فزعًا للطفل حتى نصل تدريجيًا لأصعبها وأخطرها. وفى كل مرة نعطى العناية بالكلام والأحضان والتهدئة والتشجيع المستمر، فإذا كان الطفل عصبيًا إلى حد ما وهو على بعد عشرة أقدام من حمام السباحة فإننا نتوقف هنا ونبدأ فى الكلام ثم

اللعب بالعرائس واللعب حتى نشعر تمامًا أنه مستريح وفى حالته الطبيعية، ثم نكرر نفس ما حـدث من تهدئة إذا شـعرنا أنه بدأ فى الخوف ثانيـة عندما نقـترب خطوة أخرى، فى اتجاه حمام السباحة وهكذا فى كل خطوة. إن هذا سيأخذ مدة عشرين دقيـقة للطفل لكى يستـرجع هدوءه. لكن لابد ألا نتقـدم حتى يتم ذلك ولابد أن نسرف فـى التشجـيع خطوة بخطوة حـتى نصل إلى حافـة حمـام السباحـة، وهنا الخطوة الرئيسية، فنجلس على حافة الحمـام وندعوه إلى ذلك فإن قاوم فلا نرغمه بل نشـجعه بـوضع أقدامنا فى الميـاه ونضحك، ثم نضع اللعب إلـى آخره .... وخطوة بخطوة ننزل الحمام ونبدأ اللعب بالمياه ونظهـر له استمتاعنا بالمياه ونمسك به لينزل، وهكذا يستطيع الطفل التغلب على خـوفه الشـديد تجاه المياه. وبـالتدريج يتحول الطفل من رافـض رفضًا تاما لرؤية حمـام السباحة إلى طفل يتحـرق شوقًا للذهاب إلى الحمام والاستمتاع بالسباحة.

سـادسـا : سـلوك ضرب الرأس بـالحائط أو إصـابة الطفل لنفسه
Head-Banging and self-Injurous Behavior

قليل من الأشياء تدعـو للعجب، وأحيانًا الخوف لـكن ليس هناك أكثرمن أن نرى طفلا يضرب رأسه فى الحائط عـمدًا، نعم إن هذا شائع عند الأطفال فى مثل سنه، ولكن هذا يختلف عند رؤيته يحدث لطفلك أمـام عينيك، ومن المستحيل أن تصدق أن هذا يمكن أن يكون طبيـعيًا ولكنه فى الحقيقة طـبيعى، ومن الشائع أن يُحدث مثل هذه الجـروح لنفسه، ويحدث هذا فى السنتـين الأوليين من عمره ومع ذلك فإن ظهور هذا ليس فيه خطورة، ولكـن يصعب أن يحدث ذلك أمام عينيك، وعند معظم الأطفال نجد أن هذا يختفى بمرور الوقت.

إن سلوك جرح الطفل لنفسه لايعنى بالضرورة أن يؤذى الطفل نفسه، ولكن فى الحقيقـة إن هذا نادرًا ما يسبب أضرارًا، ولكن قد يؤذى نفسـه بالفعل إذا فعل ذلك بكثرة، والشىء المؤسف فى هذا السلوك للطفل نحسه أكثر عندما يصدم رأسه فى زاوية المكتب أو سور السلم أو الحائط أو الأرض أو فى ظهـر كرسى خشبى أو ذراعه، أو أن يعض إحـدى شفتيـه أو يكسر إحدى أسنانه، و يعض لسـانه مما قد يسبب له الالتهابات والإصابات.

وبالنسبة للأطفال حتى ١٨ شهراً فهذا يتكرر كثيراً وبتصميم قليل، أما الأطفال من سنتين إلى ٦ سنوات فقد يسبب هذا السلوك لهم مشاكل كبيرة، وهذا يحتاج للرعاية والاهتمام.

وغالبًا ما يظهر السلوك عند سن ١٢ شهراً، ويظل حتى سن سنتين، فقد يمكن أن يستمر هذا لأيام، أو لأسابيع، أو شهور، أو حتى سنة أو سنتين، فلا توجد قاعدة ثابتة له.

إن عملية كسر الأسنان تكون لدى ما نسبته ٥٦٪ من الأطفال، أما خبط الرأس أو العض أو الخربشة أو شد الشعر فهذا يحدث بنسبة تتراوح بين ٣٪ إلى ١٥٪ تحت سن سنتين، وهذا يكون للذكور أكثر من الإناث ثلاث أو أربع مرات، وعمومًافإن هناك فرصة كبيرة لحدوث هذا السلوك للطفل الطبيعي. وفى نفس الوقت إنه من النادر جدًا أن يسبب هذا السلوك أى جروح أو أذى للطفل تحت سن سنتين، وأن هذا يقل بالفعل حتى يتلاشى.

إن هذا السلوك يبدأ فى هذه السن الصغيرة ليكون ما يسمى بـ «الإثارة الذاتية Self-Stimulation» وهذا يعنى أن الطفل يثير نفسه ليفعل شيئًا أو يشعر بشيء يريد أن يكتشفه. ثم إن ضرب الرأس فى الحائط يُشبع هذه الرغبة القوية لديه، وذلك بالنسبة للحركة نفسها التى دائمًا ما تكون منتظمة وتعطى شعوراً بالسعادة لما يسمعه الطفل من أصوات تناظر ما يقوم بفعله.

بينما هذا الصوت قد يعطى شعوراً بالقلق غير مرغوب فيه لى ولك، لكن يجب أن نتذكر أننا نتحدث عن طفل لايستطيع أن يكتشف البيئة المحيطة به عند تركه بمفرده فى فراشه، فهناك وقت محدد للفراش أو لتركه بمفرده أثناء الليل. فبعد أن يمل الأطفال مص الأصابع والرفس بالأرجل ومتابعة الأشياء المتحركة فإنهم سيقدمون على فعل آخر كضرب الرأس فى الحائط أو الخربشة والعض.

ومن الملاحظ أن هؤلاء الأطفال نادرًا ما يقومون بضرب رأسهم عندما يحملهم أحد أو يلعب معهم، إن ضرب الرأس فى الحائط ليس صفة حميدة ولكن يبدو أنه شيء اعتاد الأطفال فعله عندما لايجدون أى شيء آخر يفعلونه. وفى الحقيقة أن هذا السلوك لايحدث بالدرجة الكافية التى قد تؤدى إلى الأذى، أما

السبب الثانى لهذا السلوك فهو جذب الانتباه. فإنه قد يحدث أولا بمحض الصدفة أو كجزء من انفعالات الغضب. وعندما يكون الطفل فى حالة من الضيق أو الجوع فيقوم بضرب يديه أو رأسه فى ظهر الكرسى، ولكن ماذا يحدث بعد ذلك؟ الأم ستسرع بإحضار الطعام ومحاولة التهدئة والتحدث برفق لتهدئ من روعه فسرعان ما يتعلم الطفل أن هناك شيئًا جميلا يحدث بعد ضرب رأسه، فإن ذلك يجعل من حوله يسرعون إليه، يتحدثون معه ويلعبون معه ويحتضنونه، ونتيجة ذلك أن الطفل قد يكرر هذا الفعل عندما يتأخر عليه الطعام أو عندما لايجد من يحتضنه.

١ ـ متى تكون المشكلة ؟

هناك على الأقل ٣ مواقف تحتاج إلى تدخل مع العلم أنهما نادراً ما تحدث:

١ ـ إذا استمر هذا السلوك بعد سن سنتين.

٢ ـ أن يستخدم هذا السلوك كلما أراد الطفل شيئًا فى نفس اللحظة (الطعام ـ اللعبة . . . إلخ).

٣ ـ عندما يكون هناك خطر على الطفل فى أى سن أو فى أى وقت، و مع ذلك فإن حدوث هذا لايستدعى القلق خلال أول سنتين من العمر.

٢ ـ مايجب أن نفعله :

إن رد فعلنا يجب أن يختلف تجاه هذه الحوادث، ففى حالة جرح الطفل نفسه بشكل منتظم من سن ٤ إلى ١٨ شهراً فإن هناك طريقتين من الاحتياطيات يمكن أن نتبعهما :

الأولى : نحمى الطفل من الأذى أو الخطر بحشو المقاعد والأسِّرة الصلبة ببطانة تمتص الصدمات، وبالنسبة للخربشة فنحرص على قص الأظافر دائمًا أو نلبسه قبعة على رأسه فى حالة شد الشعر.

الثانية : أن نحاول التقرب إلى الطفل دائمًا بحمله أو احتضانه أو النوم بجانبه أو هزه لينام حيث إن هذه العادة تتوقف تمامًا بهذا التقرب.

وإذا كان الطفل يضرب رأسه بغرض الانتباه أو لتنفيذ طلباته فإن ذلك يسبب مشكلة إلى حد ما فى حالة عدم توقف ذلك، وقد يستمر الطفل فى استخدامه

ليحصل على كل ما يريده (حلوى، لعب . . . إلخ) و يبتعد عن كل ما لايريده (النظافة ـ الذهاب إلى الفراش ـ تعاطى الدواء . . . إلخ). إن هذا يحدث غالبًا بعد سن ١٨ شهرًا لكن لابد أن يتوقف، وكلما كان أسرع كان أفضل.

كيف نستطيع أن نقول أن هذا نوع من التظاهر ؟ هناك الكثير لكى نقوله، فإذا حدث هذا كجزء من الغضب فإن ذلك يكون مصحوبًا بالرفس والصياح والسقوط على الأرض، وهذا عادة ما يكون تظاهرًا وتمثيلا. وإذا كنت تعلم أن الطفل يريد شيئًا كالطعام أو اللعب أو ما شابه ذلك فإن هذا من الخداع أيضًا، وإذا حدث هذا فقط عندما تترك الحجرة (وهذا يزعجه جدًا) وعندما يقطع العمل الممتع الذى كان يفعله، أو عندما لايستطيع أن يحصل على ما يريد، فكل هذا يعتبر من قبيل التظاهر. فإذا كثر حدوث ذلك وصاحبه صياح وصوت عالٍ وبكاء فإن هذا يعتبر تمثيلا أيضًا (تذكر أن الإثارة الذاتية لايصحبها أى بكاء أو صياح أو غضب، ولكنها تحدث بانتظام وبتكرار وبهدوء).

إنه من الشائع بين الأطفال أن يحاولوا إصابة أنفسهم ليحصلوا على ما يريدون، حتى ما بعد سن السنتين، ويكون هذا مؤقتًا فعلا إذا تعاملنا معه بالطريقة الصحيحة، ولكنه يكون مفزعا، فأحد الأطفال فى سن ٣ سنوات بدأ فى ضرب رأسه بشدة للخلف فى شىء وكان هذا هو المقعد واعتقدنا أنه ربما أن يكون نوعًا من اللعب ولكن بعد ذلك بدأ يضرب رأسه فى الحائط ثم الأرض ويفعل ذلك عندما يغضب أو عندما يريد أيًا من أبويه يلعب معه. وبتحليل نتائج البحوث حول كيفية التعامل مع هذا النوع من السلوك فقد أكدت جميعها نفس المفاهيم.

أولا : أن خطورة هذا السلوك لايمكن أن يكون سببًا فى تلبية رغبة الطفل.

ثانيًا : أن الطفل يجب أن يتعلم الطرق السليمة لكى يحصل على ما يريد.

ثالثًا : يجب أن نعمل مجهودًا خاصًا لكى نشبع نشاط الطفل باللعب معه وتعليمه ألعابًا جديدة ونقرأ له القصص، وأن نقضى معه وقتًا أكبر نشعره فيه بالمتعة، فإذا حدث هذا بتركيز واهتمام فإننا سوف نقلل من حدوث هذا السلوك.

إن الباحثين قد أضافوا بعضًا من العقاب إلى الخطة، وقد أثبت هذا نجاحه (مع حدوثه فى نفس الوقت الخطأ) والآن نعود إلى حديث خطوات التعامل مع أذى الطفل لنفسه بقليل من التفصيل.

إنه لشيء أساسي أن يتعلم الطفل أن ضربه لرأسه أو عضه ذراعه لن يفيده في شيء، وإذا قمت بتلبية رغبته إذا فعل ذلك فسوف يتعلم أن هذه الطريقة فعالة للحصول على ما يريد، وإذا استسلمنا لسلوكه يزداد الأمر سوءًا ونجعل من الصعب علاجه فيما بعد، وكما ناقشنا من قبل أن المهم هو أن نعرف لماذا يفعل الطفل ذلك لنتخلص منه، فإذاكان يريد لعبة يلعب بها أو أحد والديه يلعب معه، أو قطعة حلوى، أو مشاهدة التلفزيون،فوضع أيدينا على المشكلة يساعدنا في تعليمه الطريقة الصحيحة لطلبها ولانحاول ذلك بعد حدوث هذا السلوك مباشرة (لكي لايعتقد أنه في النهاية أيضًاوباستخدامه العض أو الخبط سيحصل على ما يريد) ولكن بعدها بحوالي ١٥ دقيقة نأخذه إلى حجرته ونعلمه أن يقول : «اللعبة من فضلك» وعندما يفعل ذلك نعطيها له (وهكذا بالنسبة للتلفزيون والحلوى)، وتتكرر العملية لأيام عديدة، والغرض هنا طبعا تعليمه طرق التعبير عن رغبته، ولا ننسى أن نعطيه ما يريد في كل مرة كي نجعله يشعر بنجاحه في ذلك، وعندما يعتاد على عمل ذلك بلطف وأدب نتوقف عن تلبية رغباته، فمثلا إذا أراد الطفل قطعة من الحلوى قبل الغذاء فنقول له: «حاضر ولكن بعد الغذاء» إنه الآن لم يقابل بالرفض ولكنه كوفيء بدبلوماسية قد يرحب بها كثير من الأطفال حتى لو رُفِض طلبه.

والشيء الثالث المهم في هذا الموضوع هو إشباعنا لطاقة الطفل ونشاطه عندما لايفعل هذا الفعل السيئ، إن ذلك سيساعدنا لأسباب عديدة. منها إذا كان عندنا كثير من الألعاب المسلية فسيقلل ذلك من هذا السلوك ربما يمنعه تمامًا لأن وقت اللعب والمتعة ينتهي إذا حدث الضرب للرأس أو شد للشعر أو خربشة في نفس الوقت، وإذا كان هناك مايشغله ويسلي به وقته كالألعاب أو الأصدقاء أو والديه. فلن يكون هناك سبب لكي يلجأ إلى هذا السلوك والتخلص منه سيكون أكثر سهولة، وفي الحالات النادرة عندما يؤذي الطفل نفسه بالفعل أو لم تفلح معه الطرق السابقة لتغيير هذا السلوك فإننا نضيف قليلا من التعديل إلى الخطة، وكما ناقشنا من قبل الصواب والخطأ في كيفية العقاب، كمثال أن التوبيخ القاسي قد يستخدم بجذب الطفل من كلتا ذراعيه والحملقة في عينيه وجعل وجهك ملاصقًا لوجهه وفي منتهى الصرامة قائلا بكل حزم «لا» وربما تضيف صفعة على يديه في حالة عض اليدين أو إصابة نفسه.

٣ ـ متى نطلب المساعدة ؟

إذا لم ينتـه هذا السلوك بعد سن الـسنتين وحـتى بعد اسـتخـدام العقـاب فللأسف لن يكون أمامك إلا استـشارة أخصائى نفسى، قـد يمكن مناقشة نظامك ومشكلتك معه. وما الخطأ وما الصواب الذى يحدث فى الخطة التى تتبعها وأفضل أن يكون الأخصائى من المتخصصين فى الأطفال.

سابعا :سلوك عدم الطاعة والاعتراض

Noncomploance and Oppostitional Behavior

إننى لا أستطيع أن أتخيل أن هـناك شيئًا يعكر الوالدين ويضايقـهم أكثر من عدم طاعـة أطفالهم لهم ، «خالد انتـظر لحظة . . حبيـبى خالد . . . . إنتظر . . خالد إنتظر عندك . . إنتظر حالا . . تعال هنا الآن».

ومع الأمر الثالث تقريبا تبدأ الأم فى الانفعال والتحرك، ومع الأمر السادس تركض وراء طفلها الذى قارب على أن يختفى قائلة «هذه المرة سوف أقتله»

هذا القول يبـدو مألوفا لأنه يحدث لكل منا (ولكنه غـير مقبـول) والطفولة مليئة بالطباع العادية وغير العادية.

تعد طاعـة الطفل هى المطلب الرئيسى للآباء، فـمعظم شكاوى الآباء تدور حول عدم طاعـة أطفالهم لهم، والفرصة هنا جيدة لكى نـعلم أنه عند نقطة معينة ستصبح مـشكلتك أنت أيضا، فالأطفال يتعلمون كـيف يمارسون هذه المهارة التى تحرك الناس خلفهم وتؤثر عليهم ومدى تأثير ذلك، ومعرفة إلى أى مدى يجب أن يفـعلوه، وتلك هى طبيـعة الأطفـال. . وإذا لم يكن هناك مفـر من عدم الطـاعة فـيجب ألا نرغم الطفل علـى ذلك، فلا يسـتحب أن يطيـع الطفل مـعظم الوقت لأننا بتقليل نسبة عـدم طاعته قد نجعله مطيعًا لأى شـخص (حتى الغرباء) ومنفذا لجميع الأوامر الصادرة له (حتى ممن هم فى مثل سنه). إننا لايجب أن نتمادى فى إرغام الطفل على الطاعة باستمرار، فقليل من عدم الطاعة يجب أن يحدث ولكن لابد أن يحتفظ الآباء بحقهم فى طاعة الطفل لهم إذا احتاجوا ذلك.

وإذا كانت الطاعة تعنى أن يفعل الطفل مايُطلب منه وعدم الطاعة تعنى عدم فعله ذلك يبقى الأمر أكثر تعقيدا عند التدخل الخاطئ. إننا نريد أن يبدأ الطفل فى التنفيذ بعد فترة معقولة، من ١٠ إلى ٢٠ ثانية مثلا ليس بعد ساعتين . كما أننا نفضل أن يكون الأمر مرة واحدة فقط، وبعض الآباء يتوقعون الاستجابة فى جميع المواقف كالطلبات، الأوامر، الأسئلة، الاقتراحات والتعليمات.

إن هذا سيكون غير منطقى حدوثه، ومع ذلك فإننا يجب أن نحصل على استجابة كاملة (١٠٠٪) للأوامر فلن تصبح أوامر إلا لأهميتها القصوى. ثم أننا يمكن أن نجعل بعضًا من عدم الطاعة (حرية رأى) فى حالة الاقتراحات مثل. «مارأيك لو لعبنا بالمكعبات» أو الأسئلة هل تريد أن تأكل الآن؟» أو فى حالة الطلبات «ممكن أن تحضر لى ساعتى من فضلك؟».

إذن فالمغالاة فى إجبار الطفل على الاستجابة لهذه الرغبات ليس فى مصلحة الطفل وإنما فى مصلحة الآباء فقط، وقد يؤثر على الطفل فيما بعد.

والملاحظة الأخيرة أننا نذكر الفرق بين عدم الطاعة والاعتراض لأنهما فى الحقيقة متشابهان جدا ويتم التعامل معهما بنفس الطريقة، فقط الاختلاف الوحيد هو أن عدم الطاعة عبارة عن عدم تنفيذ الطفل لطلباتك، أما السلوك الاعتراضى أكثر تطرفا فهو لن يقوم برفض طلباتك وإنما قد يقوم بعض أنفك أيضا أو عمل عكس ما قد تطلبه منه، إذن فالاعتراض هو حالة متطورة من حالات عدم الطاعة.

لقد وجد أن المعدل الطبيعى للطاعة من ٦٠٪ إلى ٨٠٪ (ولذلك فإن عدم الطاعة يكون معدله من ٢٠٪ إلى ٤٠٪) ولم تجد الدراسات أى اختلاف بين الأولاد والبنات، ولم يوجد أيضا أى اختلاف بين الآباء والأمهات تجاه عدم الطاعة.

إن الطاعة يجب أن تزداد بعد سن الخامسة إلى النقطة التى عندها يصبح عدم الطاعة ليس ذا أهمية . وبينما مستوى الطاعة خلال السنوات الثلاث الأولى من العمر لايدل على ماسوف يحدث فى السنوات التالية لكن الطاعة فى سن

الثالثــة إلى السادســة وجد أنها تتــعلق بالطاعة فــيما بعــد (أى من السادســة حتى الأربعين) وإضافة إلى ذلك فإن زيادة مستوى عــدم الطاعة من الثالثة حتى السادسة يعتبر من المشاكل السلوكية التى تؤثر على الطفل فيما بعد.

لقد توصلت الدراسات إلى أن هــناك علاقة بين عدم الطاعة وبقــية المشاكل السلوكية الأخرى، ومثال على ذلك فإن زيادة عــدم الطاعة دائما ماتكون مصحوبة بالغضب والبكاء.

والآباء لايثنون على الأطفال عند طاعتهم والنسبة التى تفعل ذلك لاتزيد عن ٣٠٪. فبعض الآباء يتوقعون مــجرد الطاعة من أطفالهم، وإن ذلك لايستحق أى ثناء خاص، أمــا البعض الآخــر فلا يلاحظون تلك الطاعــة بين كل هذا الكم من التعليمات الموجهة لأطفالــهم خلال اليوم أو حتى لم يخطر على بالهم مجرد الثناء عليهم.

وفى معظم الأحــيان تزداد الطاعــة بالرغم من غياب الثــناء، ولكن وجد أنه يجب على الآباء أن يستخدموا أسلوب الثناء على أطفالهم عند حدوث الطاعة مع أنه فى بعض الأحيان تقل الطاعة عند استخدام الآباء للثناء الزائد عن قيمة ماطلب تنفيذه.

وبعض الآباء لايمهلون أطفــالهم لكى يطيعوا ولايســاعدونهم فى ذلك عند إصدارهم الأوامــر أو خلال ثوان من الأمــر فهــذا خطأ. لأن ذلك يعلم الطفل أن هناك شخــصا سوف ينفــذ الأمر بدلا منه، والبعض الآخــر من الآباء يستخــدمون الصيــاح أو الغضب أو التهديد مع الأوامــر ليحصلوا على الطاعة. وقــد يصاحب ذلك عدد أكبر من الأوامر مما يؤدى إلى زيادة عدم الطاعة وسلبية فى رد الفعل.

وفى النهاية نجــد أن الآباء غالبا مــايتحملون أو يتــسامحون مع عــدم الطاعة حتى سن الخامســة لذلك نجد أنه بعد سن الخامسة يصبح الآباء أكــثر صرامة، ربما لأن سن دخول المدرسة قد حــان وتكون الأوامر والتعليمات المعقــدة والكثيرة التى يجب أن يبدأ بهــا فى المنزل. فلا يوجد شىء يجعل رفــاق الطفل والمدرس ينفرون منه أكثر من عدم الطاعة وعدم التعاون والمشاركة.

ومع كل ماقيل يبقى سؤال هام، لماذا لايستجيب الأطفال بصفة دائمة؟ إن هذا بالطبع سوف يقلل من قدر الاحترام والاهتمام والثناء عليهم من الأب والأم، وعدم الطاعة عادة ماتمدهم بالمساعدة. إن الإجابة هنا بسيطة جدا فعند معظم الأطفال روابط معينة تربطهم بوالديهم، والأطفال يتعلمون أنه من المهم أن ينصتوا والآباء بالفطرة يعتادون ويثنون على تحقيقهم ذلك، ويبدأ هذا من اليوم الذى تطعم فيه الأم ابنها الجائع. والأبناء يتعلمون بسرعة أن تنفيذ رغباتهم يكون عن طريق آبائهم ويعتمدون عليهم فى كل شىء، وبالتالى فليس من الحكمة أن يجعلوا آباءهم فى حالة من الضيق والغضب منهم ولكن هذا يحدث بطريقة أوتوماتيكية حيث يهتم الآباء ويعتنون بأبنائهم وفى المقابل ينصت الابن ويتعاون مع أبيه وهذا يدفعنا إلى أن نربط بين عدم الطاعة وبين التغير فى رد فعل الآباء أيضا.

١ ــ عدم استجابة الأطفال :

هناك ثلاثة أسباب رئيسية لعدم استجابة الطفل:

أولا: إذا كانوا يحبون مايفعلون ومنهمكين فى الاستمتاع به، ففى هذه اللحظة سوف يرفضون أن يقاطعهم أحد (مثال : عندما أنادى على الطفل «هيا إلى الغذاء» وهو مستغرق فى اللعب مع أصدقائه).

ثانيا: ربما كان الطفل لايحب مايطلب منه أن يفعله كالذهاب إلى الدكتور أو عيادة الأسنان أو الحمام أو النوم أو أخذ الدواء. كل هذه الأشياء مطالب شائعة يرفض الأطفال عامة الاستجابة لها.

ثالثا : أن يرى الطفل أعلى رد فعل من أبيه أو أمه لكى يستمتع بالنظر إلى عيونهم يتطاير منها الشرر، ويستمع إلى صوت الضغط على أسنانهم ومراقبتهم فى هذه الحالة من الضيق والغضب فقد يعطى هذا للطفل تعبيراً عن الاهتمام به.

إنه لمن الطبيعى ألا يستجيب الطفل فى اللحظة التى يسعد فيها بلعبة فقد يصل به الأمر إلى درجة من الغيظ أن يقول أبواه «هذا هو وقت الطعام اذهب إلى المائدة» فمن الطبيعى عندئذ أن يهمل الطفل هذا الأمر وينتظر ليرى ما سيحدث قائلا: «أرجوك دقيقة واحدة» أو «كلا أنا أريد اللعب» أو يكون ذهابه إلى المائدة

مصحوبا بالبكاء والصياح والرفس، فقد أصبح الآن تفضيل اللعب على الطعام هو مبعث السعادة لدى الأطفال، وسنبحث فيما بعد كيفية علاج ذلك.

إن لعدم الطاعة إستراتيجية واحـدة ليست أكثر ولا أقل، فإذا نجحت فسوف تستخدم بكثرة ويزداد مايصاحبها من الغضب والصياح والبكاء. والأدهى من ذلك هو أسباب عدم طاعة الطفل «أنا لست جائعًا» «أنا انتهيت من الإفطار متأخرا» «أنا لا أستطيع أن أخـرج فى الشمس فـهى تضايقنى» كل هذه الأسـباب التى يقـولها الطفل قد تجعلنا مترددين وفى حيرة ونتساءل إذا كنا نفعل الشىء الصحيح أم لا.

ومع ذلك فقد أوضح لنا باحث كبير هو Gerald Patterson أن الطفل يتعلم كيف يصـبح أكثر اعـتراضا وسلبـية بغرض إيقـاف أوامر والديه. والآباء بدورهم يصبحون أكثرا إجبارًا وتهديدا للطفل فى محاولة للقضاء على هذه السلبية ومن ثم فإن الطفل قد يزيد من صياحه لتقليل هذه الأوامر من قبل والديه.

وإذا استـسلم الآباء فإن الأطفـال سرعان مـا يتعلمـون أنه بالتصـميم على مايفعلون تجـاه المزيد من الأوامر ـ حتى عند استخدام العنف ـ فـسيكون الفوز من نصيبـهم. أما الآباء فقد يقعـون بسهولة فريسـة لهذه الحيل، وباختصـار فإن عدم الاستجابـة أمر طبيعى ومتوقع حـدوثه بأكثر من شكل ويصاحبه تصـرفات عديدة كالاعتراض والبكاء والغضب .. إلخ.

وليس المهم حدوث ذلك أم لا، ولكن المهم هو طول المدة التى يستمر الطفل خلالها فى اتباع تلك الإستراتيجية بنجاح للحصول على مايريده.

٢ ـ متى يكون ذلك مشكلة؟

بالنسبة للسنتين الأوليين من عمر الطفل فإن القلق لايساور علماء النفس أما من سن الثالثة إلى السادسة فقد يصـبح عدم الطاعة مشكلة إلى حدما، لأن الطفل يستـخدم طريقتـه ويعتاد عليـها فربما يحـصل على المزيد من الاهتمـام ورد الفعل المناسب.

هناك موقفان خلال الفترة من الثالثة إلى السادسة يظهر فيها بوضوح مشكلة عدم الطاعـة: الموقف الأول هو أن حدوث الطاعـة عند الطفل يكون بنسـبة ٦٠٪ إلى ٨٠٪ من الوقت فإذا كانت الاستجابة أقل من ذلك فيتحتم علينا فعل شىء.

والموقف الثانى أننا يجب أن نؤكد على الطاعة لأوامرنا، ولا يشترط ذلك فى الطلبات والاقتراحات أو الأسئلة، لأنه إذا لم ينصت الطفل فى حالة الضرورة أو الخطر فيجب أن نعلمه ذلك.

٣ ـ تعليم الطاعة :

عامة نحن بصدد تعليم ثلاثة أشياء:

أولا: الاستجابة المصحوبة بالتقدير والمكافأة والثناء.

ثانيا : عدم الطاعة ليست مشكلة.

ثالثا: فى حالة الأوامر يجب أن يستجيب الطفل دائما بدون تفكير.

وأيضا سوف نلقى النظر على سلوكنا الخاص، فيجب أن يكون الأمر ملزما ولا نستخدم الأسئلة والاقتراحات بين وقت وآخر عندما لايكون ذلك واجب التنفيذ. سوف نلقى الضوء بعناية على مانصدره من أوامر وتعليمات، هل نكثر من إصدارها؟ هل بعض مانأمر به لايهمنا إذا لم يستجب الطفل له، وماذا كنا نعنى من صدوره؟ هل نقوم بكثير من التصرفات السلبية مع ذلك ـ الغضب ـ الصياح . . إلخ. أو نعيد تكرار الأمر مرات عديدة؟ إذا كان هذا يحدث فنحن ببساطة يجب علينا الحد من ذلك فسوف لن يفيدنا على أى حال. وباختصار لايجب أن نقوم بإصدار الأوامر إذا لم يكن إصدارها مهمًا بدرجة كافية وإذا لم تهتم باستجابة الطفل للأمرفهذا سوف يكون تحت مسمى السؤال وليس الأمر.

مثلا: هل تود أن تأكل الآن؟ بدلا من «اذهب إلى المنضدة لتأكل» و«هل تحب أن تخرج معنا» بدلا من «ارتد لتخرج الآن» وهنا ندع للطفل الفرصة ليقول نعم أو لا.

والآن وبعد أن تعرضنا للأوامر ستتعرض معا للطرق التى يجب أن نتبعها لكى نعطى الطفل حرية الاختيار كلما أمكن ذلك، لأن هذا سوف يساعده على الاستعداد للتغيير فى الأسلوب بين الاختيار والأمر، فبدلا من أن نقول «حان وقت الغذاء اذهب لتأكل» يمكن أن تكون «هل تريد أن تأكل الآن أم بعد خمس دقائق؟ حسنا . فلنجعلها الساعة التاسعة» وعندما تدق الساعة التاسعة «الساعة

الآن التاسعة اذهب إلى المنضدة» إذا لم يستجب لهذا الأمر فيجب إعطاؤه إنذارا واحدا (واحدا فقط) . «إذا لم تذهب إلى السرير الآن ستحرم من قصة قبل النوم، والآن سوف أعد واحد ـ اثنين ـ ثلاثة» إذا لم يتراجع الطفل ويستجيب يتم حمله إلى الحجرة بدون نقاش وبدون قصص ويلقى فى الفراش.

إنك بدون شك عندما تحمله إلى الفراش سوف تقابل بعاصفة من الرفس والصياح ثم البكاء بشدة، وهذا سوف يحطم قلوبنا ونحن نسمعه ولكن الأمر الذى نعطيه أهم من هذا (وإلا ماكان يجب أن نفعله أساسا).

هناك أمور فرعية هامة تتعلق بهذا الموضوع:

أولا: لقد أنذرناه وهذا الإنذار مهم جدا فربما ينتج عنه استجابه مسبقة بدون الحاجة للبكاء والرفس والصياح، إنه يواجه الطفل بالحقيقة التى ستنتهى به فى النهاية إلى فعل الشىء كما يريده أبواه. إذن فبعد حمله مرات قليلة إلى الفراش رغما عنه سوف لايكون عليك إلا أن تعد فقط «واحد ـ اثنين» لتجد الطفل يترك مافى يديه وينفذ المطلوب.

أما الأمر الثانى المهم فى هذا الشأن فهو حمل الطفل إلى حجرة النوم (ثم يتبع ذلك إلقاؤه فى الفراش) هذا أساسى لأنه سيتعلم أنه لن يجدى أى سلوك اعتراضى لكى يؤخر أو يمنع الأمر من التنفيذ. فإذاحان وقت الذهاب إلى المدرسة فإننا نلبسه الجاكيت المدرسى ونأخذه من يده (أو حمله إذا استدعى الأمر) فيؤخذ الطفل إلى السيارة. وإذا كان هذا هو وقت الطعام فيؤخذ الطفل إلى المنضدة ويظل هناك حتى يأكل أى شىء (لاحظ أن شهية الطفل تقل عندما يكون غضبان) لكن على الأقل يجب أن يأكل أى شىء لمجرد تعليمه أن الاعتراض لن يخدم غرضه بالامتناع عن الأكل.

الأمر الثالث المتعلق بهذا المثل هو أن تقول للطفل أنك لن تقرأ له قصة قبل النوم إذا لم يذهب إلى الفراش. إن الطفل يجب أن يتعلم أن هناك ثمنًا يدفع لعدم استجابته ولكن لابد أن يكون هذا الثمن حقيقيًا فإذا لم تكن قراءة قصص قبل النوم جزءًا من الروتين الذى يتبع عند الذهاب للنوم فسوف لايشكل هذا خسارة للطفل أن يفقدها، وفى هذه الحالة يجب البحث عن ثمن آخر، مثلا لن ينام الدب البنى المفضل لديه بجواره أو أى لعبة يحبها.

إن الأنواع الأخرى من عدم الاستجابة تعامل بنفس الطريقة . إن ابنى يفرغ الصندوق تلو الآخر من اللعب على الأرض ولايتعب نفسه بتنظيف المكان. فنحن نطلب منه أن ينظف مكان الصندوق الأول قبل أن يبدأ باللعب بالصندوق الآخر. بالطبع لن نلجأ لأن نقول أننا سنحرمه من قصة قبل النوم لأن ذلك سيكون معيبا ومتأخرا جدا. فنحن نريد شيئًا لحظيًا سريعًا فيمكن أن نقول له: «إذا لم تلم المكعبات فلن تلعب بالبلى» فلنفعل ذلك مرتين أو ثلاثا وفى كل مرة نصر على تنظيف المكان أولا ولامانع لو أننا قمنا بمساعدته أو نأخذ منه كل اللعب لمدة عشر دقائق لكى يتأكد من جدية هذا التهديد.

عند حدوث عدم الاستجابة فليس هناك وقت للشرح والتهدئة أو حتى المناقشة فإن الطفل يريد ذلك بغرض زيادة فى الاهتمام والانتباه له بأى طريقة لكن الرسالة الموجهة له يجب أن تكون واضحة وصريحة.

شيء آخر حول التعامل مع عدم الطاعة : إننا يجب أن نبذل مجهودا خاصا للثناء على الطفل وتشجيع روح التعاون عنده. فمن السهل أن نعتقد أنه لابد أن يفعل ذلك. فلماذا لا أكون ممتنا له، هذا الاعتقاد لن يجدى، حتى الآباء الذين اعتادوا على أن يثنوا على أطفالهم بشدة عندما يفعلون أى شيء جيد، فهم لا يلاحظون ذلك. ومن الإحصائيات كما أشرنا وجد أن الآباء الذين يثنون على أطفالهم عند الطاعة تبلغ نسبتهم ٣٠٪.

إذن أول مايجب أن نفعله هو زيادة هذه النسبة إلى ٩٠٪ أو ١٠٠٪ والسبب بسيط، وهو أنه لايوجد حافز للطفل على الاستجابة أكثر من أن تحمله فى حب وتقول له «برافو عليك ياحبيبى إننى فخور بك فعلا»، وليس بالإنذار فقط لنجعل الرسالة الموجهة له هى ترغيبه فى عمل ما وليس ترهيبه.

٤ ـ الإفراط فى الطاعة من جانب الطفل:

بينما يكون عدم الطاعة من الأشياء التى تقلق الآباء فإننا يجب أن نكون حريصين على التفرقة بين الطاعة اللازمة لصحة وسلامة الأبناء وبين الطاعة لمجرد الطاعة فقط. وفى بعض الأوقات نجد أننا نطلب من الأطفال فعل أشياء ليست من الأهمية بمكان أو لمجرد أنها مناسبة لها «هيا نلعب بالمكعبات الآن» ألق هذا الشيء

فى صندوق القمامة» احضـر لى كوبا من الماء» ولكى تطالبه بالطاعة لكل طلب أو سؤال فإن ذلك فيه إساءة للتعامل معه وسوف يؤثر عليه بشدة فيما بعد.

فإذا أصبح الطفل مفرطا فى الطاعة فسـيعتقد أن الطاعة شىء جميل وطيب ومن ثم فإنه سيطيع كل من حوله حتى الأغراب، وهذا مالا يجب أن يراه الآباء، والأخطر من ذلك أن الإفراط فى الطاعـة يمكن أن تكون للطلبات غير المـعقولة، وغالبا ماتـكون من الأصدقاء فى مثل سنه فإن معظم الأطفـال لايقبلون أن تؤخذ منهم لعبـهم أو يتعـرضوا لأى أذى دون أن يدافعـوا عن أنفسهـم لكن المفرط فى الطاعة يفعل ذلك. وإذا كان هناك أحد يطيع بدرجة ١٠٠٪ فلن تكون عنده المقدرة على التفرقة بين الحقوق الاجتماعية له وبين الخطأ منها.

أحد أبحاث Stanley Milgram فى جامعـة ستانفورد أظهـرت أن الطلبة الأمريكيين بالجامعات يطيعون عندما يطالبـون بأن يصدموا طالبا آخر معهم صدمة كهـربية (بعيـدًا عن مستـوى الخطر طبعا) مـادام هذا الأمر من المدرس الذى يقف معهم فى المعمل، وحتى لورأوا الضحية تنزف من الألم.

قد تظن لأول وهلة أن هذا المثل مـرحلة غير التى نتـحدث فيـها ولكن فى الحقيقة أنه يتعلق بالموضوع تماما فهو يظهر لنا أن الإفراط فى الطاعة أو عدم الطاعة هما وجهان لعملة واحدة سيئة وهى الضرر بصحة وسلامة الطفل.

نحن نستـخدم الأوامر ونطالب بالاستـجابة لكل الأوامر. وهناك مفـهومان مهمان جدا يجب ألا ننساهما:

أولا: عندما تكون الاسـتجابة مطلوبة ومـهمة فـيجب أن نعطى التعليـمات والأوامر بحزم وصرامة ووضوح، ويظهـر ذلك من تعبير الوجه الذى يقول للطفل «إننى أعنى ذلك»، وعدم الاستـجابة فى هذه الحالة مرفوض تمامـا. وعندما يؤمر الطفل بالطاعة فيجب أن تشرح له أهمية ذلك ليتعلم القواعد التى تجعله يستجيب. ويتحتم على الآباء تقييم كل موقف يأمروا فيه أطفالهم أن يستجيبوا له.

ثانيا : نحن نعلم الطفل كلما كبـر عدم الطاعة لكى يكون عنده المقدرة على التفـرقة بين الصواب والخطأ وبين المـعقول واللامعـقول فعله. وعـندنا من الأمثلة الكثير لإعطائهـا له والتى تجمع بين الطاعة وعدم الطاعة فى مـوقف واحد (إذا قام

بتوصيلك جـارك إلى المنزل فلا مانع، أما إذا لم تكن تعرف هذا الشـخص فيجب أن ترفض وتهرب منه).

ثامنا :التدريب على قضاء الحاجة Toilet Training

هناك ثلاثة اعتبارات للآباء حول موضوع قضاء الحاجة:

١ ـ بدء تعليم الطفل كيفية اسـتخدام التواليت بدلا من أن يبلل البنطلون أو الحفاظة.

٢ ـ تلطيخ وتوسيخ ماحوله.

٣ ـ البلل أثناء النوم.

تقريبا كل الآباء يتعرضون لهذه المواقف، وقد نجد كثيرا من الأطفال مغرمين بالتبول والتـبرز أثناء تدريبهم على ذلك. إذن فلا عـجب أن نرى أنواعا أخرى من المشاكل مثل استخدام التبرز فى اللعب أو اعتبـاره شيئًا جميلا وأمثال هذه المفاهيم الخاطئة.

وعندما يود الآباء تعليم أبنـائهم الطرق الصحيحـة لقضاء الحاجـة فلا يجب عليهم أن يقلقوا مطلقـا. فعند سن السادسة أو السابعة سيـختفى أى خطأ، لذلك فلنهدأ ونحاول أن نفـهم المناسب للأطفال أثناء تعليمهم وتدريبـهم . وما الضرورة والعجلة فى أن نجعله جافا دائما؟

يحدث أحيانا اختلاف بيـن الآباء حول الوقت الذى يبدءون فيه تعليم الطفل قضاء حاجتـه بنفسه، بعد استخدام الحفـاظات، إنه عادة مايكون الأب الذى يقوم بعمل ذلك لعدم رؤيتـه لأى مشاكل فى ذلك. إن بعض الآباء يشعـرون أن قضاء الحاجة له علاقـة بالذكاء، والطفل الذى ينجح فى قضاء الحاجة بنـفسه مبكرا لابد أن يكون عبقريًا. وفـى الحقيقة أن الذكاء ليس له علاقـة قوية بالتدريب على هذه العـادة. كمـا أنه ليس مـعنى أن الطفل جـاهز لتلقى التـدريب أن ندربه فى نفس الوقت أو أسرع كلما أمكن فإن التدريب على قضاء الحاجة يكون أسهل كلما ازداد نمو الطفل وكبر، ومتى نقوم بذلك هو موضوع التوفيق المناسب.

ولحسن الحظ فإن كل مشاكل قضاء الحاجة يمكن التعامل معها بسهولة وبسرعة وبقليل من التخطيط . ومن نتائج الأبحاث وجد أن ٩٥٪ من مشاكل قضاء الحاجة قد تم التغلب عليها عند سن الثالثة وربما أقل من تلك السن.

إن الأغلبية العظمى من الأطفال يتوقفون عن بلل أنفسهم عند سن الخامسة. وهذا يعنى أن الآباء سيتركونهم ليتمتعوا بحياتهم الطبيعية. ومع ذلك هناك بعض الأطفال يتعلمون قضاء الحاجة فى التواليت من سن سنتين وربما ١٨ شهرا، ذلك إذا دفعك خوفك أن تبدأ تدريبات التواليت فى سن مبكرة.

هذه السن مناسبة للطفل، لكن مع ذلك فإن هذا يمكن ألا يناسبه الآن فالاختيار الحقيقى لاستعداد الطفل للتدريب على التواليت ليس له علاقة بالسن ولكن يعتمد على أشياء أخرى.

ومن ناحية ثانية فالبلل أثناء النوم أصعب قليلا للطفل. وقد يستمر بعد تدريبات التواليت، ويحدث هذا للأطفال بنسبة ١٥٪ بعد خمس سنوات وأيضا يسهل علاجه بنجاح بنسبة ٨٠٪ من الأطفال.

١ ـ متى يكون الطفل مستعدا لتدريبات التواليت ؟

هناك أربعة اختبارات بسيطة لذلك:

أ ـ تحكم المثانة :

أولا : يجب أن يتبول الطفل كمية مناسبة كل مرة بدلا من الكميات الصغيرة المتلاحقة خلال اليوم.

ثانيا : يجب أن يظل الطفل جافا ساعات عديدة.

ثالثا: عند معظم الأطفال (وليس جميعهم) نلاحظ العلامات الدالة على رغبتهم فى قضاء الحاجة، فإما أن يطلبوا ذلك صراحة أو ينتابهم عدم ثبات أثناء الجلوس أو الوقوف واللعب فى الأصابع وما إلى ذلك من إنذارات المثانة.

ب ـ النضج الطبيعى:

إن الطفل يتحرك بحرية من حجرة لأخرى، لكن هل عنده القدرة الميكانيكية على خلع البنطلون أو رفع الفستان؟ فإذا كان كذلك فهو طبيعى، مستعد.

جـ - نمو اللغة:

إن الطفل يجب أن يفهم التعبيرات الخاصة التى نحتاجها أثناء عملية التدريب «فوق - تحت ذراع - قدم - مبلل - جاف . . . . ».

د - الطاعة:

هل يتبع الطفل التعليمات عادة ؟ أم هو من النوع غير المطيع؟

إذا اجرينا تلك الاختبارات على الطفل بنجاح فهو مستعد لتدريبات التواليت أما إذا لم تكن الاختبارات واحد واثنين وثلاثة ناجحة بدرجة كافية فيفضل الانتظار لأن الوقت يعالج تلك المشاكل. أما المشكلة الرابعة فتتطلب اتباع أسلوب معين فى معالجتها حتى لاتزيد عملية التدريب الأمر سوءا.

هناك تدريبات التبول Urination Training وقد أظهر المتخصصون لنا خطوات عديدة مؤثرة لتعليم ذلك. فإذا كان التبول باستمرار فيجب أن يتعلم الطفل كيف يقوم بإنزال السروال ويتبول ثم يرفع البنطلون بنفسه. والنتائج تكون سريعة إذا قمنا بتخصيص الوقت اللازم لمتابعة ذلك، دون أن يصرف انتباهنا أو يشتتنا أى شيء (القراءة - التليفون - تجهيز الطعام . .)

أما إذا لم نستطع التركيز فسيأخد ذلك وقتا أطول ربما بضعة أسابيع.

وهذه أمور يجب أن تتبع:

١ - نعمل اختبارات عشوائية على حفاظة الطفل كل ٥ دقائق مثلا لنتأكد من أنه يحرز تقدما فى استخدام التواليت.

٢ - عندما تكون الحفاظة جافة عند اختبارها يجب إظهار الرضا والثناء على الطفل ويتبع ذلك أيضا عندما يقف الطفل (الولد) أو تجلس (البنت) على القصرية تنفيذا لكلامنا بمحاولة التبول.

٣ - يجب أن نمثل لهم ذلك فيطلب الآباء من أبنائهم الذهاب معهم إلى دورة المياه وتعليمهم بأنفسهم (أو يمكن استخدام عروسة Dolls) كيف ينزل البنطلون ثم يجلس ثم يجذب البنطلون ثم يغسل يديه بعد الانتهاء.

٤ ـ عندما يجلس الطفل على التواليت نقوم بعمل أى شيء لتهدئته (نتحدث ـ نلعب ـ نسمع موسيقيا ـ نقرأ قصصًا . . . إلخ).

٥ ـ تحاشى دائما الصياح أو الغضب عند تعليمه لكى لايقترن التدريب بأشياء يمقتها.

٦ ـ نحن نظهر عدم السعادة ـ بدون غضب ـ عند حدوث البلل ونقول : أنا زعلان أو خيبت أملى لأنك بللت الحفاظة بدلا من الذهاب إلى دورة المياه.

٧ ـ عند حدوث ذلك البلل يجب أن ينظف الطفل نفسه ويغير ملابسه على قدر استطاعته، والتنظيف لايكون ممتعا بل يجب أن يصحبه بعض النقاش ليتعلم الطفل أن يفعل ذلك بمفرده فى المستقبل.

٨ ـ مراقبة أى علامة تظهر رغبة الطفل فى الذهاب إلى التواليت والإسراع بتلبية ذلك ومساعدته إذا احتاج.

٩ ـ نأخذ الطفل إلى التواليت بانتظام كل ١٥ دقيقة تقريبا ونوفر له جوًا من الهدوء والراحة ثم نتركه وبعد عشر دقائق نعود له وفى كل مرة يتم فيها التدريب على إنزال البنطلون أو رفع الرداء ثم الجلوس ثم رفعه . . . ثم الاغتسال وهكذا.

١٠ ـ اعطاء الطفل كثيرا من السوائل المحببة لديه (وبدون إرغام) فذلك يساعد على عملية التبول بكثرة فتكون هناك فرصة أكبر للتدريب.

١١ ـ يجب التأكيد على معنى الكلام مثل «جاف ـ مبلل» ومتى يكون الثناء، ومتى يكون عدم الرضا ليفهم الطفل المرغوب وغير المرغوب فى فعله. كل هذه خبرات للطفل يصاحبها كثيرًا من الثناء، لكن الشيء الذى يضايق الطفل هو عملية التنظيف وما يصاحبها ولكن يمكننا التغلب على هذه المشكلة بسهولة.

أما التبرز Soiling فهو عملية يتم فيها التعامل بالطبع فى نفس وقت التبول وبنفس الأسلوب، بل إن كلمة جاف تعنى أنه لاتوجد أشياء صلبة أو سائلة داخل الحفاظة ولكنها قد تتطلب وقتا أطول فى التمرين.

٢ ـ البلل أثناء النوم: Bed - Wetting

إن استجابة الطفل لإشارات المثانة شيء صعب على الطفل، ومع ذلك فهذا من السهل أن يعالج لكى يجب التأكد أولا من نجاح الطفل فى تدريبات التواليت

فعندمـا يبلل الطفل فراشه يجب إشـعاره بنبرة الضيق ثم إيقـاظه وأخذه إلى دورة المياه ومطالبته بتـغيير البيجاما أو الرداء. عادة لايفـعل أكثر من ذلك فالطفل الذى يتعلم كيف يذهـب إلى التواليت يكون فخورا بذلك قائلا: «أنـا أستطيع أن أفعل ذلك بنفسى» والشىء الوحيد الباقى هو تعلم الطفل كيف يستجيب لإشارات المثانة أثناء الليل. والنقطة الهامـة فى هذا الموضوع هى عدم إشعـار الطفل بالكسوف أو العار Shame أو عقابه أو توبيخه على ذلك عندما يفعله، فالعقاب قد يؤذى نفسية الطفل فى هذه الحالة ويهبط من محاولاته للاستـجابة بينما هو يبذل أقصى ماعنده لمحاولة التركيز فى إشارات المثانة أثناء نومه.

تاسعا: مشاكل النوم Sleeping Problems

إن وضع الطفل فى فـراشه قد يصـبح من أصعب المشـاكل بدءا من سن١٨ شهـرا. فمعظم الأطفال لايـحبون (بل يكرهون) الذهاب للفـراش، فهناك اللعب التى يلعب بها والناس من حـوله والعالم كله الذى يحاول اكتشـافه، لمن يترك كل هذا ؟ «هل يجب كأم أن أتركه حتى يغـرق فى النوم؟ أو هل أهدئه أو أجلس معه حتـى ينام؟ أو آخذه إلى الفـراش معى؟ مـاذا أفعل؟»، إن الاستماع إلـى صراخ الطفل في فراشه يكاد ينفطر قلب الأم له ويشعرها بالذنب ؟

ولمنع الشـعـور بالذنب ودمـوع الطفل، يجب أن يطور الـطفل من الروتين اليـومى للذهاب إلى النوم ـ أغـانى، قصص، ألعـاب، طعـام، مشـروبات، لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات حتى يسقط فى النوم.

لكن هذا ليس الغـرض فبطريقة مـايجب أن يذهب الطفل بنفسـه لكى ينام بدون وجود أحد أبويه بدلا من أن يسقط طبعا نائما بين يديها.

إن وضع الطفل فى فراشه بدون شك من أكـثر الموضوعات إثارة لقلق الآباء بل ومنهم من يشكو من عـدم الانتظام فى النوم (الأرق Insomnias) أو الكوابيس Night Mare، أو الرعب الليلى Sleep Terror والمشى أثناء النوم. وهذا مقرون بانفعـالات عاطفية لدى الطفل، وكـما يبدو هذا مفـزعا، فإن ذلك أكثـر الأشياء شيوعا عند الأطفال.

١ ـ القواعد المتبعة لوقت النوم:

بعد أن يولد الطفل بأسبوعين فإنه ينام حوالى ١٦ ساعة فى اليوم ويستمر من ١٥ ـ ١٦ ساعة فى الشهور الأربعة الأولى، وتصل إلى ١١ ساعة عند السنة السادسة. وكلما زاد نمو الطفل زاد عدد ساعات نومه مما هو معروض بالجدول الموضح لهذا. لكن لامانع من مراجعة الطبيب عند الاختلاف إذا زاد عن ساعتين.

وبالنسبة لروتين النوم فيقابل وقت النوم كثيرا من الأحداث الدرامية عند بعض العائلات، فقد يفضل بعضهم وجود وقت محدد للنوم والبعض الآخر ينتظر حتى يتعب الأطفال. فالاختيار يرجع للآباء والأطفال يهيئون أنفسهم على ذلك أما فترة ماقبل النوم التى يصاحبها الكلام والغناء فيجب أن تستمر من ١٥ ـ ٣٠ دقيقة فى المتوسط.

جدول (٤) متوسط عدد ساعات النوم والاستيقاظ لدى الاطفال

السن	عدد ساعات النوم اليومى	عدد ساعات الاستيقاظ اليومى	أطول مدة نوم بالساعات	أطول مدة استيقاظ بالساعات
أسبوع	١٦,٣	٧,٧	٤,٤	٢,٦
٣ أسابيع	١٥,٤	٨,٦	٤,٦	٣,١
٧ أسابيع	١٥,٤	٨,٦	٦,٥	٣,٢
١١ أسبوعًا	١٥,١	٨,٩	٦,٧	٣,٤
١٥ أسبوعًا	١٤,٩	٩,١	٨,٥	٣,٦
٦ أشهر	١٣,٢	١٠,٨		
٧-٩أشهر	١٢,٧	١١,٣		
١٠-١٢ شهرًا	١١,٨	١٢,٢		
٢-٣ سنوات	١٢,٥	١١,٥		
٣-٤ سنوات	١١,٥	١٢,٥		
٤-٦ سنوات	١١	١٣,٠٠		

٢ ـ مشاكل ومتاعب النوم المختلفة:

صعوبات الذهاب إلى النوم تغطى جزءًا كبيرًا من المشاكل وكلها تدور حول عدم حب الطفل فى الذهاب للفراش، إلا برغبته أو بجانب لعبة أو أمام التلفزيون أو بجانب الأب. وقد يطلب الأطفال كوبا من الماء أو الذهاب إلى التواليت أو تفاحة أو حلوى هربا من الروتين الذى يسبق النوم رافضين ارتداء البيجاما أو رداء النوم.

بداية من ١٨ ـ ٢٤ شهرا معظم الآباء سوف يواجهون مثل هذه الصعوبات عند الذهاب بأبنائهم للنوم.

ومن ناحية أخرى نجد مشكلة الاستيقاظ أثناء الليل وبعد فترة وجيزة من نوم الطفل فمعظم الناس (الأطفال والكبار) قد يصيبهم الأرق، ولكن يعودون ثانية للنوم. أما اذا استيقظ طلبا للرعاية أو بكي بصفة متنظمة بدلا من الرجوع للنوم فتظهر هنا المشكلة، إن هذا ليس غريبا بل ويتلاشى بمرور الوقت. إن حوالى ٢٠٪ من الأطفال فى سن سنتين يوقظون آباءهم بانتظام خلال الليل و١٤٪ ممن هم فى سن ٣ سنوات يفعلون ذلك، وتصل النسبة إلى ٨٪ عند أربع سنوات فعادة لايحتاج هذا إلى أى علاج خاص.

أما المشى أثناء النوم فإنه نادرا مايحدث إلابنسبة ٦٪ بين الأطفال. فالذين يفعلون هذا قد يقفزون من النافذة أو يخرجون من المنزل أو يدورون فى الحجرة بدون أن يستيقظوا، فعيونهم تكون مفتوحة لكن هناك شيء ما مختلف يدور فى رأسهم . هذا بالطبع يكون مقلقًا إذا عرَّض الطفل للخطر.

ومن الصعب أن نحدد متى يبدأ الأطفال فى الأحلام المزعجة والكوابيس ولكن أغلب الظن أنها تبدأ من السنة الثانية، وتكون شائعة الحدوث من ٣ : ٥ سنوات . إن الكوابيس تستمر بضع دقائق ثم يستيقظ الطفل بعدها وقد يتذكر بعضًا مما رآه ويخبرك به.

أما الفزع الليلى فهو يختلف عن هذا ويزداد معه خوف الآباء أكثر فهو يستمر لمدة ١٥ ـ ٢٠ دقيقة، ولايكون الطفل مستيقظا ومع ذلك تكون عيناه

مفتوحتين وعلى وجهه آثار الخوف والهلع. كما أن انفعالاته وصياحه تكون أكثر من التى تصاحب الكوابيس.

إن السبب الحقيقى وراء الكوابيس والرعب الليلى غير معلوم، ولكن لحسن الحظ بينما الكوابيس شىء شائع، نجد أنه نادرا مايحدث هذا الرعب الليلى. ويبدو على الأطفال فوق ٥ سنوات وبنسبة ٢٪ فقط.

٣ ــ لماذا يقابل الأطفال تلك الصعوبات فى النوم؟

ربما يقابل الأطفال مشاكل فى الذهاب إلى النوم لأسباب عديدة، منها أنهم يرغبون فى فعل أشياء أخرى أفضل والشىء الثانى المعروف أنهم يرفضون الوحدة أثناء الليل، أو ببساطة قد يكونون غير متعبين الآن أو ناموا أثناء النهار، والسبب الأخير أن الطفل ربما يكون قد تعرض لموقف مخيف أو شاهد شيئا فى التلفزيون أفزعه، أو قرأ قصة مخيفة كل هذا يسبب له كراهية الظلام والوحدة والنوم.

وقد يشعر بعض الآباء بالذنب من رغبتهم أن ينام الطفل بنفسه وقد يشعر بالوحدة والانفصال، حينئذ بما يجعلهم يقفزون عند كل صرخة أو بكاء، وهذا للأسف يعلم الطفل كيف يستدعى الآباء فورا بمجرد احتياجه، لهم ولقد سمعنا كثيرا من الأطفال يقولون «إنى حزين جدا» وهم ليسوا كذلك أو «إنى خائف» وماهم بخائفين أو يبكون بشدة بمجرد ترك والديهم للغرفة .. أما لماذا يقولون ذلك فالإجابة بسيطة. لأن هذا قد أثبت نجاحه من قبل فعندما كانوا فعلا فى حاجة إلى الطعام أو خائفين أو فى حالة من الحزن كانوا يجدون الصحبة فورا.

والمفهوم الوحيد للتعامل مع هذه المشكلة هو أن نقنع الأبناء بأننا لن نعود ثانية فى حالة لو تركنا الغرفة وننفذ مانقوله، ولكى لانشعر بالذنب نقوم بتلبية جميع رغبات الطفل من ذهاب إلى التواليت وطعام وشراب وقصص قبل أن نقول تصبح على خير ونتركه ينام فى سلام.

إن الكوابيس قد تتعلق بالأحداث اليومية وخاصة عندما ينضج وينمو تفكير الطفل وتخيلاته، أما الفزع الليلى والمشى أثناء النوم فيمكن معرفة المزيد عنها عند مراجعة كتاب المشكلات النفسية عند الأطفال للمؤلف زكريا الشربينى.

٤ ـ متى تصبح صعوبات النوم مشكلة حقيقية؟

نادرا ماتكـون أى من الصعوبات السـابقة مـشكلة حقـيقـية للطفل وغـالبا ماتختفى بتـقدم عمره ونموه، لكن المشكلة الحقيقيـة تكون فى الآباء أنفسهم، فهم يدفعون ثمن الـشعور بالذنب ومحاولاتهم الـدائمة لضبط مشاعـر الطفل تجاههم، فما دام الآباء لايتعدون حدودهم كإلقاء الطفل فى فراشه وحيدا عندما يكون خائفا فعلا، فلابد أن تكون أوقاتهم التى يقضونها مع أنفسهم أو عندما ينام الطفل هادئة ومريحة لمواصلة الحياة مع الطفل مرة أخرى.

وهناك طريقة أخـرى فنحن نجد روتين ماقـبل النوم يصبح مـشكلة. إنه قد يكون مشكلة (من) الآباء بدلا من أن يكون مشكلة (لهم) ـ لقـد قابلنا آباء كثيرون يفضلون النوم مع أطفـالهم برغبتـهم وليس برغبة الطفل حـتى بعد أن يبلغ الطفل الخامسة أو السادسة. إنه لاتوجـد أى مشكلة فى أن تنعم بالراحة بجوار طفلك أو تنام بجانبـه لتهدئته إذا خـاف، لكن كأى سلوك قد يصبح ذلك مـشكلة إذا تعدى الحد. فإن هذا قد يشعر الطفل بالحماية الزائدة عن الحد فيعتمد على والديه فى كل مايحتاجه، وهذا غير طبيعى، كما يسبب ذلك مشاكل زوجية، وقد يعكس قصورا فى العواطف بين الزوجين لمنع العملية الجنسية بينهما لوجود الطفل فى فراشهما.

عادة فإن الإفراط فى روتين النوم قد يسبب المشاكل للطفل ووالديه فى نفس اللحظة. كما أن لجوء أحد الوالدين إلى استخـدام الطفل ليمنع العملية الجنسية قد يؤدى إلى نفس النتيجة السيئة.

٥ ـ كيفية التعامل مع مشاكل النوم :

هناك بعض المفاهيم الأساسية للتعامل مع تلك الصعوبات:

١ ـ من المهـم أن يكون هناك روتيـن مـاقـبل النـوم لكن لايعنى هـذا أننا لانستطيع الاسـتغناء عنه ـ إلا فى المناسـبات الخاصـة عند الخوف أو المرض ـ لكن يجب أن يشعر الطفل بميعاد النوم قبله بفترة ليكون متأهبا نفسيا لذلك.



٢ ـ يجب أن يستيقظ الطفل مدة كافية خلال الصباح، أما إذا نام الطفل لساعات قليلة خلال اليوم فلا نتوقع أن يدخل الفراش فى نفس وقت الأيام العادية فيجب أن نتأكد أن الطفل متعب لينام أما إذا اختلف النظام اليومى فيجب أن يتغير مع هذا وقت النوم أيضا.

٣ ـ تنبيه الطفل بميعاد النوم قبله بـ ١٥ دقيقة ليستطيع إنهاء مايفعله عندئذ.

٤ ـ يتضمن وقت النوم بعضًا من الأفعال التى تؤدى إلى الهدوء والراحة مثل قراءة القصص والأغانى والكلام عن أحداث اليوم ويستمر ذلك من ١٥ ـ ٢٠ دقيقة.

٥ ـ يقدم الطفل المشروبات والطعام الذى يريده كما يذهب إلى التواليت لقضاء الحاجة لنتأكد من أن الطفل لن يقوم بطلب هذه الأشياء بعد دخوله للفراش كنوع من الخداع.

٦ - يعطى الطفل كل ما يبعث على الهدوء مثل بطانيته المفضلة والدب البنى أو صورة سوبرمان . . إلخ.

٧ - تحاشى إزعاج الطفل قدر المستطاع - الصوت العالى والتلفزيون - كما يكون الضوء خافتًا غير مباشر إذا احتاج، وأيضا فراش خاص به لكى لايزعج أيًا من الأبوين.

٨ - يمكن تغيير روتين ماقبل النوم لكى لايصاب الطفل والأبوان بالملل. فإذا لم يستجب الطفل لمحاولات الأم يمكن أن يقوم الأب بذلك فى اليوم التالى.

تلك النقاط هى أساس المساعدة لطفلك للتغلب على أى صعوبات فى النوم. يبقى بعض خطوات إضافية مهمة يمكن اتباعها كما يلى:

أولا : وضع الطفل فى الفراش: اعتاد الطفل الرضيع على النوم بين يديك بعد الرضاعة لكن بعد حوالى ١٢ شهرا يجب أن يكون هناك تغيير كبير وهو ببساطة أن يوضع الطفل فى فراشه (قبل نومه) ليسهل لنا ترك حجرته قبل أن يستغرق فى النوم. هناك طرق يجب أن نتبعها لذلك:

أ - يمكن أن نقول له أن وقت النوم قد حان ونتبع روتين ماقبل النوم، ثم نترك الغرفة بعد فترة. فى البداية سيقاوم الطفل بشدة تركك الغرفة ويستخدم أساليب عديدة لذلك كالبكاء أو يطلب أى طلبات كالماء أو الطعام. ومع ذلك فإننا يمكن أن نخفف من شدة هذا الحزن باستخدام العوامل الخارجية كالدب البنى والاحتضان لألعابه المفضلة.

ويمكن أن نجعل روتين ماقبل النوم أكثر متعة بتجهيز لعبة جديدة جميلة نعاهد بها الطفل بأنه سوف تجدها تحت الوسادة فى الصباح فى حالة إذا نام فورا بدون أن يستيقظ مرة أخرى، ونجعل هذا الوقت من الأوقات الخاصة لدى الطفل الذى ينعم فيها بالقبلات والمداعبات. لكننا فى النهاية يجب أن نترك غرفة الطفل قبل نومه فإذا فعلنا ذلك ولم نتراجع (إلا فى الحالات القصوى) مثل المرض أو (استيقاظ الطفل فجأة بعد نومه) فسيشعر الطفل أننا فعلا نعنى ذلك، وينام بدون مشاكل فيما بعد، بل سيصبح وقت النوم من الأوقات المفضلة لديه.

ب ـ هناك طريقة ثانية يمكن اتباعها تختلف عن الطريقة الأولى، ففى الأيام الأولى يمكن أن تظل فى الغرفة أو على سريره لكن بدون كلام وعيناك مغلقتان متظاهرا بأنك نائم، أو أنك نائمة، وبعد ذلك فى الأيام التالية تجلس على كرسى وتقرأ بدلا من السرير وتقل مدة وجودك فى الغرفة كلما مضت الأيام.

ثانيا : الاستيقاظ أثناء الليل: عند حدوث ذلك لايعتبر مشكلة مادام ذلك بسبب واقع مثل المرض أو الخوف أو الحاجة الشديدة، لكن إذا تكرر الأمر أكثر من الطبيعى فقد يشوبه بعض من الخداع من الطفل، لذلك فعند استيقاظه من النوم يجب الذهاب إليه لتهدئته والتأكد من عدم وجود أى سبب حقيقى. ثم نتركه أثناء استيقاظه ولا نعود مرة أخرى.

ثالثا : الكوابيس والرعب الليلى: عند استيقاظ الطفل خوفا من أى شىء يجب أن تمده بكل أنواع التهدئة والراحة، فتظهر له أنه لايوجد أى وحش تحت السرير وهذا التنين ينام أثناء الليل، كما أن سوبرمان لايخاف منهما ويحميه طوال الليل، ولامانع من وضع السيف الخاص به بجانبه . المهم أن نتأكد من أن الطفل قد استعاد هدوءه وراحته قبل أن تنصرف ويمكن أن تنتظر حتى ينام.

٦ ـ جعل وقت النوم للطفل ممتعا للآباء:

يعد وقت النوم من أصعب الأوقات على الآباء . فعادة مايصابون بالملل والتعب والرغبة فى انتهائه ليحصلوا على حريتهم، وذلك لأنهم يعتبرون هذا الوقت وظيفة، مما ينتج عنه صعوبات فى النوم ويصبح روتين ماقبل النوم أطول وقت وينقل الشعور بالملل للطفل أيضا.

والحل هنا هو أن نجعل الوقت ممتعا ومتضمنا كثيرا من الأشياء التى نحبها ونرغب فى فعلها مثل الطفل. كالألعاب المسلية (مثلا نقلب ١٢ كارت من الكوتشينة على ظهرها تتضمن اثنين من كل من الواحد والشايب والولد والبنت والعشرة والتسعة ومحاولة إيجاد الكارتين المتشابهين بكلتا يديك مرة واحدة وهذا يعتمد على الذاكرة لكل من الكبار والأطفال) كما أن قليلا من الكلام مع الطفل قد يعينه ويعينك أما إذا كنت قليل الكلام فمن الممكن أن تقوم بقراءة قصة تحبها

فإن هذا هو أنسب وقت تشعر بالمتعة وأنت ترى ملامح وجهه عندما تعيش معه فى تلك القصة.

٧ ــ العلاقة بين وقت النوم وعدم الطاعة :

إذا استخدم الآباء الطرق الموضحة فى الجزء الخاص بعدم الطاعة لكى يستجيب الطفل لهم، فإن وضعه فى الفراش سيكون أسهل كثيرا . فإذا حافظنا على جدية الأوامر الصادرة للطفل وإحساسه باختلافها عن الطلبات أو الأسئلة أو الاقتراحات فإن الأمر الخاص بالذهاب إلى النوم سيكون أسهل مايكون ولايحتاج لأى معاملة خاصة، ومع ذلك فلايمكننا أن نأمر الطفل بأن ينام فهذا ليس مفتاحا يغلق ويفتح وإنما يمكن أن يكون الأمر «البس البيجاما الآن» «اذهب إلى الفراش فورا» هذا إذا احتاج الموضوع لأوامر.

عاشرا : العدوانية Aggression

إن الصدمة تكون كبيرة عند رؤية العدوانية على أطفالنا، وربما نكره ذلك الطفل. قالت الأم لزوجها: هل تعلم ما الذى فعلته ابنتك؟ صعدت إلى السرير وخربشت وجهى «كيف تجرؤ على قذفى بهذا الشئ؟» هل تصدق أن الأميرة الجميلة ابنتنا صعدت إلى المرجيحة وأوقعت هذا الطفل من فوقها على الأرض..

والحقيقة أن الباحثين يوضحون أن أكثر الأطفال طموحا وذكاء يكونون أكثر عدوانية فى الفترة من ٢ ـ ٣ سنوات، ولكن هذا العدوان يختفى بالقطع عند تطور حياة الطفل الاجتماعية وتقدمه فى السن.

إن مظاهر العدوانية كثيرة، منها أن يقوم الطفل بإلقاء وتحطيم الأشياء، وآخر يدفع ويضرب برجله الآخرين، وثالث يظهر عدم الرضا والصياح والبكاء بصفة دائمة. وهذا يؤثر بالطبع على سلوك الطفل فى المستقبل لهذا فهو من أكثر الموضوعات قلقا للآباء.

إن العدوانية عامة وهى أى سلوك مؤذ (جسديًا أو نفسيا) للآخرين، ويأخذ أشكالا عديدة فالطفل المؤذى جسديا ربما يضرب، يرفس، يدفع، وقد يصرخ

الطفل العدوانى بأعلى مافى رئتيه من هواء ليحصل على مايريد بإلحاح أو حتى بالتهديد، وقد يلقى هذا الطفل أى لعبة أو طبق أو يحطم الأشياء بقدم واحدة أو بواحدة تلو الأخرى حتى يخلى الحجرة من كل مافيها.

من الضرورى التفرقة بين العدوانية والميل إلى الحزم والصرامة . . فقليل من الحزم مطلوب لضبط الطباع والخصائص فنحن نريد أطفالنا (والكبار) أن يكونوا حازمين بدلا من الإيجابية فى مواجهة الأوامر غير السليمة التى توجه اليه فى حياته.

ومالم يبلغ الطفل سنتين لايمكن أن نعتبر العدوانية مشكلة كالتى تظهر عندما يحين وقت الأكل أو النوم أو التواليت . . إلخ . ومع ذلك فنتائج البحوث تشير إلى أن حوادث العدوانية تقل بمرور الزمن وبأكتساب الطفل للنشاطات الاجتماعية الجديدة . كما أن أنواع العدوانية تتغير بمرور الزمن.

لكن التجارب أثبتت أن ٧٠٪ من الكبار الذين كانوا عدوانيين فى طفولتهم لم يصبحوا كذلك فيما بعد، ممايؤكد أن هذه المشكلة إذا لم تكن خطيرة فى الطفولة لن تكون كذلك فيما بعد.

١ ــ سبب عدوانية الأطفال:

إن الطريقة التى يتعلم بها الأطفال العدوانية تكون عن طريق القدوة أو التقليد، فهم يرون الآخرين يفعلون ذلك وربما يكون هذا فى التلفزيون أو النادى أو من الآباء، وعند تعرض الطفل للعدوانية فهذا خير مثال له ليفعل هو أيضا ذلك بل ولايتوقف بعد ذلك عن فعله.

إن الكم الهائل من الأبحاث المتعلقة بالعنف فى التلفزيون أوضحت أن الأطفال تتأثر وتقلد مايحدث حتى أبطال الكارتون . . فلا عجب إذا رأيت طفلك يحاول الطيران رافعا قدمه فى حركة كراتيه . كذلك فالأطفال يتعلمون شكل العدوانية من آبائهم فلا تتعجب إذا رأيت طفلك يقسم ويتوعد ويصرخ فالحقيقة أنهم يقلدون انفعالاتنا (وهذا أحيانا يثير ضحكنا فمن الأفضل أن تذهب وتضحك بعيدا عن الطفل).

ويجب أن نحاول منع عـدوانية الطفل، فمن الحكمة ألا نعـرضهم لأحداث عنيفـة، وأن نقلل من وقت مشاهدة التلفزيون والتـحكم فيما يشـاهدونه مع عدم الدخول فى جـدال ومهاترات أمـام الأطفال . لكن من المستـحيل أن تمنع كل هذا أمام الطفل، وإذا فعلت فسيقوم بذلك أصدقاء المدرسة.

إن بعض الأسر تميل إلى الموافقة والتأييد لعدوانية أطفالهم، ومثال على ذلك فـالعدوانيـة عند الأطفال شـائعـة عندما يكون علـى درجة كـبيـرة من التسـاهل والتسامح، فـالآباء الذين يدللون أطفالهم ولايتعاملون بحـزم وصرامة مع السلوك غير السليم يعلمون أطفالهم أن العدوانية هى المنفذ وطوق النجاة من الغرق . وكما فى القول المأثور أن التـسامح يجعلك بعـيدا عن الجريمـة ويجعل الجريمة تقـترب منك، هكذا يعلمون أطفالهم.

إن الإسراف فى اسـتخـدام الرفض، النكد، العقـاب قد يزيد من عـدوانية الطفل، وأيضا فالآباء يمـثلون قدوة أساسية للطفل فعند قـيامهم بفعل أى شىء، يعتبر هذا تصريحًا للطفل بفعله وغالبا مايقوم بذلك.

فى بعض العائلات نجد الآباء لايجنبون مشاعرهم وانفعالاتهم عن الأطفال، خاصة بمشـاكل العمل أو تكلفة المعيشـة، فالطفل قد يعتقـد أنه قد أخطأ فى عمل شىء بسبب همـوم أبيه ولايدرى ما السـبب. فإذا استمـرت هموم أبيه وإحسـاسه بها، فـقد يشعره ذلك بالحـزن والإحباط ثم يتـحول ذلك إلى العدوانية. كـما أن الآباء إذا فشلوا فى الثناء على الأشياء الجيدة التى يقوم بها الطفل ويكونون مهتمين بالجزء الخاص بالعقـاب فقط، فإن الطفل يحفظ مثل هذا السلوك فى الحـقيقة. إن الطفل قد يحـاول الصياح أو القيـام بالأفعال الاعتـراضية الأخرى ليـحصل على اهتمام والديه أو يمنعهم من الصياح والرفض له، فمن هذا المنطلق نجد أن العقاب من أكثر الأسباب الواضحة لعدوانية الطفل.

إن هذا يوضح لماذا توجد مشاكل مع الأطفال الذين ينفصل آباؤهم وأمهاتهم عن بعضـًا، بالطلاق. فلا يكون عداونهم بسـبب الانفصال وإنما بسـبب النموذج العـدوانى الذى أعطوه لهم، إن الأسر التـى تتعـامل مع الغضب بنجـاح - مع أن الغضب يظهر ولكن سـرعان ما يختفى ويحل محله السلوك الاجـتماعى السليم - لهم الخصائص التالية :

(١) إنهم ينذرون أطفالهم قبل استخدام العقاب.

(٢) إنهم شديدو الحرص على إبعاد همومهم وانفعالاتهم عن الطفل (أو أى من أفراد الأسرة)، لذلك فالطفل لايعاقب إلا إذا فعل شيئًا يستحق ذلك.

(٣) أنهم يفضلون التوضيح والمناقشة بدلا من العقاب، إلا إذا تأكدوا من عدم جدوى التوضيح.

(٤) عدم السماح لعدوانية الطفل أن تؤدى إلى أن يحصل على ما يريده.

(٥) أن يعلموا الطفل الطرق الصحيحة السليمة للعدوانية (المشاركة، الطلبات، التعاون، مساعدة الآخرين . . .).

هذه الصفات أو الخصائص سوف تساعدنا فى الحقيقة على التعامل مع عدوانية أطفالنا.

٢ ـ متى تعتبر العدوانية مشكلة؟

إذا كان يجب أن تزيد العدوانية ويزيد معها الطرق التى يسيطر بها الطفل ليحصل على ما يريده فهنا تكون المشكلة. فهذا يكون مصحوبًا بصعوبات أخرى، فيكون الطفل غير محبوب من أصدقائه، ويشعر بالحزن، فيقوم بتحطيم الأشياء أو إيذاء الآخرين ونادرًا ما يشاركهم أو يتعاون معهم. وتبدأ هذه المشكلة فى المدرسة. أما إذا لم يظهر طفلك أيًا من هذه المشكلات إذًا فمعنوياته من النوع الطبيعى ومع ذلك تظل غير مقبولة.

هناك اختبار بسيط يمكن أن نجريه وهو مدى استجابة الطفل للأوامر الصارمة. فإذا كان طفلك يستجيب بنسبة من ٦٠ ـ ٨٠٪ فإن فرصة تخلصه من العدوانية كبيرة.

٣ ـ كيفية التعامل مع العدوانية :

هناك طرق إيجابية كثيرة يمكن أن تتبعها بغرض تقليل العدوانية ثم تعليم الطرق البديلة :

(١) نحن متأكدون من أن العدوانية لاتخدم الطفل للحصول على ما يريده فمعظم العدوانية عند الأطفال تكون ظاهرية، فالطفل قد يريد حلوى أو لعبة أو قد

لايريد أن يفعل شيئًا يجب عليه القيام به كالنظافة أو النوم، أو تعاطى الدواء . . . إلخ، فيعبر عن ذلك بالعدوانية، وعندما يبدأ ذلك يجب أن لانعطيه اللعبة التى يريدها، وقد نحمله ونلقى به فى الفراش بدون مناقشة.

(٢) التحذير قبل الإقدام على العقاب «إذا لم تتجه إلى الفراش الآن سوف أعد واحد - اثنين - ثلاثة وسوف نذهب للنوم بدون قراءة القصة بعد ذلك مباشرة» هذا النوع من التحذير شائع وإذا اتبعته يكون له تأثير على الطفل. فالطفل يجب عليه أن يتوقف عما يفعله ويتبع التعليمات قبل الرقم ثلاثة.

النوع الآخر من التحذير هو أن نجعل الطفل يعلم بوقت كاف بميعاد الذهاب مثلا إلى السوق فهذا يحل محل إيقاف الطفل فجأة عما يفعله.

(٣) يجب أن نحرص على الثناء والانتباه عندما يتحسن سلوك الطفل ونبحث عن الأشياء التى تجعلنا نثنى عليه، ولانجعل أسلوب العقاب يطغى على علاقتنا معه. فلايجب أن نتحفز وننفعل عندما يفعل الطفل شيئًا خطأ، ونظل على هدوئنا ونتصرف التصرف الصحيح.

(٤) يجب أن نتأكد من تعليم الطفل الطرق السليمة للحصول على ما يريده فنعلمه كيف يستأذن صديقه للعب بلعبته. فذلك يكون بلطف وأدب، كما نعلمه مدى أهمية المساعدة والتعاون وإدخال السرور على الآخرين مع عدم إهمال الثناء عندما يفعل ذلك.

(٥) لا تدخل مع الطفل فى جدال حاد، إلا إذا كنت متأكدًا من أنك الفائز فى النهاية. فإذا كنت متعبًا جدًا أو مشغولا بشىء عن التعامل مع عدوانيته فلتسأل زوجتك لتقوم بذلك بدلا منك أولا تبدأ ذلك أبدًا. وإذا لم تستطع أن تقوم بروتين قبل النوم فدع طفلك يغرق فى النوم حتى لو كان على الأرض. ثم يجب عليك أن تلبى رغبته قبل أن يلجأ إلى العدوانية، أو تأخذه بعيدًا عن لعبه (وهو يرفس ويبكى فى ذلك الوقت يبدو هذا كحرب). فالطفل يبدى بعض الانفعال ليحصل على ما يريد لكن هذا لايستمر طويلا بمجرد أن يتعلم الطفل أنه لن يجنى شيئًا من وراء ذلك.

(٦) يجب أن يكون هناك ثمن العدوانية. إن هناك أشياء هامة كثيرة نذكرها حول موضوع التوبيخ والعقاب: أولا : لاتطرق عشرة أبواب مرة واحدة، فإذا كنت تحاول التعامل مع العدوانية لاتبدأ فى تدريبات التواليت أو نظام جديد للنوم لأن هذا قد يصبح مملا.

ثانيًا : كل منا له همومه ومشاكله ولكننا لاينبغى أن نعامل الطفل على أساس ذلك فيمكن أن نقول: «أنا آسف يا حبيبى لكن والدك عنده شىء آخر يجب أن يفعله» بدلا من «كلا اتركنى وشأنى». فقد يصيب ذلك الطفل بالحزن والأسى والإحباط، خاصة إذا لم يكن قد فعل شيئًا.

ثالثًا : إذا استخدمنا العقاب فيجب أن يكون مؤثرًا. فلا فائدة من أن نغلق التلفزيون أمام الطفل إذا لم يكن يشاهده، أو نأخذ منه لعبة إذا كان أمامه لعب أخرى. كما يجب أن نعلمه أن العدوانية قد تؤدى إلى أشياء سيئة بألا نأخذه إلى الحديقة ولا نجعله يلعب مع الأطفال الآخرين. وإذا قام بدفع أحد الأطفال الآخرين نأخذ كل الألعاب التى أمامه بعيدًا عنه. وقد نوجه له توبيخا شديد اللهجة. ومع أن هذه الطريقة مؤثرة فإنها يجب ألا تستخدم فى حالة العدوانية غير المتقدمة.

وإذا كانت العدوانية خطيرة ومتكررة أو مصحوبة بمشاكل عديدة كما شرحنا من قبل (فقد النشاط الاجتماعى - عدم الطاعة - تجمد المشاعر... إلخ). فالأفضل البحث عن متخصص ليضع الخطوات الرئيسية للتعامل مع هذا الطفل وهذا ليس معناه أن الطفل يعانى من مرض نفسى خطير، لكن هذا من قبيل المعرفة للطرق السليمة.

٤ - الرد على العدوانية :

يصيب الآباء حيرة شديدة فيما سيقولونه لطفلهم عندما يتعرض للأذى أو الضرب من طفل آخر، هل يجب أن يرد له الضرب ؟

الخطوة الأولى هنا أن نتأكد من أن الطفل الآخر قد توقف، فلايجب أن نسمح بأن يتعرض طفلنا للأذى ، فقد يصيبه ذلك بمتاعب نفسية كالخوف، والعزلة، وقد يكره المدرسة واللعب مع زملائه. كمثال لذلك إذا أراد الطفل الآخر

أن يركب المرجيحة أولا فإن هذا يحدث عامة وليس من العدوانية فى شىء. ومع ذلك إذا تعمد أن يفعل هذا بصفة منتظمة فإنه يجب أن يتوقف أولا بطريقة أو بأخرى، وهناك طرق عديدة لإيقاف عدوانية الطفل. ويمكن أن نقول لطفلنا أن يرد له الضرب أو نطلب من المدرس مراقبة الأمر، أو قد نذهب إلى الحديقة أو المدرسة ونقوم بتوبيخ الطفل العدوانى، وأخيرًا نخبر والديه بذلك ونطلب مساعدتهم.

يجادل بعض الآباء حول وجوب دفاع الطفل عن نفسه وتعلم كيفية رد الأذى، لكن فى الحقيقة هذا أقل أهمية من أن نتأكد من توقف العدوانية على طفلهم. كثير من الأطفال، يشعرون بالخجل وصعوبة أن يدفعوا أو يردوا ضرب أى طفل آخر، أو قد ينفذوا تعليمات والديهم بضرب الطفل العدوانى فيضربه مرة أخرى أكثر شدة مما ينتج عن شعور الطفل بالإحباط والضيق. فقد تكون النتائج أسوأ عندما نأمر طفلنا برد الأذى إذا كان خجولا أو جسمه ليس أكبر من بقية زملائه، إن الحل الوحيد لذلك أن نعتنى بهذا الموضوع (بمطالبة المعلم أو آباء الطفل الآخر بالتدخل أو التعامل مع الطفل نفسه، أو إلحاقه بإحدى دور تعليم الدفاع عن النفس) وبذلك نكون قد أوقفنا المشكلة الحالية ونعد الطفل لأى مشكلة أخرى.

وبالنسبة للطفل القوى جسديًا هل نطلب منه رد الأذى أم لا؟، هذا فى الحقيقة يرجع إلى الآباء، فإذا كان الطفل لديه الرغبة والقدرة على رد الأذى فلن يحتاج إلى تحفيزه أو الضغط عليه، أما إذا فعل ذلك لرغبة والديه وتصريح منهم فقد يشكل ذلك مسئولية كبيرة على الآباء، فيجب تعليم الطفل متى يتشاجر ومتى لايتشاجر، فقد يبادر الطفل بالشجار ليأخذ حقه، أو قد يتعدى الحدود اللازمة لذلك كأن يكيل اللكمات فى وجه طفل بمجرد أنه أخذ لعبته. وباختصار فإن الشجار لابد أن يحكم بواسطة الآباء، ولابد أولا أن يتأكدوا من سلامة موقف طفلهم والتأكيد عليه فى ذلك تمامًا.

حادى عشر: السلوك الاجتماعى والعلاقات

Social Behavior and Relationships

فى وقت ما تجد أن بعض الأطفال على درجة من الانطواء والخجل وقد يكون عندهم مشاكل فى المشاركة الاجتماعية، ولكن فى الحقيقة أن هذا شىء

بسيط وسريع الاختفاء بمجرد تقدم عمر الطفل، أو المشكلة هنا تقع على توقعات الآباء، فبمجرد إجادة الطفل للكلام يظهر فى نظرهم كرجل عاقل ويتوقعون منه الكثير، وننسى أنه لايزال فى مرحلة اكتشاف ما حوله، ومع ذلك فالمشكلة الحقيقية تظهر عندما تتعلق بالأحداث اليومية. مثلا الطفل الذى يرفض اللعب مع أصدقائه ويكتفى بالمشاهدة لمدة طويلة جدًا (حتى عندما يبلغ ست سنوات) فهذا مؤشر لمتاعب مستقبلية له.

١ ـ الصداقة Friendship :

لاشىء ينمى السلوك الاجتماعى لدى الطفل أكثر من أن يكون له صديق، ولحسن الحظ أن الصداقة شىء سهل الحدوث بالنسبة للأطفال، فمعظمهم يكون له نفس الهدف فى الحياة، كل ما فى الأمر أن يجد طفل آخر يلعب معه ـ بدلا من أن يلعب كل منهما على حدة ـ وبدون شجار، إذن سيكون لديه الصديق الذى يقوم والداه بدعوته إلى البيت وزيارة بيته بانتظام.

إن الطفل يحتاج إلى صديق واحد جيد على الأقل، فإذا كانت هناك مشكلة بسبب عدم المشاركة فى المدرسة أو فى المنزل، فهذا الصديق سيمثل له المنفذ والمعلم له، لذلك فإننا نسأل طفلنا من هو صديقه أو أصدقاؤه المفضلون، ثم ندعو كل واحد منهم على حدة حتى نرى أن العلاقة قد توطدت مع أى منهم، وهنا ندعو هذا الطفل ثانية لنجعلهم يقضون فترة أطول مع بعضهم البعض، يذهبان إلى الحديقة مثلا. وإذا كانا فى نفس الفصل الدراسى فسيكون لديهم الكثير ليفعلاه معًا، وتكون هذه هى بداية تكوين صداقات أخرى.

يجب على الآباء أن يكون لهم وظيفة فعّالة هنا، فلابد أن يعرفوا من المدرس (أو الطفل) من هو أكثر الزملاء قربًا من طفلهم، ثم يقوموا بدعوة هذا الطفل وتوطيد علاقتهما معا، والمرور عليه عند الذهاب إلى المدرسة. إن ذلك سيعود على طفلك بالمنفعة خاصة إذا انتقل إلى فصل أو مدرسة أخرى أو إلى مسكن آخر.

٢ ـ المشاركة Sharing :

إن حب التملك صفة من صفات الأطفال من سن ٣ إلى ٤ سنوات، وهذا يمنعه من أن يعطى أيًّا من الأطفال الآخرين لعبته المفضلة ـ لماذا ؟ ـ إذا وصل طفل

آخر لهذه اللعبة، فلاتعجب من أن ترى طفلك يتشبث بها قائلا : إنها ملكى، ثم يذهب لإخفائها فى مكان سرى حتى لو لم يكن له الرغبة فى اللعب بها.

هناك طرق عديدة يمكن أن نساعد بهـا الطفل لكى يتعلم المشاركة، والنقطة التى نبدأ بها هى أن نتأكد من أننا نمتلك مـا يريده الطفل، وإذا زاد امتلاكه فيجب استـبداله بشىء قيم فى المقابل، فـلاتعطى له دراجة جديدة فى مـقابل أن يعطيك عصى الآيس كريم. فإذا عرض الطفل فى المقابل أيًا من لعبه ليركب تلك الدراجة الجديدة فـنقول : «لا، أنا أريد هذا السيف (المـفضل لديه) بدلا من هذه اللعـبة» وبهذه الطريقـة فهو لن يتـعلم المشاركة فقط ولكن يـعرف الطرق الصحيـحة التى يطلب بها مـا يريد كما يقلل هـذا (إذا نجح) من حدة العدوانيـة والغضب والبكاء عندما يقوم به، ولاننسى الثناء على الطفل عندما يشارك الآخرين، موضحين مدى الأثر النفسى الجيد الذى يتركه هذا عليهم ـ «انظر كيف جعلت ميرام سعيدة، انظر إنها معجبة بك كـثيرا إنها تبتسم، يجب أن تفتخر بنفسك أنك جـعلتها سعيدة». وما الشىء الثـانى الذى يجب أن تفعله لـتعليم المسشـاركة فى حـالة وجود طفل أصغر؟ إن الأطفال يميلون عادة إلى مشاركـة ومساعدة من هم أصغر منهم، فإنى أرى كثيرًا من الأطفال يدعون الطفل الأصغر للعب بلعبهم أو أن يأخذ دورهم فى المراجيح بينما يقومون برفس الطفل الأكبر إذا جَرؤ على ذلك.

عامة نحن نثنى على أى نوع من أنواع المشاركة «أنا فخور بك لأنك سمحت للصغير باسم أن يلعب بلعبك» إن الطفل لن يتـعلم فن الإحساس بالمشاركة ولكنه يتعلم الإحساس السحرى الذى يسببه ذلك، فلاتتعجب أن تخبره قادمًا إليك فرحًا قائلا «أنا شاركت مازن، لقد أعطيتـه سيفى ليلعب به، ألا يعجبك ذلك يا أمى؟» إنى أعلم أن كثيرًا من الآباء يعلمـون أطفالهم المشاركة بطلب ذلك منهم «دع ذلك لأختك» لايجب أن يتم ذلك بهـذه الطريقة، فالطفل يستـجيب إلى الأمر دون أن يتعلم فـائدته، فهـذا يُعلم الطفل الطاعة فـقط دون أن يتطرق لموضوع المشـاركة. والوقت الوحيـد المسموح به فى إعطاء الأوامر عـندما تكون تصرفات الطفل غـير طبيعية. كمثال إنها تريد ببساطة أن ترد لعبة الطفل الآخر وفى هذه الحالة يجب أن نأمرها بذلك، ونوضح لها بعناية ما السبب فى هذا التصرف.

٣ ـ الانسحاب والاعتزال والخجل

Withdrawal, Isolation and Shyness

إذا أخذ الطفل يراقب بقية الأطفال وهم يلعبون عن بعد دون أن يُشرك نفسه، فيجب أن نساعده بطرق عديدة، ولكى نعلم ما يجب أن نفعله لابد أن نحدد سبب عدم مشاركة الطفل، فهناك احتمالات عديدة، بعض الأطفال لايشاركون لأنهم لايعرفون كيف ذلك (اللعبة أو الأغنية) ربما يجب علينا تعليم الطفل هذه الألعاب بعيداً عن الأطفال الآخرين، فإذا تعلمها فسيكون أكثر مقدرة على المشاركة.

والبعض الآخر من الأطفال لايشاركون باللعب بسبب الخوف أو الخجل. نحن نتعامل مع هذا كأى مشكلة من مشاكل الخوف بتقسيمها إلى خطوات صغيرة والتغلب على كل خطوة على حدة بالتهدئة والكلام واللعب. إننى ربما أذهب معها إلى الحديقة أولا، أضم يدها أو ألعب معها أيضًا فتكون فى وسط الأحداث بجانبى، ثم أشجعها لتحاول أن تقذف لى الكرة، وعندما تعتاد على ذلك أترك يدها وأذهب لأتلقى الكرة. إنى أنتظر فى نفس المكان لدقائق معدودة لأرى ما إذا كانت ستستمر أم لا، وأتركها تلعب بالكرة بمفردها (ذلك قد يستمر لمدة ٣ أيام). وقد نستخدم بعض خطوات أقل من هذه الخطوات، كأن يبدأ فى اللعب مع طفل واحد آخر فى البيت أو فى المدرسة ثم نجعلهم اثنين . . . إلخ.

السبب الثالث لعدم مشاركة الأطفال أن الآباء يبالغون فى الرعاية والاهتمام بأطفالهم عندما يكونون بجانبهم، فالطفل سرعان ما يتعلم أن عدم المشاركة يؤدى إلى اهتمام كثير من الناس به، وفى هذه الحالة فإن الآباء أو المعلم يجب أن يعطى اهتمامه باللعب والمشاركة وليس بالوحدة والعزلة. يجب أن نعلم بأن الطفل ربما لايشارك بسبب عدم رغبته فى اللعب أو تفضيله لشىء آخر يفعله، ففى هذه الحالة لاتوجد هناك مشكلة على الإطلاق حيث لايلجأ الطفل فيها إلى العزلة أو الخجل.

٤ ـ مساعدة الآخرين Helping Others

هناك طريقتان لتشجيع الطفل على مساعدة الآخرين، الأولى : أننا يمكن أن نفعل أشياء كثيرة جيدة باعتمادنا على مساعدة أطفال آخرين، أو قد يُعجل هذا

من الوصول إليها مثال ذلك قولنا «عمرو (الأخ الأكبر) إن أختك ياسمين لاتعرف كيف تفعل ذلك، هل يمكن أن تساعدها» أو «نحن لانستطيع أن نخرج قبل أن ينظف طارق حجرته فإذا استطعت أن تساعده سوف نخرج كلنا فى أسرع وقت» وبهذه الطريقة فإننا نحرك روح المساعدة عند الطفل بدون استخدام الأوامر، فالطفل ينتظر شيئًا سعيدًا يحدث له ولشريكه عندما يستطيع المساعدة.

الطريقة الثانية هى وضع الطفل فى موقف يعطيه الفرصة والقدرة على مساعدة طفل آخر، فإن الأطفال يميلون إلى المساعدة ولو من قبيل التظاهر.

إذا كنا نلعب لعبة تتضمن أسئلة، واللعبة توقفت انتظارًا لإجابة طفل آخر فإننا نجد طفلنا يحاول المساعدة والتدخل، وهذا يسرى على الرياضة، المهم هنا أن نراقب هذه الفرص وأن نثنى على الطفل الذى يقدم المساعدة، ولكننا لانثنى على ذكائه فى سرعة الإجابة لكى لايتعمد ذلك، ولكن نثنى على تعاونه فقط، وبالإضافة إلى ذلك فإذا كان الطفل لديه أصدقاء فسوف نجد أنهم يساعدون بعضا بالفعل، فعندما نود الثناء على الطفل يجب الانتظار لنراه معهم والإشارة إلى أى تعاون يبديه، وقد يمكن أن نتدخل بأن نمسك بأحدهم ثم نقول له ضاحكين «هاها !! لن يستطيع أحد أن يحميك الآن» وقد يصيح الطفل «مازن، ساعدنى». أما ما يحدث بعد ذلك فهو شعور جميل وإحساس كل منهم بمدى التضحية والمساعدة التى أسداها بعضهم لبعض.

٥ ـ عاطفة المحبة Affection

الطريقة المثلى لإثارة العواطف فى التمثيل وإظهار مدى تأثيرها على الناس ثم المطالبة بها من الآن فصاعدًا. إذا التقطت طفلك وغمرته بكثير من الأحضان والقبلات وأطبقت على يديه وأجلسته على رجلك، واضعًا يديك حول ظهره، بينما تقرأ له قصة، فسوف يثير ذلك رغبة الطفل فى أن يقلدك (وبالفعل يقوم بوضع يديه حول كتفك عند القراءة). ويجب أن تنظر إلى مدى فعلك لهذه الأمور مع زوجك أو مع الأقارب والأصدقاء، لأن الطفل الذى لديه جمود فى العواطف غالبًا ما يميل والداه إلى عدم إظهار شعورهما.

ومما يجعل تعليم العواطف أسهل من بقية الصفات أنها ببساطة تؤدى إلى أشياء جميلة، فعندما يندفع الطفل نحوى عند عودتى من العمل فأتركه يتعلق برقبتى ليحصل على كثير من القبلات والأحضان، وأى طفل يُغمر بالعواطف التى تؤدى إلى كثير من الارتباط واللعب وهذا يحدث طبيعيًا.

ثانى عشر : النشاط الزائد Hyperactivity

فى خلال الخمس إلى العشر سنوات الأخيرة، أصبح موضوع النشاط الزائد من المشاكل التى يطول بحثها، وبالتأكيد هى واحدة من أعظم الشكاوى الشائعة بين الوالدين. وتقريبًا الآباء والأمهات يشكون من أن لدى أطفالهم نشاطًا زائدًا. فى عام ١٩٥٠ تم تلخيص الأنشطة الزائدة مبدئيًا كمشكلة مرحلة الطفولة الوسطى، ولكنها الآن عُرفت كمشكلة تبدأ قبل سن السابعة وهذا مفيد للتركيز أكثر بالعناية والرعاية على مستوى الأنشطة للأطفال الصغار.

والذى نعنيه بمصطلح الأنشطة الزائدة يختلف تمامًا عما يعتقده العامة. وهو فى الحقيقة أكثر بكثير من مجرد «طفل له نشاط زائد»، وقد بذلت جهود كبيرة لحل المشاكل التى تنبع من الطفل ذى النشاط الزائد وهذه المشاكل حقيقية.

والطفل ذو النشاط الزائد لايمثل مشكلة حقيقية فهو قد يقوم بذلك لاختبار مدى صبر أمه. والآباء كثيرًا ما يستخدمون لفظ النشاط الزائد ببساطة لكى يصفوا مستوى النشاط لأطفالهم. وهم عادة يستخدمون هذا المصطلح عندما يكون أطفالهم ذوى نشاط ملحوظ عن باقى الأطفال. فهم يقولون عن طفلهم «أنه يعبث فى كل شىء» «إنه صعب السيطرة عليه».

والطفل يُعجب بنفسه إذا كان كذلك لأن هذا يجعل أبويه مهتمين به بدرجة كبيرة لأن هذا بالطبع يتطلب انتباها وتيقظًا. ومثال على ذلك الطفل الذى يعبث بالأدوية والأشياء الكهربائية والاختفاء خارج الأبواب؛ فيكون بالطبع بعكس الطفل الذى يبقى فى حجرة المعيشة يلعب مع الأصدقاء أو مع لعبة. وكل هذه التصرفات شائعة جدًا وخاصة بين الأولاد وتتطور بتقدم عمرهم.

١ ـ خصائص الطفل ذى النشاط الزائد :

أولا : تنحصر مشاكل الطفل فى ثلاث جهات : الاندفاع Impulsiveness، ضعف الانتباه والتركيز، عشوائية الانطلاق.

ثانيًا : لديه مشاكل ملحّة تتعلق بالنقاط الثلاث السابق ذكرها.

ثالثـا : أن هذا يعنى أن هذه الصعـوبات التى تواجـهه تزيد المواقف ســوءًا عندما يطلب منه السيطرة على النفس ـ فى المرحلة الأولى من التعليم، مثل خلال الوقت الذى يسوده الهدوء عندما تحاول قراءة قصة، أو عند انتظار دوره فى اللعب أو عند تنظيف المكعبات التى كان يلعب بها، وهكذا.

رابعًا : ولكى تعتبـر هذا نشاطًا زائدًا لابد أن تستمر هذا الأمور مـعه لفترة ستة أشهر على الأقل.

جدول (٥)

مؤشرات النشاط الزائد

بالمقارنة مع الأطفال فى نفس عمره أو عمرها، يظهر على الطفل علامات ضعف التركيز، الاندفاع ومستوى عال من النشاط أو الانطلاق، وهذا بالطبع ينعكس انعكاسًا سلبيًا على بناء المواقف (فى الفصل مثلا) وعندما يُطلب منه السيطرة على النفس.

(١) عدم الرعاية والاهتمام بالأمور (التركيز) : وفى الأغلبية تنعكس عليه فى الصور التالية :

أ ـ يفشل دائمًا فى إنهاء ما بدأه.

ب ـ غالبًا لايحسن الاستماع ولا المشاهدة أو المتابعة.

جـ ـ من السهل إثارته.

د ـ يجد صعوبة فى أى مهام أو نشاطات تحتاج إلى تركيز كبير.

هـ ـ يجد صعوبة فى التعلم.

(٢) الاندفاع : وغالبا ما تنعكس عليه الصور الآتية :

أ ـ غالبًا ما يتصرف بدون تفكير.

ب ـ ينتقل دائمًا من نشاط لآخر.

جـ ـ لديه صعوبة فى تنظيم اللعب أو مواد العمل.

د ـ يحتاج لقدر كبير من المراقبة والإشراف.

هـ ـ يجد صعوبة فى انتظار دوره فى اللعب.

(٣) مستوى النشاط العالى أو الانطلاق، وغالبا تنعكس فى:

أ ـ يجرى أو يتسلق الأشياء بتطرف.

ب ـ يصعب عليه الاستقرار فى مكان ما.

جـ ـ يجد صعوبة فى الجلوس مستقرًا.

د ـ يتحرك كثيرًا أثناء النوم.

هـ ـ دائمًا يتحرك أو يتصرف كأنه يعمل بموتور.

(٤) تستمر هذه المؤشرات لفترة ٦ أشهر على الأقل.

والطفل ذو النشـاط الزائد (مفـرط النشاط) يكون لديـه صعوبـة كبيـرة فى المواظبة على مهام أو أوامر أو تعليمات تُلقى إليه، فهى تدخل من أذن وتخرج من أذن، وهو من السـهل إثـارته بكم قليل من الضـوضـاء أو الحـركـة. والمصطلح «الاندفاع» يدل على قصور فى السيطرة على النفس، وعدم القدرة على الانتظار أو التعايش مع الأحـداث، فالطفل ربما يتسلق قمـة الأسطح، أو الأرفف (ويقفز من فوقها) أو ربما يدفع بنفسه إلى حمام السباحة وهو لايجيد السباحة.

والطفل الزائد النشـاط له مشاكل فى مـسـتـويات الأنشطة وبالتحـديد عندما توضع قيود أو متطلبات على عاتقه، وبالبحث وجدنا أنه لا اختلاف فى مستويات النشـاط بين الطفل العادى والطفل الزائد النشـاط فى أوقات اللعب الحـرة، ولكن يجد الطفل ذو النشاط الزائد صعوبة فى التحكم فى مستوى نشاطه، أو تغييره، أو عندما يطلب منه الهدوء.

وعلى كل حـال فإن مسـتوى نشاط الأطـفال ليس هو العامل الـفاصل فى تعـريف أو تحديد الطفل ذى النشـاط الزائد، ولكن هناك عـوامل أخرى مـهـمـة. الطفل غير القادر على السـيطرة على نفسه هو غالبًا ما يكون مصـدر إزعاج، فهو لايسمع لمن هو أكبر منه، ودائم الحركة فى كل مكان، ولابد أن ننتبه له سواء كان هذا الانتباه من المدرسين أو الآباء. ولكن الطفل النشيط فحسب، يلعب فى هدوء ويتصرف تصـرفات طبيعـية وملائمة فهـذا ما نطلق عليه النشاط الطـبيعى. ولكن الطفل الزائد النشـاط نطلق عليـه هكذا لما يصدر مـنه من سلوك وتصرفـات تثيـر المشكلات حتـى ولو كان نشاطه لا يزيد عن نـشاط الطفل الطبيـعى. وفى الواقع هناك بعض التسـاؤلات مثل : هل النشاط الزائد يختلف فـى حقيقتـه عن مشكلة سلوكية؟ هناك بعض الباحثين يشعرون بأنه لا اختلاف بينهما.

يظهر النشـاط الزائد بوضوح فى سن الثامنة إلى الـعاشرة، وهذه تعـتبر من المراحل الدراسـيـة الأولى، والمشاكل الناتجـة عن النشـاط الزائد تكون قـد بدت، فالطفل لابد أن يجـلس على مقعـد لفترات طويلة، يذاكـر أو يتابع كتـابًا ما، أو يؤدى نشاطًا ما فى نفس المكان لفترة طويلة، وينظف ويترب مكانه بعدما ينتهى .

وعندما يكون النشـاط الزائد نادرا، فيجب التـعامل معه عند ظهـوره. وقد أوضحت الدراسات أن النشاط الزائد غالبا ما يستمر فى الطفولة المتأخرة، ويختفى طبيعيا عند البلوغ، ويصبح الطفل طبيعيا عند هذه السن .

إن النشاط الزائد لا يـعنى أن هناك خطأ تنظيمـيًا فادحًـا فادح، وكثـيرا من الدراسات فشلت فى أن تربط بيـن النشاط الزائد والوظائف العقلية. وفى الحقـيقة أن حوالى ١٠ ٪ من الأطفال ذوى النشـاط الزائد يظهر عليهم قصـور فى الناحية العقلية والإدراك.

والطعـام والغذاء لهـما دور فـعـال فى الأنشطة الزائدة، وخاصـة أن الآباء يبالغون فى النظام الطبـيعى للغذاء. ولا تتحسن حـالة الأطفال ذوى النشاط الزائد عندما يتغير الطعام .

والدراسات قد سـجلت أن الأطفال ذوى النشاط الزائد لديهم كميـات كبيرة من الرصاص فى أوعـيتهم الدموية. وهذا يسـبب اللا مبالاة وضعف فى التـركيز وصعوبة فى التعليم. والرصاص الآن أصبح مـتوافرا فى التلوث الصناعى .وتشير الدراسات أن الرصاص عامل مقلق وسبب فى النشاط الزائد .

٢ ــ ماذا تفعل حيال النشاط الزائد ومستوياته ؟

بالرغم من أن النـشاط الزائـد شائـع، والأطفـال تتخـلص منه بالنمـو إلا أننايجب أن نشـجع الطفل على الهـدوء (كالجلوس على السـفرة ومـساعـدته فى تنظيف مكان لعبـه وتعليمه القراءة فى الكتـاب) فكل هذه الأشياء لها تـأثير قوى ومباشـر على نشاط الطفل. والبعض قد أضاف بعض المكافـآت (مشاهدة برامج مفضلة فى التلفزيون ـ وقت للعب ـ الذهاب إلى السباحة . . . إلخ) أو مفاجآت ولعب بسيطة إذا شعرنا ببدء الهدوء وفى المقابل لدينا التوبيخ إذا لم يحدث ذلك .

عامة إننا نتمعن فى المراقبة لهذه التصرفات مع التأكيد على حدوث الأشياء الجميلة إذا أظهـر الطفل بعضا من ضبط النفس . مثـلا سوف أدعك تلعب بعربة السبـاق الجديدة عندمـا تنظف مكان لعبك بالمكعـبات، ثم نجزل الـثناء إذا نجحت الخطة ولا مانع من مساعدته فى بادىء الأمـر، وبالمثل عند قراءة القصصص يجب

أولا توفير جو من الهدوء حوله والقراءة معه بمنتهى اللطف، فإذا تململ بجانبك وقفز واقفا وتحدث بصوت عال أو سريع، إذن فلنقل إنك لم تدعنى أكمل القصة، فسوف أتركها حالا .

للأسف هناك حل شائع للنشاط المفرط وهو استخدام الدواء، وهذا لسوء الحظ تكون نتائجه غير إيجابية على المدى البعيد، فإن العلاج بالدواء للطفل المريض بالنشاط الزائد يجعله أسوأ حالا من الذى لا يتعاطى أى دواء، وقد يجعله هذا الدواء هادئا فى الوقت الحالى ولكنه لا يعلمه أى شىء، وقد تمنع العقاقير الطفل من عمل المشاكل للآباء والمعلمين، ولكنها لها تأثيرها الضار على حياة الطفل الاجتماعية وضبط النفس فيما بعد، هذا ما يقرره Rincover .

ثالث عشر : الاستحواذ والإكراه والطقوس

Obsessions, Compulsions and Rituals

عمرو يستحوذ على لعبة السوبرمان فى كل وقت، عند مشاهدة التلفزيون، عند شرائه كل سوبرمان جديد ليأخذه معه فى كل وقت، عند ذهابه إلى التواليت، فى المدرسة، إلى أصدقائه، عندما ينام، ولابد أيضا من ارتداء فانلة السوبرمان، والنوم على الملاءة المرسوم عليها السوبرمان، وطبعا لابد من الغطاء ببطانية السوبرمان، ولابد من ارتداء كل لبس السوبرمان (القناع، الحزام، علامة الصدر، السيف والحذاء الطويل) ولاتنس الصورة الكبيرة فى حجرته .

إن هذا مجرد مثال لموضوع الاستحواذ الذى يتملك الأطفال، وفى الحقيقة ليس هناك ما يقلق تجاه ذلك وليس هذا استحواذا بالمعنى الحقيقى، فإن الطفل يتعلق بألعاب يمتع بها نفسه ولكن سرعان ما يكبر ويتخلص منها ويكتشف أن هناك أصدقاء وألعابًا جديدة (ركوب الدرجات، كرة القدم . . .) يمكن أن تنافس هذه الألعاب القديمة .

إن فكرة الاستحواذ التى يجب أن تعالج ترجع إلى الأفكار المخيفة، أما الإكراه فيرجع إلى سلوك الخوف، أى أن كليهما تنصب على المخاوف. وكمثال أن الطفل قد يغسل يديه فى اليوم ١٠ مرات خوفا من القذارة ويخاف منها بل ويرفض الذهاب إلى منزل آخر خوفا من القذارة، وعدم اللعب فى الحديقة لأنها

قد تكون قـذرة، وعامة فإن القـذارة تسبب له قدرًا هائلا من المخـاوف، وطقوس غسيل اليـدين تريحه إلى حد ما، وهذا ما يجب أن يعـالج لكنه نادر الحدوث عند الأطفال أقل من ٦ سنوات .

إذا كان هناك كثير من تلك المخاوف تتدخل فى حياة الطفل اليومية وتستمر على الأقل لمدة ٦ أشهر، فيجب أن يعالج هذا الموضوع معالجة الفوبيا (انظر الجزء الخاص بالخوف والفوبيا) ومن الأفضل أن تأخذ النصيحة من الأخصائى قبل عمل أى شىء .

رابع عشر : طلب المساعدة Getting Help

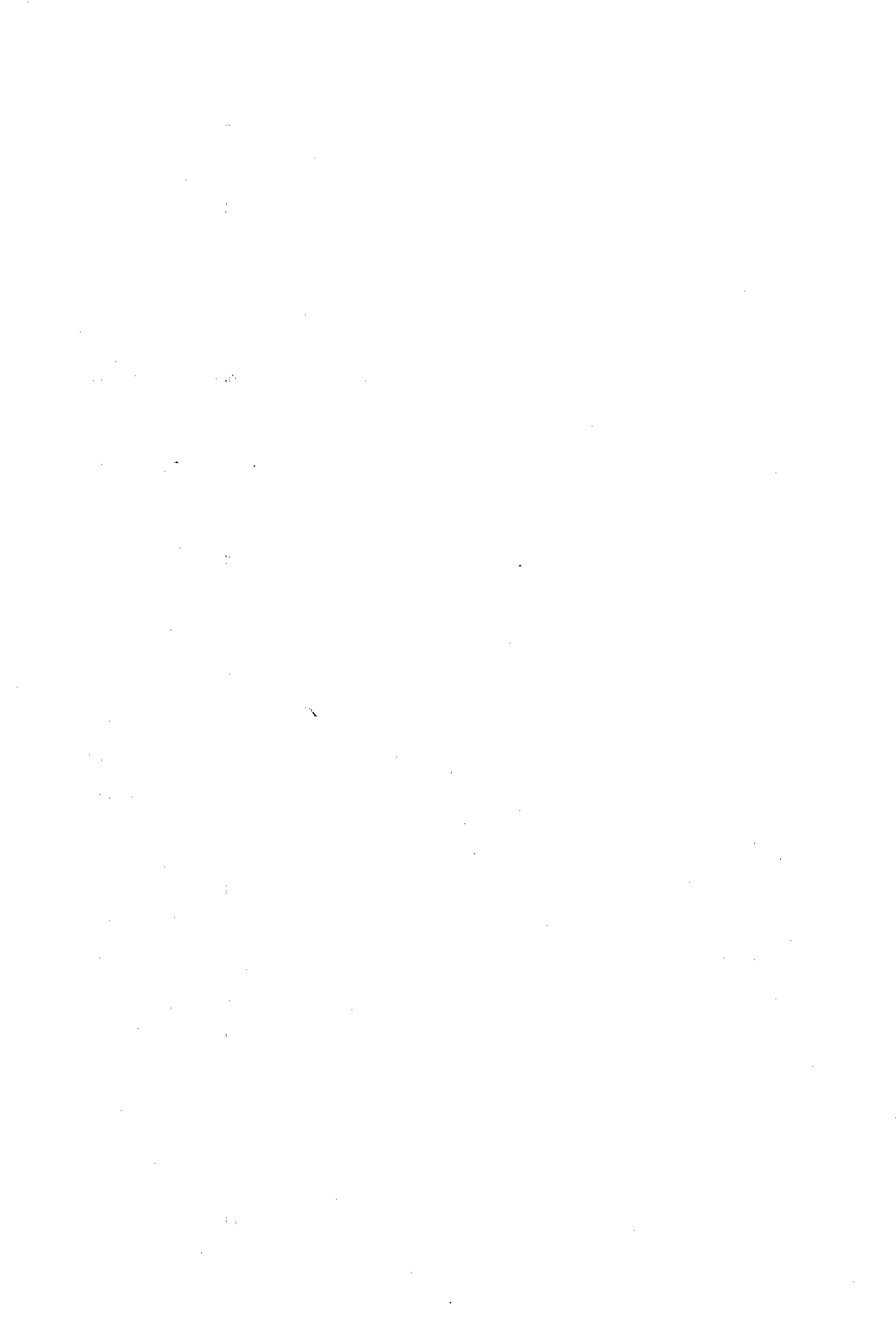
الآباء يجب ألا يخجلوا من طلب المساعـدة فى تربية أبنائهم وإن سيطر بهم الإحساس بأن هذه المشكلة خاصـة بهم فقط نتيجة تصرفـاتهم. أو أن الأخصائيين النفسيين وجدوا للمشكلات العويصة والخطيرة، وهذا ليس حقيقيا .

أولا : يجب أن نعلم أن الأخصائيين النفسيين يبحثون عن ثقتك، ولايمكن أن يغلقوا أى باب فى وجهك بدون علاج، ولابد أن يثق الآباء فيما يقال بينه وبين الأخصائى ويعتمد عليه .

لقد وجد الأخصائيون لمسـاعدتك إذا احتجت أى شىء، إذا انتابك أى قلق بخصـوص طفلك، وتوجيهك التوجـيه السليم أثناء تقدم حـالة الطفل أو تأخره، المهم هنا هو اختيار الأخصائى السليـم، ولابد أن يسأل الآباء وينقبوا عن أسمائهم وتخصصاتهم .

لقد أوضحنا من قبل متى يكون سلوك الطفل مشكلة، وماذا يجب أن نفعل حيال ذلك والنظم الـتى وضعت ليست جميـعها مصمـمة لطفلك أنت، وإنما هى أمثلة ومفـاهيم من خبرات سابقة وقراءات، الأمـر الذى يجعلك تبحث عن النظام الخاص بك، وإذا لم تفلح مـحاولاتك الشخـصية فى وضع النظام لتـقويم الطفل فلامفر مـن أن نلجأ إلى المساعدة، وسوف يصبح طفلك فى أحـسن حال مادمت ترعاه وتهتم بمشكلاته مبكرًا.

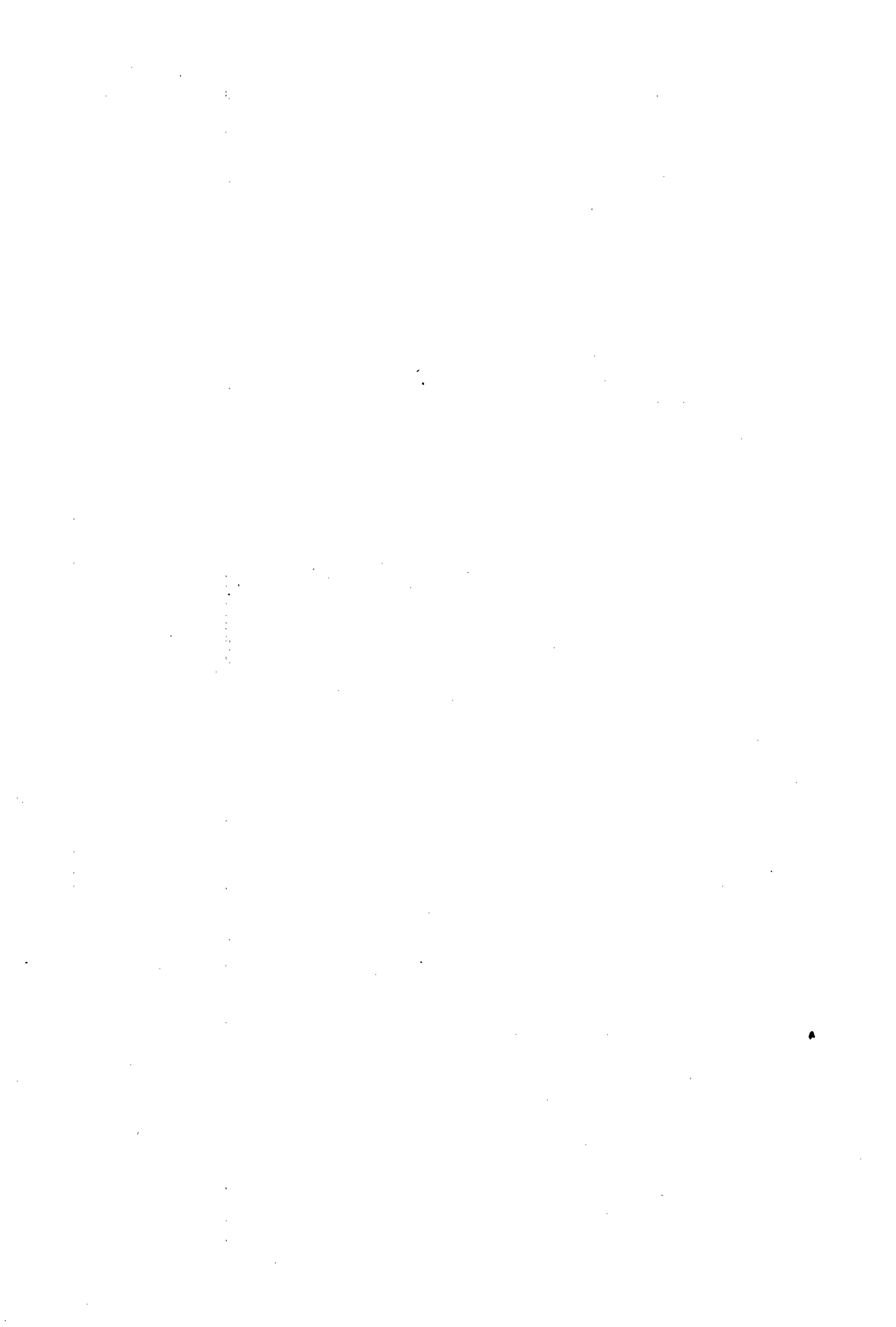
تم بحمد الله ..... وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين





المراجع





أولا : المراجع العربية

(١) إبراهيم خليفة (١٩٨٦) : المربيات الأجنبيات فى البيت العربى الخليجى. الرياض : مكتب التربية العربى لدول الخليج.

(٢) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (د.ت) : المفردات فى غريب القرآن. تحقيق محمد سيد كيلانى. بيروت : دار المعرفة.

(٣) السيد محمد خيرى وآخرون (١٩٧٥) : التلفزيون والصغار. القاهرة : المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

(٤) بثينة قنديل (١٩٦٤) : دراسة مقارنة بين أبناء المشتغلات وغير المشتغلات من حيث بعض نواحى شخصيتهم. رسالة دكتوراه، كلية التربية ـ جامعة عين شمس.

(٥) جابر عبد الحميد وسليمان الخضرى (١٩٧٨) : دراسات نفسية فى الشخصية العربية. القاهرة : عالم الكتب.

(٦) حامد زهران (١٩٨٤) : علم النفس الاجتماعى. القاهرة : عالم الكتب.

(٧) زكريا الشربينى (١٩٨١) : التوافق النفسى وعلاقته بدافع الإنجاز فى مرحلة الطفولة المتأخرة. رسالة دكتوراه، كلية البنات ـ جامعة عين شمس.

(٨) زكريا الشربينى (١٩٩٤) : المشكلات النفسية عند الأطفال. القاهرة : دار الفكر العربى.

(٩) سعد عبد الرحمن (١٩٧٠) : عملية التطبيع الاجتماعى وأزمات التحامل والتعصب فى مجتمعاتنا المعاصرة. الكويت : وزارة الإعلام.

(١٠) سيد أحمد عثمان (١٩٧٤) : علم النفس الاجتماعى التربوى، التطبيع الاجتماعى. القاهرة: الأنجلو المصرية.

(١١) صالح البكارى (١٩٨٤) : أنماط تنشئة الطفل اجتماعيًا. طرابلس : الدار العربية للكتاب.

(١٢) عادل عز الدين الأشول (١٩٨٩) : علم نفس النمو. القاهرة : الأنجلو المصرية.
(١٣) عصام عبد الجواد (١٩٨٧) : أثر الخدم الأسيوى والمربيات الأجنبيات فى أبناء دولة الإمارات العربية. بيروت : دار الوسام.
(١٤) على عبد الواحد وافى (١٩٥٨) : عوامل التربية. القاهرة : الأنجلو المصرية.
(١٥) على عبد الواحد وافى (١٩٧١) : الأسرة والمجتمع. القاهرة : نهضة مصر.
(١٦) غريب سيد أحمد وآخرون (١٩٩٥) : دراسات فى علم الاجتماع العائلى. الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية.
(١٧) فؤاد البهى السيد (١٩٨٠) : علم النفس الاجتماعى. القاهرة : دار الفكر العربى.
(١٨) فاروق العدلى (١٩٨٤) : التنشئة الاجتماعية الأسرية للطفل القطرى. حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية. العدد السابع.
(١٩) فالح حنظل (١٩٧٨) : حجم الألفاظ العامية فى دولة الإمارات. أبو ظبى: مؤسسة دار الفكر للطباعة.
(٢٠) كاميليا عبد الفتاح (١٩٧٢) : فى سيكولوجية المرأة العاملة. القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة.
(٢١) ماهر محمود عمر (١٩٩٢) : سيكولوجية العلاقات الاجتماعية. الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية.
(٢٢) مبارك ربيع (١٩٨٤) : عواطف الطفل. طرابلس ـ ليبيا : الدار العربية للكتاب.
(٢٣) محمد فايز (١٩٨٤) : مدخل إلى علم الاجتماع : دراسة نظرية فى فهم المجتمع. الرياض : منشورات دار الفيصل الثقافية.

(٢٤) محمد فرح (١٩٨٩) : البناء الاجتماعي والشخصية. الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية.
(٢٥) مصطفى سويف (١٩٥٩) : الأسس النفسية للإبداع الفنى (فى الشعر). القاهرة: دار المعارف.
(٢٦) مفيد حواشين وزيدان حواشين (١٩٨٩) : النمو الانفعالى عند الأطفال. عمان : دار الفكر.
(٢٧) ممدوحة سلامة (١٩٨٧): مخاوف الأطفال وإدراكهم للقبول والرفض الوالدى. مجلة علم النفس العدد الثانى: ص ص ٥٤ ـ ٦١.
(٢٨) وزارة الشئون الاجتماعية والعمل (١٩٨٣) : أثر المربيات الأجنبيات على خصائص الأسرة الكويتية: إدارة التخطيط والمتابعة.
(٢٩) وزارة الشئون الاجتماعية والعمل (١٩٨٣) : أثر المربيات الأجنبيات على خصائص الأسرة فى البحرين. البحرين : قسم التخطيط والبحوث.
(٣٠) وزارة الشئون الاجتماعية والعمل (١٩٨٤) : أثر المربيات الأجنبيات على خصائص الأسرة العمانية. عُمان : المديرية العامة للشئون الاجتماعية.
(٣١) وليم لامبرت وولاس لامبرت (١٩٨٩) : علم النفس الاجتماعى. ترجمة سلوى الملا، القاهرة : دار الشروق.
(٣٢) يسرية صادق (١٩٧٩) : العلاقة بين حجم الأسرة وبعض نواحى شخصية الطفل. رسالة ماجستير، كلية البنات ـ جامعة عين شمس.
(٣٣) يسرية صادق (١٩٨٢) : دراسة لمتغيرات ترتبط ببعض أبعاد التكوين النفسى للطفل داخل الأسرة. رسالة دكتوراه، كلية البنات ـ جامعة عين شمس.
(٣٤) يوسف القاضى ومحمد زيدان (١٩٨١) : السلوك الاجتماعى للفرد. القاهرة : شركة مكتبات عكاظ.

ثانيا : المراجع الأجنبية :

(35) Ammar, H. (1954): Growing Up in Egyptian Village, Silwa Provience of Aswan. London : Routledge and Kegan Paul.

(36) Atkinson, J. (1958): Motives in Fantasy Action and Society. New York: D.van Nostrand Company, Inc.

(37) Bandura, A. (1971): Social Learning Theory. New York: General Learning Corp.

(38) Baumrind, D. (1971): Current Patterns of Parental Authority. Developmental Psychology Monographs. 4-A, PP. 1-103.

(39) Baumrind, D. (1980) : New Directions In Socialzation Research. American Psychlologist, Vol. 35, pp. 639 - 652 .

(40) Becker, W. (1969): Consquences of different kinds of parental discipline. In M.Hoffmen and L.Hoffmen (Eds). Review of Child Development Reasearch. Vol. 1, PP. 169-206.

(41) Belsky. J. (1980) : Child Molteratment : An Ecolohical Intergration. American Psychologist, vol. 35, pp. 320 - 335 .

(42) Belsky, J. (1984) : The Determinets of Parenting : Process Model. Child Development, Vol. 55, pp. 83 - 96 .

(43) Brazelton, B. (1974) : The Origins of Recipocity : the Early Mother Infant Interaction. In Lewis, M. and Rosenblum, L. (1977) : The Effect of the Infant on Its Caregiver: The Origins of Behavior, vol.1. New York: Wiley and Sons.

(44) Brodzinsky, D. Gormly, A. and Amborn, S. (1986): Life Spane Human Development. New York: CB Publishing.

(45) Bronfenbrenner, U. (1970) : Two worlds of Childhood, U.S.A. and U.S.S.R. New York: Russell Sage Foundation.

(46) Denham, S., Zoller, D. and Couchoud, E. (1994) : Socialization of preschoolers' Emotion Understanding. Developmental psychology, Vol. 30, No.6, pp. 928-936.

(47) Doreen, R. (1972): Programs are Tools, Not Riligious in Teacher of Young Children. Houghton: Mc Million Comp.

(48) Dunn, J., Brown, J., Slomkowski, C., Tesla, C., Youngblade, L. (1991) : Young Children's Understanding of other Pepole's Feelings and beliefs : Individual Differences and their Antecedents. Child Development, 62, pp. 1352-1366.

(49) Eliason, C. and Jenkens, L. (1977): Apractical Guide Early Childhood Curriculum. Sant Louis: The C.V. Mosly Comp.

(50) Elkin, F. and Hardel, G. (1972) : The Process of Socialization. New York : Random House.

(51) Etaugh, C. (1974): Effects of Maternal Employment on Children: A review of recent research. Merrill-Palmer Quarterly. vol. 20 (2), PP. 71-98.

(52) Field, T. (1991) : Quality Infant day-care and Grade School Behavior and Performance. Child Development, 62, PP. 863-870.

(53) Fong, B. and Resnick, M. (1980): The Child, Development Through Adolescence. Menlo Park: The Benjamin Cummings Pub. Co.

(54) Gruse, J. and Kuczyndki, J. (1980) : Direction of Effects In Socialization : A Comparizon of The Parents Versus the child Behavior as Determinates of Disciplinery Techniques. Devlopmental Pschology, vol 1. pp. 1 - 9.

(55) Hetherigton, E. and Park, D. (1979): Child Psychology Conter. New York: McGrow-Hill.

(56) Hetherington, E. and Parke, R. (1980): Child Psychology: A Contemporary Viewpoint. New York: McGraw-Hill Book Co.

(57) Kagan, J. (1971): Personality Development. New York: Harcout Brace Jovonovich, Inc.

(58) Klaus, M. and Kennel, J. (1976) : Maternal Infant bonding. St. Louis. Mosby.

(59) Krumboltz, J. and Krumboltz, H. (1972): Changing Children's Behavior. New Jersey: Prentice-Hall, Inc.

(60) Lambert, W. and Lambert, W. (1973): Social Psychology. New Jersey: Printice-Hall, Inc.

(61) Maccoby, E. (1961) : The Choice of Variables In the Study of Socialization. Sociometry, Vol. 24, No.4.

(62) Maccoby, E. (1980): Social Development, psychological Growth and the parent-Child Relationship. New York: Harcourt Brace Jovanovich, Inc.

(63) Maccoby, E., and Martin, J., (1983) : Socialization in the Context of the Family : Parent-Child interaction. In P.H. Mussen (series Ed.) and E.M. Hetherington (vol. Ed.), Handbook of Child psychology : Vol. 4. Socialization, Personality and Social Develop, PP. 1-102. New York : Wiley.

(64) Marjoribanks, K. (1981): Birth Order and Family Learning Environments. Psychological Reports, 49, PP. 915-919.

(65) Mead, M. (1935) Sex and Temperament in There Primitive Societies. New York: Morrow.

(66) Michalson, L. and Lewis, M. (1985) : What do children know about emotions and when do they know it? In M. Lewis and C.Saarni (Eds.), The Socialization of emotion, pp. 117-140. New York : Plenum.

(67) Park, R. and Collmer, C. (1975) : Child Abuse. An Interdisciplinary Analysis. In E.Hetherington (Ed). Review of Child Development Reasearch, Vol. 5, PP. 139-146.

(68) Parsons, T. (1955) : Family, socialization and Interaction. London: The Free Press.

(69) Parsons, T. (1965) : Social Structure and Personality. London: The Free Press.

(70) Patterson, G. (1979): Aperformance Theory for Coercive Family Interaction. In R. Carins (Ed.) Social Interaction. New Jersey: Lawrence Erlbaum.

(71) Reber, A. (1985): Dictionary of psychology. London: Hazell Watson and Viney Limited.

(72) Rincover, A. (1990) : The Parent-Child Connection. New York : Simon and Schuster, Inc.

(73) Schaefer, E. (1959): Acercumplex Model for Maternal Behavior. J. Abnormal and Social psychology. vol. 59, PP. 225-235.

(74) Sears, R., Maccoby, E. and Levin, H. (1957): Patterns of Child Rearing. Evanston, III.: Row, Paterson.

(75) Selzick, L. (1954) : Sociology. London : Brentic-Hell.

(76) Sewell, W. (1963) : Some Recent Developments in Socialization Theory and Research. In the Annals

of the of the American Academy of political and Social Science, Philadelphia, Vol. 349, pp. 163-181.

(77) Sewell, w. and Shah, v. (1986) : Social Calss Parental Incouragement and Educational Aspriation American Journal of Sociology, vol. 33, pp. 559 - 572 .

(78) Shaffer, D. (1993) : Developmental psychology California : Wadsworth, Inc.

(79) Stern, D., (1974) : Mother and Infant at blay; the Dyadic interaction involving facial and Gaze Behavior. Dans. In Lewis, M. and Ronsenblum, L. (1977) : The Effect of the In fant on its caegiver : The Origins of Behavior, Vol.1. New York : Wiley and Sons.

(80) Watson, R. and Lindgren, H. (1979) : Psychology of the Child and the Adolescent. New York : MacMillan Publishing Co., Inc.

(81) Whiting, B. (1963) : Six Cultures Studies of Child Rearing. New York: Jahn Wiley.

(82) Zahn-Waxler, C., Ridgeway, D., Denham, S., Usher, B., and cole, p. (1993) : Research Strategies for assessing mothers' interpretations of infants' emotions. In R. Emade, J. Osofsky, and P. Butterfield (Eds.), Parental perceptions of infant emotions, pp. 217-236. Madisoon, CT: International Universities Press.

(83) Olevra - Ezzell, N., Power, T., and Cousins, J. (1990): Maternal Socialization of children's Eating Habits: Strategies used by obese Mexican-American Mothers. Child Development, 61, PP. 395-400.

(84) Power, T., and Parke, R. (1986): Patterns of Early Socialization: Mother and Father-infant Interaction in the Home. International J. of Behavioral Development, 9, PP. 331-341.

(85) Power, T., McGrath, M. Manire, S., (1994): Compliance and Self -Assertion: Young Children's Responses to Mothers versus Fathers. Developmental psychology, 30, PP. 980-989.

(86) Alexander, K., and Entwisle, D. (1988): Achievement In the First 2 Years of School: Patterns and Processes. Monographs of the Society for Research in child Development, 53 (2, Serial No. 218).

(87) St. Peters, M., Fitch, M., Huston, A. and Wright, J., (1991): Television and Families: What do young Children Watch with their parents?. Child Development, 62, PP. 1409-1423.

(88) Selroade, J. (1993): Genetic Influence on Family Enviroment: The Role of personality. Developmental psychology, 29, PP. 110-118.

(89) Fabes, R., Eisenberg, N., Karbon, M., Bernzweig, J., and Speer, A. (1994): Socialization of Children's vicarious Emotional Responding and Prosocial Behavior: Relations with Mothers' perceptions pf children's Emotional Reactivity. Developmental psychology, 30, PP. 44-55.

(90) Belsky, J., Fish, M., and Isabella, R. (1991): Continuity and Discontinuiy in Infant Negative and Positive Emotionality: Family Antecedents and Attachment Consequences. Developmental Psychology, 27, PP. 421-. 431.

(91) Melton, G. (1991): Socialization In the Global Community : Respect for the Dignity of Children. American Psychologist, 46, PP. 66-71.

(92) Denham, S., Zoller, D., and Couchoud, E. (1994): Socialization of Preschoolers' Emotion Understanding. Developmental Psychology, 30, PP. 928-936.

رقم الإيداع	٨٩١٢ / ٩٥
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 10 - 0780 - 7